T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 23

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
١١٧٥ وكفى

٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد حمد الله عز وجل حمداً يليق بجلاله • والصلوة والسلام الاتمات الاكملان على سيدنا محمد وعلى اله • فهذا ان شاء الله عز وجل املاء سميناه بالاشارات الالهية • الى المباحث الاصولية • ولابد قبل الخوض فى مقاصده من تقرير مقدمة هى له كالاصول • تشتمل على فصول

الفصل الاول فى شرح اسم هذا الكتاب ويتم ذلك ببيان معنى الاشارات والالهية والمباحث والاصولية اما الاشارات فهى جمع اشارة وهى الايماء بفعل او قول الى امر فالايماء بالفعل كالرمز والغمز بعين او حاجب ومن ذلك خائنة الاعين والاشارة باليد ونحوه والايماء بالقول هو التنبيه بالقول الوجيز على المعنى البسيط كقوله عز وجل فغشيهم من اليم ما غشيهم فاوحى الى عبده ما اوحى وقول امرئ القيس •

• على هيكل يعطيك قبل سؤاله • افانين جرى غير كز ولا وان •

فقوله افانين جرى اشارة وجيزة الى معان كثيرة وهو انواع جرى الفرس ولاشك ان فى القران العظيم اشارات من هذا الباب هى معجزات كقوله عز وجل كما بداكم تعودون كما بدأنا اول خلق نعيده افعيينا بالخلق الاول فان هذه اشارات تضمنت ما اطنب فيه المتكلمون من تقرير دليل البعث والاعادة قياساً على البدء ونحوه كثير مما ستراه ان شاء الله عز وجل. واما الالهية فنسبة الى الاله وهو المعبود والواجب الوجود ونسبت اليه لانها منه صدرت وعنه وردت اذ القران كلام الله عز وجل. واما المباحث فجمع مبحث وهو موضع البحث ومحله نحو مطلع الفجر والشمس لموضع طلوعهما وقياسه كسر الحاء فلعله فتح لاجل حرف الحلق حملاً على مضارعه وهو يبحث والبحث فى الاصل هو كشف التراب ونحوه عما تحته من دفين وغيره ثم نقل الى الكشف عن حقايق المعانى بالنظر لان الناظر

يكشف

١

يكشف عنها الشبه كما يكشف الباحث التراب فهو فى البحث الاصطلاحى حقيقة عرفية مجاز لغوى. واما الاصولية فنسبة الى الاصول لان الكتاب موضوع لاستخراج مسائل الاصول من اشارات التنزيل وانما نسب الى لفظ الجمع وان كان القياس فى هذا الباب رد الجمع الى الواحد ثم ينسب اليه نحو رجلى فى النسبة الى رجال وعبدى الى عباد لان الاصول صار علماً او كالعلم على هذا الفن من العلم فجرى لذلك مجرى النسبة الى الانصار والمداين والفرايض يقال انصارى ومداينى وفرايضى ونحوه

الفصل الثانى فى ذكر السبب الباعث على وضع هذا الكتاب وهو ضربان كلى وجزئى اما الكلى فهو ان المسلمين منذ ظهر الاسلام يستفيدون اصول دينهم وفروعه من كتاب ربهم وسنة نبيهم واستنباطات علمائهم حتى نشأ فى اخرهم قوم عدلوا فى ذلك عن الكتاب والسنة الى محض القضايا العقلية مازجين لها بالشبه الفلسفية والمغالطات السوفسطائية واستمر ذلك حتى صار فى اصول الدين كالحقيقة العرفية لا يعرف عند الاطلاق غيره ولا يعد كلاما فى اصول الدين سواه فجاء الضعفاء العلم بعدهم فوجدوا كلاما فلسفياً ليس من الدين فى شئ مع ان ائمة الدين ومشايخهم نهوا عن مثله وشددوا النكير على من تعاطاه فضاعت اصول الدين عليهم وضلت عنهم اذ لم يعلموا لهم اصول دين غيره لغلبته عرفا وانما عدل المتأخرون فى اصول الدين عن اعتبار الكتاب والسنة اما لجهلهم باستنباطها منهما او ظناً ان ادلة السمع فرع على العقل فلا يستدل بالفرع مع وجود الاصل كشاهد الفرع مع شاهد الاصل او زعماً منهم ان الكتاب غالبه الظواهر والسنة غالبها الاحاد ومثل ذلك لا يصلح مستنداً فى المطالب القطعية الدينية او لان خصومهم من الفلاسفة والزنادقة ونحوهم لا يقولون بالشرايع ولا يرون السمعيات حجة فلا يجدى الاحتجاج عليهم بها ولغير ذلك من الخواطر والاوهام. واما السبب الجزئى فانى رأيت بعض الناس قد كتب مسائل يسأل عنها بعض اهل العلم منها هذا السؤال وهو ان الناس هل لهم اصول دين ام لا فان لم يكن لهم اصول دين فكيف يكون دين لا اصل له وان كان لهم اصول دين فهل هى هذه الموجودة بين الناس ككتب الامام فخر الدين بن الخطيب واتباعه ونحوها ام غيرها وكيف ذم ائمة الشرع الاشتغال باصول الدين مع انه لابد للدين من اصول يعتمد عليها ولو علم هؤلاء الملبوس عليهم ان اصول الدين الحقيقية التى هى احد فروض الكفايات فى طى الكتاب والسنة على ابلغ تقرير واحسن تحرير بحيث لا يستطيع الزيادة عليها متكلم ولا فيلسوف وحتى ان المسلمين انما استفادوا طرقهم الكلامية او اكثرها منهما لما قالوا ذلك ونحن نبحث عن هذا السؤال

المذكور على جهة الفتيا والاختصار لئلا يبقى شبهة فى قلب الناظر فنقول الجواب ومن الله عز وجل استمداد الحق والصواب للناس اصول دين اذ دين لا اصل له فرع مجرد لا وثوق به واصول الدين هو العلم الباحث عن احكام العقايد الاسلامية وجملتها لا تخرج عن الكلام فى الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر كما صرح به الكتاب والسنة وهو موجود فى كتب السلف مجردا او فى كتب الخلف كالكتب المشار اليها فى السؤال ممزوجا بما ليس من اصول الدين اما مزجا اضطراريا كالجواب عن شبهة فلسفية او مزجا اختياريا كما ضمنه الامام فخر الدين وغيره كتبهم من المباحث الفلسفية المستقلة كالكلام فى الفلكيات والعناصر والنفوس وغيرها تكثيرا لسواد كتبهم وتنبيها على فضايلهم او غير ذلك مما نووه والاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى. واما ذم ائمة الشرع الاشتغال باصول الدين فتشكيل مجمل غير محرر اذ كيف يذمون الاشتغال بعلم قد صنفوا وتكلموا فيه وهو مستند دينهم وقد افتوا بانه فرض كفاية فى مذاهبهم هذا مما لا يقبل عليهم ولا يجوز صدوره منهم وطريق كشف هذه الشبهة ان اصول الدين لفظ مشترك او كالمشترك فتارة يراد به العلم الباحث عن تقرير احكام العقايد الاسلامية بالحجج الشرعية المؤيدة بالبراهين العقلية وهذا لم يذمه عند احد بل هو فرض كفاية على الموحدين وتارة يراد به العلم الباحث عن الاحكام العقلية المحضة الفلسفية والكلامية التى هى فضول فى الشرع لا من ضروراته ولا مكملاته فذاك الذى ذمته الائمة على انهم انما عبروا عنه بالكلام ولم يذم احد منهم اصول الدين قط وانما ذموا الكلام المذكور لوجوه احدها انه كما ذكرنا فضول فى الدين الثانى ان العقل بمجرده لا يستقل بدرك الحقايق لانه انما جعل لاقامة رسم العبودية لا لادراك حقيقة الربوبية فربما زل فضل كما جرى لاكثر الفلاسفة والمتكلمين فى غالب احكامهم الثالث ان صاحبه كالمزاحم لله عز وجل فى الاطلاع على حقايق الموجودات ودقايق المصنوعات فذموه لذلك كما ذموا النظر فى احكام النجوم وعلى هذا فعلم الكلام صار محمودا باعتبار مذموما باعتبار كالجدل ورد الشرع بمدحه وذمه باعتبارين فمن حيث يستعمل لتحقيق الحق وابطال الباطل هو محمود ومن حيث يستعمل لعكس ذلك هو مذموم

الفصل الثالث

فيما نعتمده فى هذا التعليق وهو انا ان شاء الله عز وجل نستقرى القران من اوله الى اخره ونقرر منه المطالب الاصولية وهى ضربان اصول دين واصول فقه فاصول الدين علم يبحث فيه عن احكام العقايد صحة وفسادا ومتعلقاته

الكلية

الكلية هى كما سبق الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر واصول الفقه علم يبحث فيه عن الادلة السمعية والنظرية من جهة ايصالها الى الاحكام الشرعية الفرعية ومتعلقاته بالاستقراء تسعة عشر عليها مدار الفروع وفيها بحث علماء الامة اتفاقا منهم على بعضها واختلافا فى بعضها وهى على ما سرده الفضلاء فى كتبهم. الكتاب. والسنة. واجماع الامة. واجماع اهل المدينة. واجماع اهل الكوفة. واجماع الخلفاء الاربعة. واجماع العترة. والقياس. وقول الصحابى. والمصلحة المرسلة. والاستصحاب. والبراءة الاصلية. والعوايد والاستقراء. وسد الذرايع. والاستدلال والاستحسان. والاخذ بالاخف. والعصمة. فالكتاب هو الكلام المنزل للاعجاز بسورة منه وقيل ما نقل بين دفتى المصحف نقلا متواترا وهو دورى والكتاب والقران والفرقان واحد. والسنة ما ثبت نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم او من فى معناه تواترا او احادا من قول او فعل او اقرار على احدهما. واجماع الامة هو اتفاق مجتهديها فى عصر ما على حكم دينى. واجماع اهل المدينة والكوفة اتفاق علمائها كذلك وكذا اجماع الخلفاء والعترة اتفاقهم على حكم. والقياس تعدية حكم المنصوص او المتفق عليه الى غيره لجامع مشترك. وقول الصحابى فتياه عن اجتهاده اذا لم يخالف فيها. والمصلحة المرسلة اعتبار امر مناسب لم يرد الشرع فيه باعتبار ولا الغاء. والاستصحاب هو الاستمرار على ما عهد من نفى او اثبات اصلى او حكم شرعى وهو المعبر عنه فى السنة الفقهاء بقولهم الاصل بقاء ما كان والاصل عدم كذا او بقاؤه والبراءة الاصلية استصحاب خاص وهو الاستمرار على الحكم بفراغ الذمة الثابت قبل وجودها وقبل الدعوى باشتغالها. والعوايد جمع عادة وهى الامر المتكرر المعاود او هى معاودة الامر وتكرره وفى تخصيص العموم بها خلاف وتفصيل مثل ان يرد الشرع بحكم عام للناس فيه عادة خاصة فينزل العموم على خصوص العادة فيه. والاستقراء تتبع الجزئيات والحكم على كليها بمثل حكمها وان شئت فقل هو الحكم على كلى بما حكم به فى جزئياته. وسد الذرايع هو حسم مواد المفاسد بالمنع من يسيرها لئلا يتوصل منه الى كبيرها كتحريم يسير الخمر الداعى الى كثيره. والاستدلال هو النظر وهو ترتيب امرين او امور معلومة لاكتساب مجهول. والاستحسان هو العدول بالمسئلة عن حكم نظائرها لمعنى او لمصلحة ارجح وقيل فيه غير ذلك وقد اجاد الحنفية تقريره والاخذ بالاخف اى من الاحكام وهو التزام اقلها او ايسرها لانه المتيقن وما زاد منفى بالاستصحاب او البراءة الاصلية كقول من قال دية الذمى ثلث

دية المسلم دون كمالها ونصفها. والعصمة هي كون العين او المنفعة ممنوعة
من تملك الغير واستعماله لها لثبوت الحق فيها لمن هو له وهي راجعة الى
ضرب من الاستصحاب لانا نستصحب حكم الملك للمالك فيمتنع مزاحمة غيره
له. والاصول جمع اصل واصل الشئ قيل ما منه الشئ وقيل مادة الشئ وقيل
ما بني عليه غيره وقيل ما استند الشئ في تحقق وجوده اليه وهو ضربان
عقلي كالدليل للمدلول والقياس للنتيجة وطبيعي كالشجرة للغصن والوالد
للولد. والدين يطلق بالاشتراك على الجزا نحو مالك يوم الدين وعلى العادة
نحو كدينك من ام الحويرث قبلها وقوله اهذا دينه ابدا وديني اي كعادتك
وهذه عادته وعادتي وعلى الطريقة السياسية نحو ما كان لياخذ اخاه في
دين الملك والولاية التي يدين لها الرعية نحو قول زهير.

• لئن حللت بجو من بني اسد • في دين عمرو وحالت بيننا فدك •

وعلى الشريعة الالهية نحو ومن يبتغ غير الاسلام دينا. ورضيت لكم الاسلام
دينا. ان الدين عند الله الاسلام. وهو المراد ههنا اي اصول الشريعة الالهية
والفقه لغة الفهم وقيل العلم وقيل كل نوع علمي فهو فقه كالطب والحساب
والنحو والشعر وغيرها واما اختصت بهذه الاسماء الخاصة اصطلاحا. واما
في الاصطلاح فالفقه علم يبحث فيه عن احكام افعال المكلفين وما اشبهها
خطابا او وضعا ويشمل ذلك الوجوب والندب والكراهة والحظر والاباحة
والصحة والفساد ونحوها وان شئت قلت الفقه سياسة شرعية مادتها
تعظيم الشرع وغايتها الطاعة والعدل وثمرتها السعادة يوم الفصل. اما
السياسة فلان السياسة هي القانون الموضوع لرعاية الاداب والمصالح
وانتظام الاحوال والفقه كذلك لكن لما كان هذا القانون من جهة الشرع
قلنا هو سياسة شرعية واما ان مادتها تعظيم الشرع فلان من لا يعظم
الشرع لا يرتبط باحكام الفقه عبادة ولا عادة. واما ان غايتها الطاعة
والعدل فلان خطاب الشرع الواجب تعظيمه بامتثاله الوارد بالاحكام الفقهية
يتعلق بالعبادات والعادات فامتثاله في العبادات طاعة وفي العادات
بكف اذى الناس بعضهم عن بعض والتزام الانصاف بينهم وهو طاعة وعدل
واما ان ثمرتها السعادة يوم الفصل فلان الفقه شرع الله واوامره فمن
امتثلها كان مطيعا ومن كان مطيعا كان من اهل السعادة ان شاء الله
عز وجل. اذا عرفت هذا فاعلم ان في اصول الدين قاعدة عظيمة عامة
وهي قاعدة القدر وقد كنت افردت فيها تاليفا وفي اصول الفقه قاعدة
كذلك وهي قاعدة العموم والخصوص وقد كنت عزمت ان افردها بتاليف

لكن

مبحث الجبر والقدر
وما يتعلق بهما

لكن رأيت ادراجها في هذا الاملاء اذ هي من جزئياته وهاتان القاعدتان عامتا
الوقوع في الكتاب والسنة فلنقرر كلياتهما ههنا ثم نحيل عليه او نكتفي به
عند ذكر جزئياتهما في اثناء هذا التعليق ان شاء الله عز وجل. اما القدر
فالنظر في لفظه وحده وحكمه واختلاف الناس فيه وتردد الادلة فيه
والكشف عن ستره. اما لفظه فهو مصدر قدر يقدر بضم الدال وكسرها قدرا
وقدرا بسكونها وفتحها وفي التنزيل انا انزلناه في ليلة القدر. وجئت على قدر
يا موسى. واما حده على رأي الجمهور فهو خلق الافعال بالقدرة القديمة و
اجراؤها على محل القدرة الحادثة وهي جوارح المكتسبين لها. وعلى رأي
المعتزلة هو منع الالطاف عن العبد ليقع في معصية المعبود. وان شئت قلت
القدر هو تعلق الارادة الجازم بوقوع امر ممكن او هو ترجيح احد طرفي الفعل
الممكن بمرجح الهي. واما حكمه فهو تحتم وقوع مقتضاه من الرب سبحانه ووجوب
الرضا والتسليم له من العبد. واما اختلاف الناس فيه فهم على فرق احدها من
ذهب الى ان افعال المخلوقين مخلوقة لهم خلقا محضا لا يشاركهم فيها احد وهم
المعتزلة وثانيها من ذهب الى انها مخلوقة لله عز وجل خلقا محضا لا يشاركه في
خلقها وايقاعها غيره وان حركات العبد الظاهرة منه كحركة السعفة بالريح
هو مجبور عليها وهم الجبرية ويقال المجبرة وثالثها من ذهب الى انها خلق للرب
وكسب للعبد وفرقوا بين الخلق والكسب بان الخلق هو الانشاء والاختراع من
العدم الى الوجود والكسب هو التسبب الى ظهور ذلك الخلق على الجوارح ورسموه
بانه ظهور اثر القدرة القديمة في محل القدرة الحادثة وذلك كالولد هو مخلوق
لله عز وجل مكسوب للابوين بالجماع فالخالق موجد والكاسب متسبب و
هؤلاء هم الكسبية وهم الجمهور والسواد الاعظم من المحدثين والفقهاء ورابعها
من ذهب الى ان الفعل مخلوق للرب والعبد اشتراكا بناء على جواز اثر من
مؤثرين ومقدور بين قادرين وخامسها من ذهب الى ان الله عز وجل يوجد
قدرة للعبد والعبد يوجد بقدرته الفعل وسادسها من ذهب الى ان الفعل
له جهة عامة وهي كونه فعلا حركة او سكونا وجهة خاصة وهي كونه طاعة
كالصلوة او معصية كالزنا وهو من الجهة الاولى مخلوق للرب سبحانه وتعالى
ومن الجهة الثانية مخلوق للعبد ولعل فيه مذاهب اخر. واما تردد الادلة
فيه فاما سمعا فلان القران العزيز تارة يضيف الافعال الى العباد نحو بما
كانوا يفعلون. بما كانوا يعملون. بما كانوا يفترون. فما لهم لا يؤمنون. وماذا
عليهم لو امنوا. ما منعك ان لا تسجد. ونحوه وتارة يضيفها الى الله عز وجل
نحو الله خالق كل شئ. وخلق كل شئ. هل من خالق غير الله. والله خلقكم وما

ذكر شيخنا الشيخ ابرهيم الحلبي المصري
في رسالته المعمولة في الحدوث والقدم
والقضاء والقدر والجبر والتفويض
ان العقلاء اختلفوا في بيان المؤثر في
افعال العباد على ستة عشر قولا
وفصل الكل تفصيلا جميلا فمن اراد الاطلاع
فعليه بمراجعة تلك الرسالة
الشريفة والمجلة اللطيفة
كتبه الفقير محمد راغب
الوزير

تعملون • الا يعلم من خلق • ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه ونحوه • واما عقلا
فلان المعتزلة قالوا لو خلق الله عز وجل معاصى خلقه ثم عاقبهم عليها لكان
عن العدل خارجا • وفى ساحة الجود والجا • ولان ما يخلقه الله عز وجل يجب
وقوعه فتكليف العبد بعد ذلك بايجاده تكليف بالواجب او الممتنع وتحصيل
للحاصل وهو محال ولانا ندرك بالحس او الضرورة وقوع افعالنا بادواتنا
على وفق دواعينا وقدرنا واراداتنا ونعلم بالوجدان اننا الموجدون
المخترعون لها فلا نقبل بعد ذلك الحوالة على غائب لا ندركه وصار النزاع فى
ذلك من باب التشكيك فى البديهات والسفسطة فلا يسمع وقالت المجبرة
لو كان العبد خالقا لافعاله لكان مع الله عز وجل خالقون كثيرون وذلك ضرب
من الشرك كالمجوسية ومن ثم ورد تشبيه القدرية بالمجوس ولان اخص صفات
الله عز وجل كونه قديما مخترعا فلو كان معه مخترع غيره لكان ذلك المخترع
منازعا فى الالهية او مقاسما فيها وهو باطل ولان فعل العبد ممكن وكل ممكن
فانه لا يخرج الى الوجود الا بمرجح ثم ذلك المرجح اما من العبد فيلزم اما الدور
او التسلسل ومن الرب عز وجل فيكون هو الخالق وهو المطلوب • واما
الكشف عن سره فذلك يظهر بمقدمات • الاولى ان الله عز وجل احب ان

بحث يليق به النظر مما يستأنس فى دعوى الكشف عن سر القدر

يكون له فى خلقه المشية النافذة • الثانية انه عز وجل احب ان يكون له
عليهم الحجة البالغة • الثالثة انه عز وجل علم ما سيكون منهم قبل ان
يوجدهم فعلم مثلا من ادم وابراهيم وموسى ومحمد عليهم الصلوة والسلام
انه سيكون منهم الطاعة • وعلم من ابليس ونمرود وفرعون وابى جهل
وابى لهب انه ستكون منهم المعصية وعلم انه لو ترك كلا واختياره وفوض
اليه افعاله لم يكن منهم الا ما تعلق به علمه من طاعة اولئك ومعصية
هؤلاء وحينئذ استوت حالتا جبرهم على اعمالهم وتفويضها اليهم فلو
فوض اليهم اعمالهم والحالة هذه لضاعت فائدة التفويض ولم يبق فيه
الا مجرد مفسدة مشاركة المخلوق له فى الاختراع فرغب سبحانه وتعالى
ببالغ حكمته عن هذه المفسدة المجردة وآثر التوحد فى خلقه من غير مشارك
صيانة لجانب الالهية والملك عن وصمة المنازعة والشرك ثم انه عز وجل
لما علم ان فى خلقه من يعترض عليه ويقول انك اذا جبرتنا لم تعدل فينا
ولو فوضت اعمالنا الينا لقمنا من طاعتك بما علينا اخفى عنهم طريق الجبر
بلطيف حكمته ليقيم عليهم بالغ حجته وذلك بان خلق فيهم افعالهم بواسطة
مشياتهم فظنوا انهم لها خالقون وانما هم بلطيف الحكمة وعظيم القدرة
مجبورون غالطون وذلك اللبس عليهم من شوم اعتراضهم ولو سلموا الامر

لرب الامر لكشف لهم عن حقيقة الامر • وتقرير ذلك انه عز وجل اذا شاء من
عبده فعلا خلق له مشية ذلك الفعل ثم خلق ذلك الفعل على ادوات العبد
موافقا لارادته وهذا مستفاد من قوله عز وجل وما تشاؤن الا ان يشاء الله
رب العالمين فمشية الله عز وجل سبب مؤثر بعد ومشية العبد سبب مقارن
اقرب فالقدرى نظر الى المقارن لقربه والجبرى نظر الى المؤثر ولم يمنعه من
ذلك بعده فكان نظره اسد وعلى هذا فنسبة فعل العبد الى الرب عز وجل
شبيه بنسبة التالى الى المقدم فى الشرطية اللزومية نحو ان كانت الشمس طالعة
فالعالم مضى ونسبته الى العبد نسبة التالى الى المقدم فى الشرطية الاتفاقية
نحو ان كان الانسان ناطقا فالفرس صاهل اذ الله عز وجل مؤثر فى الفعل
على جهة الغلبة والعبد ليس له منه الا وقوعه مقارنا له على جهة الاتفاق
ولهذا تراه ربما اراد الفعل وسعى فيه فلا يقع وربما كرهه وتحرز منه فيقع
فدل على ان المؤثر فيه غيره وانما العبد واسطة لاقامة الحجة عليه • واما
ما احتج به المعتزلة فراجع الى التحسين والتقبيح العقلى وهو ممنوع او الى دعوى
الضرورة فى غير موضعها وهو مكابرة وقد بقى الكلام بين الجبرية والكسبية
فقالت المجبرة اتفقنا واياكم على ان الله عز وجل هو خالق فعل العبد وادعيتم
ان هناك للعبد كسبا ونحن ننكره فعليكم اثباته ولا سبيل لكم اليه لان
الله عز وجل اذا خلق فى العبد فعلا وقضى عليه بامر فاما ان يكون للعبد
قدرة على التخليص من ذلك الامر بان لا يقع منه او لا يكون فان كان له
قدرة على ذلك كانت قدرته اغلب من قدرة الرب عز وجل ومشيته انفذ من
مشيته فيكون اولى بالربوبية وحينئذ يصير العبد ربا والرب عبدا وانه
محال وان لم يكن له قدرة على ذلك كان الفعل منه واجبا بمجرد الخلق ولا اثر
للكسب فسقط اعتباره ولان الكسب الذى تدعونه اما مخلوق للعبد
وهو خلاف مذهبكم اذ العبد لا يخلق باتفاق او للرب فيحتاج الى كسب
ثم القول فيه كالقول فى الكسب الاول ويتسلسل وانه محال وهذا مما
يصعب موقعه على الكسبية ويتعذر عليهم التخلص منه احتج الكسبية
بوجهين احدهما ان القول بالقدر يقتضى الشرك والقول بالجبر يقتضى
الجور او سقوط التكليف وانقطاع حجة الله عز وجل عن خلقه والكل محال
فسلكنا طريق الكسب تخلصا من ذلك الوجه الثانى انا وجدنا القران
تارة يضيف افعال الخلق اليهم وتارة الى الله عز وجل ففعلنا بذلك
واضفناها اليه خلقا واليهم كسبا جمعا بين الادلة والجواب
ان هذا اقناعى اجتهادى وما ذكرناه قاطع عقلى فلا يعارضه ما ذكرتم

لكنهم قالوا انا نرى الانسان مؤثرا فى افعاله بالجملة عيانا لكن قام الدليل
على ان تأثيره ليس بتام بحيث يكون خالقا فبقى ان يكون تاثيرا غير تام
ونحن سميناه ذلك كسبا والقول بان لا تاثير له فى افعاله بالكلية بهتان و
ومعاندة للعيان وهذا من الكسبية قوى لاستنادهم فيه الى ظاهر العيان الا
ان جواب المجبرة عن هذا انه ان صح لكم الاستدلال بظاهر العيان على ان تاثير
الانسان فى فعله غير تام بحيث يكون كسبا صح للمعتزلة الاستدلال بظاهر العيان
على تمام تاثيره بحيث يكون خلقا بل العيان معهم اقوى وهم به اسعد واحظى
وايضا لو كان فيه نوع تاثير لكان له فيه بقسطه ذلك من الاختراع وصار
ذلك قولا بمقدور بين قادرين وانتم لا تقولون بذلك وحينئذ يسقط ما
استندتم اليه من العيان ويبقى ما ذكرته المجبرة من واضح البرهان • اذا عرفت
ذلك فاعلم ان ايات الجبر فى القران العزيز اكثر من ايات القدر فنحن اذا
مررنا باية من ذلك فى اثناء هذا التعليق فان كانت صريحة فى بابها لا
تقبل التاويل فليس لها الا المعارضة ان وجد لها معارض وان تطرق
التاويل اليها بينا كيف تقرير الدليل منها وكيف يتطرق التأويل اليها وانها
فى اخر الامر لاى المذهبين وفى جانب اى الخصمين ان شاء الله عز وجل • واما
العموم والخصوص فالنظر فى لفظ العموم وحده وادواته وحكمه • اما لفظه فهو
مصدر عم يعم عما وعموما نحو شمل يشمل شمولا وزنا ومعنى اذ معنى العموم
هو الشمول يقال اللهم عمنا برحمتك اى اشملنا بها • واما حده فهو استغراق
اللفظ لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد والعام هو اللفظ المستغرق لما
يصلح له كذلك وقد يشتبه العام بالمطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من
حيث هى هى من غير اعتبار قيد زائد نحو رجل ورقبة ودابة بخلاف الرجال
والرقاب والدواب فانه عام وبخلاف رجل مؤمن ورقبة كافرة او صحيحة
ودابة فارهة ونحوه فانه مقيد • واما ادواته اعنى الفاظه وما يفيده
فاعلم ان المفيد للعموم اما ان يفيده لغة او عرفا او عقلا والذى يفيده
لغة اما ان يفيده على الجمع او على البدل والذى يفيده على الجمع اما ان يفيده
وهو اسم موضوع له او يفيده بمقارن افاده فالذى يفيده بالوضع اما ان
يكون موضوعا لذوى العلم فقط وهو من فى الشرط والاستفهام نحو من
يعمل سوءا يجز به • ومن ينصرنى من الله ان عصيته • ومن عندك او لذوى
العلم وغيرهم وهو اى شرطا واستفهاما نحو ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى • واى الفريقين احق بالامن • واى الرجال لقيت وكل وجميع
ايضا نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون هو للقبيلين ذوى العقول

وغيرهم

وغيرهم او لغير ذى العلم فقط وهو ما لجميعهم وهو ما غالبا نحو ما ركبت
من الدواب وقد يستعمل لذوى العلم قليلا نحو والسماء وما بناها او لبعضهم
وهى متى للزمان واين وحيث للمكان والذى يفيد العموم بمقارن افادة اما
ان يكون فى الثبوت وهو لام الاضافة ولام الجنس نحو عبيدى والرجال او فى النفى
كالنكرة نحو لا رجل فى الدار • والمفيد للعموم على البدل اسماء النكرات نحو
اضرب رجلا واعتق رقبة فاى رجل ضربه واى عبد اعتقه اجزاه حتى زعم
بعضهم لذلك انه عام على الجمع والمراد بعمومه على البدل ان كل فرد من افراد
مدلوله يصح ان يكون بدلا عن الاخر كالرقبة المعتقة هذا كله فى المفيد للعموم
لغة • اما المفيد له عرفا فنحو حرمت عليكم امهاتكم اى جميع وجوه الاستمتاع
بهن والمفيد له عقلا له صور منها العلة تفيد عموم الحكم فى موارده اى
حيث وجدت وجد حكمها • ومنها ما ورد جواب سؤال نحو ما حكم من افطر فيقال
يقضى او يكفر فيعم كل مفطر والعموم فى التحقيق لمن قدره فى الجواب • ومنها
دليل الخطاب نحو فى السائمة الزكوة يفيد ان لا زكوة فى عموم ما عداها هذه
جوامع ادوات العموم وان شذ عنها شئ فربما تعرضنا له فى مواضعه ان شاء
الله عز وجل • واما حكم العموم فاعتبار عمومه الا ما خص منه بدليل ويبقى حجة
فيما عدا محل التخصيص عند الاكثر نحو اقتلوا المشركين او الكفار ثم خص منه
اهل الذمة والعهد والمستامنون ونحوهم او حيث دل الدليل على ان المراد بالعام
الخاص نحو الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم يعنى عروة بن مسعود
الثقفى لابى سفيان وباقى احكام العموم سنتعرض لما نحتاج اليه منها فى
مواضعه ان شاء الله عز وجل • واما الخصوص فالنظر فى لفظه وحده
وادواته وحكمه • اما لفظه فهو مصدر خص يخص خصوصا وهو مقابل
العموم • واما حده فالخصوص تعيين فرد او افراد بحكم نحو محمد رسول الله •
ولما قضى زيد منها وطرا • والسابقون الاولون • وقد يكون الخاص عاما
بالنسبة الى جهة اخرى نحو والذين معه خصوص بالنسبة الى صحبته ومعيته
وعموم بالنسبة الى مجموع افرادهم والخاص ما عين بحكم وافرد به دون غيره
والتخصيص لغة هو ذلك التعيين وهو مرادف للخصوص كالتعميم المرادف
للعموم فهما مصدران او شبيه بهما • واصطلاحا هو بيان المراد باللفظ العام
كما اذا قال اكرم الرجال ثم قال لا تكرم زيدا تبين ان مراده بالرجال
من عدا زيدا وقيل هو اخراج بعض ما تناوله اللفظ او بيان ما صح ان
يتناوله • واما ادوات التخصيص اى ما يخص به العام فهو متصل ومنفصل
وبناء عام على خاص فالمتصل استثناء وشرط وغاية وصفة فالاستثناء

اخراج بعض الجملة بلفظ الا او ما فى معناها نحو فلبث فيهم الف سنة الا خمسين
عاما والشرط نحو وان كن اولات حمل فانفقوا. وانت طالق ان دخلت الدار
والغاية نحو فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره. ولا تقربوهن حتى
يطهرن. وايديكم الى المرافق. والصفة نحو التائبون العابدون الاية واكرم
الرجال العلماء الشرفاء الفضلاء. والمنفصل عقل وحس وسمع فالعقل
نحو الله خالق كل شئ خص بالعقل ذاته عز وجل وصفاته القائمة بها والحس
نحو تدمر كل شئ. واوتيت من كل شئ مع ان هناك اشياء محسوسة لم تدخل فى
هذا العموم كالسموات والارض وملك سليمن. والسمع كتخصيص الكتاب والسنة
بمثلهما على تفصيل فيه نحو واحل لكم ما وراء ذلكم خص بقوله عليه الصلوة والسلام
لا تنكح المرأة على عمتها او خالتها وبناء العام على الخاص هو ان يتعارضا ليلا ان
فيعمل بالخاص فى خصوصه وبالعام فيما عدا صورة التخصيص نحو فيما سقت
السماء العشر خص منه ما دون خمسة اوسق بالحديث الاخر ويجب الزكوة فيما
زاد على ذلك لان الخاص اقوى دلالة فالعمل به وبالعام فيما عداه استعمال
للدليلين والغاء الخاص ترك لاقوى الدليلين وهو غير جائز فالاول متعين
وفى هذا المقام تفصيل وخلاف مذكور فى اصول الفقه نذكر منه ان شاء الله
عز وجل ما نحتاج اليه فى مواضعه. واما حكم الخصوص فهو ما ذكرناه من العمل
به مقدما على العام الا حيث دل الدليل على ان المراد بالخاص العام. وقد ذكر
بعض العلماء ان كلام العرب لا يخلو من اربعة اقسام اما عام يراد به العام
نحو وهو بكل شئ عليم. او خاص يراد به الخاص نحو يا ادم يا ابرهيم. فلما قضى
زيد ونحوه. او عام يراد به الخاص نحو الذين قال لهم الناس. او خاص يراد
به العام نحو لا تقل لهما اف اذ ليس المراد النهى عن خصوص التأفيف لا غيره
بل وعن جميع انواع اذاهما وتعرف هذه الاقسام بالدليل وهذه قاعدة
نفيسة عامة يجب مراعاتها واذ قد فرغنا من قاعدة العموم والخصوص
فنحن ان شاء الله عز وجل كلما مررنا بلفظ عام وجهنا عمومه ان احتاج
الى ذلك ثم بينا انه باق على عمومه او خص بشئ وبماذا خص وفيم خص وفى ذلك
فوائد جمة كل ذلك بحسب الامكان ان شاء الله عز وجل وهو المستعان وكذلك
كلما مررت بمسئلة اصولية بينت انها من اى اقسام ذلك الفن هى ان
كانت من اصول الدين بينت انها من مسائل الايمان بالله عز وجل وملائكته
او كتبه او رسله او اليوم الاخر او القدر وان كانت من اصول الفقه بينت
انها من مسائل الكتاب او السنة او الاجماع او القياس وغيرها ومهما استوفيت
الكلام على مسئلة ثم تكررت احلت بها على ما مضى الا ان يتضمن التكرار فائدة

زائدة

زائدة فاذكرها ان شاء الله عز وجل وانما رتبت هذا التعليق على ترتيب القران
العزيز لوجوه. احدها التبرك بترتيبه. الثانى انه اضبط واجدر بالاتيان
على جميع المطالب المذكورة من القران. الثالث ان ذلك انشط للناظر فيه
اذ يخرج من فن الى غيره ومن مسئلة الى غيرها فهو شبيه بما قصد الحريرى
فى مقاماته من الاحماض حيث قال وما قصدت بالاحماض فيه الا تنشيط
قارئيه وان كمل هذا التعليق ان شاء الله عز وجل رجوت ان يكون دستورا
نافعا وجملة صالحة من المطالب النفيسة جامعا ان شاء الله عز وجل هذا اخر المقدمة

القول فى الفاتحة الحمد لله رب العالمين الرب قيل هو المالك وقيل
السيد وقيل المربى والمصلح ويجوز ان يكون الخالق لقوله عز وجل وهو رب
كل شئ خالق كل شئ فسر الرب فى موضع بالخالق فى اخر والعالمون جمع عالم وهو
ما سوى الله عز وجل ان اشتققناه من العلامة اذ هو علامة على وجود صانعه
ومختص بذوى العلم كالملائكة والجن والانس ان اشتققناه من العلم ويقال
ان لله عز وجل تسعين الف عالم كل عالم كالدنيا وما فيها وقيل الف عالم
اربعمائة منها فى البر وستمائة فى البحر واضافة رب الى العالمين اشارة الى امور
احدها كمال نعمته التى استحق بها الحمد اذ العالمون جزء من نعمته كما قال

• له ايادى الى سابقة • اعد منها ولا اعددها •

الثانى اشارة الى كمال قدرته لان العالمين خلق عظيم فالقدرة الموجدة لهم
اعظم بالضرورة. الثالث اشارة الى انه خالق العالم وصانعه القديم وهذا
هو المقصود من هذه الاية وهى مسئلة وجود الصانع وهى من مسائل اصول
الدين والاستدلال فيها بوجود الاثر على المؤثر. وتقريره ان العالم حقيقة
موجودة بالحس فالمؤثر فى وجوده اما جملته او ما هو داخل فيها او ما هو خارج
عنها والاول والثانى باطلان فتعين الثالث اما بطلان الاول فلاستحالة
ايجاد الشئ نفسه لانه من حيث هو مريد يقتضى انه موجود اذ المعدوم لا تاثير
له ومن حيث هو اثر يقتضى انه معدوم اذ الموجود لا يقبل الوجود لاستحالة
تحصيل الحاصل فلو كان العالم موجدا لنفسه لزم ان يكون موجودا معدوما
فى حالة واحدة وانه محال اما بطلان الثانى فلان الموجد للعالم لو كان جزءه
الداخل فى حقيقته لكان ذلك الجزء موجدا لنفسه ويلزم المحال بعينه واذا
تعين ان الموجد للعالم خارج عن حقيقته فذلك الخارج اما قديم او حادث
فان كان قديما فهو المطلوب وان كان حادثا فالموجد له ان كان هو العالم
لزم الدور لتوقف كل واحد منهما على الاخر وان كان غير العالم فان انتهى الى
قديم فهو المطلوب والا لزم التسلسل وهو محال وهذه مسئلة انتظمت

الدلالة على وجود الصانع وقدمه ولها مواقع اخر ربما تذكر فيها ان شاء الله
عز وجل **قوله عز وجل** الرحمن الرحيم اعلم ان الكلام فى الله عز وجل فى
اصول الدين اما فى ذاته او صفاته او افعاله والكلام هٰهنا من قبيل الكلام
فى الصفات فالرحمن الرحيم مشتق من الرحمة وقد اختلف فيها فقيل هى صفة
فعلية بمعنى الاحسان الى الخلق والاحسان مخلوق لا يقوم بذاته عز وجل
لاستحالة قيام الحادث بالقديم يقال رحم الطبيب المريض اذا عالجه لان
علاجه له احسان اليه وقيل الرحمة صفة ذاتية اى معنى قائم بذاته عز وجل
كالعلم وقد اختلف الناس فى هذا وان الله عز وجل هل يجوز ان يقوم به
صفات زائدة على مفهوم ذاته وللكلام فى ذلك موطن هو اليق به من هذا
والمقصود فيه اصرح ثم اختلف فى ايهما ابلغ فقيل الرحمن لان بناء فعلان
للمبالغة نحو غضبان للممتلى غضبا ونحوه وقيل الرحيم لانه عدل به عن
فاعل الى فعيل وهو عدول عن صيغة الفاعل الى بناء المفعول فكان ابلغ
كما عدلوا عن عالم وقادر الى عليم وقدير وعن خاطب الى خطيب وعن قول بالغ
الى بليغ ولان العرب اذا ارادت المبالغة عدلت بالشئ الى ضده تنبيها على
شدة التفاوت بين المعدول والمعدول عنه كما عدلوا فى عالم الى علامة
بلفظ المونث وفى امرأة صابرة الى صبور باسقاط علامة التانيث وقالوا
للغراب اعور لحدة بصره ورحيم انما اسم الفاعل منه راحم فالعدول به الى
رحيم على فعيل الذى اصله للمفعول يدل على ما ذكرناه من المبالغة وهذا ونحوه
وان كان خارجا عن الاصول الا انها فوائد مستطردة فلا تنكر بتها **قوله
عز وجل** مالك يوم الدين هذا من مسائل اليوم الاخر اذ معناه مالك
يوم الجزاء وهو يوم القيمة وفيه مباحث تؤخر الى الموضع الاليق بها ان
شاء الله عز وجل **قوله عز وجل** اياك نعبد واياك نستعين
البحث فى هذا يتعلق بالقدر وهٰهنا سؤال وهو ان قولهم نعبد يقتضى
تمكنهم من فعل العبادة لاضافتهم اياه الى انفسهم بصيغة نفعل وقولهم
اياك نستعين يقتضى عجزهم عنه بدون اعانته لهم وذلك ينافى تمكنهم
واستقلالهم به المستفاد من قولهم نعبد وهو تناقض والجواب اما
على رأى الكسبية فالمراد اياك نعبد كسبا واياك نستعين على العبادة
خلقا لها منك فينا. واما على رأى المعتزلة فالمراد اياك نعبد بخلقنا لافعال
العبادة واياك نستعين بان تمدنا بالطافك من خلق دواعى العبادة
ونفى الصوارف عنها. وعلى رأى المجبرة اياك نعبد بظاهر حركاتنا واياك
نستعين باجبارك لنا عليها وخلقك لها فينا **قوله عز وجل**

اهدنا

اهدنا الصراط ان قيل ان كانوا مهتدين فسؤالهم الهداية تحصيل الحاصل وان
كانوا غير مهتدين كان ذلك مناقضا لقولهم اياك نعبد والجواب انهم
لم يسألوا اصل الهداية بل الدوام والاستمرار عليها فهو من باب يا ايها النبى
اتق الله اى دم على تقواه وانا مؤمن ان شاء الله اى ادوم على الايمان ان
شاء الله عز وجل. ثم قولهم اهدنا يقتضى ان لا هادى الا الله عز وجل ويحتج
بها على القدرية وهى قوية عليهم وهم يجيبون عنها بان المراد اعنا على ان
نهدى نفسنا بامدادك لنا باللطف وهو امر من امر الله عز وجل اذا فعله
بالعبد كان اقرب الى الهدى واذا منعه اياه كان اقرب الى الضلال. اما
حقيقة الهدى والضلال فالعبد يفعلهما لنفسه عندهم وتأويلهم للاية بعيد
فهى اذن عليهم لا لهم. اما الكلام فى اللطف فموضعه غير هٰهنا ان شاء الله عز
وجل **قوله عز وجل** انعمت عليهم مترددة بين الفريقين لان الجمهور
يقولون انعمت عليهم بخلق الهداية فيهم والقدرية يقولون انعمت عليهم
بامدادهم بالالطاف حتى اهتدوا بانفسهم والمختار ان المعنى انعمت عليهم
برضاك فوفقتهم لهداك بدليل مقابلة انعمت عليهم بالمغضوب عليهم
والرضى يقابل الغضب **قوله عز وجل** ولا الضالين يتمسك به القدرية
على ان الكافر والعاصى هو يضل بنفسه لانه نسب الضلال اليهم بصيغة اسم
الفاعل الذى تصريفه ضل يضل فهو ضال وجواب الجمهور عنه انما نسب
اليهم لانهم كسبوه او لانه ظهر على ادواتهم ظاهرا وان جبروا عليه باطنا
او لانهم لو فوض اليهم وتركوا واختيارهم لفعلوه هذا كله يتعلق بمسائل القدر

القول فى سورة البقرة قوله عز وجل هدى للمتقين الذين يؤمنون
بالغيب يتمسك به القدرية على عكس تمسكهم بولا الضالين وهو انه نسب
التقوى والايمان اليهم نسبة الفعل الى الفاعل فاقتضى ان لا جبر ويجاب
عنه بنحو ما سبق من انه اضيف اليهم لانه كسبهم او هم محل ظهوره او لانه لو
فوض اليهم لفعلوه على ما سبق فى قاعدته وهذا سؤال وجواب عامان فى
كل فعل نسب الى المخلوقين فاعرفه فتكراره فى كل مواطنه يصعب وربما
حادثناك به المرة بعد المرة تذكرة بهذه القاعدة **قوله عز وجل**
ومما رزقناهم ينفقون هذه من مسائل الارزاق والاجال وهو تابع لباب
القدر واحتج بها المعتزلة على ان الحرام ليس من رزق الله عز وجل بل العبد
يرزقه نفسه. وتقريره ان المنفق من رزق الله عز وجل ممدوح بهذه
الاية والمنفق من الحرام ليس بممدوح بالاجماع ولان الحرام لا يملك فالمنفق
منه فضولى فى انفاقه والفضول مذموم ينتج ان المنفق من رزق الله ليس

ينفق من الحرام وينعكس كلياً اوجزئياً المنفق من الحرام ليس بمنفق من رزق
الله عزوجل وهو يستلزم المطلوب ويمكن تقريره بابين من هذا وهوان
المنفق من الحرام اما ممدوح وهو خلاف الاجماع اومذموم فهو غير منفق
من رزق الله عزوجل اذ هذا ممدوح وذاك مذموم فهذا غير ذاك والجواب
ان المنفق من الحرام مذموم من جهة اكتساب الحرام ممدوح من جهة الانفاق
والبذل وحينئذ ان اردتم انه ليس بممدوح من جهة كسب الحرام سلمناه ولكن
لا ينتج قياسكم لعدم اتحاد الوسط فيه وان اردتم انه ليس بممدوح من جهة
الانفاق منعناه ذلك فلا يتم دليلكم واما كونه فضولياً مذموماً فانما ذلك
من جهة تصرفه في ملك الغير بالانفاق لامن جهة نفس الانفاق . وحجة
الجمهور على ان الحرام من رزق الله عزوجل كالحلال عموم الايات ومامن
دابة في الارض الا على الله رزقها . وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
واياكم . ان الله هو الرزاق . كلوا من رزق ربكم مع قضاء العادة بانهم لم
يسلموا من اكل الحرام اعني قوم سبأ مع كثرتهم وكفرهم ولان الحلال لوكان
شرطاً في رزق الله عزوجل لما كانت البهايم في رزقه اذ لاحلال في حقها
ولاملك لها قوله عزوجل والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل
من قبلك هذه من مسائل الكتب وهي تقتضي صحة الكتب المنزلة على الانبياء
لا الكتب المحرفة المبدلة كالتورية التي بايدي اليهود والانجيل الذي بايدي
النصارى اذ الايمان بما ليس بصحيح لايمدح اهله ولم يرد الامر قط الا بالمنزل
لانه سالم عن التحريف وقوله امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم وتقتضي
ايضاً ان كلام الله عزوجل وكتبه المنزلة متساوية في الايمان بها وان
تفاوتت في الاحكام والشرايع ويتعلق بهذا بحث وكلام يذكر بعد ان شاء
الله عزوجل قوله سبحانه وتعالى وبالاخرة هم يوقنون يتعلق باحكام
اليوم الاخر وهو يقتضي مدح المؤمن به ولد تفاصيل قوله عزوجل
اولئك على هدى من ربهم هذه من مسائل القدر يحتج به الجمهور على ان
هدى المهتدين من الله اي بفضله وخلقه وتجيب القدرية بان معنى كون
الهدى من ربهم انه بسبب الطافه بهم وتوفيقهم لا انه خلقه فيهم وهو خلاف
الظاهر قوله عزوجل ختم الله على قلوبهم هو عند الجمهور بخلق الكفر
فيها فتبقى كالوعاء المختوم لايدخلها الايمان وقيل القلب جسم مجوف ونور
العقل والمعرفة ينزل عليه من الدماغ مادام مفتوحاً فاذا طبع عليه بما شاء
الله عزوجل امتنع نور المعرفة من الدخول فيه فاظلم وضل والختم عند
المعتزلة انما منع اللطف او بتسمية العبد مختوماً على قلبه وهو بعيد جداً

لا يعول على مثله والختم على القلب ان لا يعقل فيؤمن وعلى السمع ان لا يسمع فيعقل
وعلى البصر ان لا ينظر في ايات الله عزوجل وعجايب الملكوت فيعتبر قوله
عزوجل ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون اختلف في الاعمال طاعة ومعصية
هل هي علة للجزاء ثواباً وعقاباً اوسبب لاعلة موجبة قالت المعتزلة بالاول
والجمهور بالثاني والاية محتملة لهما لان قولك عذبت زيداً بكذبه وضربته
بسوء ادبه يحتمل العلية والسببية والفرق بينهما ان العلة موجبة لمعلولها
بخلاف السبب لمسببه فهو كالامارة عليه ومن ههنا اختلف في الحج عن الغير
لعذر هل يصح ام لا فمن راى العمل علة قال لا يصح لان عمل زيد لا يكون علة
لبراءة ذمة عمرو ولحصول الثواب له ومن راه سبباً قال يصح لان عمل زيد
جاز ان يكون سبباً لبراءة ذمة عمرو وعلماً على حصول الاجر له قوله
عزوجل يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الاية
قيل هذا اشارة الى حدوث العالم وقدم الصانع . وتقريره ان هؤلاء الكفار
قد سلموا انهم مخلوقون لقوله عزوجل ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله
فالخالق لهم اما انفسهم وهو محال لما مر اوغيرهم وذلك الغير اما من قبلهم
من الامم اوغيرهم والاول باطل لان الخالق لمن قبلهم ان كان هؤلاء المخاطبين
لزم الدور اوغيرهم من الامم ذاهباً الى غير النهاية لزم التسلسل والثاني
وهو ان الخالق لهم غير الامم قبلهم فذلك الغير اما قديم وهو المطلوب
اوحادث فان اثر فيه بعض مخلوقاته لزم الدور اومؤثر اخر لزم التسلسل
وحاصله انكم ومن قبلكم مخلوقون فلا بد لكم من خالق قديم فالخالق احتراز
من التعطيل والقديم احتراز من لزوم الدور والتسلسل فائدة الدوران
توقف وجود الشئ على نفسه اما بغير واسطة او بواسطة متحدة كتوقف
ا على ب وب على ا اومتعددة اما متناهية كتوقف ا على ب وب على ج وج
على د ود على ا اوغير متناهية كتوقف ه على ز وز على ح وهلم جرا الى غير
النهاية وهو محال والتسلسل تعلق كل سبب باخر قبله وتوقفه عليه الى
غير النهاية وهو محال وعلى حدوث العالم ووجود الصانع اسولة ياتي منها
ما اعترض لنا ان شاء الله عزوجل قوله عزوجل الذي جعل لكم
الارض فراشاً الاية فيه تنبيه على كيفية النظر وكيفيته تستدعي تحققه
ووجوبه وسيأتي بيانه ان شاء الله عزوجل وقد سبق حد النظر وهو يفضي
في وجود الصانع وحدوث العالم الى ما سبق من الاستدلال بدليل الدور
والتسلسل وقد احتج النبي صلى الله عليه وسلم بهما اذ قيل له حين قال
لا عدوى يا رسول الله ما بال الابل تكون كالظبا فيخالطها البعير الاجرب

فيجرب قال فمن اعدى الاول يعنى لو كان كل اجرب يستدعى اجرب يعديه
لزم تسلسل الجرب لكنه باطل بالعيان اذ البعير الاول لم يستدع اجرب يعديه
او يقال لو كانت العدوى لازمة لكان البعير الاول اما ان تعديه الابل التى
اعداها هو فيلزم الدور او غيره فيلزم التسلسل وانظر الى قوله عليه الصلوة
والسلام فمن اعدى الاول مع قوله عز وجل افعيينا بالخلق الاول كيف كل
منهما ثلاث كلمات تضمنت دليلا عقليا عظيما اسهب فى تقريره المتكلمون
وذلك دليل على تشابه الكلام وانه عليه الصلوة والسلام مؤيد من العلى الاعلى
ما ينطق عن الهوى قوله عز وجل وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله الاية هذه من مسائل النبوات وهى تتضمن اثبات نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بتقرير معجزه وهو القران وتقرير الدليل ان محمدا
صلى الله عليه وسلم لو كان كاذبا فى دعوى النبوة لامكنكم ان تعارضوا معجزه
وهو القران ولو بسورة منه لكن لا يمكنكم معارضته فيلزم انه ليس بكاذب
فهو اذن صادق وقوله عز وجل بسورة من مثله اى من مثل محمد عليه الصلوة
والسلام تنبيه على وجه صدقه وهو ان صدور مثل هذا الكلام المعجز للخلق
عن امى لا يقرا ولا يكتب يدل على صدقه قطعا كما ان قلب العصا حية واحياء
الموتى ممن لم يشتغل بعلم السحر ولا الطب يدل على صدقه وقوله ولن تفعلوا
معجز معترض فى هذا الاستدلال لانه اخبار عن غيب بانهم لا يعارضون القران
وكان كما قال ولقد كان هذا مما يقوى دواعيهم على تعاطى المعارضة فلو
قدروا عليها لفعلوها ثم لكذبوه فى خبره وقالوا زعمت انا لن نفعل وها نحن
قد فعلنا فلما لم يعارضوه مع توفر الدواعى على المعارضة دل على العجز والاعجاز
قوله عز وجل فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة اعدت
للكافرين مع قوله عز وجل وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
يحتج بهما على وجود الجنة والنار فى الخارج خلافا للمعتزلة اذ قالوا انما
هما موجودتان فى العلم لا فى الخارج حجة الجمهور هذا النص اذ المعدوم
لا يقال له اعد فهو معد ولانه قد ثبت ان ادم عليه السلام دخل الجنة ثم
اخرج منها وان النبى صلى الله عليه وسلم رأى الجنة والنار ليلة الاسراء وان
ارواح الشهداء فى حواصل طير فى الجنة. احتج الخصم بان الحاجة اليهما انما
هى فى الاخرة فايجادهما قبلها عبث. واجيب بالمنع بل فى ذلك ترغيب وترهيب
كالات العقوبة كالصلابة ونحوها يعدها السلطان ترهيبا للاشرار والات
الثواب والانعام ترغيبا للاخيار قوله عز وجل كلما رزقوا منها
الاية يقتضى ان المعاد جسمانى فيه اكل ثمار ونكاح ازواج خلافا للفلاسفة

بلغ مقابلة

والنصارى

والنصارى القائلين بان المعاد روحانى لا اكل فيه ولا نكاح وانما الثواب والعقاب
هناك بالقرب من الله عز وجل والبعد منه او بالتذاذ النفس بالعقايد الحقة و
تجردها عن الهيئات الطبيعية الرذلة وتألمها بخلاف ذلك والجواب ان هذا
بناء منهم على استحالة اعادة الاجسام وسيأتى الكلام معهم فيه ان شاء الله عز وجل
فاذا ثبت المعاد الجسمانى جاز وجود الاكل وغيره من لواحق الطبيعة وقد اخبر به الشرع
فكان واجب الوقوع سمعا ولان اولياء الله عز وجل تعبد وا له بترك الملاذ والشهوات
والحكمة تقتضى تعويضهم عنها بمثلها او خير منها من جنسها وعلى هذا كلام ربما
ذكرناه بعد ان شاء الله عز وجل قوله عز وجل ماذا اراد الله بهذا مثلا
ثم قال يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا مع قوله عز وجل ماذا اراد الله بهذا مثلا
كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء الاية تقتضى انه عز وجل يشاء
اضلال بعض الخلق ويفعله خلافا للمعتزلة ولهم عن هذا ونحوه من كل موضع
نسب الله عز وجل فيه الاضلال الى نفسه جوابان احدهما ان هذه ظواهر
سمعية فلا تعارض القواطع العقلية زعموا عندهم والثانى ان يضل من يشاء
يحتمل انه يمنع الالطاف ويحتمل انه بمعنى اصابه ضالا كما يقال اضللت ذا ابى
اصبتها ضالة وابخلت زيدا واجبنته اى اصبته بخيلا جبانا ويحتمل ان
يضله بخلق الاضلال فيه كما زعم الجبرية واذا تطرق اليه التأويل واحتمال
الامرين عاد مجملا لا حجة فيه والصواب ان هذه العبارة ونحوها قواطع فى
غالب مواقعها فلا يسمع ما ذكروه من التأويل البعيد قوله عز وجل
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الاية اى كنتم معدومين عدما
اصليا فاوجدكم وقيل كنتم نطفا فجعلكم احياء ثم يميتكم الموت الطبيعى
المشهود الذى يترقبه الاحياء ثم يحييكم بالاعادة فى الاخرة وفى هذا اشارة
الى اثبات اعادة الخلق بعد الموت بالقياس على ابدائه بعد العدم الاصلى واولى
لان الاعادة تكون بعد وجود خارجى محقق والابداء انما كان بعد عدم اصلى
ليس بوجود محقق سواء قيل ان المعدوم شئ على رأى المعتزلة او ليس بشئ
على رأى الجمهور والى هذه الاولوية اشار عز وجل بقوله وهو اهون عليه وهذه
من مسائل اليوم الاخر قوله عز وجل خلق لكم ما فى الارض جميعا اى
لاجلكم ومصلحتكم وهذا اشارة الى تعليل خلقه ما فى الارض بمصلحتهم وحاجتهم
وفى كون افعاله عز وجل واحكامه معللة بحث وخلاف له موضع انسب من
هذا يذكر فيه ان شاء الله عز وجل قوله عز وجل وهو بكل شئ عليم
هذا عام لم يخص بشئ اصلا لتعلق علمه عز وجل بالمواد الثلاث مادة الواجب
والممكن والممتنع بخلاف قوله عز وجل ان الله على كل شئ قدير فانه عام مخصوص

بالمحالات والواجبات التى لا تدخل تحت المقدورية كالجمع بين الضدين وكخلق
ذاته وصفاته واشباه ذلك واعلم انى سهوت عن ذكر جزئيات العموم والخصوص
الى هٰهنا وانا عايد فستدركها من اول الفاتحة ان شاء الله عز وجل فمنها
الحمد لله هو عام اى جنس الحمد وكل حمد ممكن وجوده فهو مستحق لله عز وجل لان
النعم لما كانت كلها منه كان الحمد كله له وهذا على عمومه لم يخص ومنها رب
العالمين اى رب كل شىء كما نص عليه فى موضع اخر وهو على عمومه ومنها مالك
يوم الدين اى هو المتصرف فى جميع ذلك اليوم وما بعده ومنها صراط الذين
انعمت عليهم هو عام فى المنعم عليهم لم يخص وكذا المغضوب عليهم والضالين
ومنها هدى للمتقين وصفاتهم المذكورة بعد ومنها ان الذين كفروا عام
فى الكفار لكن المراد به خاص وهم الكفار الذين سبق فى علم الله عز وجل انهم
يموتون كفارا كخوان الذين كفروا وماتوا وهم كفار ان الذين حقت عليهم كلمة
ربك لا يؤمنون ونحوه ودليل هذا التخصيص انه ليس جميع الكفار الذين نزلت
هذه الاية فى زمانهم انتفى ايمانهم بل امن بعد نزول الاية كثير منهم فلهذا قلنا
انه اريد به التخصيص لئلا يخالف الخبر المخبر اللهم الا ان يكون الذين كفروا القوم
معهودين فلا يحتاج الى التخصيص ومنها وما هم بمؤمنين اى ما لهم ايمان فهو
نكرة فى سياق النفى فتعم وينفى جميع افراد الايمان فان قيل الايمان حقيقة
واحدة بسيطة لا تعدد فيها حتى يلحقها العموم فى النفى بخلاف لا رجل لاجل
التعدد فى جنسه قلنا الايمان هو التصديق وهو كلى تتعدد جزئياته بتعدد
متعلقاتها فمنها تصديق بالله عز وجل وتصديق بملائكته وتصديق برسله
وتصديق بكتبه وتصديق باليوم الاخر فقوله عز وجل وما هم بمؤمنين تضمن
نفى كل فرد من هذه التصديقات ومنها يخادعون الله والذين امنوا اى
والمؤمنين ان كانوا معهودين فلا اشكال والا فهو عام فى جميع المؤمنين
فيحتمل انه لم يخص لعموم مخادعة الكفار لهم ويحتمل انه خص بقوم لم يقصد
المنافقون خداعهم اما تعظيما لهم او يأسا منهم ومنها واذا لقوا الذين
امنوا والقول فيها كالتى قبلها ومنها واذا خلوا الى شياطينهم يحتمل انهم
شياطين معهودة ويحتمل انه عام فى جميع شياطينهم من الانس والجن او احدهما
ثم يحتمل انه خص ببعض الشياطين فلم يمكنهم الخلوة به لغيبة او مرض ونحوه
من الاسباب ويحتمل انه لم يخص باحد منهم ومنها اولئك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى يحتمل ان المراد بالضلالة جنس الضلال اشتروه بجنس
الهدى عاما بعام ويحتمل ضلالة واحدة اى فرد من افراد جنس الضلالة كالتمرة
الواحدة من التمر اشتروها بجنس الهدى وهو ابلغ فى غبنهم وخسارهم اذ

اخذوا فردا من افراد الضلال واعطوا جميع افراد الهدى كمن يأخذ حجرا
واحدا من افراد الحجارة ويعطى جميع افراد الدنانير وهو على الاول عام جار على
عمومه ومنها فما ربحت تجارتهم اى ما حصل فيها ربح فهو عام فى نفى الربح و
وكذا وما كانوا مهتدين فى نفى هداهم اى وما كان لهم هدى ومنها اضاءت
ما حوله عام فى جميع ما حوله ثم احتمال تخصيصه بحسب الواقع خارجا او
ذهنا ان كان ما حوله مكشوفا ليس فيه ذو ظل يحجب الضوء عما يحاذيه فلا
يخصص والا خص منه ما يحاذى ذوات الظلال فيما حوله مثاله لو قدر فيما حوله
من الارض شجرة لم يحصل الضوء فى ظلها فيكون مخصوصا من عموم اضاءت ما حوله
ومنها ذهب الله بنورهم عام فى جميع نورهم لانه اسم جنس مضاف ومنها والله
محيط بالكافرين يحتمل العموم لظاهر اللفظ ويحتمل العهد لان اصله والله محيط
بهم لكن وضع الظاهر موضع الضمير ترهيبا ثم الضمير فى بهم راجع الى من فى قوله
عز وجل ومن الناس من يقول وهى نكرة موصوفة لا عموم لها اى ومن الناس
قوم يقولون امنا واذ لا عموم لها فلا عموم للعايد اليها وهو الضمير فى والله بهم
محيط ومنها ان الله على كل شىء قدير قيل هو خاص بالممكنات مخصوص بما عداها
من الواجب والممتنع والتقدير ان الله على كل شىء ممكن قدير اذ غير الممكن لا يدخل
تحت القدرة ومنها يا ايها الناس قيل هو عام اريد به خصوص اهل مكة وقيل
هو عام فيهم وفى غيرهم ممن شملته دعوة الاسلام لكن مخصوص بمن لا تلزمه العبادة
كغير المكلفين وقد عرض هٰهنا تنبيه حسن وهو ان العالم قد يكون فار الكمية
اى لا يلحقه زيادة ولا نقص كقولنا الوجود او العالم ما كان منه وما يكون ممكن
او مخلوق وقد لا يكون كذلك بان تلحقه الزيادة والنقص نحو يا ايها الناس اعبدوا
فانه خطاب للمكلفين وعام فيهم ثم انهم يزيدون بمن ينتقل الى حال التكليف
كالصبى يبلغ والمجنون يفيق وينقصون كالعاقل يجن والحى يموت ومنها
الذى خلقكم والذين من قبلكم هو عام فى المخلوقين هم والذين من قبلهم من
الامم ومنها الذى جعل لكم الارض فراشا عام فى الارض خص بالبحار ونحوها
مما لا يفترشه الناس ومنها والسماء بناء اى سقفا مبنيا فوقكم مثل وجعلنا
السماء سقفا محفوظا والسقف المرفوع ثم يحتمل انه على عمومه فى السماء لان
السماء مع العالم كبيت واسع فيه ناس وهو سقف مبنى عليهم ويحتمل ان يخص
فى السماء بما خرج عن سمت الارض المسكونة منها كالسماء المسامتة للربع الخراب
من الارض لا تعلق له باهل المعمور منها بكونه سقفا لهم ولا بناء فوقهم وصار
ذلك من السماء كالبحر الذى تعذر كونه فراشا من الارض وصار حقيقة الكلام
الذى جعل لكم الارض التى يمكنكم التصرف عليها والاستقرار فراشا والسماء التى

تسامتكم وتظلكم به اوجعل الارض التى تقلكم فراشا والسماء التى تظلكم بناء والبحر
لا يقلنا وما لا يسامتنا من السماء لا يظلنا فلا يكون مرادًا من لفظهما ويكون
مخصوصًا منه ومنها وان كنتم فى ريب مما نزلنا اى من الذى نزلناه فهو
عام فى جميع المنزل لم يخص منه شئ لانه لم يؤمنوا منه بشئ ومنها التى وقودها
الناس والحجارة عام اريد به الخاص وهو الناس العصاة او الكفار وحجارة الكبريت
على ما ورد فى التفسير ومنها اعدت للكافرين عام اريد به الخاص وهو من مات
على كفره والا فكثير ممن كان كافرًا وقت نزولها اسلم بعد ذلك فخرج عن العموم
ومنها وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات هو عام فيهم اريد به الخاص وهو من
امن وعمل جميع الصالحات المأمور بها الى الموت ولا يخفى ما فيه من التقييد
ومنها فاما الذين امنوا واما الذين كفروا عام فيهم ان لم يرد بهم او ببعضهم
معهود ومنها ويفسدون فى الارض لفظها عام فان اريد فسادهم فى كلها المجموعى
من حيث هو كل فلا تخصيص اذ من افسد فى ذراع من الارض صدق انه افسد فى
الارض بهذا الاعتبار وان اريد فسادهم فى كلية اجزائها اى فى كل جزء جزء منها
فهو مخصوص بكل جزء منها لم يفسدوا فيه ومنها خلق لكم ما فى الارض هو
عام مؤكد بجميعا ثم يحتمل ان يكون مخصوصًا بما ليس للمخاطبين مما فى الارض
كعلف البهايم ونحوه ويحتمل اجراؤه على عمومه بان يقال علف البهايم ونحوه
هو للمخاطبين بواسطتها لان البهايم خلقت لهم وعلفهم خلق لها والمخلوق
للمخلوق للشئ مخلوق لذلك الشئ والعيان يشهد ان علف البهايم يصير لحمًا
لها ولبنًا ثم يأكله الناس قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة هو
عام فيهم لم يخص ويسفك الدماء يحتمل انه لتعريف الحقيقة او هو مجرد جمع لا
للعموم ويحتمل انه خاص بالواقع بان بنى ادم لم يسفكوا كل دم ثم ان الناس اختلفوا
فى عصمة الملائكة فاثبتها الجمهور ونفاها المعتزلة متمسكين من هذه القصة بوجوه
احدها قولهم اتجعل فيها وهو استفهام انكار واعتراض على الله عز وجل وهو سوء
ادب الثانى قولهم من يفسد فيها وهو غيبة لبنى ادم وقذف لهم رجمًا بالغيب الثالث
قولهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وهو عجب منهم باعمالهم ومن على الله عز وجل
بها وكل هذه افعال تنافى العصمة الرابع ان ابليس وهاروت وماروت من رؤسائهم
وقد علم ما كان منهم مما ينافى العصمة فمن دونهم من الملائكة اولى الخامس ان
البشر افضل من الملائكة عند كثير من الناس ثم انهم غير معصومين فالملائكة
الذين هم مفضولون اولى واحتج الجمهور بوجوه احدها ان الملائكة رسل
الله لقوله عز وجل جاعل الملائكة رسلًا . الله يصطفى من الملائكة رسلًا
ورسل الله عز وجل معصومون لقوله عز وجل الله اعلم حيث يجعل رسالاته

الثانى قوله عز وجل فى وصفهم لا يعصون الله ما امرهم الاية وهو معنى العصمة الثالث
ان المنافى للعصمة هو المعاصى وهى انما تصدر عن الشهوة والغضب وهم مجردون
عنهما فكانوا معصومين عنها قالوا وهذه الوجوه قواطع فى عصمتهم وما ذكره المعتزلة
فى نفيها ما بين ممنوع او ظاهر لا يعارض القاطع واقول فى هذا ان الله عز وجل
متصرف عدل فى نقمته وفيه ابتلى البعض بالبعض وبعدله سلط بعض بنى آدم على
الملائكة فتكلموا فيهم انتصافا منهم ثم انه عز وجل بين للملائكة فضل بنى
آدم حتى صاروا يستغفرون لهم قوله عز وجل وعلم ادم الاسماء كلها
قيل اسماء الملائكة فهو خاص بهم وقيل اسماء الموجودات فهو عام فيها ويحتج
به من يرى ان اللغات توقيفية لا اصطلاحية واجيب عنه بانه يجوز
انه علمه لغة من كان قبله وهى فى الاصل اصطلاحية ويجوز انه علمه ذلك
بان اقدره على الاصطلاح والهمه اللغات فوضعها وهذه المسئلة من مسائل
اللغات من اصول الفقه وقد اختلف فيها فقيل اللغات توقيف وقيل
اصطلاح وقيل القدر المعرف للتخاطب توقيف والباقى اصطلاح وقيل
غير ذلك وهذه المسئلة من رياضيات الفن لا من ضرورياته قولهم
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا عام خص بالاستثناء المذكور وفيه رد على
من تأله الملائكة اذ لو كانوا الهة لكان علمهم كاملًا عام التعلق بالاشياء
يا ادم انبئهم باسمائهم ظاهر فى ان الاسماء التى علمها اسماء الملائكة اى انبئ
الملائكة باسمائهم ويحتمل انبئهم باسماء المسميات كلها او باسماء الملائكة
من جملة المسميات وبه يحصل مقصود اعجازهم . انى اعلم غيب السموات والارض
عام فى كل ما غاب فيهما عن الخلق اما الله عز وجل فلا يغيب عنه شئ ولا تخصيص
فيه مثل وهو بكل شئ عليم واعلم ان المصحح لعلم الغيب هو كمال العلم والقدرة
والارادة وهذا الكمال لم يحصل الا لله عز وجل ولذلك اختص بعلم الغيب وقد
شرحت ذلك فى موضع اخر قوله عز وجل واذ قلنا للملائكة هو عام
فيهم لم يخص . فسجدوا الا ابليس احتج به من رأى ابليس من الملائكة اذ لو
لم يكن منهم لما تناوله الامر لهم وعورض بقوله عز وجل الا ابليس كان من
الجن والاستثناء منقطع اى لكن ابليس ابى واحتج به ايضا من رأى الامر
المطلق يقتضى الوجوب والفورية لان الملائكة لما قيل لهم اسجدوا فسجدوا
على الفور سلموا من اللائمة وابليس لما ترك السجود لحقته اللائمة فدل
على انه ترك الواجب الفورى والا لما لزمه اللوم اذ كان له ان يقول امرتنى
ومقتضى الامر الندب او التراخى فاسجد متى شئت وقد ناظر باشد من هذا
حيث قال خلقتنى من نار وخلقته من طين فلو كان له حجة من جهة الندب

او التراخي لما تركها ولجاب المخالف بان الوجوب لعله فهم من قرينة حالية
اومقالية لم يحكها القران او من خصوصية تلك اللغة التى وقع الامر بها اذ
العربية لم تكن حينئذ وانما حكى القران بها ما وقع بغيرها والخلاف انما هو
فى الامر المجرد عن القراين بلغة العرب واما الفور فلم يفهم من مجرد الامر وهو
اسجدوا بل اما من قرينة او مقتضى تلك اللغة كما سبق او من قوله عز وجل
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فتعقيب التسوية
والنفخ بالامر بالسجود بفاء التعقيب خصوصا بلفظ الوقوع الدال على ابلغ
ما يكون من المبادرة قاطع فى الفورية • اسكن انت وزوجك الجنة
عام فيهما • وكلا منها رغدا حيث شئتما عام فى امكنتها • ولا تقربا هذه الشجرة
خصت من عموم الجنة قوله عز وجل فازلهما الشيطان عنها زللهما مخلوق
لله عند المجبرة ولآدم وحوا عند المعتزلة ومكسوب لهما مخلوق لله عز وجل
عند الكسبية وهى من مسائل القدر واضيف الازلال الى الشيطان لتسببه
اليه بالوسوسة • فاخرجهما مما كانا فيه عام خص بورق الجنة الذى
خصفاه عليهما منها وهو مما كانا فيه من نعيم الجنة وهو كما قيل • متاع
قليل من حبيب مفارق • وقلنا اهبطوا عام فى الهابطين المخاطبين
وهم ادم • وحوا • وابليس • والحية • والطاووس فيما قيل • فمن تبع هداى
فلا خوف عليهم الاية عام مخصوص بمن مات على الهدى فلا خوف عليهم عام
سوا بنى الخوف مع لا او رفع منونا لانه جنس لا يقبل التثنية وقع عليه النفى بخلاف
نحو لا رجل بالرفع لانه يقبل التثنية فيجوز ان يقال فيه لا رجل فى الدار بل
رجلان او رجال ولا يحسن ههنا لا خوف عليهم بل خوفان وكذا الذين كذبوا
باياتنا عام فيهم بشرط ان يموتوا على الكفر قوله عز وجل يا بنى اسرائيل
عام فيهم الموجودين فى عصر النبوة • واوفوا بعهدى عام فى العهد وهو
ما التزموه من الايمان والطاعة • وامنوا بما انزلت اى بجميعه فهو عام
فيه اذ الكفر بحرف منه كالكفر بجميعه مصدقا لما معكم اى لجميعه
فلا تناقض ولا تكاذب فيما جاء من عند الله عز وجل كليا ولا جزئيا بل
كل قضية منه موافقة لباقى قضاياه لان كلام الله عز وجل ان كان هو
العبارات المسموعة فهو غنى عن الكذب فيه وان كان هو المعنى القائم
بذاته فالكذب نقص لا يجوز قيامه بها فعلى كل حال لا كذب ولا تناقض
فى كلامه عز وجل • ولا تلبسوا الحق بالباطل عام اريد به الخاص اى لا
تخلطوا الحق الذى من عندكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل
الذى تخترعونه لتضيعوا امره على الناس قوله عز وجل الذين يظنون

انهم ملاقوا ربهم اى يعلمون او يعتقدون والا فالظن المجرد لا يكفى فى العقايد
والفرق بين الثلاثة ان العلم جازم لا يقبل التشكيك كالعلم بان الواحد
نصف الاثنين والظن غير جازم ويقبل التشكيك كظن ان النية شرط فى
الوضوء والاعتقاد جازم لكنه يقبل التشكيك ولهذا ينتقل اهله منه
كالقدرى يصير جبريا والمعتزلى اشعريا ونحوه والظن لغة الاعتقاد غير
الجازم راجحا كان او مرجوحا لانهم قالوا الظن خلاف العلم وهو يتناول
ذلك وفى الاصطلاح هو الحكم الراجح فى احد الاحتمالين والمرجوح وهم والمساوى
شك وقد يستعمل الظن بمعنى العلم وفى القران منه مواضع هذا الموضع وظنوا
انهم مواقعوها • وظنوا ما لهم من محيص وظن داود انما فتناه • وقول الشاعر
• فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج • سراتهم فى الفارسى المسرد •
وقد يحتج بهذا ونحوه مثل من كان يرجو لقاء ربه • تحيتهم فيها سلام واشباهه
من يرى ان الله عز وجل يرى فى الاخرة وهو مذهب الجمهور وهى من مسائل
صفات الله عز وجل وهو كونه مرئيا ووجهه ان اللقا لغة يقتضى باطلاقه
الرؤية وفى هذه المسئلة بحث يذكر فى موضعه ان شاء الله عز وجل قوله
سبحانه وتعالى وانى فضلتكم على العالمين عام اريد به الخاص وهو عالموا
زمانهم او عام خص بامة محمد صلى الله عليه وسلم فانها افضل الامم بالنص
والاجماع • ولا تقبل منها شفاعة يحتج به المعتزلة وبنحوه مثل فما لنا من شافعين
فما تنفعهم شفاعة الشافعين • ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع على ان
العصاة ما لم يتوبوا فى دار التكليف لا تنفعهم الشفاعة والجمهور يخالفونهم
فى ذلك بما سيقع فى مواضعه ان شاء الله عز وجل وحملوا هذه الايات على
الكفار وعلى هذا يكون لا تقبل منها شفاعة مخصوص بذوى الشفاعة فى
الاخرة حيث تقبل منهم وباهل الكبائر من الموحدين حيث تقبل فيهم اما
لا يؤخذ منها عدل اى فدية فعلى عمومه لم يخص اذ لا فدية هناك ولو ملاء
الارض ذهبا قوله عز وجل يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم عام
فى ذلك الا من خص كموسى عليه السلام اذ سلم من الذبح ومن عساه قتل
من النساء بسبب خاص • واغرقنا ال فرعون عام اذ لم ينقل انه سلم منهم
احد ودل على ذلك قوله عز وجل فلما اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم
اجمعين فاكد فاما قوله عز وجل فى فرعون فاليوم ننجيك ببدنك فمعناه
نلقيك على نجوة من الارض اى موضع عال ميتا ليعتبر بك • ويحتمل انه
ننجيك من ابتلاع البحر لك كما ابتلع قومك فلم يظهر منهم احد • واذ قال
موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل قومه ههنا عام

اريد به الخاص وهو من عبد العجل منهم وليس جميع قومه عبده وكذلك فاقتلوا
انفسكم اى يقتل بعضكم بعضاً ان ثبت ان جميع من عبد العجل واتخذه قتل فهو
على عمومه والا فهو مخصوص بمن سلم منهم كالسامرى ونحوه . فاخذتكم الصاعقة
عام اريد به الخاص وهم السبعون المختارون لكن لما كانوا على راى الباقين
وهم كالائمة لهم صار صعقهم كصعق الجميع . ثم بعثناكم من بعد موتكم دل
على ان الصعق كان موتاً حقيقياً ثم عاشوا بعده كما عاش الذين خرجوا من
ديارهم وهم الوف حذر الموت وهذه من مسائل المعاد وقد صنف ابن ابى الدنيا
وغيره كتاباً فيمن عاش بعد الموت ذكر فيه خلقاً كثيراً وزعم قوم ان هؤلاء
السبعين لم يموتوا وانما لحقهم صعق كصعقة موسى شبيهاً بالاغماء والخروج
عن عالم الحس ثم افاقوا كما افاق وسمى موتاً بجامع الخروج عن الاحساس ولكونه
من مقدمات الموت فاما قولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الاية فيحتج
به المعتزلة على امتناع رؤية عز وجل اذ لو كانت جائزة لما قوبلوا على سؤالها
بالموت والصعق ولا حجة فيه لاحتمال ان صعقهم لم يكن عقوبة على مجرد سؤالهم
الرؤية بل على سؤالها تكذيباً وعناداً او على سؤالها فى الدنيا وانما وقتها الاخرة
وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن والسلوى هو اما غمام ومن وسلوى
معهود او عام اريد به الخاص اذ ليس كل غمام ظلل عليهم ولا كل من وسلوى انزل
عليهم بل القدر الذى احتاجوا اليه من ذلك قوله عز وجل نغفر لكم
خطاياكم عام فى جميع الخطايا تمحوها التوبة والاستغفار وهو معنى قولهم
حطة وهو مخصوص بالشرك لا يغفر الا بالايمان لقوله عز وجل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك الاية . فانزلنا على الذين ظلموا رجزاً عام فى
اولئك الظالمين انهم اهلكوا بالطاعون او غيره . فان لكم ما سالتم عام
فيما سألوه من البقول ونحوها وتخصيصه موقوف على الدليل . وضربت
عليهم الذلة والمسكنة عام اريد به الخاص اى الذلة الكافية فى خزيهم
او هو للعهد اى الذلة المعهودة لهم . يكفرون بايات الله عام سواء كفروا
بجميعها او ببعضها الذى هو كالكفر بجميعها . ويقتلون النبيين عام اريد
به الخاص او عام مخصوص بمن لم يقتلوه منهم كموسى وهرون عليهما السلام
وغيرهما . من امن منهم بالله الاية عام لم يخص . خذوا ما اتيناكم بقوة
عام فيجب على كل من اوتى تكليفاً من الله عز وجل ان ياخذ بجميعه ويعمل
به كله الا ما خص منه بنسخ او عجز او نسيان مسقط فالصلوة مثلاً عهد وامانة
عند المكلف يسقط منها القيام ونحوه بالعجز عنه وواجباتها الثمانية عند
من يراها بالنسيان والتضييق فيها استحباباً به بالنسخ قوله عز وجل

كونوا

كونوا قردة هذا امر تكوين واقتدار وصيغة افعل تاتى على نحو من عشرين
وجهاً منها هذا وسنشير الى الباقى فى مواضعه ان شاء الله عز وجل وهذه
تذكر فى مسائل الامر من اصول الفقه . ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة
الاية هى مطلقة لدلالتها على ماهية البقرة من غير قيد وفيه جواز التكليف
والخطاب بالمطلق ثم قد كان فى علم الله عز وجل تقييده بالقيود المذكورة
بعد كالصفرة وعدم الشية ونحوها فمن ثم احتج به من راى جواز تاخير
البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة الى العمل خلافاً لبعض الاصوليين
لان ذلك يوهم اعتقاد الخطأ وجوابه ان ذلك وان كان مفسدة لكن قد يتعلق
به مصلحة نية الطاعة والعزم على الامتثال وهى ارجح وقد يكون المجمل الجدد
بحصول تلك المصلحة فلذلك جاز والاكثرون على ان تاخير البيان عن وقت
الخطاب والى وقت الحاجة جائز وعن وقت الحاجة ممتنع وهو الاظهر وهذه
من باب المطلق والمقيد والمجمل والمبين . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك
اى فضربوه ببعضها فعاش . كذلك يحيى الله الموتى الاية فيها مسائل الاولى
جواز الاضمار اذا اقتضاه ودل عليه الكلام لان ضرب الميت ببعضها وحياته
ليس مذكوراً ههنا بل هو مقتضى الكلام ومدلوله ومن هذا الباب فقلنا
اضرب بعصاك الحجر اى فضرب فانفجرت . فمن كان منكم مريضاً او على سفر
فعدة اى فافطر فعليه صوم عدة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
باياتنا فدمرناهم اى فذهبا فبلغا فكذبوهما فحق عليهم القول فدمرناهم
وكذلك فارسلون يوسف اى فارسلوه فجاء اليه فقال يوسف ايها الصديق
المسئلة الثانية اثبات المعاد باحياء هذا الميت والاخبار باحياء الموتى
المسئلة الثالثة جواز القياس كانه قال كما احيينا هذا الميت الخاص كذلك
نحيى غيره لاشتراكهما فى علة الاحياء ومصححه اما علته فالقدرة التامة
واما مصححه فكون الاحياء ممكناً والقياس اما الجمع على جمع او المفرد على مفرد
او المفرد على جمع او الجمع على مفرد كما فى هذه المسئلة اذ قاس احياء الموتى على
احياء هذا الميت الواحد . ويريكم اياته عام اريد به الخاص اى الايات التى
اراها بنى اسرائيل . فهى كالحجارة او اشد قسوة قيل بل اشد وهو ضعيف
وقيل او للتخيير اى انتم مخيرون فى انها كالحجارة او اشد اختاروا اى
الحكمين شئتم وقيل هى للشك بالنسبة الى من يجوز عليه وقيل غير ذلك
ونحوه القول فى او كصيب من السماء وهذه من مسئلة حروف المعانى
فى اصول الفقه قوله عز وجل يسمعون كلام الله وكذلك حتى
يسمع كلام الله احتج به من ذهب الى ان كلام الله عز وجل هو العبارات

المسموعة بالحقيقة اذ لا نعلم كلاما وراء ذلك واجاب الاشعرية بان المراد
يسمعون دليل كلام الله لان كلام الله عز وجل عندهم معنى قائم بذاته لا
يفارقها كالعلم وهذه العبارات المسموعة مخلوقة دليل عليه كالعالم حادث
وهو دليل على الصانع القديم واحتجوا هم والمعتزلة على خلق المسموع بانه
مسموع وكل مسموع مخلوق عملا بالاستقراء فى المسموعات لكنه استقراء غير
تام فلا يفيد اليقين واحتجوا بانه مؤلف من الحروف وكل مؤلف مخلوق وفيه
كلام يأتى بعد ان شاء الله عز وجل واصل الخلاف ان الكلام حقيقة فى
العبارات المسموعة او فى المعنى القائم بالنفس ومشترك بينهما فيه ثلاثة
اقوال عن الاشعرى فان قيل هو حقيقة فى العبارات انبنى على ان الكلام صفة
فعل او ذات فمن رآه صفة فعل قال هو مخلوق كالمعتزلة ومن رآه صفة
ذات قال هو قديم كالحنابلة ومن رآه معنى قائما بالنفس قال العبارات
ليست بكلام بل هى دليل على الكلام وهى مخلوقة ومن قال هو مشترك بينهما
قال الذاتى قديم والنطقى مخلوق وهذه من مسائل الصفات من اصول الدين
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهذا ونحوه مثل يحرفون الكلم عن مواضعه
عام اريد به الخاص لانهم لم يحرفوا جميع كلم التوراة ولا جميع ما سمعوه
من الله عز وجل على الطور وانما حرفوا بعضه وهو ما لهم فى تحريفه مصلحة
كتخفيف التكليف الثقيل وتغيير صفات النبى عليه الصلاة والسلام
وهل تحريفهم لذلك تحريف تبديل او تحريف تأويل فيه قولان والاشبه
انهم جمعوا بينهما فبدلوا بعضا وتأولوا على غير وجهه بعضا • يعلم ما
يسرون وما يعلنون عام لا تخصيص فيه لعموم تعلق العلم الازلى •
بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته الاية هو عام لم يخص لان المراد
بالسيئة الكفر بدليل مقابلته بالايمان فى الاية بعدها واحاطتها به ان
يموت عليها ومن مات كافرا خلد فى النار بغير تخصيص ولا مثنوية •
اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فعام مخصوص بمن مات على ذلك
ولم يقطع عليه بالكفر طريق النجاة **قوله عز وجل** وبالوالدين احسانا
وذى القربى واليتامى والمساكين الاية هو عام فى الاصناف المذكورة مخصوص
بمن لم يوجد منه ما يوجب الاساءة اليه كجناية توجب حدا او بغى يوجب
قتالا او بدعة توجب هجرا ونحوه على ان هذه الاشياء من باب التأديب
له لا من باب الاساءة اليه فاللفظ اذن على عمومه • وقولوا للناس حسنا
عام مخصوص بمن وجد منه ما يقتضى اساءة القول له والقول فيه كالذى
قبله وهذه الاداب قد وردت فى خصوص شرعنا وانما يحتج بها من خطاب

بنى اسرائيل بها ههنا بناء على ان شرع من قبلنا شرع لنا كما سيأتى بيانه ان شاء
الله عز وجل • ثم توليتم عام خص بالاستثناء بعده وهو الا قليلا منكم
وقفينا من بعده بالرسل عام اريد به الخاص وهم الرسل الذين بعده اذ جماعة
من الرسل كانوا قبله كآدم ونوح وابرهيم ونحوهم • وآتينا عيسى ابن مريم
البينات يعنى المعهودة التى ظهرت على يديه اذ لم يؤت كل بينة فى الوجود
بل لعنهم الله بكفرهم الباء هل هى للعلية او للسببية ويبنى عليه ان الكفر
علة اللعن المؤثرة فيه او سبب له وانما المؤثر فيه ارادة الله عز وجل التى
لا يعلل مقتضاها وهذا من باب مسائل القدر • واشربوا فى قلوبهم العجل
اى حب العجل وهو مجاز جمع بين الاستعارة والحذف اما الاستعارة فلان
حب العجل لما سرى فى قلوبهم سريان المشروب فى بدن الشارب استعار
له لفظ الشرب واما الحذف فلان نفس العجل لم يسر فى قلوبهم فتعين
تقدير حبه ومن المجاز فى قلوبهم مرض اى نفاق وشك وجه النهار
جناح الذل وهو كثير والاكثر على وقوع المجاز فى القران لما ذكر خلافا للظاهرية
ونحوهم ممن انكره وهو ضعيف والمجاز هو اللفظ المستعمل فى موضوع اول
لغة او عرفا او اصطلاحا والحقيقة تقابله وهذه من مسائل المجاز فى
اصول الفقه **قوله عز وجل** ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
فيه مسئلتان احداهما انه تضمن معجزا نبويا وهو انه عليه الصلوة والسلام
اخبر اليهود بانهم لا يتمنون الموت بعد ان تحداهم وقد كان يمكنهم ان
يبطلوا دعواه بكلمة وهو ان يقولوا تمنينا الموت فلما لم يفعلوا دل على
علمهم بصدقه او صارف صرفهم عن تكذيبه مع سهولته ظاهرا وتوفر
الدواعى عليه الثانية ان المعتزلة احتجوا على ان الله عز وجل لا يرى
بقوله عز وجل لموسى لن ترانى وهو نفى عام على التابيد فينقض عليهم
بهذه فان نفى تمنى الموت فيها بلن ولم يقتضى التأبيد لانهم فى النار
سيتمنون الموت وهذه الاية فى معنى المثل المشهور من اساء استوحش •
قل من كان عدوا لجبريل الايتين فيهما اثبات الملائكة وهم احد اركان
اصول الدين ومتعلقات الاعتقاد وهم جواهر روحانية نورية اعطوا
من قوة السراية فى العالم والنفوذ فى اجزائه والتشكل بالاشكال المختلفة
ما لم يعط غيرهم وانكرهم الفلاسفة او بعضهم وعبروا عنهم بانهم قوى
الافلاك وتارة بانهم عقول الافلاك ونفوسها اذ الافلاك عندهم حية
ناطقة لا بد لها من ذلك ونصوص الكتب الالهية واجماع الانبياء والرسل
على اثبات الملائكة حجة عليهم واثباتهم مقدم على نفى الفلاسفة •

واتبعوا ما تتلوا الشياطين الاية هو عام تخصيصه موقوف على الدليل اذ
يحتمل ان جميع الشياطين تلوا ذلك فلا تخصيص ويحتمل ان التالى له
بعضهم فيكون مخصوصاً بمن لم يتل او عاماً اريد به الخاص وهو من تلا
يعلمون الناس السحر اما الناس فعام اريد به الخاص اذ ليس كل الناس علموا
السحر واما السحر فيحتمل انه على عمومه لانضباط ابوابه ويحتمل انهم لم يعلموا
الناس جميع ابوابه فيكون مخصوصاً بما لم يعلموه • انما نحن فتنة فلا تكفر
يحتج به من راى كفر الساحر بنفس تعلم السحر وقد اختلف فيه والظاهر انه ان
تعلمه لينفع الناس به بان يبطل عنهم سحر السحرة او ليميز بينه وبين غيره
من العلوم المشتبهة به كالسيميا والهيميا فلا باس به وقد ذهب بعضهم الى
وجوب تعلمه لانه لما نهى عنه وجب اجتناب استعماله واجتناب ما لا يعرف
محال فوجب تعلمه لذلك من باب عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ولان
المفتى قد يحتاج الى ان يفتى فى السحر والساحر فان لم يعرف حقيقته ربما
غلط فضل واضل خصوصاً من يكفر بالسحر ويقتل به فيكون غلطه فى اراقة
دم او حكم بكفر وهو شديد • ما يفرقون به بين المرء وزوجه التفريق بينهما
مخلوق لله عز وجل مكتسب للسحرة بدليل وما هم بضارين به من احد الا باذن
الله • ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم
احتج به من رأى ان الساحر يقتل لان الاية دلت على انه شرى نفسه اى باعها
بالسحر وجعله ثمنا لها وقد استوفى الثمن فوجب ان يستوفى منه المثمن وهو
نفسه وقد يجاب عنه بان المراد شروا به انفسهم للنار فى الاخرة فلا يتعين
القتل فى الدنيا ويحتمل غير ذلك والسحر قيل هو تمزيج قوى ارضية بقوى
سماوية بحيث يحصل من بينهما قوة مؤثرة فى الاجسام والاحوال • وانما
تكلمنا فى السحر وان كان اكثر احكامه انما تذكر فى الفروع لتعلق الكفر والقتل
به عند بعض اهل العلم والكفر والايمان من باب الاسماء والاحكام فى اصول
الدين والصواب ان شاء الله عز وجل ان الكفر انما هو انكار ما علم كونه
من الدين ضرورة فما لا يدخل تحت هذا الحد لا يكون كفرا وقد يقال ان
الكفر لما كان ضد الايمان ثم كان الايمان هو التصديق بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر وجب ان يكون الكفر هو التكذيب بذلك او ببعضه
اعتبار الشئ بضده قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا
قيل كان المسلمون يقولون يا رسول الله راعنا من المراعاة فاتخذه اليهود
دخلا وجعلوا يقولون يا محمد راعنا من الرعونة الغازا عليه فنهى الله
المسلمون عن ذلك واحتج به على سد الذرايع وهو مذهب مالك واحمد

حسما لمواد الفساد الباطنة واجاز ذلك بعض الائمة وصنفوا كتبا فى الحيل
والذرايع اعتبارا للصور الظاهرة ويحتمل ان يقال اذا راينا صورة ظاهرة
يحتمل ان تحتها ذريعة باطنة فان علمنا او ظننا وجود الذريعة الفاسدة
منعنا تلك الصورة وان علمنا او ظننا انتفاء الذريعة اجزنا وان ترددنا
على السواء احتمل المنع احتياطا واحتمل ان يخرج فيه الخلاف كمسائل الوسايط
المترددة بين الاطراف • ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها الاية
فيه مسئلتان احداهما اثبات النسخ وقد انكره اليهود بعضهم عقلا وبعضهم
سمعا لنا ان النسخ اما بيان انتهاء مدة الحكم الشرعى بطريق شرعى وكلاهما
او رفع الحكم صح
لا يلزم منه محال فوجب القول بجوازه ولان الشرع للاديان كالطبيب
للابدان فجاز ان ينهى اليوم عما امر به امس كما يصف الطبيب اليوم للمريض
ما نهاه عنه امس وذلك بحسب المصالح او ارادة المكلف وهو الشارع ولانه
قد وقع فى التورية فى عدة صور فالقول بجوازه لازم لهم احتجوا بوجوه
احدها ان النسخ اما حسن فالنهى عنه قبيح او قبيح فابتداء شرعه اقبح
وجوابه انه مبنى على قاعدة التحسين والتقبيح العقلى وهى ممنوعة الثانى
ان النسخ يلزم منه البدا وذلك يقتضى الجهل بعواقب الامور وهو على الله
عز وجل محال وجوابه بمنع لزوم البداء من النسخ وانما هو بحسب اختلاف
مصالح الخلق متعلقا ذلك كله بالعلم الازلى • ثم ان فى تورية اليهود
ان الله عز وجل لما ارسل الطوفان اسف وندم وقال ما عدت اهلك
الخلق به مرة اخرى او كما قال فمن يندم ويأسف كيف يمتنع عليه البداء
على قولهم الثالث ان موسى عليه السلام نص على دوام شريعته وتأبيدها
ما دامت السموات والارض وهو يقتضى ان لا ناسخ لها فاحد الامرين لازم
اما كذب خبر موسى او بطلان شرع من بعده واجاب المسلمون عن هذا
بجوابين احدهما ان هذا من موضوعات ابن الراوندى وضعه لليهود
فتمسكوا به وهذا ضعيف لان النص عندهم موجود فى التورية فلا
حاجة لهم الى وضع ابن الراوندى الثانى القدح فى تواتر هذا الخبر
بان بخت نصر لما فتح بيت المقدس حرق التورية وقتل اليهود حتى
افناهم الا يسيرا منهم لا يحصل التواتر بخبره فصار هذا الخبر احادا لا
يقبل فى العمليات وهذا قريب غير انه ليس بشاف لانهم يدعون تواتره
وتواتر التورية جميعها ويمنعون ما ذكر من سبب انقطاع التواتر بان
بخت نصر اسر نحو عشرة الاف من بنى اسرائيل منهم اربعة الاف من
اولاد الانبياء مثل دانيال ونحوه كلهم يحفظ التورية عن ظهر قلب

والمختار في الجواب ان في التورية نصوصاً كثيرة وردت مؤبدة ثم تبين ان
المراد بها التوقيت بمدة مقدرة كقوله اذا خربت صور لا تعمر ابداً ثم انها
عمرت بعد خمسين سنة ومنها اذا خدم العبد سبع سنين اعتق فان لم يقبل
العتق استخدم ابداً ثم امر بعتقه بعد مدة معينة سبعين سنة او غيرها
واذا جاز في هذه النصوص المؤبدة ان يراد بها التوقيت فلم لا يجوز في نص
موسى على تأبيد شريعته والا فما الفرق فان قيل اذا جاز ان يكون نص موسى
المؤبد موقتاً حتى جاز نسخ شريعته جاز ان يكون نص محمد صلى الله عليه وسلم على
تأبيد شرعه موقتاً فيجوز نسخها بعده بغيره والمسلمون يأبون ذلك قلنا
لا يلزم ذلك والفرق بين النصين ان موسى عليه السلام ورد كتابه التورية
بنصوص بلفظ التأبيد والمراد بها التوقيت بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم
فان كتابه لم يرد بذلك فلا يرد مثله في نصه وقد استقصيت هذه المسئلة
بابلغ من هذا في مختصر الجدل المسئلة الثانية احتج بالاية من يرى ان النسخ
يجب ان يكون الى بدل لقوله عز وجل نأت بخير منها او مثلها واجيب
بان الذي هو خير منها لا يتعين ان يكون بدلا عنها او يكون المعنى نأت منها
بخير او بخير منها غالباً لا لزوماً وقد ورد نسخ الصدقة امام النجوى لا الى
بدل فانتقضت به دعوى هذا القايل ويجوز نسخ الحكم الى مثله واخف
منه وانقل عند الاكثرين كنسخ التخيير بين الصوم والفدية الى تعيين صوم
ومنعه قوم محتجين بهذه الاية نأت بخير منها او مثلها والانقل ليس
بخير ولا مماثل واجيب بانه قد يكون خيراً او مثلا في المصلحة والاجر
قوله عز وجل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض عام لم يخص
بشئ وكذا تمامها وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وكذا ومن يتبدل
الكفر بالايمان الاية • واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يحتج بها ابو حنيفة
على ان الزكوة لا تجب في مال الصبي والمجنون بدلالة الاقتران وهو انه
تعالى قرن الزكوة بالصلوة ثم الصلوة عبادة فكذا الزكوة ولا عبادة على
غير مكلف ولهذا قال ابو بكر رضي الله عنه لاقاتلن من فرق بين الصلوة
والزكوة فمن الزم الصبي الزكاة دون الصلوة فقد فرق بينهما ودلالة
الاقتران شبيهة بانها من اصول الفقه من باب كيفية الاستدلال على
الاحكام واستثمارها منها • وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عام
مطرد اي لم يخص • قل هاتوا برهانكم يحتج به من يرى ان على المدعي النافي
دليلا لان دعوى هؤلاء نافية وهي قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هوداً او نصارى وقد طولبوا بالدليل عليها وفي المسئلة اقوال ثالثها

ان

ان ذلك يجب في العقليات لسهولته ببيان لزوم المحال من الاثبات بخلاف
النقليات اذ لا يمكن فيها ذلك فيكتفي مدعي النفي فيها بالاستصحاب • فثم
وجه الله قيل جهة التقرب لا يحتمل ههنا الا ذلك بخلاف ويبقى وجه ربك
على ما سيأتي ان شاء الله عز وجل • وقالوا اتخذ الله ولداً يعني اليهود والنصارى
والكفار • سبحانه اي تنزه عن ذلك • بل له ما في السموات والارض يعني ان
الولدية تنافي الملكية وما في السموات والارض باسره مملوك له عز وجل
فيمتنع ان يكون شئ منها ولداً له ويستفاد من هذا ان من ملك ولده عتق
عليه بنفس الشرى وهو ملك مجاز اذ قد بينا ان الولدية تنافي الملكية ثم
بعضهم قاس باقي ذوي الرحم المحرم على الولد وهو مذهب احمد • بديع السموات
والارض الاية فيها مسئلتان احدهما الرد على القائلين بقدم العالم من
الفلاسفة وغيرهم لان بديع السموات والارض مخترعهما بعد عدمهما و
وذلك ينافي قدمهما والخلاف معهم مبني على اصلين احدهما ان الصانع عندهم
فاعل بالطبع والايجاب فلا يتأخر عنه معلوله كالنار لا يتأخر عنها الاحراق
والشمس لا يتأخر عنها الاشراق واضاءة العالم وعندنا هو فاعل بالقدرة
والاختيار فيفعل ما شاء متى شاء الاصل الثاني ان القديم عندنا يمتنع
استناده وافتقاره الى المؤثر وعندهم لا يمتنع ذلك الا في القديم لذاته لا في
القديم لغيره كالعالم المسئلة الثانية اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون
احتج به من قال بخلق القران المسموع وقدمه اما الاول فتقريره ان كن
مركب من حرفين سابق ومسبوق وكل ما تضمن سابقا ومسبوقا فهو حادث
واذا ثبت حدوث كن او النون منها ثبت حدوث باقي عبارات القران
لاستواء الجميع واما الثاني فتقريره ان العالم مخلوق بكن فلو كانت كن
مخلوقة لزم الدور ان خلقت بالعالم او التسلسل ان خلقت بغيره وهما
محالان فوجب انها غير مخلوقة ثم باقي العبارات مثلها لاستوائهما • ومن يكفر
به فاولئك هم الخاسرون عام مطرد • قال لا ينال عهدي الظالمين يحتج
به من لا يرى امامة الفاسق لان الامامة عهد الله وعهد الله عز وجل لا يناله
فاسق فالامامة لا ينالها في الحكم فاسق فان نالها فاسق فانما نالها بالحكم
القدري لا بالاذن الحكمي وهذا هو الذي حمل جماعة من خيار السلف على
الخروج على ائمة عصرهم لاعتقادهم فسقهم فخرج الحسين وابن الزبير والشعبي
وجماعة من نظرائه كسعيد بن جبير متأولين هذه الاية • اذ قال له ربه
اسلم قال اسلمت لرب العالمين يحتج به من رأى ان الدخول في الاسلام
يحصل بدون الشهادتين ولا يتوقف عليهما لان ابرهيم عليه السلام عرض الله

عزوجل عليه الاسلام فقال اسلمت فكفناه وقد جعله الله عزوجل اماماً يقتدى
به فقال ملة ابيكم ابرهيم • ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم وربما ذهب
ذاهب الى انه لا يدخل فى الاسلام بدونهما لقوله عليه الصلاة والسلام امرت
ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث • قولوا امنا
بالله وما انزل الينا الاية ما فى جميعها بمعنى الذى عام مطرد اذ الكفر بحرف
من المنزل كالكفر بجميعه قوله عزوجل سيقول السفهاء من الناس
ما وليهم عن قبلتهم التى كانوا عليها الاية هى من صور النسخ ودليل على
وقوعه اذ حولت القبلة عن جهة بيت المقدس الى جهة الكعبة • وكذلك
جعلناكم امة وسطا الاية يحتج بها على ان الاجماع حجة وتقرير الحجة منها
ان الله عزوجل وصفهم بكونهم وسطا اى عدولا خيارا والعدول الخيار
لا يقولون الا حقاً ولا يجمعون الا على حق ولا حجة فى ذلك لان العدل
قصاراه انه لا يتعمد الكذب اما كونه لا يخطئ فلا وانما ذلك ببيان المعصوم
وانما يصح الاستدلال بهذه الطريقة ان لو قال وكذلك جعلناكم امة
معصومين • وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول
الاية يستدل بها على تعليل احكام الله عزوجل لانه اخبر انه انما حول
القبلة لعلة ان يعلم المتبع من المنقلب وفى هذا بحث يأتى فى موضع
اخر ان شاء الله عزوجل • وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم سماها
ايمانا بلسان الشرع ويستدل به من اثبت الحقايق الشرعية ومعنى ذلك
ان الشرع هل وضع لنفسه اسماء فى مدلولاتها حقايق بوضعه الاول
ام لا بل اخذ الحقايق اللغوية فضم اليها شروطا شرعية وذلك كالصلوة
والزكوة والصيام والحج هل هى حقايق فى الشرع بوضعه او متلقاة من
اللغة على ما هى فيها مزيد عليها امور شرعية كالافعال الخاصة فى الصلوة
والامساك الخاص فى الصيام منهم من قال بالاول لانه عزوجل سمى الصلوة
ايمانا وهو فى اللغة التصديق وذلك وضع شرعى ولان الشرع جهة مستقلة
فلا بد له من حقايق يفهم بها عنه كاللغة ومنهم من قال بالثانى لان
هذه الالفاظ فى القران وهو عربى انما خاطبنا بلغة العرب فوجب القول
بانها مبقاة على وضعها اللغة وانما زيد عليها امور شرعية لحق الشرع ولان
القول بذلك اسهل من القول بوضع مستأنف واما تسمية الصلاة ايمانا
فلا شتمالها او دلالتها عليه وهذه من مسائل اصول الفقه • قد نرى
تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضيها يحتج به من يرى ان
الله عزوجل فى جهة السماء من وجهين احدهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

كان يتوقع تحويل القبلة ويترقب ذلك من جهة السماء والاحكام انما تأتى
من عند الله عزوجل فدل على انه عليه الصلوة والسلام كان يعتقد انه
عزوجل فى جهة السماء الوجه الثانى انه عزوجل رأى النبى صلى الله عليه وسلم
يقلب نظره الى السماء ينتظر الوحى من عند الله عزوجل ثم لم ينكره عليه
ولم يقل له لست فى السماء فماذا تطلب من جهتها بل اقره على ذلك فصار
فى المسئلة اعتقاد النبى عليه الصلاة والسلام واقرار الله عزوجل له
على ذلك وناهيك به حجة واجاب الخصم بانا لا نسلم انه عليه الصلاة
والسلام كان فى تقليب وجهه الى السماء يعتقد ان الله عزوجل فيها وانما
كان ينتظر الوحى من جهتها على لسان جبريل عليه السلام لاعتياده ذلك
منه ولا يلزم من نزول جبريل بالوحى من جهة السماء ان يكون الله عز
وجل فيها والا للزم من صعود الملائكة بالام من الارض ان يكون الله
عزوجل فيها وانه باطل • وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره عام
مطرد • وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم فيه انهم
انما اوتوا من قبل العناد لا من قبل الخطاء فى الاجتهاد فلذلك لم يعذروا
بخلاف المخطى فى الاصول مع الاجتهاد حيث كان معذوراً على رأى الجاحظ
والعنبرى ولا يلزمهما اقامة عذر اليهود والنصارى لما ذكرنا من عنادهم
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق عام اريد به الخاص وهم يهود
المدينة وما والاها ونصارى نجران ونحوهم ممن بلغته الدعوة وعلم
برهان النبوة والا ففى اقطار المعمورة منه من لم تبلغه دعوة الاسلام
بل لم يعلمها اصلا كالنصارى المتوغلين فى البحار وراء القطب الشمالى
ونحوهم وقد دل على هذا التخصيص قوله عزوجل وان فريقا منهم ليكتمون
الحق وهم يعلمون • اينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً عام فى المكان مطرد
وهو اخبار بالبعث بعد تفرق الاجسام والاجزاء فى الاماكن واحالة
به على مجرد القدرة قوله عزوجل ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله
اموات بل احياء الاية فيه مسئلتان احداهما انه عام فى كل مقتول
فى سبيل الله انه حى يرزق وهو مطرد الا من دل دليل خاص على انه ليس
بحى لكن لم نعلم ذلك ولم يبلغنا عن احد الثانية مفهوم الاية ان غير
المقتول فى سبيل الله لا يقال له حى بل ميت وهذا كله متجه على ما ثبت
فى السنة من ان الشهداء تجعل ارواحهم فى اجواف طير خضر ترعى فى
الجنة بخلاف غيرهم اذ لم يرد فيهم ذلك والحيوة هى تعلق النفس ببدن
طبيعى تستوكره والموت انقطاع تعلقها عن بدن طبيعى وها تان من

قبيل مسائل المعاد واليوم الاخر اذ اول اليوم الاخر من حين الموت ولهذا ورد
ان من مات فقد قامت قيامته • والهكم اله واحد لا اله الا هو هذه دعوى
وجود الصانع والوحدانية وبرهانها يليها وهو • ان فى خلق السموات
والارض الاية ذكر سبع ايات من نظر فيها علم وجود الصانع الاولى خلق
السموات والارض الثانية اختلاف الليل والنهار يأخذ احدهما من الاخر
طولا وقصرًا وحرًّا وبردًا بحسب اختلاف الفصول التابع لانتقالات الشمس
فى فلكها قربًا وبعدًا وتوسطا الثالثة الفلك التى تجرى فى البحر وهى المراكب
والسفن وهى ابل البحر كما ان الابل سفن البر الرابعة المطر النازل من
السماء لاحياء الارض كيف ينزل عليها وهى قفر موحشة فاذا هى عن قريب
تهتز خضراء انيسة الخامسة بثوثه فى الارض على اختلاف اجناسها وانواعها
واصنافها واشخاصها السادسة تصريف الرياح وهو نقلها فى الجهات من
الجنوب الى الشمال ومن الصبا الى الدبور وعكس ذلك لتطييب ما بين السماء
والارض ولولاها لانتن واوبا ولتسير الفلك فى البحر ولولاها لظلت
رواكد عن ظهره ولتحصيل الروح للحيوان ودفع الوخم عنه وغير ذلك من
فوائدها السابعة السحاب المسخر بين السماء والارض تحمله الرياح الى
البلاد بمطر فيها فمن نظر فى هذه الايات الظاهرة والقدرة الباهرة
علم قطعًا ان لها صانعًا قديمًا بما مر من دليل الدور والتسلسل وهو ان
هذه الايات موجودة حسًّا فاما انها اوجدت نفسها وهو محال او
اوجدها غيرها وهو اما حادث فيلزم الدور او التسلسل او قديم وهو
المطلوب ثم اذا ثبت ان لها صانعًا قديمًا ثبت انه واحد بما سيأتى فى
سورة الفرقان والانبياء والمؤمنون وغيرها ان شاء الله عز وجل فان
قيل الدعوى وقعت خاصة باثبات اله واحد والاستدلال انما وقع
عامًّا على وجود الصانع فقط فهلا طابق بينهما بان جعل الدعوى عامة
كالاستدلال او الاستدلال خاصًّا كالدعوى فالجواب ان العرب
كانوا على قسمين معطلة ينكرون الصانع ومثبتة للصانع لكنهم يشركون
به وهذه الاية وردت جوابًا للمعطلة باثبات الصانع واستطرد فيها ذكر
الوحدانية ردًّا على المشركين بمجرد الدعوى واخر الاستدلال عليهم الى
موضع اخر لانهم لم يسألوا ههنا شيئًا بخلاف المعطلة فانهم سألوا من الهنا
ومن صانع العالم فقال الهكم اله واحد واستدلوا عليه بهذه الايات المذكورة
تعلموا وجوده وفى قوله عز وجل لايات لقوم يعقلون اشارة الى
مشروعية النظر العقلى وانه طريق الى العلم والى ان العقل آلة شريفة

لشرف

لشرف ما يتوصل بها اليه والى شرف علم الاصول والنظر فيها بصحيح المعقول
لانه عز وجل انما نبه على الاستدلال بهذه الايات من يعقل لشرف العقل
واثره وتصرفه ولم يقل لايات لقوم ينقلون لما لم يكن النقل المجرد
وافيًا بالغرض فى هذا المقام • كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم
عام مطرد اذ لا ينفع الكافر من عمله شئ بشهادة وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورًا • يا ايها الناس عام مطرد • كلوا مما فى الارض
عام فى جميع ما فيها يجوز الاكل منه وهو مخصوص بالحرام لا يجوز اكله
بدليل قوله • حلالا طيبًا قيد الماكول بالحلال فكان تخصيصًا له
ولا تتبعوا خطوات الشيطان عام مطرد اذ لا خير فى شئ من خطواته
ولا بركة فى شئ من متابعته • انما يأمركم بالسوء الاية اختلف فى انما
هل تقتضى الحصر وهو اثبات الحكم لما بعدها ونفيه عما عداه ام
لا فيه اقوال ثالثها انها تقتضيه بعرف الاستعمال لا بوضع اللغة
حجة الحصر من وجهين احدهما انها وردت له فى بعض الاستعمال فلو كانت
لغيره لزم اما الاشتراك او المجاز وكلاهما خلاف الاصل الثانى ان انما
مركبة من ان المثبتة وما النافية فافادت اثباتًا ونفيًا كما قبل التركيب
وهو اثبات المذكور ونفيه عما عداه اذ عكسه باطل باتفاق واعترض
عليه اما على الوجه الاول فبانها وردت لغير الحصر فلو وردت له
ايضا لزم الاشتراك او المجاز واما على الثانى فلا نسلم انها مركبة
بل موضوعة وضعًا اولًا كذلك سلمناه لكن لا نسلم ان ما فيها نافية
لجواز انها زائدة او غيرها من اقسام ما سلمناه لكن لا نسلم انها تفيد
بعد التركيب ما افادته قبله اذ ذلك منقوض بلو لا افادت بعد التركيب
خلاف ما افادته قبله حجة عدم الحصر انها وردت للحصر وغيره والاشتراك
والمجاز خلاف الاصل فوجب جعلها للقدر المشترك وهو الاثبات المؤكد
حجة الثالث انها لما كانت للاثبات المؤكد تجوزوا بها الى استعمالها فى
الحصر عرفًا فصارت للحصر بعرف الاستعمال لا بوضع اللغة اذ لم ينقل
وضعها له ولا دل عليه القياس فاذن معنى انما يأمركم بالسوء على
الاول انه لا يأمركم الا به وعلى الثانى اثبات امره لهم به اثباتًا مؤكدًا
يدل على قوة داعية منه الى ذلك لا على معنى الحصر لكن قد دل الدليل
المنفصل على ان الشيطان لا يأمرهم الا بالسوء فالحصر فى هذه القضية
لازم اما بمقتضى انما وضعًا او عرفًا او بالدليل الخارج وهذه الاقوال
فى انما انما هى فيما اذا تجردت اما ان اقترن بها ما يفيد حصرًا او عدمه

وجب اعتبار مقتضى القرينة وقد يكون الحصر مطلقا وقد يكون من وجه
دون وجه وسيأتى القول فى ذلك وفى ادوات الحصر فى مواضعه ان شاء الله
عز وجل وهذه المسئلة من باب حروف المعانى فى اصول الفقه قوله عز وجل
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا الاية
فيه ذم التقليد وهو اعتقاد الحكم بناء على حسن الظن بمن اخذ عنه لا عن
نظر وهو كذلك لانه استناد الى جهالة محضة وعدم علم وعدم العلم لا
يفيد علماً لا بالعدم ولا بالوجود ولان المقلد اما ان يعلم خطأ من قلده
او اصابته فان علم خطاه لم يجز متابعته وان علم اصابته فاما بتقليد
اخر فيعود الكلام فيه ويتسلسل او بنظر فليس حينئذ مقلداً لاستناد
اعتقاده الى نظر واستدلال لكن قد فرضناه مقلداً هذا خلف واعلم
ان هذه الاية وغيرها من الايات الذامة للتقليد انما دلت على امتناع
التقليد فى احكام الاصول والمعتقدات كالتوحيد ونحوه اما الفروع
فلا بل قد دل قوله عز وجل فاسألوا اهل الذكر على جواز التقليد فيها
والاقوال الممكنة فى التقليد انه يجوز فى الاصول والفروع ولا يجوز فيهما
ويجوز فى الفروع لا فى الاصول مطلقا ويجوز فى الفروع وفى الاصول لمن
لا يمكنه استعمال النظر فيها على وجهه اما لضعف فهمه او لانقطاعه بذلك
عن مصالح معاشه الضرورية كالعامة ونحوهم • اولو كان اباؤهم لا
يعقلون شيئا اشارة الى دليل بطلان التقليد وتقريره ان اباؤهم
يجوز ان يصيبوا ويخطئوا فبتقدير ان يخطئوا لا يجوز متابعتهم
انتبعونهم على ذلك واما اصابتهم فليست متعينة فان علمتموها بتقليد
اخر لزم تسلسل التقليد او بنظر فلستم اذن مقلدين وخرجنا عن المسئلة
وهذه المسئلة من باب صفة المفتى والمستفتى فى اصول الفقه • كلوا
من طيبات ما رزقناكم اى من حلال رزقنا ومفهومه لا تاكلوا من حرام
ما رزقناكم وهو يقتضى ان الحلال والحرام من رزق الله عز وجل هو
يرزقه خلافا للمعتزلة اذ قالوا لا يرزق الحرام وقد سبق القول عليهم
ان كنتم اياه تعبدون هذا من ادوات الحصر وهو تقديم المفعول
نحو اياك نعبد والله احمد وبل الله اعبد وانما وقد سبق ذكرها قريباً
والنفى المتلقى بالا نحو ما قام الا زيد وما فعلوه الا قليل وحصر المبتدا
فى الخبر الاعم او المساوى اذ يستحيل ان يكون الخبر اخص فاذا قلت كل
انسان حيوان صح لان الخبر اعم او الانسان ناطق صح لانه مساوى والشىء
ينحصر فى الاعم منه والمساوى له ولو قلت الحيوان انسان او كل حيوان انسان

بلغ مقابلة

لم

لم يصح لان الخبر اخص ومطابقة الاقل للاكثر محال • انما حرم عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير الاية هذا تخصيص لعموم كلوا مما رزقناكم خص بهذه الاشيا وبقى
ما عداها من الارزاق حلالا بناء على ان العام بعد التخصيص حجة فى الباقى الى
ان ورد نهيه عليه الصلاة والسلام عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب
من الطير فحرم ذلك ايضاً وكذلك كلما قام الدليل على تخصيصه بالتحريم من عموم
الارزاق الحلال كالجلالة والهوام والمستخبثات بقوله عز وجل ويحرم عليهم
الخبائث ونحو ذلك ثم الميتة عام فى التحريم خص منها السمك والجراد بقوله
صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال
وكذلك ما صيد بسهم او جارح فلم يدرك ذكاته او ند بعير ونحوه او تردى
فى بئر فرمى او جرح فمات بشرطه والميتة فى المخمصة كل ذلك حلال خص من
عموم تحريم الميتة والدم خص منه الكبد والطحال بالحديث وما اضطر اليه
فى المخمصة بما فى سياق هذه الاية وكذلك الخنزير خص منه ما اضطر اليه فى
مخمصة لم يجد غيره • فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه اى اذا اكل من
هذه المحرمات مضطراً لا اثم عليه والمضطر من خشى على نفسه الهلاك او مرضا
او ضعفاً فاحشاً يخشى منه الهلاك او الزمانة ونحو ذلك من الضرر الفظيع
فله ان ياكل ما يسد الرمق وفى تمام الشبع قولان للعلماء ويحتمل ثالث وهو جوازه
من الميتة والدم دون لحم الخنزير لانه منصوص على تحريمه مثلهما واختص بان
نهى عنه تعبداً بمخالفة النصارى وبان من خاصته التخنيث وتقليل الغيرة
وكونه ممسوخاً او على صفة الممسوخ وكذلك ما اهل به اى ذبح لغير الله كالذى
ذبح على النصب للاصنام ونحوها حرام لا يباح منه الا فى المخمصة سد الرمق
على ظاهر الاية اذ الاباحة فى المخمصة راجع الى المحرمات الاربعة يباح ذلك منها
ما ياكلون فى بطونهم الا النار اما مهود اى النار الوافية بعذابهم التى تسعها
بطونهم او عام اريد به الخاص وهو ذلك قوله عز وجل ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين الاية هذه هى اركان
اصول الدين الخمسة تارة تذكر هكذا طرفين وواسطة فالله عز وجل هو المبدا
واليوم الاخر هو المعاد وهما الطرفان والثلاثة الاخر واسطة وتارة تذكر على
الترتيب الوجودى الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فالايمان بالله
عز وجل هو التصديق بوجوده وصفاته وافعاله فمن صفاته انه قديم باق
حى عالم قادر مريد متكلم سميع بصير غنى وبالجملة متصف بصفات الكمال
منعوت بنعوت الجلال منزه عن لحوق كل نقص وعن فوات كل كمال ومن
افعاله العالم وافعاله ففى الحقيقة لا موجود الا الله عز وجل وصفاته الذاتية

وافعاله والايمان بالملائكة التصديق بوجودهم وانهم من حيث المادة نورانيون
ومن حيث المرتبة عباد مكرمون ومن حيث الوظيفة يسبحون الليل والنهار لا
يفترون ومن حيث الطاعة والعصمة لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون الى غير ذلك من اوصافهم واحكامهم والايمان بالكتب كالتورية
والانجيل وصحف ادم وابرهيم ونحوها المنزلات والقران هو التصديق
بانها حق من حق موافق بعضها البعض لا تناقض ولا اختلاف في التكليف
بها حق والعمل بها صواب فاما القول في انها حادثة او قديمة وانها معنى
نفساني او قول لساني فقد سبق وسيأتي ان شاء الله عز وجل شئ منه
والايمان بالنبيين هو التصديق بانهم صادقون فيما بلغوه من الرسالات
مؤيدون من الله عز وجل بالحجج البينات سفراء بين الله عز وجل وخلقه
قائمون في خدمته بواجب حقه معصومون فيما بلغوه من الكذب منزهون
عن اتيان الفواحش والريب فاما كونهم افضل ام الملائكة فسيأتي ان
شاء الله عز وجل والايمان باليوم الاخر هو التصديق بوقوعه وبما سيقع
فيه من الامور الواردة في السمع كالجنة والنار والصراط والميزان ووزن
الاعمال واخذ الصحف باليمين والشمال وغير ذلك مما ذكر في دواوين السنة
وكتاب البعث والنشور وكتاب العاقبة فهذه جمل اصول الدين وتفاصيلها
في الكتب وسنذكر منها في هذا التعليق ما تيسر مما تضمنه القران العزيز
ان شاء الله عز وجل واعلم ان الدين مشتمل على الايمان والاسلام والاحسان
كما في حديث جبريل عليه السلام وهذه الاية تضمنت ذلك وهو التصديق
والتقوى لقوله عز وجل في اخرها • اولئك الذين صدقوا واولئك هم
المتقون وهو خصال الولاية لقوله عز وجل في صفة الاولياء الذين امنوا
وكانوا يتقون فالتقوى مساوية للولاية فكل متق على الحقيقة ولي وكل
ولي على الحقيقة متق • كتب عليكم القصاص في القتلى هذا عام خص منه
القتلى خطأ او حدا كالزاني والمرتد والباغي ومن مات في جلد او قطع
والقتلى الحربيون وغيرهم من الكفار وغير ذلك مما انتفى فيه القصاص
بادلة تخصيصه المشهورة • الحر بالحر والعبد بالعبد مفهومه ان لا يقتل
حر بعبد وهو خاص فيخص به عموم النفس بالنفس خلافا لابي حنيفة
واصل الخلاف ان المفهوم حجة عندنا فيخص به العموم لا عنده والانثى
بالانثى مفهومه لا يقتل ذكر بانثى لكنه متروك لضعفه ولزوم المفسدة
العامة منه وللاجماع فيقتل الذكر بالانثى ولا شئ لورثته وذهب بعض
العلماء الى انه يقتل بها وتعطى ورثته نصف ديته لان المرأة تؤدى

بنصف

بنصف دية الرجل وهو رواية بعيدة عن احمد ولعل ماخذها هذا المفهوم
وهو ان الاية اقتضت ان لا يقتل بها فلما تركناه في القتل اعتبرنا المساواة
بينهما بحسب الدية حتى كانا اخذنا بنفس المرأة نصف نفس رجل كنسبة
ديتها من ديته • فمن عفي له من اخيه شئ اى من قتل فعفى له الولي عن
القصاص او عن بعض الدية فعلى الولي اتباع الجاني بالدية او وما بقي منها
بالمعروف وعلى الجاني اداء ذلك باحسان هذا ظاهر الكلام وهو عام مطرد
وفي تفسيره خلاف • فمن اعتدى بعد ذلك اى من عفي عن القصاص ثم
قتل الجاني بعد العفو عنه او اقتص منه في طرف • فله عذاب اليم اى
بالقصاص منه لانه جنى عمدا عدوانا اشبه الجاني ابتداء وهذا عام خص
منه ما اذا قتل الجاني بعد العفو عنه خطأ او جهلا بالتحريم ونحوه من
صور العذر المسقطة للقصاص لقوله عز وجل ولا جناح عليكم فيما اخطأتم
به ونحوه وقوله صلى الله عليه وسلم عفي لامتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا
عليه • ولكم في القصاص حيوة • هذا خبر عام وهو بحسب السياسة الكلية
الظاهرة وجاري العادة مطرد لان الانسان اذا علم انه اذا قتل قتل
كف عن القتل فكان في كفه حياتهما جميعا وحيوة من يتبعهما من يدخل
في نصرتهما اما بحسب امور جزئية باطنة فقد يكون في القصاص موت كثير
مثل ان يقتص من شخص فيأخذ العزة قوم المقتص منه فيقتالون بعض
اولياء القصاص فيظهر ذلك عليهم فتلتحم الفتنة فيقتل خلق كثير او
يقاد المقتالون فهذا القصاص المفروض افضى الى موت اكثر مما كان يفضي
اليه عدم القصاص لكن مثل هذا لا يعد تخصيصا اذ هو مفروض على خلاف
جهة عموم القران اذ هو وارد على جهة السياسة الكلية الظاهرة لا على جهة
الصور الفرضية الجزئية النادرة اما قول العرب القتل انفى للقتل
فلا يرد عليه مثل هذا التخصيص اذ معناه القتل اقرب الى نفي القتل ولا
يلزم منه ان ينفيه مطلقا في كل صورة حتى يرد للصورة المفروضة ونحوها
عليه • كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت الاية هو عام في كل من حضره الموت
ممن له مال واقارب يوصي لهم ثم قيل انه نسخ باية الميراث وقوله عليه
الصلاة والسلام ان الله قد اعطى لكل ذي حق حقه فلا وصية لوارث
فارتفع حكمه بالكلية وقيل لم ينسخ وانما خص بمن له ميراث فلا وصية له
وبقي على اصل عمومه فيمن لا ميراث له من الاقارب فتجب له الوصية وهو
اشبه ولان التخصيص ايسر من النسخ فكان التزامه اولى • فمن بدله بعد
ما سمعه الاية معناها فهو اثم وهو عام مخصوص بمن بدل حكم الوصية

للا قارب جاهلاً بتحريم التبديل او متأولاً له على انه مندوب لا واجب او واجب
منسوخ ونحو هؤلاء فلا اثم عليهم • فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح
بينهم فلا اثم عليه الاية هو عام مخصوص بمن اصلح بينهم متهما بجر نفع
الى نفسه او خادعاً لبعض الورثة او للميت عن بعض المصالح او مايلاً مع
بعضهم لهوى ونحوه فان هذا اثم من الجهة التى خرج فيها عن موجب الصلح
العدلى قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام اما الصيام
فهو معهود خاص برمضان من سائر الصيام وهو عام بالنسبة الى ايامه
الثلاثين او التسع والعشرين اما الذين امنوا فعام اريد به الخاص وهم
اهل التكليف والخطاب فيخرج من ليس كذلك كالصبى والمجنون وفى تناوله
العبيد خلاف ثم هو بعد ذلك مخصوص اما مطلقا كالعاقل يجن فى اثناء
رمضان فلا يلزمه صومه ولا قضاؤه اذا افاق او لا مطلقا كالمريض
والمسافر والكبير والحايض والحامل والمرضع فيسقط عنهم اداؤه لا قضاؤه
كما كتب على الذين من قبلكم هذا يقتضى وجوب الصوم على عموم من كان
قبلنا من الامم المتشرعة والظاهر ان الصيام المكتوب عليهم كان هو رمضان
ويحتمل انه صوم غيره ثم الظاهر ان التخصيص فى حقهم كان كما فى حقنا
لسقوط الصوم عن ذوى الاعذار منهم مطلقا او لا مطلقا كما سبق ويحتمل
خلاف ذلك بالتغليظ عليهم ما لم يغلظ علينا لان الاصار والاغلال كانت
عليهم اشد • فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر هذا
عام اريد به الخاص وهو المريض الذى يخاف ضرراً بالصوم والمسافر سفرا
يقصر فى مثله الصلوة لا مطلق المريض والمسافر دل على هذا التخصيص النظر
والاجماع المعتبر • وعلى الذين يطيقونه فدية قيل معناه على الذين لا يطيقونه
وانما حذفت لا كما حذفت فى تالله تفتؤ اى لا تفتؤ وهو ضعيف اذ الحذف
لا بد عليه من دليل ولا دليل عليه هنا بخلاف تالله تفتؤ فان دليل حذفها
فيه واضح وقيل وهو الصحيح انهم كانوا فى صدر الصوم اعنى اول ما فرض يخير
من اطاقه بين ان يصوم او يفطر ويفدى ثم نسخ هذا التخيير بتعيين الصوم
على من اطاقه وبقيت رخصة التخيير فيمن لا يطيقه او يشق عليه فالتقدير
اذن وعلى الذين يطيقونه ويختار الفطر دون فدية • فمن تطوع خيرا فهو
خير له اى فمن تطوع بزيادة على اطعام مسكين عن افطار كل يوم مثل ان
يطعم عن كل يوم مسكينين او مساكين فهو خير له كقوله عليه الصلاة والسلام
لرجل جاء بناقة فتية فانما عليه ابنة مخاض او لبون فقال ذلك الذى عليك
وان زدت شيئا فهو خير لك وهذا عام فى كل من افطر فزاد فى الفدية عن اطعام

مسكين فيجب صرفها الى جهة تلك الضرورة حتى لو خالف فاضر بعياله
او بنفسه اثم • وان تصوموا خير لكم الاية هذا عام اذ تقديره وصومكم
خير لكم وهو اسم جنس مضاف وهو يتناول من خير بين الصوم والفطر
باصل الشرع كالصحابة قبل نسخ ذلك فى حقهم ومن خير على جهة الرخصة
لعذر كالمسافر ونحوه كل هؤلاء الصوم خير لهم من الافطار وهو مخصوص
بمن خشى بالصوم التلف او بلغ به الجهد كقيس بن صرمة الانصارى حين
اصبح طليحاً من الصوم اى مجهوداً منقطعاً او اخل الصوم عليه ببعض
مصالح الجهاد كما روى انه عليه الصلوة والسلام كان فى سفر فوقع الصايمون
وقام المفطرون فنصبوا واستقوا وطبخوا فقال صلى الله عليه وسلم
ذهب المفطرون اليوم بالاجر وقال فى الصايمين فى موضع اخر اولئك من
العصاة ليس من البر الصيام فى السفر ففى هذه الصورة ونحوها الفطر
خير وافضل تخصيصاً لها من عموم وان تصوموا خير لكم بالدليل • شهر
رمضان الذى انزل فيه القران يقتضى ان جميع القران انزل فى رمضان
وهو كذلك انزل جميعه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى السماء الدنيا
فى شهر رمضان اما نزوله الى الارض فنزل فى رمضان وغيره • هدى للناس
هو عام مطرد باعتبار القوة والصلاحية اى فى قوته وصلاحيته ان
يهدى جميع الناس وعام مخصوص بمن لم يهتد باعتبار الفعل اذ كثير
من الناس لم يهتد به وان اريد بالناس مسماهم او ناس معهود خرج عن
قبيل العام • فمن شهد منكم الشهر فليصمه عام فيمن شهد الشهر اى كان
فيه شاهدا اهله حاضراً غير مسافر فخص منه المسافر بمفهومه وبما
سبق والمريض بما بعده وقبله وباقى اهل الاعذار بالدليل اما القياس
على المخصوص من العموم او غيره • يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
يحتج به القدرية على ان الله عز وجل لا يريد الكفر والمعاصى من خلقه
وانما هم يريدونها ويخلقونها وتقريره ان المعاصى شر ولا شئ من
الشر بيسر ينتج لا شئ من المعاصى بيسر فالمعاصى عسر والله عز وجل
لا يريد بخلقه العسر فيلزم ان المعاصى لا يريدها الله بخلقه وهو المطلوب
ويجاب عنه بوجوه احدها ان هذه الاية فى سياق الصوم فهى خاصة به
بدلالة السياق ولا تعلق لها بالعقايد والمعنى يريد الله بكم اليسر لا العسر
فى احكام الصوم والفطر لا مطلقا الثانى انه عز وجل قال يريد الله بكم
والنزاع فى انه يريد منهم المعاصى وفرق بين اردت به واردت منه اذ لاحدهما
غير الاخر الثالث يحتمل انه لا يريد بهم العسر عبادة وتكليفا وان اراده منهم

خلقا وتقديرا الرابع ان اللام فى العسر يحتمل ان لا تكون للعموم فلا تكون كبرى
قياسكم كلية فلا تنتج اذ يبقى هكذا المعاصى عسر وبعض العسر ليس بمراد لله عز
وجل • اجيب دعوة الداع اذا دعان هو عام مخصوص بما لم يشأ الله عز وجل
اجابته بدليل بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء ويحتمل ان
يقال هو عام مطرد غير ان كل داع لا يخلو من الاجابة اما بنفس مطلوبه
او بدفع شر عنه عوض ذلك او بان يدخر له فى الاخرة مثل ذلك كما صح فى
الحديث والاجابة اعم من كل واحد من هذه الثلاثة فايها حصل كان اجابة
لدعائه • احل لكم ليلة الصيام الرفث هو عام مطرد فى جميع الليلة وفى
انواع الرفث من الجماع ومقدماته وما يتصل به • الى نسائكم عام خص منه
الحايض والنفسا والمحرمة والمعتكفة ونحوهن ممن بها مانع من الوطئ حكما
وكلوا واشربوا حتى يتبين الاية عام فى ما بين غروب الشمس وطلوع الفجر
ويخص منه بعض ذلك لاسباب خاصة يمنع الاكل والشرب كالصلوة لا يجوز
ذلك فيها • ولا تباشروهن وانتم عاكفون عام مطرد فى تحريم المباشرة فى
حال الاعتكاف • ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل عام مطرد فلا يجوز
اكل مال احد الا بحق • وأتوا البيوت من ابوابها هذا عام على جهة التادب
فى حال الاحرام وغيره خص منه اتيان البيوت من غير ابوابها كتسور الحيطان
ونحوه للضرورات والحاجات والمصالح الراجحة ولا يكون ذلك والحالة هذه
منافيا لحسن الادب قوله عز وجل وقاتلوا فى سبيل الله الذين
يقاتلونكم هو عام يخص بما اذا اقتضت المصلحة ترك قتال المقاتل مداراة
عند الضعف عنه كما فى الهدنة والصلح او خديعة له اذ الحرب خدعة او نحو
ذلك • ولا تعتدوا عام مطرد فى ترك العدوان الحقيقى • والحرمات
قصاص اى من انتهك لكم حرمة فانتهكوا له مثلها لتقتصوا منه بدليل
فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم اذ هذا بيان
للحرمات قصاص عام وهو عام فى جواز القصاص وخص منه فى القصاص
فى الاطراف ما اذا خيف الحيف كالجايفة لا قصاص فيها لتعذر المماثلة
وفيما اذا قتله بمحرم كتجريع الخمر واللواط لا يقتص منه بمثله لئلا يكون
دفعا للظلم الحرام بمثله ومحوا للاثر القبيح باقبح منه وكذا لو قتل رجل
قريب رجل او عبده او دابته او زنا بامرأته او امته لم يجز للمجنى عليه ان
يفعل بالجانى مثل ذلك بل يقتص منه ويغرمه ويرفعه الى من يحده ونحو
ذلك • ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة عام مثل ولا تقتلوا انفسكم وهو
مخصوص بما اذا تضمن الالقاء الى التهلكة اجرا او مصلحة كمن يحمل فى صف

العدو وحده لاعزاز الدين ونكاية الفاسقين او يلقى النار فى مركبه ويظن
السلامة فى القاء نفسه فى البحر او يخاطر فى صعود حصن او النزول منه
لفتحه على المسلمين او نحو ذلك • ان الله يحب المحسنين عام خص منه من
ترجحت اساءته على احسانه فالظاهر انه لا يحبه وفيما اذا استويا نظر
ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله عام فى بلوغ الهدى محله فلو
كان مع المحرم هدى متعدد فبلغ بعضه المحل دون بعض لم يحل ولم يجز
له الحلق حتى يبلغ جميعه المحل عملا بمقتضى عموم الاية • فمن كان منكم
مريضا او به اذى من رأسه ففدية اى فحلق فعليه فدية وهو عام فى
جواز حلق المحرم رأسه للمرض والاذى ويقاس عليه استباحة سائر محظورات
الاحرام للاعذار كاللبس وتغطية الرأس وقص الظفر والتطيب ونحوه
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى هذا عام فى كل متمتع فى الحج
ان يلزمه دم لما اخل به من الاحرام بالحج من ميقاته وذلك بشروط التمتع
فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم عام فى كل متمتع
عدم الدم ان يصوم عنه عشرة ايام ويخص بمن عدمه ثم وجده قبل الشروع
فى الصوم فانه يرجع اليه فى اظهر القولين وفى الاخر لا يرجع ويشرع فى الصوم
لدخوله تحت عموم الاية اما ان وجد الهدى بعد الشروع فى الصوم فلا يلزمه
الرجوع اليه قولا واحدا وكذا صيام ثلثة ايام فى الحج عام جواز ايقاعها
فى جميع ايامه ما بين الاحرام به الى التحلل منه • ذلك لمن لم يكن اهله
حاضرى المسجد الحرام هو عام فى كل مكى او من فى حكمه من مجاورا ومن هو
منها على دون مسافة القصر ان لا متعة لهم اذ لا خروج عليهم الى ميقات
الحج للاحرام منه حتى يجب الدم للاخلال به • فلا رفث ولا فسوق ولا
جدال فى الحج عام فى النهى عن هذه الاشياء مطرد الا فى الجدال فانه مخصوص
بما اذا كان لاقامة حجة او كشف شبهة فانه يستحب وربما وجب خصوصا
ان كان الجدال فى بعض احكام الاحرام والحج للعمل به مجملا فان هذا يبقى فرض
كفاية على العلماء الحاضرين وكثيرا ما يقع هذا هناك • وما تفعلوا من
خير يعلمه الله اى فيجازيكم عليه وهو عام فى الامرين علمه والجزاء عليه بدليل
وهو بكل شئ عليم • وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها • فمن يعمل
مثقال ذرة ونحوه • فان خير الزاد التقوى عام مطرد اذ لا افضل منها
زادا • ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عام فى نفى الجناح فى
التجارة فى ايام الحج والافضل ان لا يفعل ليتجرد قصده للعبادة ولا تنافى
بين نفى الجناح وترك الافضل ولا بين المباح وترك المندوب • فمن الناس

من يقول ربنا اتنا فى الدنيا وما له فى الاخرة من خلاق عام مطرد فى نفى الخلاق
نحو ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الاخرة من نصيب • فمن
تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقى عام فى نفى
الاثم فى التعجل والتاخر ولا يقتضى ذلك التسوية بينهما فالتاخر واستكمال
ايام منى الثلاث افضل لان نفى الاثم اعم من الافضل والمساوى فلا
دلالة عليهما وجوداً ولا عدماً • سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل المراد اما المعهود من الارض والحرث والنسل او مسمى ذلك وما
صدق عليه اما العموم فمتعذر عادة اذ لا يقدر على السعى فى كل جزء من
الارض ولا اهلاك كل حرث ونسل • والله لا يحب الفساد عام مطرد فى نفى
محبته الفساد وهو كل قبيح لا نفع فيه او كل فعل محض الضرر او كل فعل لم
يؤذن فيه شرعاً ويحتج المعتزلة بهذا على ان معاصى العباد ليست خلقا
له اذ لو خلقها لاحبها ولانه لا يخلق ما لا يحب ولان ما لا يحبه لا يخلقه
والجواب ان جميع هذه العبارات منقوضة بالكفار والشياطين
ونحوهم قد خلقهم مع انه لا يحبهم • والله رؤف بالعباد عام فى كل عبد
انه لا بد له من شئ من رأفة الله عز وجل ولا ينافى ذلك تعذيب بعضهم
فى الدنيا بالبلايا والمحن وفى الاخرة بالنار لان العموم هنا فى لفظ العباد
لا فى لفظ رؤف اذ هو مطلق يصدق بالمسمى كما بيناه بشئ من الرأفة
لكل عبد • يا يها الذين امنوا ادخلوا فى السلم كافة عام خص منه من لا
خطاب معه ولا تكليف عليه وقد سبق ان مثل هذا العام يزيد وينقص
فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات اى الاسلامية المعهودة والا فكل
بينة فى الامكان والقدرة لم تات • والملائكة والى الله ترجع الامور
عام مطرد فى الملائكة ياتى جميعهم يوم القيمة وفى الامور يرجع جميعها
الى الله عز وجل فلا امر لاحد معه • سل بنى اسرائيل اى اهل العلم منهم اذ
هم اهل السؤال فهو عام اريد به الخاص • زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
يحتمل اختصاصه بمن له دنيا وزينة ويحتمل عمومه بخلق زينة مطلق الحيوة
الدنيا فى قلب كل كافر ولهذا كانت الدنيا جنة الكافر لزينتها عنده
وسجن المومن لتبغيضها اليه كما زين الايمان فى قلب المومن وكره اليه الكفر
ويسخرون من الذين امنوا يحتمل انه من المؤمنين المعهودين ويحتمل انه
من المؤمنين الذين شاهدوهم حتى سخروا منهم فيكون عاما اريد به الخاص
والذين اتقوا عام فى المتقين هم فوق الكفار يوم القيمة • كان الناس امة
واحدة عام فيهم كانوا بعد نوح عليه السلام ملة واحدة على الكفر ثم جاءتهم

الرسل فاختلفوا فامن بعضهم وكفر بعض • فبعث الله النبيين عام فيهم
او الانبياء معهودين وهم اصحاب الشرايع والكتب بدليل وانزل معهم
الكتاب بالحق واصحاب الكتب معدودون اذ ليس كل نبى جاء بكتاب
ليحكم بين الناس عام فيهم خص بمن لا تكليف عليه اذ لا حكم يتعلق به
من حيث هو غير مكلف وبمن لا اختلاف بينهم اذ لا حاجة لهم الى الحكم بينهم
فهدى الله الذين امنوا عام مطرد ومن يؤمن بالله يهد قلبه • ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم يحتمل انه عام مطرد وان الصحابة امتحنوا بما
امتحن به جميع من قبلهم ويحتمل انه اريد به المعهود او الخاص اى قوم ممن
كان قبلكم امتحنتم بما امتحنوا • مستهم البأساء والضراء اى المعهود منهما
او مسماهما والا فجنس البأساء والضراء لم يمس قوما بعينهم وشخصاً بعينه
اللهم الا ان يكون هذا من باب مقابلة الجمع بالجمع فيكون معناه ان جنس
من قبلكم مستهم جنس البأساء والضراء فيجوز • حتى يقول الرسول يجوز
ان يكون اسم جنس فيكون عاما فى الرسل ويجوز ان يكون معناه حتى
يقول الرسول منهم فيكون واحداً • ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك اصحاب النار عام مطرد قوله عز وجل ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن عام خص بالكتابيات يجوز نكاحهن مع شركهن
وان قلنا ان المشركين فى عرف الشرع لمن عدا اهل الكتاب من الكفار فهو
عام مطرد لا تخصيص فيه • ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا عام مطرد
فاعتزلوا النساء فى المحيض اى فى زمن الحيض هو عام فى اعتزالهن فيما
تحت الازار وجواز الاستمتاع بما وراء ذلك ثبت ببيان السنة • ان
الله يحب التوابين ويحب المتطهرين عام مطرد ويحتمل تخصيصه بمن
تكررت توبته استهزاءً او لعباً او عن غير عزم وبمن اكثر الطهارة
اسرافا ووسواساً ونحو ذلك فالظاهر انه لا يحبهما مع دخولهما تحت
عموم التوابين والمتطهرين • نساؤكم حرث لكم عام مطرد فى الازواج
وهن المراد من النساء • فأتوا حرثكم انى شئتم اعلم ان انى تستعمل
بمعنى اين وبمعنى من اين وبمعنى كيف فمن حملها هنا على معنى اين
وهى عامة فى المكان قال المعنى فأتوا حرثكم اين شئتم من قبل او دبر
وهؤلاء هم الشيعة وطائفة من اهل الحجاز ويعزى الى مالك وقد شاهدناه
عنه فى كتاب السر من نسخة صحيحة متصلة الاسناد اليه واصحابه تارة
يسلمون صحته عنه ويدعون رجوعه وتارة ينكرونه عنه اصلا وينكرون
صحة كتاب السر عنه بالاصالة ثم ينقلون من كتاب السر مسائل فى غير

هذا الباب والدليل على صحته عنه ان اعظم ماذته عن نافع عن ابن عمر وقد نقل
ذلك عنهما اما نافع فقد روى فى مسند ابى حنيفة رحمه الله انه قيل له مالك
لم تاخذ عن نافع فقال قد قصدته لاخذ عنه فوجدته بين اصحابه وهو يفتى
بجواز وطئ المرأة فى الدبر فتركته فلم اخذ عنه شيئا واما ابن عمر فروى
عبد الرزاق فى تفسيره باسناده الى ابن عمر انه تلى اتأتون الذكران من
العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم قال يعنى مثله من الذكر
قال ابن عمر ولا ينبغى ان يقال هذا للعوام او كما قال ومن حملها على معنى
كيف او من اين قال يأتيها كيف شاء مقبلة ومدبرة وقائمة ومضطجعة
ومن اين شاء كذلك لكن فى صمام واحد وهو القبل واحتج الاولون بقوله
عز وجل انى شئتم على تفسيرهم لها بمعنى اين وبما روى ان رجلا فى عصر
النبى صلى الله عليه وسلم اتى امرأته فى دبرها فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم
فوجد لذلك موجدة شديدا فنزلت نساؤكم حرث لكم الاية قالوا وهذا
ظاهر فى اقامة عذر الواطئ وازالة موجدة النبى صلى الله عليه وسلم ولان هذا
المكان المتنازع فيه اما ان يتناوله عقد النكاح اولا فان تناوله وجب القول
باباحة الوطئ فيه كالقبل وان لم يتناوله وجب انه اذا اضاف الطلاق اليه
ان لا تطلق كما لو اضافه الى فرج جارتها وهو باطل ولان تفضيل الرجل على
المرأة قد ظهر فى الارث والشهادة حتى كان ارثه ضعف ارثها وشهادته ضعف
شهادتها فجاز ان يظهر ذلك فى استمتاعه بها بان يستمتع منها بجهتين
وتستمتع هى منه بجهة واحدة على نسبة الضعف له والنصف لها كالشهادة
والارث واحتج الاخرون بالاية على تفسيرهم لها بمعنى كيف ومن اين وبما
روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سمى ذلك اللوطية الصغرى ولعن
من فعلها وبان الله عز وجل سماهن حرثا والحرث انما يكون حيث يظهر
الزرع وهو ههنا القبل الذى هو محل الولد لا الدبر الذى ليس محلا الا لخروج
النجاسة ولان الوطئ فيه مؤذ او منجس فكان حراما كالوطئ فى الحيض وفى
المسئلة من البحث اكثر من هذا اقتصرنا منه على ما ذكرنا • لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم عام مطرد ولغو اليمين قيل هو ما يجرى على اللسان عن غير
قصد نحو لا والله وبلى والله وقيل هو ان يحلف على شئ يظن انه بار صادق
فيه وهو فى نفس الامر على خلاف ظنه عن غير قصد منه للكذب • ولكن
يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اى بالنيات والعزايم وهو عام مطرد وحديث
النفس المعفو عنه لا يدخل تحت كسب القلب حتى يخص به لان كسب القلب
يراد به امر قار وهو العزيمة والنية الجازمة بخلاف حديث النفس فانه ليس

كذلك

كذلك بل هو من باب الخطرات السيالة التى لا ثبات لها • للذين يؤلون
من نسائهم تربص اربعة اشهر عام خص منه الصبى والمجنون ونحوهما
ممن لا يصح ايلاؤه • والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء هذا
عام اريد به الخاص وهن المطلقات الحوايل ذوات الاقراء او نقول هو
عام مخصوص بالمطلقات الحوامل عدتهن بوضع الحمل بدليل واولات
الاحمال وبعولتهن احق بردهن فى ذلك اى بارتجاعهن فى العدة وهو
عام مخصوص بمن راجع لارادة الاصلاح فلا تشرع له المراجعة على ظاهر
الاية ان ارادوا اصلاحا لكن هل هذا شرط لجواز الرجعة او هو شرط
تاديب فيه احتمال واذ قد ثبت ان الضمير فى وبعولتهن للرجعيات فهل
يقتضى ذلك تخصيص المطلقات فى اول الاية بالرجعيات ام لا فيه قولان
للاصوليين اظهرهما لا يقتضيه وتكون كل جملة مستقلة بنفسها لا
ارتباط لها بالاخرى حتى كانه قال وبعولة الرجعيات احق بردهن والثانى
انه يقتضيه لان الضمير فى وبعولتهن لا يستقل بنفسه دون ظاهر يرجع
اليه وليس قبله ما يصلح مرجعا له الا المطلقات فى اول الاية ثم الضمير
خاص بالرجعيات فمرجعه وهو المطلقات يجب اختصاصه بالرجعيات
لان الراجع والمرجوع اليه اعنى الضمير وظاهره متحدان فى المعنى فلو اختص
الضمير وعم الظاهر لزم ان يكون الواحد فى المعنى عاما خاصا من جهة
واحدة وانه محال ويجاب عن هذا بان الضمير فى وبعولتهن اما راجع
الى النساء لانهن مذكورات فى الكلام بالقوة وقد سبق نساؤكم حرث
للذين يؤلون من نسائهم او ان الضمير المذكور وضع موضع الظاهر
اختصارا كما يوضع الظاهر موضع الضمير تعظيما فكان التقدير وبعولة
النساء او وبعولة الرجعيات احق بردهن وحينئذ يستقل بنفسه ولا
يرتبط بالمطلقات قبله حتى يخصصهن وهذا بحث جيد من الطرفين فتامله
ان شاء الله عز وجل وهذه من مشهورات مسائل العموم والخصوص فى اصول
الفقه ويترجمونها بما اذا تعقب العام ضمير خاص هل يخصصه ام لا ويوردون
لها هذا المثال بعينه • وللرجال عليهن درجة اى من حيث هم رجال فهو عام
مطرد ونظيره الرجال قوامون على النساء الاية اما بالنظر الى اشخاص الرجال
والنساء فرب امرأة لها على الرجال درجات • ولا يحل لكم ان تاخذوا مما
اتيتموهن شيئا اى اذا طلق الرجل امرأته لا يحل له ان يرجع عليها بشئ
من مهرها لانها استحقته بما استحل منها وهذا عام خص بما بعده وهو
الا ان يخافا الاية فيخص العموم المتقدم بما اذا خاف الزوجان فى المقام على

الزوجية الاثم بسوء العشرة بينهما وتمانعهما حق الزوجية وان لا يقيما حدود
الله بينهما ويأبى الزوج طلاقا بلا عوض فحينئذ يجوز لهما ان يصطلحا على
شئ تبذله الزوجة له اما المهر الذى ساقه اليها او بعضه او غير ذلك
من المال ويطلقها افتداء لنفسها منه بذلك ومن الاثم بالمقام وهذا كما
قالت المرأة الانصارية وقد تشعث الحال بينها وبين زوجها يا رسول الله
انى لا انقم من فلان شيئا غير انى اكره الكفر فى الاسلام تعنى انها تخشى
ان لا يقوم بينهما حدود الله فتأثم او نحو هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اتردين عليه حديقته يعنى التى كان قد ساقها اليها مهرا قالت نعم
فقال للزوج يا فلان خذ الحديقة وطلقها تطليقة ففعل وهذه القصة
اما انها سبب نزول هذه الاية او انها محكوم بالاية فيها • فان طلقها
يعنى بعد المرتين السابقتين • فلا تحل له من بعد هذا عام خص بالغاية
بعده وهى • حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها يعنى الزوج الثانى المحلل
لعودها الى الاول • فلا جناح عليهما اى على المرأة ومطلقها الاول ثلاثا
ان يتراجعا اى يرجعا الى النكاح بعقد وعدد جديد وهذا عام بما بعده
وهو الشرط • ان ظنا ان يقيما حدود الله امره ونهيه فى حقوق الزوجية
فالعموم المذكور مخصوص بما اذا لم يظنا اقامة الحدود بعد التراجع فلا
يجوز لهما وحاصله انهما ان ظنا اقامة الحدود بعد التراجع جاز والا فلا
فان قيل ما الحكمة فى انها لا تحل لمطلقها ثلاثا الا بعد نكاح زوج ثانى
قلنا زجر الرجال عن الطلاق لان من علم ان زوجته اذا طلقها ثلاثا
لا يقدر عليها الا بعد ان ينكحها غيره وذلك مما تأنف منه الطباع والنفوس
الابية احتملها على ما كان منها واستبقاها فلم يطلقها خشية ما يأباه
طبعه من نكاح الزوج الثانى فكان فى اشتراط النكاح الثانى استبقاء النكاح
الاول على نحو ولكم فى القصاص حيوة اذ فى القتل استبقاء الحيوة او نقول
فى النكاح نفى الطلاق كما فى القصاص نفى الجناية قوله عز وجل
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه عام
مطرد لان من طلق المرأة طلاقا رجعيا ثم كلما قارب انقضاء عدتها
راجعها اضرارا بها وعدوانا فقد ظلم نفسه بالاثم فيها لتعويقها عن
مصلحتها وحبسها على ما تكره وكذلك من راجعها وامسكها بغير المعروف
ضرارا عدوانا والاية تحتمل الوجهين والاشبه بالمراد الثانى • ولا تتخذوا
ايات الله هزوا عام مطرد فى تحريم الاستهزاء بايات الله عز وجل قل ابالله
واياته ورسوله كنتم تستهزؤن الايتين • لا تكلف نفس الا وسعها هو ونظائره

بحجة فى عدم تكليف ما لا يطاق واخر السورة اليق به من ههنا ان شاء الله عز
وجل • والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة
اشهر وعشرا هذا عام خص منه المتوفى عنها الحامل عدتها بوضع الحمل
بدليل واولات الاحمال والحديث سبيعة الاسلمية وذهب قوم الى ان
الحامل المتوفى عنها تعتد باطول الاجلين من وضع الحمل وعدة الوفاة
روى ذلك عن على وابن عباس وابى بن كعب وغيرهم لان دليل العدتين
صادق عليها اذ هى متوفى عنها ومن ذوات الاحمال والنسب مما يحتاط له
والاحتياط فى اعتدادها باطول الاجلين فكان واجبا ولعل هؤلاء لم
يبلغهم حديث سبيعة او لم يصح عندهم او نحو ذلك مما راوه من وجوه
الاجتهاد فلا جناح عليكم فيما فعلن • ولا جناح عليكم فيما عرضتم عام
مطرد • ولا تعزموا عقدة النكاح اى لا تعقدوا على المعتدة هو عام خص
بالغاية بعده • حتى يبلغ الكتاب اجله اى ينقضى عدتها فحينئذ يجوز عقد
النكاح عليها • يعلم ما فى انفسكم عام مطرد وهو بكل شئ عليم حافظوا
على الصلوات • عام مطرد فى المكتوبات • والصلوة الوسطى عطف خاص
على عام وهى العصر على الاصح من سبعة عشر قولا • والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج الاية
المشهور انها نسخت بعده اربعة اشهر وعشرا وحكى عن مجاهد وغيره من اهل
العلم انها نسخت فى الاعتداد بالحول اما الوصية لها فلم تنسخ فتعتد
باربعة اشهر وعشر بالاية السابقة ويصرف لها من تركة الزوج نفقة سبعة
اشهر وثلثى شهر تمام نفقة الحول بهذه الاية • فان خرجن فلا جناح عليكم
الاية عام مطرد كنظيرها السابق • وللمطلقات متاع بالمعروف الاية
اختلف الناس فيها فمنهم من طرد عمومها واوجب المتعة لكل مطلقة
وهو ما تعطاه من مال على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ويتولى تقديرها
الحاكم ومنهم من لم يجعل المتعة الا لمن طلقت قبل الدخول بها وفرض
المهر لها فيكون لفظ المطلقات اما خصوصا عنده بمن سوى هذه
المذكورة او عاما اريد به الخاص وهو هذه المذكورة ودليل التخصيص
قوله عز وجل لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة ومتعوهن الاية وبقوله عز وجل اذا نكحتم المؤمنات ثم
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن الى قوله فمتعوهن ومنهم من قال
تجب المتعة لكل مطلقة الا لمن دخل بها وسمى مهرها فلا تجب لها
المتعة لمفهوم قوله عز وجل ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة

ومتعوهن فان مفهوم هذا ان الممسوسة المفروض لها صداق لا متعة لها و
يخص بهذا المفهوم عموم وللمطلقات متاع ولان المتعة كالعوض عن المهر
فلو جمع بينهما كان جمعاً بين العوض والمعوض منه وهذا اشبه فى النظر لانه
يتضمن العمل بالادلة جميعها منطوقها ومفهومها وهذه الاقوال الثلاثة
روايات عن احمد رحمه الله وجهها ما ذكرنا • ان الله لذو فضل على الناس
عام مطرد اما قوله عزوجل • فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فعام فى جميعهم
اماتة واحياء وكانوا ثمانية الاف وقيل اثنى عشر الفاً وقيل ثلاثون
الفاً وهو حجة على امكان المعاد وبعث الاجساد خلافا للفلاسفة
والنصارى اذ قصروا المعاد على الروحانى دون الجسمانى • واليه ترجعون
عام مطرد لا يتخلف احد عن الرجوع اليه عزوجل • تولوا الا قليلا منهم
عام خص بالاستثناء المذكور وزعمت الشيعة ان هذه الاية مثل ضربه
الله عزوجل لاصحاب محمد عليه الصلوة والسلام وان بنى اسرائيل كما تولوا
عن ملكهم الذى هو منصوب نبيهم الا قليلا منهم كذلك اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم تولوا عن امامهم الذى هو منصوب نبيهم وهو على
الا قليلا منهم وليس ما ذكروه بنص فيما ادعوه ولا ظاهر • قال ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم احتجت الشيعة به
على ان علياً هو الامام بعد النبى صلى الله عليه وسلم وتقريره ان
بنى اسرائيل لما عين لهم طالوت ملكا امتنعوا من تمليكه عليهم معللين
بفقره وخمول نسبه فقالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك
منه ولم يؤت سعة من المال فاجابهم نبيهم بقوله ان الله اصطفاه
عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم وجعل هذه الصفات سبباً لاستحقاق
التقدم عليهم قالوا وهذه الصفات الثلاث كانت لعلى دون ابى بكر
رضى الله عنهما اما الاصطفا فلان النبى عليه الصلاة والسلام اصطفا علياً
بالنص عليه يوم الغدير حيث قال للناس الست اولى بالمؤمنين من انفسهم
قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه قالوا وهذا بعد كل اعتراض
وبعد كل سؤال وجواب قاطع فى استخلاف على عليهم ويدل عليه حديث
عمران بن حصين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان علياً منى وانا منه
وهو ولى كل مؤمن بعدى رواه احمد فى مسنده باسناد صحيح وروى احمد
ايضا فى كتاب فضائل على من حديث بريدة بن الخصيب ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال ان علياً منى وانا منه وهو وليكم بعدى هكذا بكاف
الخطاب قالوا والمفهوم من الولى هو الرئيس المطاع وهو معنى الامام

وهذا هو المفهوم من قولنا ولى المرأة وولى اليتيم اى الرئيس المطاع عليهما
النافذ تصرفه فيهما قالوا وهذه اخبار الاحاد وان كنا لا نقول بها لكنها
تلزمكم لانها حجة عندكم فنحن نوردها الزاماً لكم لا استدلالاً عليكم
واما ابو بكر فليس منصوصاً عليه باتفاق لان مستند بيعته عندكم الاختيار
والاجماع ولو كان منصوصاً عليه لما احتيج الى ذلك قالوا فهذا الاصطفاء
وهو معنى النص قد ثبت لعلى دون ابى بكر واما البسطة فى العلم فلقوله
صلى الله عليه وسلم اقضاكم على وانما يكون اقضاهم اذا كان اعلمهم ولان
من المشهور انه كان له من الخوض فى طلب العلم ما لم يكن لابى بكر بدليل ان
الصدقة بين يدى الرسول عليه الصلوة والسلام لم يعمل بها احد سوى على
حتى كان معه عشرة دراهم هو محتاج اليها فاثر تحصيل العلم على ضرورته
وتصدق بها حتى استفاد من النبى صلى الله عليه وسلم عشر مسائل ولم
يعرف مثل ذلك لغيره وكذلك نفوذه فى الفقه وسرعة اجوبته فى المشكلات
كالمسئلة المنبرية والدينارية وغيرهما مما لم يكن لغيره يدل على انه كان ابسط
فى العلم من ابى بكر وغيره واما البسطة فى الجسم يعنى القوة والشجاعة فلا
يشك منصف انه كان اشجع الصحابة من ابى بكر وغيره اما اولا فلان
ابا بكر على ما ذكر فى صفته كان شيخا ضئيلا نحيفا ولو لم يكن الا اخبار النبى
صلى الله عليه وسلم بانه ضعيف فى بدنه قال رايته ينزع بذنوب وفى نزعه
ضعف والله يغفر له وقوله ان تولوها ابا بكر تجدوه ضعيفا فى بدنه
قوياً فى امر الله لكان كافيا فى ضعف بدنه واما على فبالتواتر انه كان عظيم
الجسم شديد القوة عظيم المشاش ما صارع احدا الا صرعه ولا امسك بعضد
احد الا اخذ بنفسه وانما سمى حيدرة تشبيهاً له بالاسد فى الخلقة والقوة
وكان مع ذلك شاباً فى عنفوان شبيبته ولا يشك احداً ان الشاب القوى
الجلد اشد واشجع من الشيخ الضعيف النحيف واما ثانيا فان خالد بن الوليد
كان هو العلم المشهور فى الصحابة بالشجاعة ثم لما بعثه النبى صلى الله عليه وسلم
وعلياً الى اليمن امر علياً عليه وانما كان النبى صلى الله عليه وسلم يقدم فى
كل امر قوم الناس به فلولا ان علياً اشجع من خالد لما قدمه عليه ولا اشجع
من الاشجع اشجع بالضرورة فان قال قايل ان الشجاعة ليست بقوة البدن
الظاهرة وانما هى بقوة القلب الباطنة فرب شيخ ضعيف نحيف اشجع من
شاب قوى جليد قلنا فدعونا من هذا فقد اجمعت العرب واهل الادب على
ان اشجع بيت قيل قول عباس بن مرداس •
• اكر على الكتيبة لا ابالى • احتفى كان فيها ام سواها •

ولاخلاف ان علياً كان اقوم بهذه الصفة واقدم على الحروب من ابى بكر قالوا ولو
ابطلتم لنا كل حجة على ذلك قلنا حجة تضطرون الى تسليمها ولا تستطيعون
ابطالها وهى ان الاصوليين اذا ارادوا اثبات الاجماع بقوله عليه الصلاة والسلام
امتى لا تجتمع على ضلالة وحاولوا اثبات هذا الخبر قالوا تواتر تواتراً معنوياً
حتى صار كشجاعة على وسخاء حاتم فلا تراهم يضربون المثل الا بشجاعة على
ولو كان ابو بكر اشجع لكان اولى بضرب المثل بشجاعته وايضاً فانهم قرنوا
شجاعة على بسخاء حاتم ثم لما كان حاتم اجود العرب وجب ان يكون
قرينه فى ضرب المثل اشجع العرب فهذا مما لا جواب عنه ولا خلاص منه
قالوا فثبت ان الصفات التى احتج بها نبى بنى اسرائيل عليهم فى تقدم
طالوت مختصة بعلى دون ابى بكر فوجب ان يكون على اولى بالتقديم
من ابى بكر كما كان طالوت اولى بالتقديم على بنى اسرائيل وقد ورد الاثر
بان علياً طالوت هذه الامة وهو اشارة الى ما قررناه من كونه واجب
التقديم عليهما كما وجب تقديم طالوت هذا ما قررت به الشيعة امامة
على من هذه الاية ومناقضته على التفصيل يطول وربما تعذر فى البعض
وانما اجاب الجمهور عنه بانعقاد الاجماع بموافقة على على امامة ابى بكر فاذا
سلم صاحب الحق فكلام الشيعة بعد ذلك فضول محض • كم من فئة قليلة
غلبت فئة كثيرة باذن الله الاية استروح الشيعة الى هذه ونحوها بان
قالوا قلتنا بالنسبة الى الجمهور لا تدل على اننا مغلوبون فى الحجة ولا
على انهم مستأثرون بالحق اذ كم من قليل غلب كثيرا واجاب الجمهور
بان قالوا نحن السواد الاعظم فمن شذ عنا شذ فى النار وهذه
المسائل وكل مسئلة يذكر الخلاف فيها بين الجمهور والشيعة فهى من مسائل
الامامة وتوابعها وهى من قسم اصول الدين • واتاه الله الملك والحكمة
عام اريد به الخاص اى الملك على بنى اسرائيل وحكمة مخصوصة اذ من
المعلوم ان داود عليه السلام لم يؤت جنس الملك ولا جنس الحكمة اذ
ذلك ليس الا لله عز وجل الذى عم ملكه وحكمته • ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لفسدت الارض هو عام مطرد فى الناس وفى المسكون من
الارض اذ المعنى لفسد حال اهل الارض وارض لا ساكن بها لا يتأتى
ذلك فيها • ولكن الله ذو فضل على العالمين عام مطرد اذ لا احد من
العالمين الا ولله عز وجل عليه فضل قوله عز وجل تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض اعلم ان للرسل مراتب وهم درجات عند الله
وانما ورد النهى عن التفضيل بينهم لئلا يوهم ذلك الغض من المفضول

وينقصه

وينقصه وجانبهم مصون عن مثل ذلك وهذه من مسائل الرسل من اصول
الدين نحن ذكرناها وقليلا ما تذكر • منهم من كلم الله يحتج به من يرى
القران وكلام الله عز وجل هو العبارات المسموعة وانه عز وجل يتكلم
بحرف وصوت قالوا والاشارة الى موسى الكليم ولولا انه كلمه كلاما مسموعا
عرفا لما كانت له خصيصة على غيره اذ قد كلم الله عز وجل غيره وحيا
والهاما وغير ذلك فدل على ان لكلامه موسى خصيصة على الجميع وليس
الا لما ذكرنا من انه كلمه بكلام مسموع واجاب الاشعرية بان الله عز وجل
كما ترى ذاته وليست جوهرا ولا عرضا كذلك يفهم كلامه وليس بصوت
ولا حرف واكثر ما فيه خلاف العادة والمألوف فى الشاهد وهو مشترك
بين المسئلتين وهذا النائم يفهم الكلام فى النوم من غير صوت ولا حرف
فى الخارج ومعتمد هؤلاء ان الصوت والحرف لا يعقل الا من جسم والله
عز وجل ليس بجسم ومعتمد الاخرين ان الكلام المفهوم لا يعقل الا بصوت
وحرف وربما اجاب الاولون بان الكتابة والاشارة تفهم المراد ولا صوت
ولا حرف وايضا كما ان تأثيره عز وجل فى ايجاد خلقه بلا علاج كذلك تأثيره
فى اسماعهم وافهامهم بلا صوت ولا حرف ولا حركة وكما انه يرى بلا جارحة
ولا انطباع ولا خروج شعاع كذلك يتكلم بلا حركة ولا صوت ولا حرف و
والمسئلة طويلة بين الفريقين وهى متعلقة بالصفات والكتب • ولو شاء
الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل
مريد لجميع الكائنات خيرها وشرها لان اقتتال هؤلاء المشار اليهم شر
وقد اخبر انه بارادته وانه لو شاء ان لا يكون لما كان والمعتزلة ههنا
يضطربون ويتلجلجون والى التأويلات البعيدة جدا يلجأون كقولهم
لو شاء الله اجبارهم على ترك الاقتتال لاجبرهم عليه فلم يقتتلوا ولكنه
تركهم واختيارهم فلذلك اقتتلوا وهو كما تراه وهذا هو جوابهم فى كل
موضع ذكرت فيه المشيئة وظاهرها عليهم يتأولون الاجبار • من قبل
ان يأتى يوم لا بيع فيه عام مطرد ليس هناك بيع يعقد ولا فدية تقبل
ولا خلة اى لا صداقة وهو يحتمل انه عام مطرد اذ لا صداقة ولا غيرها
تنفع يومئذ من امر الله حتى ان ابرهيم خليل الرحمن لا يملك لابيه نفعا
فيؤخذ برجليه ويديه فى صورة ضبعان فيلقى فى النار ويحتمل انه مخصوص
بخلة المتقين فانها نافعة من بعضهم لبعض بالشفاعة والايثار بالحسنات
ونحو ذلك لقوله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
اى فلا عداوة بينهم فهم اصدقاء واخلاء ولا شفاعة يحتج بها المعتزلة

في نفي الشفاعة لمن مات غير تائب وقد سبق واحتجاجهم بعمومه وعند الجمهور
هو خاص بالكفار لا شفاعة لهم ولا فيهم بخلاف المؤمنين فانهم يشفعون
ويشفع فيهم • والكافرون هم الظالمون عام مطرد وليس المراد ان مطلق
الظلم محصور فيهم بل ان اعظم الظلم وهو الكفر محصور فيهم • الله لا
اله الا هو عام مطرد فما من اله الا الله • لا تأخذه سنة ولا نوم عام مطرد
له ما في السموات وما في الارض عام مطرد وكذا الجمل الاربع بعدها عامة
مطردة الا ولا يحيطون بشئ من علمه فانه خص بالاستثناء بعده
لا اكراه في الدين عام خص بالمرتد يجبر على الاسلام ونحوه من صور الاكراه
بادلتها • قد تبين الرشد من الغي اي في الايمان والكفر تبين الحق من
الباطل والرشد من الضلال فالحق هو الاسلام والباطل ما عداه فهو
عام مخصوص اذ ليس الرشد من الغي واضحا في كل شئ بل الامور كلها اما
امر تبين رشده او امر تبين غيه فهذان طرفان واضحان او امر اشتبه
رشده بغيه وهو واسطة بينهما فحكمها ان يستعمل فيها النظر والاستدلال
ولا بد معه من مساعدة التوفيق والهداية الربانية • فمن يكفر بالطاغوت
هذه الجملة عامة مطردة • الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
اعلم ان ولاية الله عز وجل لخلقه على اقسام عامة وخاصة واخص
فالعامة ولايته للمؤمنين باعتبار الايمان يدخل فيها العدل والفاسق
والمتبع والمبتدع وغيرهم اذ لولا توليه اياهم وعنايته بهم لما وفقهم
للايمان واخرجهم من ظلمات الكفر والطغيان والخاصة وهي ولاية
الصالحين والاخص ولاية المقربين فالاية المذكورة عامة مطردة بالاعتبار
الاول لا غير • اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عام بشرط الموافاة
على الكفر • الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية تضمنت مناظرة بين
ابرهيم ونمروذ فلنقررها وهي في اثبات الهية الله عز وجل دون
نمروذ • قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت هذا استدلال منه عليه السلام
معناه انك يا نمروذ لست ربي ولا رب غيري لانك لا تحيي ولا تميت والرب
حقيقة هو من يحيي ويميت فانت لست برب وهذا قياس من الشكل الثاني
قال نمروذ انا احيي واميت وهو اعتراض على دليل ابرهيم وتقريره
لا اسلم مقدمتك الاولى بل انا احيي واميت • قال ابرهيم فان الله
يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب بعض الناس زعم ان هذا
انتقال من ابرهيم عليه السلام عن تمشية الدليل الاول واستدل
به على جواز الانتقال في الجدال واعلم ان هذا كلام غير محرر بل الانتقال

في

في المناظرة على ضربين احدهما يكون للعجز عن تمشية الدليل الاول وهو
انقطاع والثاني يكون مع القدرة على تمشية الدليل الاول وهذا يسمى
تنزيلا على تقدير التسليم وهذا هو الذي استعمله ابرهيم عليه السلام
لان نمروذ لما قال انا احيي واميت كان هذا دعوى منه تضمنت منع دليل
ابرهيم ثم يقال ان نمروذ بين مستند منعه بان احضر شخصين من السجن
قد وجب عليهما القتل فاطلق احدهما وقال قد احييته وقتل الاخر وقال
قد امته فرأى ابرهيم ان خصمه يغالطه بالمجاز عن الحقيقة فانتقل الى
ما لا يقدر فيه على المغالطة فقال على تقدير انك تحيي وتميت فان ربي
فعلا اخر به وبامثاله استحق الالهية وهو انه يصرف الشمس وانت لا تصرف
الشمس فانت لست برب ثم ان ابرهيم انما طالبه بتصريف الشمس من المغرب
على خلاف العادة لانه رأى من نمروذ الشغب والمكابرة والمغالطة والوقاحة
وقلة الحياء والانصاف في المناظرة فخشي ان قال له فأت بها من المشرق
ايضا ان يقول له نعم انا اتي بها من المشرق ثم يصبر حتى تطلع منه ثم
يقول ها قد اطلعتها من المشرق ويدعي ذلك بوقاحته فيحتاج ابرهيم
الى ما يبطل تلك الدعوى وفي ذلك تطويل البحث وانتشاره فاستراح من
ذلك بان طلب منه ما يعجزه وهو ان يأتي بها من المغرب • فبهت الذي كفر
اي انقطع لانه ان ادعى انه يأتي بها كذلك عجز عن تحقيق دعواه وان
اعترف بالعجز عن ذلك ظهر نقصه وبطلان دعواه الالهية وانما قلنا
انه في الدليل الاول غالط بالمجاز عن الحقيقة لان ابرهيم عليه السلام
انما ادعى لربه الاماتة الحقيقية وهي نزع الروح الحيواني عن الجسد بغير علاج
محسوس والاحياء الحقيقي وهو اعادة الروح اليه بعد نزعها منه والنمروذ
انما اثبت لنفسه مجاز ذلك وهو استبقاء الحيوة في الاحياء وتفويتها بالعلاج
المحسوس في الاماتة وذلك مما يقدر عليه اللصوص والشلوح وقطاع الطريق
فلا مزية لنمروذ فيه وقد تضمنت هذه الاية جواز المناظرة في طلب الحق
وتقرير الادلة وحذف بعض مقدماتها للعلم بها وهو المسمى قياس الاضمار
والتنزل مع الخصم على تقدير التسليم وابطال الشبه والشكوك والزام
الخصم ما يفهمه وجواز مناظرة السوفسطائية ونحوهم من منكري الحقايق
ونحوهم بما يقيم الحجة عقلا او حسا وقيام الحجة بانقطاع الخصم وانقطاعه
بالعجز عن تمشية الدليل اذا لم يكن حايفا وتضمن شرف علم الجدل والاصول
والنظر في المعقول والكلام في التوحيد به وامام الناس فيه ابرهيم عليه
السلام فلا جرم قيل له ملة ابيكم ابرهيم • بل ملة ابرهيم • ثم اوحينا

اليك ان اتبع ملة ابرهيم ولاجرم لما امر نبينا صلى الله عليه وسلم باتباع
ملة ابرهيم ورد كتابه القران مملوا من المباحث الجدلية مشحونا بالحقايق
النظرية وفى هذا منقبة عظيمة للمتكلمين والاصوليين واهل النظر ولكن
اكثر الناس لا يعقلون ولاجل هذا وضعنا هذا الكتاب • فاماته الله مائة
عام ثم بعثه الاية هذا من حجج البعث والمعاد كما فى احياء البقرة والالوف
قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى الاية اعلم ان من الناس من
زعم ان ابرهيم شك فى القدرة على احياء الموتى حكاه القرطبى عن الطبرى
واحتج بقوله عليه الصلوة والسلام نحن احق بالشك من ابرهيم وليس
هذا بشئ اذ برهان القدرة واضح فكيف يخفى مثله على ابرهيم مع استخراجه
حدوث العالم وقدم الصانع بلطيف النظر من افول الكوكب والشمس والقمر
واذا كنا لا نظن ذلك بذى النون حيث ظن ان لن نقدر عليه حتى تاولناه
على خلاف ظاهره بما يدفع ذلك عنه مع ان رتبة ابرهيم اعلى منه فكيف
نظنه بابرهيم واما قوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم
فليس معناه اثبات الشك من ابرهيم وانما هو نفى للشك عنه بطريق اولى
ومعناه لو شك ابرهيم لكنا بالشك اولى منه لقصورنا فى المعرفة عنه
لكنا نحن لم نشك فابرهيم اولى ان لا يشك وهذا تاويل جيد للحديث
ثم اورد بعضهم ههنا سوالا وهو ان قول ابرهيم بلى يقتضى انه آمن
اى بلى امنت وقوله ولكن ليطمئن قلبى يقتضى ان قلبه لم يطمئن الى
الآن لكن الايمان تلزمه الطمانينة وحينئذ يصير كانه قال آمنت ما آمنت
واطمان قلبى ولم يطمئن وهو تناقض والجواب انه قد قيل معناه
بلى آمنت بالقدرة ولكن ليطمئن قلبى بالخلة وكان قد جعل اظهاره
على احياء الموتى علامة على اتخاذه خليلا وعلى هذا فلا تناقض وهذا
وان كان قريبا ممكنا غير ان المختار غيره وهو ان الايمان يستند الى
العلم والعلم له مراتب علم اليقين وهو ما حصل عن النظر والاستدلال
وعين اليقين وهو ما حصل عن شهادة وعيان وحق اليقين وهو ما
حصل عن العيان مع المباشرة فالاول كمن علم بالعادة فى البحر ماء
والثانى كمن مشى اليه حتى وقف على ساحله وعاينه والثالث كمن
خاض فيه واغتسل وشرب منه واذا عرفت هذا فايمان ابرهيم عليه
السلام بالقدرة على احياء الموتى قبل ان يراه كان عن علم يقين نظرى
فاراد ان يطمئن قلبه بالايمان بذلك عن عين اليقين وحق اليقين
فلذلك قيل له خذ اربعة من الطير الى اخره اى باشر هذا الامر ليحصل

بلغ مقابله

لك

لك عين اليقين عيانا وحق اليقين مباشرة وفى الحديث ليس الخبر كالعيان
ان موسى بلغه ان قومه قد فتنوا فلم يتغير فلما راهم عاكفين على العجل اخذ
براس اخيه يجره اليه وفى هذا المعنى قيل •

• ولكن للعيان لطيف معنى • له سال المعاينة الكليم •

وحينئذ يكون معنى الكلام بلى امنت عن نظر واستدلال ولكن اريد طمانينة
القلب بنظر العيان وهذه ايضا دليل على امكان البعث • مثل الذين ينفقون
اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة الاية هذا عام مطرد اما المرائى فليس منفقا
فى سبيل الله فلذلك لم ينتفع بانفاقه غير ان فى هذه الاية اطلاقا قيد فى
الاية بعدها بقوله عز وجل • ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى
فصارت مضاعفة الصدقة الى سبعمائة ضعف مشروطة بعدم المن والاذى
وصار تقدير الاية مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون
ما انفقوا منا ولا اذى كمثل حبة انبتت سبع سنابل الاية • لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى عام فى بطلان الصدقات بذلك والمن تذكير
النعمة والاذى الحاق ضرر بالسائل دون اخذها كانتهاره وزجره وتقريعه
ونحو ذلك • لا يقدرون على شئ مما كسبوا عام مطرد اذ اعمال الكفار
والمرائين هباء منثورا • انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم
من الارض يستدل به على تعلق الزكوة بكل ما يخرج من الارض من معدن
ونبات وثمر لكن خص العلماء منه اشياء بادلة وجدوها وبقيت الزكوة
فى الباقى كالركاز والمعدن والعنب والرطب والمكيل المدخر على تفاصيل فيه
ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا عام مطرد لكن ما هذه الحكمة
فالاشبه انه العلم الموصل الى معرفة وجود الله عز وجل وما يجوز عليه وما
لا يجوز والى معرفة معاملته فالاول علم اصول الدين والثانى علم الفقه
لادب الظاهر وعلم الاخلاق واعمال القلوب لادب الباطن وذلك لان
المكلف لا بد له من اعتقاد يلقى الله عز وجل به وعمل ظاهر يقيم به رسوم
التكليف وادب باطن يقيم به رسم العبودية فهذه العلوم الثلاثة اركان
الحكمة والقيم بالاول المتكلمون وبالثانى الفقهاء وبالثالث محققو الصوفية
كشيخ الاسلام فى مقاماته ونحوه فاما الحكمة التى هى عبارة عن المنطق والالهى
والطبيعى والرياضى فهى حكمة فلسفية باصطلاحهم والخطر فى الالهى منها
عظيم على رايهم فلا يليق النظر فيه الا المتضلع من الحكمة الاولى وعلوم الشرع
وبالحرى ان يامن الجرب وقد يحتج الفلاسفة على ان الحكمة فى الاية هى حكمتهم
المذكورة لقوله عز وجل عقيب ذلك • وما يذكر الا اولو الالباب والتذكر

النظر ولالباب العقول فهو اذن اشارة الى ان الحكمة المذكورة انما طريق ادراكها
نظر العقل وحكمتنا احق بذلك لانها موسسة على النظر والاستدلال العقلى
وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه اى فيجازى عليه وهو
عام مطرد . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء اعلم ان الهدى تارة
يراد به الارشاد وهذا على النبى صلى الله عليه وسلم اذ معناه التبليغ والدعا
الى الحق وتارة يراد به ميل القلب الى الحق مستنداً الى ظهور الحجة وانكشاف
الشبهة وقيام الداعى وانتفاء الصارف وهذا لا يقدر عليه الا الله عز وجل
وهو المراد ههنا وقد اخبر الله عز وجل انه مستبد به يهدى من يشاء ويحتج
به الجمهور على ان الانسان لا يملك هدى نفسه والحجة معهم خلافا للمعتزلة
اذ عندهم ان العقل كاف فى المعرفة والنظر مخلوق للناظر والعلم متولد عنه
والهدى تابع للعلم بتحقيق الحجة وكشف الشبهة وذلك يقتضى ان هداهم
مخلوق لهم . الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية الاية
قالت الشيعة نزلت هذه فى على كان معه اربعة دراهم انفق درهماً ليلاً
ودرهماً نهاراً ودرهماً سراً ودرهماً علانية فنزلت هذه الاية ذكره عبد
الرزاق فى تفسيره قالوا وليس مثل هذا لابى بكر ولا غيره فيكون افضل
وعارضه الجمهور بنحو وسيجنبها الاتقى لا يستوى منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل والذى جاء بالصدق وصدق به ثانى اثنين اذ هما
فى الغار ونحوه وليس لغير ابى بكر مثل هذا . ذلك بانهم قالوا انما البيع
مثل الربا استشكل بعضهم هذا وقال النظم الواضح يقتضى ان يقال انما الربا
مثل البيع فالعدول الى عكسه غير متضح والجواب ان الكفار انما ارادوا بقولهم
انما البيع مثل الربا المناقضة والالزام كانهم قالوا يعاب علينا الربا والبيع
مثله فمن انكر علينا الربا لحصول التغابن فيه لزم انكار البيع لحصول
التغابن فيه ولو قالوا انما الربا مثل البيع لكان ذلك قياساً كانه قيل الربا
صفقة تضمنت تفاضلاً وتغابناً فكان حلالاً كالبيع لكن هؤلاء انما قصدوا
الالزام والمناقضة لا القياس والمماثلة وانما ذكرنا هذا لكونه سؤالاً كثر
ايراده واستشكاله ولتعلقه بالقياس والنص والالزام وذلك من مسائل
اصول الفقه . واحل الله البيع وحرم الربا هذا فيه حجة قوية للظاهرية
فى اعتبارهم الظواهر السمعية دون العلل القياسية وتقرير ذلك ان
اكلة الربا لما اوردوا مناقضتهم المذكورة اجابهم الله عز وجل بالحكم
الالهى فقال واحل الله البيع وحرم الربا فيجب عليكم متابعة هذا الحكم
المنصوص ولم يحتج عليهم بحكمة تحريم الربا المناسبة مع انها ظاهرة

مؤثرة وهى ان الربا انما يكون مع اتحاد الجنس او العلة فالغبن فيه لازم لا
يستدرك بخلاف البيع فانه يكون مع اختلاف الجنس فالغبن فيه يمكن
استدراكه مثاله لو اشترى ثوبا بعشرين غبناً وهو يساوى عشرة امكن
ان يبيعه بعشرين او اكثر لرغبة او ارتفاع سوق ونحوه اما لو اشترى مد قمح
بمدين فبعيد ان يرد له المد الواحد مدين الا و يرد المدان للبايع اربعة امداد
اللهم الا ان يختلفا بالجودة والرداءة بحيث يساوى المد الجيد مدين ردياً
لكن الجودة والرداءة ههنا غير معتبرة طرداً للباب فى المنع ولو كانت هذه
الحكمة القياسية حجة لاحتج بها عليهم لانها اشبه بالزامهم المذكور
واقرب الى عقولهم فلما لم يحتج عليهم بها بل بالنص القاطع للحجة دل على
ان لا حجة فى العلل والمناسبات وصار هذا كما قال لابليس ما منعك ان
لا تسجد اذ امرتك احتج عليه بالامر ولم يسمع منه علته الفلسفية المزخرفة
وهى قوله انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وقد كان يمكنه
ان يعارضه باحسن منها وانسب فى العقل وهو ان الطين ثابت رزين
متواضع لين رطب والنار مضطربة خفيفة مستعلية يابسة شريرة
محرقة ومن ثم رجع ابليس الى اصله فى الخفة والطيش ورجع آدم الى
اصله فى الثبات والرزانة فقال ربنا ظلمنا انفسنا الاية فاعترف فعرف له
واستغفر فغفر له فلما لم يفعل ذلك دل على ان لا ارتباط للاحكام الا بالنصوص
والظواهر . ان الذين امنوا وعملوا الصالحات الاية قد تكرر هذا فى القران
كثيرا ويحتج به من يرى الايمان مجرد التصديق وان الاعمال ليست ركنا
للايمان بل اثراً من اثاره خلافا للجمهور من المحدثين وغيرهم بحجة الاول
انه عطف العمل الصالح على الايمان والعطف يقتضى التغاير فالايمان غير
الاعمال واجاب الاخرون بان هذا من باب عطف الخاص على العام كالصلوة
الوسطى على الصلوات وجبريل وميكائيل على الملائكة ولا ينافى ذلك كون
الخاص من العام وهذا ضعيف لانا لو اقتصرنا على الملائكة فهمنا جبريل
وميكائيل وههنا لو اقتصرنا على الايمان لم نفهم العمل الصالح الا على دعوى
الخصم ويعود النزاع . ثم توفى كل نفس ما كسبت اى كل نفس مكلفة او كل
نفس منكم ليخرج من العموم من ليس بمكلف كالصبيان والمجانين والبهايم
ونحوهم فالعموم مخصوص بهم . ولا يبخس منه شيئاً عام مطرد . ولا ياب
الشهداء اذا ما دعوا عام خص منه ما اذا ابى لمرض او خوف او كونه
كان مكرهاً على تحملها بالباطل او كان عبداً تحملها بلا اذن سيده ومنعه
من السعى للاداء وذهب بعض الائمة الى عدم اهلية العبد للشهادة

بهذه الاية لانه مامور بالسعي للاداء وذلك يبطل حق السيد من خدمته ومقتضى
هذا انه انّ تحملها باذن السيد جاز ان يسعى للاداء ودخل في عموم ولا يأب
الشهداء واشهدوا اذا تبايعتم امر ارشاد وذهب بعض الظاهرية الى انه
امر وجوب قطعًا للتنازع وصيغة افعل ترد بمعاني منها الارشاد • والاباحة
والتكوين • والتعجيز • والوجوب • والتسوية • والتهديد • والاهانة • وغير
ذلك وهذه من مسائل الاوامر من اصول الفقه • وان كنتم على سفر ولم
تجدوا كاتبا فرهن مقبوضة احتج به الظاهرية على ان الرهن لا يجوز في
الحضر لمفهوم قوله عز وجل وان كنتم على سفر والجمهور على خلافه وحملوا
هذا المفهوم على انه خرج مخرج الغالب اذ الغالب في السفر عدم الكاتب والمفهوم
اذا خرج مخرج الغالب لا يحتج به ومنه وربائبكم اللاتي في حجوركم وان خفتم
شقاق بينهما • ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وهذه من مسائل دليل
الخطاب • والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله • هذه غالب
اركان الايمان وقد سبق الكلام عليها عند ليس البر الاية • لا نفرق بين
احد من رسله تعريض باليهود والنصارى حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم
وكفرت اليهود بالمسيح والكل رسل الله صلى الله عليهم اجمعين كما يأتي
تقريره ان شاء الله عز وجل • لا يكلف الله نفسًا الا وسعها احتج به
المعتزلة على امتناع تكليف ما لا يطاق لانه لا يدخل تحت الوسع وما لا يدخل
تحت الوسع لا يكلف به فما لا يطاق لا يكلف به والاولى قاطعة والثانية
سمعية بهذه الاية ولان التكليف شرطه الامكان ليتبين المطيع من العاصي
فما ليس بممكن لا يكلف به والا كان جورًا • ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا
او اخطأنا هذا رفع للتكليف عن الناسي والمخطي كقوله عليه الصلاة
والسلام عفي لامتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولان
التكليف شرطه الفهم والا لكلف الجماد والحيوان الاعجم وهو باطل ثم
الناسي والساهي لا يفهم فلا يكلف واما المخطي فلم ينتهك حرمة
ولا قصد له حتى ينتظمه دليل التكليف فان ترتب حكم التكليف على
احد منهم كالصايم يفطر او يلزمه الكفارة بالنسيان والمخطي في القتل
تلزمه الدية ونحو ذلك فهو من باب ربط الاحكام بالاسباب او مخصوص
من عموم القاعدة بدليل ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به احتج به من اجاز
تكليف ما لا يطاق والا لم يكن لهذا السؤال فائدة واعلم ان بعض
الاصوليين يترجم هذه المسئلة بتكليف ما لا يطاق وبعضهم بتكليف
المحال وما لا يطاق يطلق تارة على ما يشق فعله وان امكن لذاته وتارة

على ما لا يمكن وقوعه والمحال اما لذاته كالجمع بين الضدين واما لغيره كايمان
من تعلق علم الله عز وجل بانه لا يؤمن وقد قال قوم بجواز التكليف
بالقسمين وقوم بامتناعه فيهما واخرون بجوازه في المحال لغيره دون
المحال لذاته والاشبه الاول واذا اشترك القسمان في استحالة الوقوع
فلا اثر للفرق بالامكان الذاتي وعدمه ومأخذ الخلاف في هذه المسئلة ان
المقصود من التكليف الامتثال وامتحان الطايع من العاصي عند المعتزلة
فلذلك اشترطوا كون الفعل المكلف به ممكنا وعند الجماعة ليس المقصود
منه ذلك بل المقصود جعل وجود الفعل وعدمه علمًا وامارة على الثواب
او العقاب وعلى السعادة او الشقاوة وذلك حاصل من التكليف بالممكن
وغيره اما وقوع التكليف بما لا يطاق فقد اختلف فيه ايضا والاشبه انه
وقع في مسئلة خلق الافعال على رأي الجبرية والكسبية اذ الانسان مكلف
بكسب ما خلقه الله عز وجل وهو تحصيل الحاصل وفي مسئلة تكليف الكافر
بالايمان مع العلم بانه سيموت كافرا واذا تعلق علم الله عز وجل بوجود
شئ او عدمه فهل يبقى خلاف معلوم الله عز وجل مقدورًا ام لا فيه قولان
والحق انه مقدور لذاته لا لغيره واعلم ان مواد الافعال ثلاث
واجب وممتنع وممكن خاص فالممكن يجوز التكليف به اجماعًا والواجب
والممتنع يخرج التكليف بهما على تكليف المحال والله عز وجل اعلم بالصواب
آل عمران
القول في سورة ال عمران مصدقا لما بين يديه عام مطرد كما
سبق في وهو الحق مصدقا لما معكم • وانزل التورية والانجيل من قبل
هدى للناس عام بحسب القوة كما سبق في هدًى للناس وبينات من
الهدى والفرقان • ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد اي
بشرط الموافاة على الكفر فهو مخصوص بمن ختم له منهم بالايمان
لا يخفى عليه شئ في الارض ولا في السماء عام مطرد نحو وهو بكل شئ عليم
يصوركم في الارحام عام اريد به الخاص وهي الارحام القابلة للحمل ومخصوص من
بالارحام العواقر • كيف يشاء عام مطرد في جميع الكيفيات التي تتعلق
بها مشيئة الله عز وجل من طويل وقصير واسود وابيض وغير ذلك في
اي صورة ما شاء ركبك • منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
اختلف الناس في المحكم والمتشابه على نحو اثني عشر قولا اجودها ان المحكم هو
المتضح المعنى والمتشابه هو ما اشكل معناه لاشتراك او ايهام تشبيه ونحوه
ويجب رده الى المحكم لان الله عز وجل سمى المحكمات ام الكتاب اي اصله
والاشياء يجب ردها عند الاشكال الى اصولها فيجب رد المتشابهات في

الذات والصفات الى محكم ليس كمثله شئ ورد المتشابهات فى الافعال الى محكم
فلله الحجة البالغة الايتين على ما سنوضحه فى موضعهما ان شاء الله عز وجل
وهذه الاية نفسها من المتشابه حيث تردد الوقف فيها بين ان يكون على الا
الله وبين ان يكون على والراسخون فى العلم يقولون امنا به وترددت الواو
فى والراسخون بين الاستيناف والعطف والاشبه انها للاستيناف وان
الوقف على الا الله وان الله عز وجل تعبد عباده من كتابه بما لا يعلمون
وهو المتشابه كما تعبدهم من دينه بما لا يعقلون وهو التعبدات ولان
العبادات فرع القران اذ به ثبتت والقران فرع الذات اذ هو صفتها
وعنها صدر وكما ان من الذات ما يعقل وهو وجودها وما لا يعقل وهو
ماهيتها التى هى بها هى فكذا يجوز ان يكون فى فرعها وفرع فرعها ما
يفهم وما لا يفهم ولان قوله عز وجل يقولون امنا به تردد بين كونه
حالا فضلة وخبرا عمدة وهذا الثانى اولى وهو يقوى ما ذكرنا والبحث
هنا طويل وهذا منه كاف ان شاء الله عز وجل كل من عند ربنا عام مطرد
فى المتشابه وغيره وهو تسليم يقتضى ما قررناه • ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا يقتضى ان ازاغة القلوب وهدايتها من فعله عز وجل ومنسوب
اليه خلافا للمعتزلة وحملوا الاية على منع الالطاف وقد عرف ما فيه •
انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه عام مطرد • لن تغنى عنهم اموالهم ولا
اولادهم من الله شيئا عام مطرد • كذبوا باياتنا عام اريد به الخاص وهو
الايات الظاهرة على يد موسى ويحتمل انه عام مطرد لان ايات الانبياء متفقة
الدلالة على التوحيد والايمان فتكذيب بعضها كتكذيب جميعها فلما كذبوا
بايات موسى صاروا كانهم كذبوا ايات جميع الانبياء بل وايات الله عز
وجل جميعها لو ظهرت الى الوجود وشبيه بهذا قوله عز وجل وتلك عاد
جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله • فاخذهم الله بذنوبهم الذنوب سبب
الاخذ عند الجمهور وعلة له عند المعتزلة وقد سبق اصل هذا وتقريره
قل للذين كفروا هو اما للمعهودين او عام اريد به الخاص وهو من علم انه يموت
كافرا اذ قد اسلم بعد نزول هذه الاية كفار كثيرون فصاروا غالبين
ووجبت لهم الجنة • يرونهم مثليهم راى العين ان قيل ما وجه هذا
وكيف يتصور قلنا يتجه ذلك بان يخلق فى المرئى كثرة اما حقيقة او غيرها
حتى يرى مثلى ما هو عليه فى نفس الامر كما يغمز الانسان احدى عينيه فيرى
الشئ الواحد اثنين والى هذا اشير براى العين اى لا فى نفس الامر ويجوز
ان يكون بان يخلق فى شعاع المعين اضطرابا او تفرقا بحيث يصير الخط

لعله الالطاف

الواحد منه خطين يتصل بموضعين من الشخص الواحد فيظن اثنين ويجوز ان
يكون بان امر جماعة من الملائكة على هيئتهم دخلوا بينهم فحصلت فيهم كثرة
حقيقة فصاروا امثليهما كانوا ولولا ان قوله عز وجل راى العين يابى هذا
الوجه او ينبو عنه لكان اقوى الوجوه • ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار
ربما استدل بهذا على اثبات القياس حجة كما استدل بقوله عز وجل فاعتبروا
يا اولى الابصار وسياتى ان شاء الله عز وجل القول فيه • زين للناس حب
الشهوات الاية الفاعل ههنا محذوف فيحتمل ان الذى زين هو الله عز وجل
نحو كذلك زينا لكل امة عملهم . وزينه فى قلوبكم ويحتمل انه الشيطان نحو
وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون ويحتمل انه النفوس تزين لاهلها حب
هذه الاشياء نحو فطوعت له نفسه قتل اخيه والاشبه الاول لانه عز وجل
هو خلق الشهوات بهيئة الزينة فكان هو المزين لها وهذه من جنس مسائل
القدر • ذلك متاع الحيوة الدنيا اشار الى حصر متاع الدنيا فى الاشياء الستة
المذكورة لانها معظم الشهوات كقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة والا فرب
شهوة زينت لبعض الناس ليست من هذه الاشياء كالسياحة فى الارض والفرجة
فيها حتى يوثرها بعض الناس على الاشياء المذكورة • والمستغفرين بالاسحار
عام ثم يحتمل انه مطرد بحيث لا يدخل تحت هذا المدح الا من استغفر فى جميع
اسحار عمره ويحتمل انه عام اريد به الخاص وهو غالب اسحار العمر مع ان الاسحار
جمع قلة واكثره عشرة فمن استغفر فى عشرة اسحار من عمره دخل تحت
هذا الوعد لكن هذا يقدح فى كون الاسحار لفظا عاما فيما ارى • شهد الله
انه لا اله الا هو الاية تضمنت ثلثة شهود وهم الله عز وجل والملائكة واولوا
العلم على امرين مشهود عليهما وهما التوحيد فى اولها وصحة دين الاسلام بل
انحصار الدين الحق فيه فى اخرها اما الملائكة فعام مطرد واما اولوا العلم
فعام اريد به الخاص وهم علماء الاصول لانهم هم الذين يعرفون التوحيد ويثبتونه
بالبرهان وكذلك هم الذين يعرفون حقيقة دين الاسلام من بين الاديان بالدليل
وغيرهم انما يعرف ذلك تقليدا لهم ولان الشهادة انما تعتبر وتصح ممن تحقق
المشهود عليه والمحقق لهذين المطلوبين اعنى التوحيد وحقيقة الاسلام
هم علماء اصول الدين فكانوا هم المراد باولى العلم ههنا وهذه منقبة شريفة
لهؤلاء القوم وعلمهم فليعلم ذلك ان شاء الله عز وجل • فان حاجوك فقل
اسلمت وجهى لله ومن اتبعن ليس فى هذا حجة لمن قال بالتقليد حيث قابل
المحاجة بالتسليم لانه انما امر بذلك وفعله حيث علم انه على حق من امره
واياس من اجابة خصمه وان محاجته عناد محض ومدافعة عن الحق صرف

وكيف يؤمر بالتقليد وينهى عن المناظرة فى الحق من كتابه المنزل عليه مشحون
بالحجج والبراهين والادلة النظرية ومن قيل له فى كتابه ادع الى سبيل ربك
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن نعم يستدل بالاية على
ان من علم الحق فى جانبه وآنس المعاندة من خصمه وآيس منه ان يترك
مناظرته ويعرض عنه فاعرض عنهم وعظهم ٭ وقل للذين اوتوا الكتاب
والاميين ءاسلمتم هذه قسمة حاصرة مساوية لقوله عز وجل وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين ٭ ليكون للعالمين نذيرا ٭ وما ارسلناك الا
كافة للناس ٭ يا ايها الناس انى رسول الله اليكم ونحوه وقوله صلى الله عليه وسلم
بعثت الى الاحمر والاسود وذلك انه ليس فى العالم الا امى وهو من لم يؤت
كتابا ولا كتابة كالعرب او غير امى وهو من اوتى الكتاب او الكتابة كاليهود
والنصارى والمجوس والهند واليونان والروم والفرس وغيرهم فعموم الدعوة
يستفاد من ههنا كما يستفاد من المواضع الصريحة فيه وهذه من مسائل
النبوات ٭ ان الذين كفروا بايات الله الاية تضمنت جملا عامة لا يقف
الوعيد فيها على عمومها بل الفرد منها يكفى فى تحقيق ذلك فالكفر باية
واحدة من ايات الله عز وجل يوجب العذاب الاليم وكذلك قتل نبى
واحد وقتل آمر واحد بالقسط وانما ذكر هذه الجمل بلفظ العموم حكاية
لحال هؤلاء الكفار حيث كفروا بايات كثيرة وقتلوا نبيين وآمرين
بالقسط كثيرا وتشنيعا عليهم بكثرة جرائمهم ٭ حبطت اعمالهم عام
مطرد وكذلك وما لهم من ناصرين ٭ ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات الاية زعمت اليهود ان النار كالبحر يخوضونها اربعين
يوما قاطعين لها ثم يتخلصون منها الى الجنة ويبقى المسلمون فى النار
والنصارى ابدا وهو من ترهات اليهود واماناتهم فلذلك قيل لهم
اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون
وهذا القسم الثانى هو الحق قالوا بغير علم فضلوا واضلوا وهذه من
مسائل اليوم الاخر ٭ اذا جمعناهم عام مطرد وكذا الجملة بعدها بيدك الخير
اى والشر كما قال عز وجل ونبلوكم بالشر والخير فتنة وبلوناهم بالحسنات
والسيئات وانما اقتصر على ذكر الخير اما اكتفاء باحد الضدين عن الاخر
اختصارا نحو وله ما سكن اى وتحرك وسرابيل تقيكم الحر اى والبرد
او تعليما للخلق الادب نحو واذا مرضت ٭ وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى
الارض بحيث لا يضيفون اليه الا الحسن الجميل وغيره يعدلون به عنه
الى انفسهم نحو اذا مرضت ولم يقل امرضنى او لا يسمون فاعله نحو اشر

اريد ولم يقل اراد بهم ربهم فاما قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض دعائه
والشر ليس اليك فاحتج به المعتزلة على مذهبهم فى انه عز وجل لا يخلق المعاصى
الشرية ولا الشرور العصيانية وتاوله الجمهور على معنى ان طلب الشر ليس
اليك ان الله لا يامر بالفحشاء او على ان الشر لا يتقرب به اليك او على انه
لا يصعد اليك لمفهوم اليه يصعد الكلم الطيب الاية وهو تاويل قريب جيد

بحث التقية

الا ان تتقوا منهم تقية احتج بها الشيعة على جواز التقية خلافا للجمهور
واعلم ان مسئلة التقية مسئلة مشهورة ينبغى فصل الخطاب فيها فنقول
احتج الجمهور على بطلانها وتحريم استعمالها بان قالوا التقية نفاق والنفاق
حرام فالتقية حرام اما ان التقية نفاق فلاتفاقهما فى الحد والحقيقة
اذ كل واحد منهما ابطان امر واظهار خلافه خشية الضرر واما ان النفاق
حرام فلورود الشرع بذم المنافقين عليه وتوعدهم بالدرك الاسفل من النار
ولولا تحريمه لما كان كذلك فثبت ان التقية حرام ولانها لو جازت لجاز
اظهار الكفر من الانبياء تقية وانه باطل احتج الشيعة على جواز التقية
بالكتاب والسنة وفتاوى الائمة والنظر اما الكتاب فمنه ايات الاولى هذه
الاية الا ان تتقوا منهم تقاة وقرئت تقية بنفس اللفظ المتنازع فيه ووجه
دلالتها ان الله عز وجل حرم موالاة الكفار تحريما مغلظا حتى حكم بان من
يتولاهم فانه منهم ثم انه اباح موالاتهم على سبيل التقية فدل على جوازها حيث
اباحها فيما هو مكفر بدونها الاية الثانية قوله عز وجل الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان فاباح اظهار الكفر تقية مع ابطان الايمان الاية الثالثة
قوله عز وجل ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى انفسهم الاية احتج بها البخارى
فى باب الاكراه ووجه الحجة منها ان الملائكة عذروا هؤلاء فى قولهم كنا
مستضعفين فى الارض وانما لاموهم بتركهم الهجرة فى الارض مع القدرة عليها
فدل على ان المستضعف يكون معذورا فيما اظهره على خلاف ما يعتقده
وهو المراد بالتقية الاية الرابعة قول لوط هؤلاء بناتى ان كنتم فاعلين
مع قوله لا تخزون فى ضيفى وقوله لو ان لى بكم قوة او آوى الى ركن شديد
هو ظاهر ان لم يكن قاطعا فى انه انما بذل لهم نكاح بناته تقية لعجزه عن
مدافعتهم واما السنة فاحاديث احدها حديث حاطب بن ابى بلتعة حيث
كاتب الكفار ليحفظوه فى ضاغيته بمكة مع كونه محاربا لهم مسترا العداوة لهم
وقد صدقه النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الثانى حديث عائشة ان
رجلا استاذن على النبى صلى الله عليه وسلم فقال بئس اخو العشيرة او بئس
ابن العشيرة فلما دخل انبسط اليه وألان له القول فلما سئل عن ذلك قال

ان شر الناس من اكرمه الناس اتقاء فحشه وهذا صريح فى التقية اوكالصريح
الثالث قوله صلى الله عليه وسلم لعمار حين كان يعذب على ان يكفر يا عمار ان
عادوا فعد الرابع حديث الزهرى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان
فاطمة جاءت تطلب ارثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وساق الحديث
الى ان قالت وكانت لعلى وجه من الناس حيوة فاطمة فلما توفيت فاطمة
انصرفت وجوه الناس عن على فلما راى على انصراف وجوه الناس عنه ضرع
لمصالحة ابى بكر فقال له موعدك البيعة العشية الحديث متفق عليه وهذا
نص من عائشة على ان عليا بايع ابا بكر تقية الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية محى بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم ومحى محمد
رسول الله وكتب اسمه واسم ابيه واعطاهم يومئذ امورا فى الظاهر هو محارب
عليها فى الباطن وذلك عين التقية اذ خاف استيصال المسلمين ذلك اليوم
السادس قول الحسن البصرى التقية الى يوم القيمة ذكره البخارى فى باب الاكراه
يعنى انها باقية او جائزة الى يوم القيمة ونقلوا عن جعفر الصادق انه قال
التقية دينى ودين آبائى واما فتاوى الائمة فهؤلاء الاربعة الذين هم ائمة
الجمهور سوى ابى حنيفة يفتون بان طلاق المكره لا يقع وكذلك يمينه وضرب
مالك سبعين سوطا على ان يفتى بان بيعة المكره تنعقد فلم يفعل وقالوا
من اكره على شرب الخمر او الزنا وغيره فلا اثم ولا حد وانما وجب القصاص
على من اكره على القتل فقتل عند بعضهم لانه بافتدائه نفسه بنفس المقتول
خرج عن حد الاكراه الى حد الاختيار على ان بعض اهل العراق قال لا قصاص
عليهما اعنى المكره والمكره واما ايقاع ابى حنيفة طلاق المكره فلانه جعله
من باب ربط الحكم بالسبب وبالجملة فالمكره عند اكثر الاصوليين غير
مكلف لضرورة الفعل واجبا منه بالاكراه واذا ثبت هذا فى الاكراه فهو
من مادة التقية ولهذا استطرد البخارى دلايل التقية فى باب الاكراه
ولان حاصل حال المكره انه فعل ما لولا الاكراه لم يفعله خشية الضرر
وهو عين التقية واما النظر فمن وجهين احدهما ان التقية ضرب من
الرخصة لاستواء احدهما اذ الرخصة هى استباحة المحظور مع قيام المانع
وكذلك التقية من غير فرق اذ المتقى يستبيح مثلا اظهار الكفر حفظا
لنفسه مع قيام المانع من الكفر كما يستبيح المترخص اكل الميتة حفظا لنفسه
مع قيام المانع منه الوجه الثانى ان فى التقية جمعا بين مصلحتين دفع
الضرر مع استبقاء المعتقد وهو اولى من تضييع احدهما هذا اقصى ما
علمناه للشيعة من دليل التقية ثم اجابوا عن حجة الجمهور بان قالوا قولكم

التقية نفاق قلنا لا نسلم بل هى رخصة كما سبق بيانه سلمنا انها نفاق
لكن قولكم النفاق حرام قضية مهملة فان اخذتموها على اهمالها كانت جزئية
وقياسكم المذكور شرط انتاجه كلية كبراه فلا تنتج اذن وان اخذتموها
كلية هكذا التقية نفاق وكل نفاق حرام منعنا كليتها ومستند المنع ان
النفاق له مسميان لغوى وهو ابطان امر ما واظهار خلافه خشية الضرر
وشرعى وهو ابطان الكفر او البدعة واظهار الايمان او السنة خشية الضرر
والاول اعم من الثانى والذى نسلم تحريمه انما هو الثانى وهو النفاق بحسب
مسماه الشرعى اما اللغوى فلا نسلم تحريمه فتعود كبرى قياسكم جزئية فلا
تنتج والتقية التى ندعى جوازها ان سلمنا كونها نفاقا فانما هى نفاق لغوى
لا شرعى اذ دعوى كونها نفاقا شرعيا مسئلة اخرى تخرجنا عن الكلام
فى مسئلة التقية بالكلية اذ يبقى النزاع فى ان ما اخفاه المتقى هو بدعة اولا
وذلك بلا شك مسئلة اخرى واما قولكم لو جازت التقية لجاز اظهار الكفر
من الانبياء تقية وهو باطل قلنا لا نسلم بطلان الجواز اعنى جواز اظهار
الكفر منهم تقية وانما الباطل هو وقوع الكفر منهم وهو غير لازم لان الله
عز وجل يعصمهم منه مع جوازه عليهم كسائر المعاصى التى عصموا منها
ولولا جواز ذلك عليهم لم تظهر فائدة عصمتهم منه قالت الشيعة فقد
تبين بطلان شبهتكم فى ابطال التقية ووضح برهاننا على صحتها وجوازها
وانها من دين الله عز وجل ورسله واولى العلم وانما انا زعمتونا فى اصل
التقية لاجل فرع من فروعها وجزء من جزئياتها وهو ان بيعة على لابى بكر
كانت تقية فطردتم المنع فى الاصل الكلى لاجل المعنى الجزئى كما منعت
اليهود اصل النسخ لئلا تلزمهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه
السلام ونحن نقيلكم من ذلك ولا نبنى بيعته على تقية على جواز التقية
بل نحن نثبتها عليكم بحديث الزهرى عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة
وقد سبق ذكره فانه نص فى انه انما بايع ضارعا اى مقهورا مغلوبا بالانصراف
وجوه الناس عنه عند موت فاطمة وحينئذ لا يبقى لمنعكم جواز التقية من
حيث هى تقية معنى مع وضوح برهانها والله عز وجل اعلم • ويحذركم الله
نفسه اختلف فيه فذهب قوم الى اثبات النفس لله عز وجل على ما لا يليق به
وجعلوه من ايات الصفات وتاوله اخرون على الذات اى يحذركم
الله ذاته وكذا القول فى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك • يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية عام مطرد فى الخير والشر
يلقى كل احد ما عمل منهما • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

يحتج به على وجوب متابعة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً وانهما منه للوجوب
لانه جعل متابعته لازما لمحبة الله عز وجل لانا نفرضها مقدمة استثنائية
هكذا الواجب زيد الله لا تبع رسوله فقد وقع اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
فيها بالباء وهو اللازم ومحبة الله عز وجل لازمة واجبة ولازم الواجب
واجب فاتباع النبي صلى الله عليه وسلم واجب ثم اتباعه تارة يكون بامتثال
امره واجتناب نهيه وتارة بموافقته في فعل مثل فعله وترك مثل ما ترك
لاجل انه فعل وترك وذلك يقتضي ان امره وفعله يقتضيان الوجوب وفيهما
خلاف وتفصيل • قل اطيعوا الله والرسول هو امر بطاعة الرسول والامر
للوجوب ونظم الدليل هكذا طاعة الرسول مامور بها وكل مامور به
واجب فطاعة الرسول واجبة ثم طاعته تكون بامتثال امره فامره واجب
الامتثال لكن في هذا دور اذ هو بناء لكون الامر للوجوب على نفسه اذ
صار تقديره امتثال امره واجب لان الامر للوجوب • فان الله لا يحب
الكافرين دليل خطابه انه يحب المؤمنين ويؤكد هذا قوله عز وجل والله
ولي المؤمنين الله ولي الذين امنوا ولا يتولى الا من يحبه وحينئذ يستفاد
من الاية ان عاقبة المؤمنين الرحمة والسلامة من الخلود في النار لان كل
مؤمن محبوب لله عز وجل وكل محبوب لله عز وجل مرحوم فكل محبوب لله
عز وجل مرحوم سواء سلم من العذاب بالكلية او عذب مدة ثم يرحم
ان الله اصطفى ادم ونوحا الاية يحتج به من يقول ان ادم عليه السلام كان
رسولا اخذا من لفظ اصطفى واقترانه بجماعة من المرسلين وليس بنص
فيه وفي المسئلة خلاف وهي من مسائل النبوات • على العالمين اي على عالمي
زمانهم او على من عدا محمد صلى الله عليه وسلم • واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم عام في ذرية مريم وهم المسيح واخوته من يوسف
النجار فيما قيل وقد صح في البخاري ان عمار بن ياسر كان محفوظا من الشيطان
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فلعله كان ينزع الى هذه الذرية من جهة
بعض امهاته او بسبب ما كالرضاع ونحوه • كلما دخل عليها زكريا المحراب
وجد عندها رزقا الاية يحتج بها الجمهور على ثبوت كرامات الاوليا خلافا
للمعتزلة في انكارها وانما يصح الاستدلال المذكور على القول بان مريم لم
تكن نبية اما ان قيل انها كانت نبية فلا حجة فيه اذ يكون ذلك من قبيل
المعجزات لا الكرامات وقد اختلف في مريم وام موسى وسارة زوجة ابرهيم
واسية امرأة فرعون هل كن نبيات ام لا على قولين للعلماء اصحهما لا
واختلف من الرجال في طالوت والاسكندر والخضر ولقمن هل كانوا انبياء

ام لا على قولين اصحهما لا ذكر ذلك ابن حزم في كتاب الاجماع له • قال رب انى
يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء
الاية هذا من خوارق العادات اعني ولادة العاقر فهو معجزة لزكريا عليه
السلام • قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا فيه مسائل الاولى
جواز جعل العلة الشرعية امرا سلبيا عدميا نحو ليس بمكيل فلا يجري فيه
الربا ونحوه لان علل الشرع الفرعية امارات ومعرفات لا موجبات ومؤثرات
لان الله عز وجل جعل الامارة على ولادة امرأة زكريا عدم كلامه ثلثة ايام
واذا جاز ذلك في معجز نبوي فهو في حكم فرعي اجوز الثانية ان قوله
عز وجل الا رمزا استثناء متصل او منقطع فيه خلاف واحتمال الثالثة
لو حلف لا يكلم زيدا فرمز اليه او غمزه بما يفهم به عنه انبنى على الخلاف
ان قلنا الاستثناء المذكور متصل فالرمز كلام يحنث به والا فلا •
يا مريم ان الله اصطفاك يحتج به من يرى نبوتها كما مر نحو ان الله اصطفى ادم
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وليس بنص في ذلك كما سبق واصطفاك ك
على نساء العالمين وصواحباتها نبيات فهن افضل من فاطمة وخديجة وعائشة
وان قلنا ليس بنبيات احتمل انهن ايضا افضل للخلاف في نبوتهن واحتمل
التسوية بين الجميع تخصيصا لهن بادلتهن الخاصة من بين النساء واحتمل
تفضيل فاطمة على الجميع لقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة سيدة نساء اهل الجنة
فاطمة بضعة مني وبضعة النبي صلى الله عليه وسلم لا يعدل بها شئ وهو اظهر
الاحتمالات ان شاء الله عز وجل • يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي يحتج
به من يرى ان الواو لا تقتضي الترتيب لتقديم السجود على الركوع واجيب
بان في شرعهم كان ترتيب الصلوة هكذا فقد افادت الترتيب في ذلك الشرع
والاظهر انها للجمع المطلق لا للترتيب فاذا قلنا قام زيد وعمرو احتمل قيامهما
معا ومتعاقبين ومع التراخي وكون زيد قام قبل عمرو وبالعكس وسنذكر
المسئلة غير هاهنا ان شاء الله عز وجل • ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما
كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الاية هي احتجاج على صحة نبوة
النبي صلى الله عليه وسلم وتقريرها ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد اخبر بغيب لم
يحضره ولم يخبره به مخبر سوى الله عز وجل وكل من اخبر بغيب كذلك فهو
نبي صادق فمحمد صلى الله عليه وسلم صادق اما الاولى فلانه اخبرهم بما كان
من امر زكريا عليه السلام ومريم ولم يحضره قطعا ولم يخبره به سوى الله
عز وجل اذ لم يكن كاتبا ولا مؤرخا ولا خالط احدا ممن هو كذلك حتى يخبره
واما الثانية فلان من كان كذلك يعلم قطعا انه علم ذلك الغيب بوحي وكل من

اوحى اليه الوحى الحقيقى فهو نبى ويستفاد من هذا ان واصف اللقطة اذا اصاب
صفتها يجب دفعها اليه لانه اذا وصفها والتقدير انه لم يحضر عند التقاطها
ولا اخبره بها الملتقط ولا غيره دل على انه صاحبها لانحصار القسمة فى ذلك
قوله عز وجل فى صفة عيسى اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً فى
الدنيا والاخرة ومن المقربين اعلم انا قد نهينا عن التفضيل بين الانبيا
لكن قد بلغنا عن بعض الناس انه يفضل موسى على عيسى فخالف النص واخطا
الصواب وغرضنا الرد عليه لا غير وبيانه ان الله عز وجل لما اثنى على موسى
عليه السلام قال وكان عند الله وجيهاً وقال فى عيسى عليه السلام وجيهاً
فى الدنيا والاخرة ومن المقربين وهذا الثناء ابلغ فالمثنى عليه به افضل
ولان موسى ذو اية وعيسى فى نفسه اية وموسى كليم وعيسى روح ولو بمجرد
الاضافة ولان موسى حين يستشفع الناس به فى الموقف يذكر ذنبا يمتنع
به من الشفاعة وعيسى لا يذكر ذنبا ولان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل
الانبياء وعيسى اقرب اليه والاقرب من الافضل افضل وقد يعارض هذا
كله بان مكان موسى من السماء ارفع من مكان عيسى كما صح فى حديث المعراج
وليس بقاطع فى كونه افضل لاحتمال ان ذلك لكون عيسى على عزم النزول الى
الارض كما يكون الجالس فى التشهد الاول غير متورك بل كانه على الرضف مستوفزا
لكونه على عزم النهوض ولغير ذلك من الاسرار ولان الاجماع على ان جبريل
افضل الملائكة مع ان فوقه فى المكان خلقا كثيرا منهم وبالجملة فارتفاع
المكان لا يدل على ارتفاع المكانة • ويكلم الناس فى المهد هذه من ايات عيسى
والكلام على اصل اهل السنة مخلوق لله عز وجل كسائر الافعال فجاز ان
يخلقه على لسان الطفل وغيره والذين تكلموا فى المهد عيسى وصاحب جريج
وابن صاحبة الاخدود وابن المراة الذى راى امراة تضرب فقال اللهم
اجعلنى مثلها وراى رجلا ذا يسارة فقال اللهم لا تجعلنى مثله وشاهد
يوسف عليه السلام على خلاف فيه وهذه من مسائل النبوات من المعجزات
قالت انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
ان قلنا ان مريم نبية فهذا معجز لها ولابنها وان قلنا ليست بنبية
فهو معجز لابنها وكرامة لها كما كان رد الشمس على القول باثباته معجزا
للنبى صلى الله عليه وسلم وكرامة لعلى رضى الله عنه وخلق بشر لا من
اب بل ولا من ام ايضا ممكن لذاته وانما اطردت العادة بخلافه فصار
وجوده غريبا خارقا وقد احال الله عز وجل به على القدرة فقال عز وجل
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون • انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير

فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله هذا من معجزاته عليه السلام جعل الله
عز وجل فى روحه قوة تتعدى الى الطين فيصير طيرا وهو روح القدس
على احد الاقوال فيه وهو كالنار توقد غيرها ولا تنقص • وابرئ الاكمه
والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم
هذه كلها من معجزاته والمعجز امر ممكن خارق للعادة مقرون بالتحدى
خال عن المعارض ومعجزات الانبياء عليهم السلام كلها داخلة تحت هذا
الحد • ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم يعنى فى شرع موسى عليه السلام
احل لهم السبت ولاجله حاولت اليهود قتله بناء على ان احكام التورية
مؤبدة عندهم وقد بينا بطلان ذلك فى مسئلة النسخ وتغيير المسيح
له مع صحة نبوته ووضوح برهانه ومعجزته دليل على جواز النسخ وكذب
اليهود فى دعوى التابيد او تاويله على ما سبق بيانه وعند المسلمين فى
بقاء تحريم السبت عليهم قولان قوله عز وجل قال من انصارى الى الله
قيل معناه مع الله والصواب انها على اصلها فى انتهاء الغاية اى من انصارى
لاصل الى اقامة امر الله او انه ضمن انصارى معنى اصحابى لان الناصر صاحب
والصحبة لا بد لها من مقصد وغاية وهى ههنا الوصول الى الله عز وجل وكذا
القول فى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم • وارجلكم الى الكعبين فيهما الخلاف
يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى اختلف فيه فقيل مات ثلاث ساعات
وصلى عليه فى السماء ثم عاش وقيل لم يمت الى الان ولا يموت حتى يقتل
الدجال ثم يموت بعد مدة ويدفن فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك
بسؤاله ان يكون له نصيب من جهاد امة محمد صلى الله عليه وسلم واجيب
ورزق افضل جهادها جهاد الدجال ومعنى الاية على هذا انى رافعك ومتوفيك
بعد الرفع بناء على ان الواو لا تقتضى الترتيب • وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة احتج به النصارى على طريق الالزام
على انهم افضل الامم قالوا لانا نحن الذين اتبعوه وقد حكم القران باننا
فوق الذين كفروا به فكل من خالفنا فى مقالتنا فى المسيح فنحن فوقه وافضل
منه بنص القران والجواب لا نسلم انكم اتبعتموه بل انتم اول من خالفه
وكفر به اذ هو يقول انا عبد الله ورسوله وانتم تقولون انه الاله وقد ورد
القران بانه يتبرا منكم واعتذر الى الله عز وجل مما قلتم وانما الذين اتبعوه
هم المسلمون الذين اعتدلوا فيه فقالوا عبد الله ورسوله لم يفرطوا فيه
افراط النصارى فاتخذوه الها ولا فرطوا تفريط اليهود فقذفوه وعلى
زعمكم قتلوه يدل على هذا انه جعل العلامة ان يجعل الذين اتبعوه فوق

الذين كفروا الى يوم القيمة والمسلمون هم بحمد الله عز وجل الظاهرون على غيرهم
الى يوم القيمة ان شاء الله عز وجل ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون
فاما الذين كفروا • واما الذين امنوا الايتين عام مطرد بشرط الموافاة
على الكفر والايمان • ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون هذا جواب عن شبهة احتج بها النصارى على الهية المسيح
وصورة الشبهة ان المسيح اية فى نفسه لوجوده على خلاف مطرد العادة من
غير اب وكل من كان كذلك فهو اله وتقرير الجواب لا نسلم المقدمة الثانية
اذ هى باطلة بادم قيل له كن فكان لا من اب ولا ام ثم ليس هو الها ولو
كان ما زعمتم يقتضى الالهية لكان ادم احق بها لانه اغرب واعجب
واقعد فى خرق العادة ثم ان بعض النصارى يفرق بين ادم وعيسى
بانه مولود خرج من الرحم بخلاف ادم والجواب ان هذا الفرق لا اثر له
بل هو مقرر لضعف دعواكم لان كونه مولودا يقرر له حكم البشرية
والانسانية وذلك ينافى الالهية • فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا
وانفسكم الاية فيها بحثان مع النصارى والشيعة فان نصارى نجران
وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم ليجادلوه فى الهية المسيح ورئيسهم
يومئذ العاقب والسيد وعبد المسيح فقالوا يا محمد هل تعلم بشرا يولد
من غير اب فان لم يكن المسيح الها فمن ابوه فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم
هل تعلمون ولدا الا من جنس ابيه قالوا لا قال فان كان المسيح ابن الله كما
زعمتم وجب ان يكون ابوه مثله وهو مثل ابيه فافحمهم ثم انهم عاندوا وطلبوا
المحاجة بعد هذا الانقطاع فامر النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعوهم الى المباهلة
فدعاهم وتواعدوا والوقت معلوم فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم عليا والحسن
والحسين وفاطمة خلفهم حتى جاء للموعد فلما راه النصارى ومن معه
عرفوا الحق وقال بعضهم لبعض انا لنرى وجوها ان دعوا علينا اضرم
علينا الوادى نارا فاحترقنا فوادعوا محمدا صلى الله عليه وسلم واعطوه
ما اراد من الجزية او اسلموا معه ولا تباهلوه فقالوا اما الاسلام فلا
واما الجزية فنعم ففعلوا ذلك وصالحوه على شئ كثير من سلاح وكراع
ومال وغيره ثم انصرفوا ثم بعد مدة عاد السيد فاسلم فى اخرين معه
او كما قيل هذا ما يتعلق بالاية مع النصارى واما البحث فيها مع الشيعة
وانهم احتجوا بهذه القصة على ان اهل البيت هؤلاء الاربعة افضل الناس
بعد النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة والقرابة وعلى ان عليا افضل

من

من ابى بكر وفاطمة افضل من عائشة وقرروا هذه الدعاوى من حيث الجملة بوجوه
احدها انه عليه الصلاة والسلام عول على هؤلاء الاربعة فى اهم الامور وهو
اثبات التوحيد على منكريه دون غيرهم وكل من عول عليه فى اهم الامور دون
غيره فهو افضل الوجه الثانى انهم منصوص عليهم للمباهلة فى القران من السماء
وكل من كان منصوصا عليه من السماء فهو افضل الوجه الثالث ان الجهاد
ضربان روحانى وجسمانى والروحانى افضل ثم انه عليه الصلاة والسلام جعل
هؤلاء القوم جنده فى افضل الجهادين وهو الروحانى فكانوا افضل من
جنده فى الجهاد الجسمانى ثم كان على افضل اهل البيت لاجتماع الجهادين له اما
الروحانى ففى هذا المقام واما الجسمانى فكم له فيه من مقام الوجه الرابع
ان نساءه فى هذا المقام المشهود كانت فاطمة ونفسه كان هو عليا فوجب ان
يكونا افضل من عائشة وابى بكر الوجه الخامس لو كان ابو بكر وعمر وعائشة
وحفصة فى طبقة اهل البيت فى الفضيلة لاخرجهم معهم للمباهلة لان اهل
الفضل انما يدخرون لاوقات الكروب كما ان الشجعان انما يدخرون للحروب
وقصة المباهلة على معنى ما ذكرناه ثابتة فى صحيح مسلم وهى بيان للاية
وما من اله الا الله اثبات للتوحيد ردا على النصارى فى التثليث وهذه
كلمات معناها التوحيد مجموعة من القران يقال ان من حافظ على تلاوتها
وجد بركتها وهى لا اله الا الله ءاله مع الله كلا بل هو الله من اله غير الله
ما من اله الا الله العزيز الحكيم • يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما
انزلت التورية والانجيل الا من بعده الاية هذا اصل فى استدلال اصحاب
الحديث على كذب الكذابين فيه بالتاريخ بان يروى احدهم عمن مات قبل
ولادته او يؤرخ سماعه منه بوقت قد مات قبله مثل ان يقول حدثنى فلان
سنة ست عشرة ووفاة فلان سنة خمس عشرة وهو اصل فى استخراج
كذبهم ومرجعه الى هذه الاية لان اليهود والنصارى جادلوا فى ابرهيم
وادعت كل طائفة انه كان على دينها فقيل لهم اديانكم وكتبكم وهى التورية
والانجيل انما ظهرت بعد ابرهيم بدهر طويل فكيف يكون عليها مع انه كان
قبلها وهو نظير قول المحدث للراوى الكاذب فلان مات قبل ان تولد
فكيف سمعت منه هذا محال • ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم
تحاجون فيما ليس لكم به علم هذا حجة على ان شرط صحة المناظرة ان
تكون فى علم يعلمه المناظران اما ان يناظرا فى علم لا يعلمه احدهما فلا اذ
مقصودها تحقيق الحق وابطال الباطل بالدليل ومن لا يعرف ذلك العلم لا
يمكنه ذلك وانما هو كالاعمى يريد الكتابة وهذه تتعلق باصول الفقه لان

الجدل مذكور في اواخره في كثير من الكتب • ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه
اى في عصره • وهذا النبى والذين امنوا يعنى محمدا وامته لا اليهود والنصارى
وما يضلون الا انفسهم يحتج به القدرية فى ان الانسان يضل نفسه لا ان
غيره يضله واجاب الجمهور بان الله عز وجل يضله خلقا وهو يضل نفسه
اختيارا وكسبا او يضله بالسبب الابعد ويضل هو نفسه بالسبب الاقرب
كما سبق فى موضعه • يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون
اى بصحتها وهو انكار شديد عليهم وفيه دليل على عظيم قبح شهادة الزور
وانه جدير بان يكون احدى الموبقات لان شاهد الزور يشهد بالشئ وهو
يعلم صحة بطلانه وينفى الشئ وهو يعلم ثبوته فاشبه اليهود فى كفرهم بما
علموا صحته وقد نهى عن التشبيه بهم نهيا مغلظا وكذلك وتكتمون الحق
وانتم تعلمون وجه النهار اوله ووقت اقباله بدليل مقابلته باخره
تشبيها له بوجه الحيوان لانه اول جسده وهو مجاز محل الكلام فيه اصول
الفقه • قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء يختص برحمته من يشاء
حجة على ان مناط الفضل والرحمة والخير والبركة انما هو مشية الله عز
وجل لا استعداد المستعد ولا سعى الساعى ولا حزم الحازم ولا عجز العاجز
ونحوه وانما تلك اسباب اذا تعلقت المشية بشئ قدرت اسبابه اختيارا
والا اضطرارا • ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك الاية
يستشهد بها على مفهوم الموافقة وهو ما يكون المفهوم فيه اولى بالحكم من
المنطوق لان من يؤدى قنطارا اولى باداء الدينار ومن يمنع دينارا
اولى بمنع القنطار وهو من باب ولا تقل لهما اف واعلم ان الحكم اما
ان يستفاد من منظوم الكلام وهو المنطوق او من مفهومه وهو اما ان
يكون اولى بالحكم من المنطوق وهو مفهوم الموافقة او لا يكون اولى به
وهو مفهوم المخالفة نحو كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفى سائمة
الغنم الزكوة والى هذه القسمة ترجع الالقاب الكثيرة نحو مفهوم الخطاب
ودليله وفحواه ولحنه وما كان من ذلك • ولا يكلمهم الله يوم القيمة دليل
خطابه انه يكلم ويزكى من ليس كذلك ممن وفى بعهده ولم يشتر بعهد الله
عز وجل ويمينه ثمنا قليلا • ولكن كونوا ربانيين الاية تدل على ان من
علم الكتاب وعلمه ودرس كان ربانيا وهو مشاهد ودل صدر الاية وهو
ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا
عبادا لى من دون الله على انه لا احد من البشر ينبغى ان يكون الها حقيقيا
وهى قضية سالبة دائمة ان لم تكن ضرورية وهى تنعكس كنفسها اى لا

واحد له من الالهية الحقيقية ينبغى ان يكون بشرا وهو مبطل لمذهب النصارى
فى اعتقادهم الهية المسيح والكلام معهم طويل • ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا فيه رد على اليهود والنصارى حيث تالهوا عزيرا والمسيح
وعلى الصابئة حيث عبدوا الملائكة والكواكب ومستند الرد ان هؤلاء كلهم
حادثون لما سبق فى بيان حدوث العالم ولا شئ من الحادث باله فلا شئ
من هؤلاء باله وهو واضح • واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية فيها مسئلتان
احداهما جواز التكليف بالمعدوم بشرط وجوده لان الله عز وجل اخذ ميثاق
النبيين عليهم السلام على نصرة محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به فى الزمن
القديم وليس حينئذ موجودا لكن بشرط وجوده فى عصره الثانية
قال اقررتم واخذتم على ذلكم اصرى فيه مستدل لمن اشترط فى صحة
الرواية اقرار الشيخ بان يقال له حدثكم فلان او سمعتم فيقول سمعت
او نعم وهو مذهب من شدد فى الرواية والصحيح انه متى علم اقراره بالسماع
ونحوه بنص منه او قرينة جازت الرواية • ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل
منه عام مطرد • ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية عام مطرد فى عدم قبول
الفدية منهم ولحوق العذاب الاليم بهم وعدم الناصر لهم • كل الطعام كان
حلا لبنى اسرائيل عام خص بالاستثناء بعده • اتقوا الله حق تقاته
قيل عام خص بقوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم وقيل عام اريد
به الخاص وقيل منسوخ به فى البعض وهو ما لا يستطاع ولعلك تطلب
الفرق بين العام المخصوص والعام الذى اريد به الخاص وهو فرق مهم وهو
ان المتكلم اذا اطلق اللفظ العام فان اراد به بعضا معينا فهو العام يراد
به الخاص وان اراد سلب الحكم عن بعض منه فهو العام المخصوص مثاله
قام الناس فان اردت اثبات القيام لزيد مثلا لا غير فهو عام اريد به
الخاص وان اردت سلب القيام عن زيد فهو عام مخصوص وايضا العام يراد
به الخاص انما يحتاج الى دليل معنوى يمنع من ارادة الجميع فيتعين له البعض
والعام المخصوص يحتاج الى مخصص لفظى غالبا كالشرط والاستثنا والغاية
والصفة والمنفصل نحو قام القوم ثم يقوله ما قام زيد • واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا يحتج به وبامثاله من ذم الفرقة والنهى عنها من
ينكر الخلاف فى الفروع وتقريره ان الخلاف مطلقا مذموم ولا شئ
من المذموم بمشروع فالخلاف مطلقا ليس بمشروع فان اضطر اليه
لتعارض الامارات والماخذ فليجتهد فى تقليله ما امكن على ما تقرر فى
كتاب عمدة الاخلاف فى تقليل الخلاف • وكنتم على شفا حفرة من النار

فانقذكم منها يحتج بظاهره من يرى ان ما قارب الشئ يعطى حكم ذلك لان
هؤلاء المخاطبين كانوا قد قاربوا الوقوع فى النار فاعطوا حكم من وقع فيها ثم
اخرج منها اما ان تاولناه على معنى فانقذكم من الوقوع فيها على تقدير حذف المضاف
لم ينهض حجة على ذلك • ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر الاية فيها ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية
لان المامور به بعض الناس ويلزم منه جواز الايجاب على الكفاية خلافا لمن
منعه لانه ايجاب على مبهم مجهول فى ذلك غير معقول والجواب بمنع انه غير
معقول اذ لا يابى العقل ان يوجب السيد على جماعة عبيده عملا ان تركوه
عاقبهم وان فعلوه سلموا من العقاب سواء فعله جميعهم او بعضهم و لا
يعين لفعله احدا منهم وقياسا على الواجب المخير اذ هو تكليف ببعض
غير معين وعلى الواجب الموسع اذ هو تكليف فى زمن غير معين والمسائل
الثلاث من مادة واحدة اذ هى مشتركة فى تعلق الحكم بالقدر المشترك •
وما الله يريد ظلما للعالمين يحتج به المعتزلة على ان الظلم الواقع فى العالم
ليس من الله عز وجل بخلق ولا ارادة وتقريره ان الله عز وجل نفى ان يريد
ان يظلم هو احدا ولو كان الظلم الواقع منهم مخلوقا او مرادا له ثم عاقبهم
عليه لكان ظالما لهم وذلك مع كونه لا يظلمهم مما لا يجتمع وجواب الجمهور
بمنع هذه الملازمة فلا نسلم انه لو خلق الظلم فيهم ثم عاقبهم عليه كان
ظالما ومستند المنع ما قررناه فى سر القدر • كنتم خير امة اخرجت للناس
ربما تعلق به بعض الجهال فى الطعن على الامة بان قال كنتم خير امة ثم انقلبتم (معنى ج)
عن الخيرية كما يقال كانت دولة فلان وانقضت وكان الناس كراما ثم حالوا
عن الكرم والجواب ان هذا جهل بالكلام واقسامه فان هذا انما يصح ان لو
كانت كان ههنا ناقصة وليست كذلك بل هى تامة تقديره وجدتم خير امة
نحو اذا كان الشتاء اى اذا وقع • وان كان ذو عسرة اى وجد تامرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله فيه ان هذه الخصال الثلاثة هى جماع
الخير وملاكه لانه عز وجل فسر خيرية الامة بها • وتؤمنون بالكتاب كله
عام مطرد • قل موتوا بغيظكم هذا امر تعجيز وتحسير اى انكم عاجزون
عن كيدنا وبحسرته تموتون • عليم بذات الصدور عام مطرد • وما النصر
الا من عند الله هذا عموم وخصوص تضمن عموما مطردا وكذلك كل جملة
تضمنت نفيا بما واثباتا بالا فقوله عز وجل ما النصر عام اى ما النصر موجود
ثم خص بالاستثناء بعده وهو الا من عند الله فحصل منهما عام مطرد تقديره
النصر كله من عند الله • ليس لك من الامر شئ عام مطرد اذ هو نكرة فى سياق

نفي

بلغ مقابلة

نفي وهو شبيه بقوله عز وجل انك لا تهدى من احببت فى الدلالة على استبداد
الله عز وجل بالتصرف فى خلقه من غير مشارك • لا تاكلوا الربا اضعافا
مضاعفة هذا خرج مخرج الغالب او حكاية حالهم فى اكل الربا او التعريض
بالتشنيع على اكلته كذلك فلا مفهوم حتى لو اكله اكل لا اضعافا مضاعفة
لكان حراما ايضا • وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فيه اثبات
رسالته صلى الله عليه وسلم وسياتى البرهان عليها فى سورة الفتح ان شاء الله
عز وجل • افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم زعمت الشيعة ان هذا تعريض
من الله عز وجل بارتداد الصحابة وانقلابهم على اعقابهم بعد موت النبى
صلى الله عليه وسلم قالوا والنبى صلى الله عليه وسلم علم ذلك فاكد فى نهيهم
عنه بقوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض لا ترجعوا بعدى
ضلالا الحديث ثم لم يكفه ذلك حتى اخبرهم بانهم سيؤخذ بهم يوم القيمة عن
الحوض ذات الشمال الى النار حتى لا يخلص منهم الا مثل همل النعم قالوا وقد
كان ذلك منهم بانحرافهم عن امامهم المنصوص عليه وهو على الى غيره واجاب
الجمهور بانا لا نسلم فى ان الاية تعريضا بما ذكرتم وانما هو جملة شرطية دخل
عليها حرف الاستفهام فافادت تشجيعهم على القيام بالامر معه ومن بعده
وقد فعلوا واما قوله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدى كفارا فهو نهى لهم
عن مثل ما خلفت به الامم السالفة انبياءها من الكفر وقد امتثلوا فلم
يكفروا وما كان بينهم من الحروب والدماء فعن تاويل واجتهاد هم فيه
معذورون بل وماجورون واما المأخوذ بهم ذات الشمال الى النار فمحمول
على اهل الردة الذين ماتوا عليها • ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد
ثواب الاخرة نؤته منها عام مخصوص بمن شاء الله عز وجل ان ينال ذلك
ووفق لاسبابه بدليل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد
سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب اى بما نخلق فيها من اسباب الضعف
والجبن ونقرره فيها من مقدمات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وهو من
مادة يرونهم مثليهم رأى العين ونحوه • قل ان الامر كله لله اى التصرف فى
الوجود له عز وجل يتصرف فى لطيفه وكثيفه علويه وسفليه فى العقول
والنفوس والافلاك والارواح والطبايع وغيرها من العوالم لا تصرف فى
شئ من ذلك فى الدنيا والاخرة لغيره عز وجل واليه يرجع الامر كله • والى الله
ترجع الامور وان الى ربك المنتهى • لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم
القتل الى مضاجعهم يعنى بقدرة الله عز وجل وقضائه وقدره الغالب النافذ
ومستند ذلك وسببه ما يلقى ويخلقه فى النفوس من دواعى البروز الى القتال

نسخه

والصوارف عن القرار في البيوت بما تسول للانسان من لذة الظفر بخصمه
والغنيمة ونحوه فاذا خرج ضعفت اسبابه وانعكس حسابه ولخذت اسلابه
كما جرى للكفار ببدر اذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم ونحو ذلك
وكشف السر عن خلق الدواعي والصوارف وتحقيق كيفيته مما لا يليق مع كل
احد وهو اذا حقق انتقضت قوى القدر وانعزل الصواب عن اهل الاعتزال
وهذه كقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة
وقول الشاعر فان المنية من يخشها ٭ فسوف تصادفه اينما ٭
اي اينما ذهب وقول علي رضي الله عنه ٭ في اي يومي من الموت افر ٭
ايوم لم يقدر ام يوم قدر ٭ ونظائره كثيرة ٭ ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاية فيها مسائل للشيعة
الاولى ان هذا كان يوم احد ففر عثمان وثبت علي فدل على ان عليا افضل
لانه سلم من هذه اللائمة الثانية ان الفرار من الزحف كبيرة خصوصا
عن النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الضايقة وقد اتاها عثمان الثالثة دلت
الاية على ان فرار عثمان انما كان عقوبة على ذنب اخر اتاه لقوله عز وجل انما
استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا فكان عقوبة الذنب ذنبا مثله واجابت
السنة بتمام الاية وهو قوله عز وجل ٭ ولقد عفى الله عنهم والذنب المعفو
كغير المعمول ولو ساعد الدليل على ان يحمل تولي عثمان واصحابه توليا مباحا
اما تحرفا لقتال او تحيزا الى فئة لكان اولى لكنه لا يساعد اذ لو كان كذلك لما
لحقتهم اللائمة ولا احتاجوا الى العفو وبما اجبنا به اولا اجاب ابن عمر عن
عثمان مع معرفة ابن عمر بحقيقة الواقعة ٭ لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
هذا قول القدرية المعتقدين لكون الانسان يخلق الموت والقتل واسبابه فلو
لم يخلقه لم يقع فرد الله عز وجل ذلك عليهم بانه هو الذي يحيي ويميت بما يخلقه
من الموت والحيوة على ايدي خلقه ويجبرهم على اكتساب اسبابه وانما خذل
القدرية حتى اعتقدوا معتقدهم ليجعل ذلك حسرة في قلوبهم يتندمون
على فعلها كلما ذكروها تعجيلا لجزء من عذاب القدر لهم في الدنيا قبل الاخرة
قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم اي بذنوبكم فعله الله عز وجل بكم وليس
المراد انكم خلقتموه كما زعم القدرية بدليل قوله عز وجل ٭ وما اصابكم يوم التقى
الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين اشارة الى تعليل هذا الفعل بهذه الحكمة
ويحتج به على ان افعاله عز وجل معللة بالعلل الحكمية ٭ هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان يحتج به المعتزلة في اثبات المنزلة بين المنزلتين وعلى ان المنافقين
لا كفار ولا مؤمنون كالخنثى بين الذكر والانثى لان الكلام هنا في المنافقين

ولم

ولم يقطع لهم باحد الطرفين بل جعلهم الى الكفر اقرب منهم للايمان وهو يدل على
ما ذكرنا وكذلك المعتزلة قالوا المؤمن اذا اتى الكبيرة خرج عن الايمان لفسقه ولم
يدخل في الكفر لبقاء اسلامه وتوحيده فهو اذن في منزلة بين منزلتين لا كافر
ولا مؤمن لو اطاعونا ما قتلوا كقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وقد
سبق ثم اجيبوا على جهة التعجيز والتكذيب فقيل لهم فادرءوا اي ادفعوا عن
انفسكم الموت ان كنتم صادقين لان من يدفع عن غيره اولى بان يدفع
عن نفسه وهم لا يستطيعون الدفع عن انفسهم كما تبين في الواقع فكذا عن
غيرهم ٭ بل احياء عند ربهم يرزقون يعني الشهداء يحتج بها على ان الارواح
اجسام لانهم وصفوا بعد القتل بالحيوة والرزق والفرح والاستبشار
وتلك صفات الاجسام ثم ان تلك ليست هي الاجسام الطبيعية التي كانت
قبل القتل لان تلك مشاهدة عندنا ليس لها شيء من الصفات المذكورة فدل
على انها صفات اجسام هي الارواح ولقايل ان يقول لعل الصفات المذكورة
للطير الخضر التي تتعلق بها ارواح الشهداء وتعلق من شجر الجنة وحينئذ
لا يدل على ان الارواح اجسام ٭ الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم
هذا عام اريد به الخاص كما مر في المقدمة ٭ انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه
اي يخوفكم اولياءه وفيه اثبات الشيطان والجن خلافا للفلاسفة ٭
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة هو يشوش مذهب المعتزلة من وجهين
احدهما ان هذا شر وقد اراده وهم زعموا انه لا يريد الشر الثاني انهم زعموا
انه يجب عليه اللطف ورعاية المصالح وهذا ينافي ذلك اذ لا مصلحة لهم في
حرمان حظهم من الاخرة وفي لزوم هذا لهم نظر ٭ انما نملي لهم ليزدادوا اثما
هذا ايضا ينافي رعاية المصالح لهم اذ مصلحتهم اذن في ان يعاجلهم ليكون
اقل لاثمهم بل في ان لا كان يبتليهم بل في ان لا كان يخلقهم ٭ ذلك بما
قدمت ايديكم يحتج به القدرية في ان فعلهم مخلوق لهم ويحمله الاخرون
على الكسب ومقتضى الجبر على ما عرف ٭ الذين قالوا ان الله عهد الينا
ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من
قبلي الاية ظاهره انه سلم لهم هذه الدعوى ثم الزمهم المناقضة وهو
قتلهم من جاءهم بذلك فان كان صادقا فلم قتلتموه وان كان كاذبا فقد
بطل كون القربان المذكور علامة على صدقه والتحقيق انه انما سلم لهم ذلك
على سبيل التنزل كانه قال لا اسلم ان الله عهد اليكم بذلك سلمناه لكن قد
قتلتم من هذه صفته فلزمكم ما ذكرناه ٭ كل نفس ذائقة الموت عام
مخصوص بنفس الله عز وجل ان وصف بان له نفسا وعالم الجنة ان قلنا

لايموتون وحينئذ تقديره كل نفس حادثة لم تخلق للبقاء ذائقة الموت فيختص
بالقيد الاول نفس الله عز وجل وبالثاني عالم الجنة ونحوه ممن خلق للبقاء
وانما توفون اجوركم يوم القيمة عام مطرد في توفية الاجور والحصر هو
للتوفية في ذلك اليوم • فمن زحزح عن النار الى اخره عام مطرد وكذا وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور وهو مثل وما النصر الا من عند الله في انه جمع عموماً
وخصوصاً حصل منه عموم مطرد • ان في خلق السموات والارض الايتين
فيهما اشارة الى كيفية النظر في شواهد الوجود الدالة على الصانع الموجود
كما في نظيرتها في البقرة غير ان هذه اخص من تلك واحق بهذا المعنى اذ فيها
التصريح بالتفكر في خلقهما ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤها وما
بعدها حين يقوم من منامه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ويل لمن قرأها
ثم لم يتدبرها • ربنا ما خلقت هذا باطلا اشارة الى وجه الاستدلال بها
وهو هكذا ربنا انت خلقت هذا ومن خلق هذا لم يخلقه باطلا فانت لم
تخلق هذا باطلا ولا عبثا نحو افحسبتم انما خلقناكم عبثا ففيه اشارة الى
الاستدلال على المبداء وهو الصانع وعلى المعاد وهو المرجع • ربنا اننا سمعنا
مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربما استشعر منه وجوب اجابة
الداعي بمجرد دعواه من غير معجز وليس كذلك بل لا بد من المعجز والنظر فيه
والا ادعى النبوة كل احد واذا كان مع اشتراط المعجز ظهر كذابون دجالون
يدعون النبوة فكيف لو لم يشترط وهذه الاية مطلقة او مجملة في اشتراط
المعجز قيدت او بينت بالاجماع والنظر على ما قد يأتي ان شاء الله عز وجل
ثوابا من عند الله يحتج به المعتزلة على مذهبهم في الاعمال لان الثواب هو العوض
فلولا ان اعمالهم التي استحق عليها الثواب من خلقهم لكان العوض والمعوض
من جهة واحدة وانه محال والكسبية قالوا هو ثواب على اكسابهم والجبرية
قالوا سمي ثوابا مجازا والا فكلاهما العمل والجزاء عليه من الله عز وجل القول
في سورة النساء يا ايها الناس عام مطرد خلقكم الضمير عام اذ جميع الناس
خلقوا من تلك النفس • واتوا اليتامى اموالهم عام مطرد في اليتامى تدفع اليهم
اموالهم بشرطه المذكور بعد • الى اموالكم اي مضمومة اليها فمعنى الغاية موجود
ولا ضرورة الى حملها على معنى مع • فانكحوا ما طاب لكم من النساء الاية عام
مطرد في الصفة خاص في لكم اي انكحوا هذا العدد المخصوص على اي صفة كن
من الصفات الطبيعية ونحوها • او ما ملكت ايمانكم عام خص بذوات محارمه
من نسب او رضاع اذا ملكهن لا يباح له وطئهن ونحو ذلك مما قام الدليل
على تخصيصه • واتوا النساء صدقاتهن نحلة عام خص بما وهبته المرأة

النساء

له او ابرأته منه او سقط بامر من جهتها فلا يجب ايتاء شيء من ذلك • ولا تؤتوا
السفهاء اموالكم عام مطرد لا يعطى السفيه شيئا من ماله ولا يصرف فيه وانما اضاف
مال السفيه الى الوصي لكونه تحت يده كماله وقيل فيه غير ذلك • وابتلوا اليتامى
عام مطرد اي اختبروهم فان صلحوا لتسليم المال اليهم سلم بشرط البلوغ والرشد
ومن كان غنيا فليستعفف عام مطرد • ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
وهو الاقل من كفايته واجرة مثله فلو كانت كفايته درهما كل يوم واجرة مثله
درهمين او بالعكس اخذ درهما لانه المعروف المتيقن استحقاقه • للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والاقربون الظاهر ان هذا النصيب بالارث فيكون عاما
مخصوصا بالعبد والقاتل والكافر من المسلم وبالعكس وبمن حجب فلم يرث
وكذا وللنساء نصيب اما ما ترك فعام ايضا يخص بالوصايا ونحوها وبالديون
لا نصيب للورثة في شيء من ذلك ولقايل ان يقول مقدار الدين لم يتركه الميت
فلا يتناوله العموم فلا يحتاج الى ان يخص وجوابه بالمنع بل هو تركه يتناوله
العموم بدليل ما لو ابرئ الميت من الدين تناول العموم مقداره بلا خلاف
نعم ذلك المقدار تعلق به حق الغير وذلك لا يمنع من دخوله تحت عموم التركة
واذا حضر القسمة اي قسمة الميراث • اولوا القربى يعني قرابة الميت الذين لا
ارث لهم • واليتامى والمساكين فارزقوهم منه عام في هذه الاصناف الا من
خص بدليل واعطاؤهم من الميراث على جهة الصدقة والتبرع والامر به ظاهر
في الوجوب ويحتمل الندب • ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما الاية عام
مطرد في اموال اليتامى ومن فرط فيها وخاص في الاكل اريد به العام اذ ليس
المراد خصوصه بل عموم تفويت اموالهم عليهم وانما خص الاكل لانه غالب ما
يغصب لاجله المال • يوصيكم الله في اولادكم اي في توريثهم • للذكر مثل
حظ الانثيين خص منهم من سبق من عبد وكافر وقاتل ومحجوب كابن الابن
يحجبه الابن وبنت الابن يحجبها بنات الصلب • اباؤكم وابناؤكم لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا عام مطرد فيهم اذ لا يعلم عاقبة النفع والضرر فيهم
الا الله عز وجل وفيه اشارة الى ان تفاوت انصباء الورثة بالقلة والكثرة
والارث والحجب لتفاوت نفعهم للموروث في علم الله عز وجل دنيا واخرى
ولكم نصف ما ترك ازواجكم وكذلك ولهن الربع مما تركتم عام في الازواج
والزوجات خص بمن لا يرث كالرقيق والذمي والقاتل فلو ترك زوجة
امة او ذمية او قاتلة لم ترثه وكذا لو تركت زوجا عبدا او قاتلا لم يرثها
ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله عام فيهما بشرط الموافاة على ذلك
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الاية عام في اتيان الفواحش غير ان الاية

منسوخة فى امساكهن فى البيوت بما شرع فيهن من الجلد والرجم والتغريب • انما
التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب
الله عليهم الاية هذا عام فى هؤلاء مطرد وعلى الله اى واجب منه بمقتضى صدق
وعده لا انه واجب عليه خلافا للمعتزلة اذ اوجبوا عليه قبول التوبة ورعاية
المصالح وفعل اللطف وازاحة العلل فى التكليف لانه لو لم يجب عليه لجاز له
تركه ولو تركه لكان ذلك قدحا فى الحكمة والعدل وانه محال وقال الجمهور
لو وجب عليه شئ من ذلك لكان فوقه موجبا على منه من شرع او عقل وانه
محال اذ الله عز وجل هو العلى المطلق فلا اعلى منه ولا نسلم انه لو ترك شيئا
مما ذكرتم لكان قدحا فى حكمة او عدل فلم قلتم ذلك فان الله عز وجل يتصرف
فى خلقه بحق ملكه التام واستعلائه العام وانما هذا من الخصم بناء على التحسين
والتقبيح العقلى وهو ممنوع • وليست التوبة للذين يعملون السيئات الاية
الى ولا الذين يموتون وهم كفار عام مطرد فى سلب قبول التوبة عن هذين
الفريقين لكنها انما تنقطع عن عامل السيئات عند حضور الموت ومعاينة
الملك ونحوه وهى مقبولة ما لم ييأس من الحيوة ان شاء الله عز وجل • لا يحل
لكم ان ترثوا النساء كرها عام فى الوارث والموروث وجهة الارث • واتيتم
احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا عام خص بما تراضيا عليه لتواهب
او تخالع كما سبق فى قوله عز وجل فلا جناح عليهما فيما افتدت به • ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء عام والاستثناء بعده منقطع فليس بمخصوص
نعم من يرى ان النكاح حقيقة فى الوطئ وان الزنا لا يوجب تحريم المصاهرة
يخص منه موطوءة الاب بالزنا فيبيحها للابن واختلف فى النكاح فقيل
هو حقيقة فى العقد وقيل فى الوطئ وقيل فيهما والاشبه انه فى الوطئ حقيقة
وضعية وفى العقد حقيقة عرفية مجاز لغوى ثم من يرى استعمال اللفظ
الواحد فى حقيقته ومجازه معا فقياس قوله التحريم بهما ومن لم ير ذلك غلب
احدى الحقيقتين فحرم بها دون الاخرى والاشبه الاول • حرمت عليكم
امهاتكم عام فيه من الطرفين كامه وامها وام ابيه وام جده ومن ولدتهن
وان علون • واخواتكم من الطرفين او احدهما • وعماتكم وخالاتكم كذلك
اذ العمة اخت الاب من الجهات الثلاث والخالة اخت الام منهن • وبنات
الاخ الذى هو من الجهات الثلاث • وبنات الاخت التى هى كذلك • وامهاتكم
اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم • عام فيهن من
النسب والرضاع • وربائبكم الواحدة ربيبة وهى بنت زوجته المدخول
بها دون غير المدخول بها فلو دخل بامراة حرمت عليه امها وبنتها ولو عقد

عليها ولم يدخل عليها حرمت عليه امها بالعموم وامهات نسائكم دون ابنتها
لخصوص من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ولا اثر لتخصيصهن بالحجور لانه
دليل خطاب خرج مخرج الغالب وليس بحجة خلافا لداود حيث يقول اباح
للرجل ربيبته التى ليست فى حجره لظاهر دليل الخطاب • وحلائل ابنائكم
الذين من اصلابكم خص به عموم مسمى الابناء فخرج منه ابناء التبنى لا النسب
كزيد بن حارثة بالنسبة الى النبى صلى الله عليه وسلم وسالم بالنسبة الى مولاه
ابى حذيفة فلا تحرم عليه زوجته وهو عام فى تحريم زوجة الابن وابن
الابن وابن البنت لانه من الصلب بواسطة امه البنت وان سفلوا فى هذه
البنوة • وان تجمعوا بين الاختين اى والجمع بين الاختين حرام عليكم
فاقتضى عمومه تحريم الجمع بينهما بالنكاح والملك وقوله عز وجل او ما
ملكت ايمانكم او ما ملكت ايمانهم جوازه بملك اليمين ومن ثم قيل احلتهما
اية وحرمتهما اية فمن ثم حرم الجمع بينهما بالنكاح اجماعا وخرج فيه بالملك
قولان للعلماء احدهما تحرم لعموم وان تجمعوا والثانى تباح لعموم او ما ملكت
ايمانهم ثم من حاول ترجيح الاباحة قال وان تجمعوا بين الاختين خاص بتحريم
النكاح فتبقى اباحة الجمع بينهما على عمومه من غير معارض ومن حاول ترجيح
التحريم قال او ما ملكت ايمانكم عام خص بامته المشركة والمجوسية لا تحل له
وان تجمعوا عام لم يخص وما لم يخص اولى بالاعتبار مما خص فيكون العمل
بمقتضاه اولى والاشبه الاول ثم قوله حرمت عليكم امهاتكم وحرمت
عليكم الميتة ذهب الكرخى الى انه مجمل لان عين الام والميتة لا تحرم وانما
المحرم هو فعل متعلق بها وذلك الفعل غير متعين لاحتمال انه من الام
وطئها او استخدامها او اجارتها وغيره من الافعال ومن الميتة اكلها
او بيعها او اتلافها ونحوه فكان النص فيها مجملا والجمهور على انه ليس بمجمل
والتحريم ينصرف الى الفعل المعهود وهو الاستمتاع بالام واكل الميتة وصار
ذلك كالحقيقة العرفية لمبادرة الذهن اليه خصوصا والاية مكتنفة
بذكر النكاح قبلها وبعدها نحو ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات فصار ذلك كالقاطع فى البيان وهذه من مسائل
المجمل والمبين • والمحصنات من النساء اى المزوجات يعنى ذوات الازواج
حرام عليكم هو عام خص بالاستثناء بعده • الا ما ملكت ايمانكم بالسبى لان
سبيهن يقطع عصمة نكاحهن فاذا اعترض الملك بابتداء الرق على النكاح
قطعه واباح واذا اعترض النكاح على الملك كالامة يزوجها السيد لم
يبح له وطئها • واحل لكم ما وراء ذلكم اى نكاح ما سوى المحرمات المذكورة

بحث المتعة

وهو عام خص بالسنة في تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها ونكاحهما عليها
ان تبتغوا باموالكم عام في جنس المال وقدره فيستدل به على جواز كون المهر
نقدا وعرضا من جماد وثياب وحيوان وجوهر او عرضا كالمنافع اذ هي كالمال
في مقابلتها بالعوض وعلى جواز كونه قليلا وكثيرا كخاتم حديد وقنطار ذهب
فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة احتج الشيعة بهذا على
جواز نكاح المتعة وهو عقد النكاح الى مدة معلومة مع باقي شروطه عند
الجمهور من خلوها من زوج وعدة وغير ذلك ولحوق النسب فيها ونحوه من
اثار النكاح وخالفهم الجمهور وحجة الشيعة من وجوه احدها هذه الاية
وجه استدلالهم بها قوله عز وجل واحل لكم ما وراء ذلكم وهو بعمومه
يتناول المتعة ثم قال فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن وهو عام
ايضا يتناولها مع انه صرح بلفظ مشتق منها وهو استمتعتم تنبيه
على انها مرادة من العموم لئلا يطمع طامع في تخصيصها او في عدم تناول
العموم لها الوجه الثاني ما روى جابر بن عبد الله قال كنا نتمتع او قال
تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وصدرا من
خلافة عمر بالرغيف والقبضة من الشعير حتى حرمها عمر في شان عمرو
ابن حريث او كما قال رواه مسلم قالوا وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم
اباحها ثم لم ينسخها حتى مات بحيث عمل بها في خلافة الشيخين عملا مشهورا
وايضا فتحريم عمر لها يقتضي بقاء اباحتها الى خلافته الوجه الثالث ما
روي عن علي انه قال لولا ان عمر حرم المتعة لما زنا الا شقي رواه ابن
شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له ويدل على ذلك ما روي من قول
عمر متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا احرمهما
يعني متعة الحج ومتعة النكاح فدل على ان اباحتها استمرت الى بعد موت
الرسول صلى الله عليه وسلم الوجه الرابع ثبت ان المتعة ابيحت قبل خيبر
او في ايامها ثم حرمت بحديث على الصحيح عند الخصم في ذلك وهو قوله
نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن المتعة وعن لحوم
الحمر الانسية رواه البخاري وغيره ثم ثبت اباحتها يوم الفتح اباحة
تواترت لانه عليه الصلاة والسلام اشاع اباحتها في جميع الجيش وهو
يومئذ اثنى عشر الفا ثم ادعى الخصم نسخها بخبر واحد وهو حديث سبرة
ابن معبد الجهني ونحوه والقاعدة ان الاحاد لا تنسخ التواتر فلنتمسك
بالتواتر في اباحتها حتى يرد لها ناسخ يساويه في القوة الوجه الخامس
حديث ابن مسعود حين تذاكروا المتعة عنده فتلا يا ايها الذين امنوا

لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وذلك يقتضي بقاء اباحتها وانها من الطيبات
ولا يخفى ذلك عن ابن مسعود عادة الوجه السادس اجماع اهل البيت على
اباحتها وهو عند الشيعة معصوم الوجه السابع ان المتعة غايتها انها
نكاح موقت فكان جائزا كالموقت في الدوام فيما اذا علق طلاقها بما يجب
وقوعه كطلوع الشمس ومجئ الليل ومن ثم اوقع مالك الطلاق في الحال
الحاقا للتوقيت الدوام بتوقيت الابتداء عنده الوجه الثامن اذا تعارضت
الادلة في المتعة فلنرجع فيها الى الاصل فيما قبل الشرع وهو الحل في الافعال
الوجه التاسع ان المتعة مذهب ابن عباس وهو حبر القران وبحر العلم وقول
الصحابي حجة عند كثير من علماء الجمهور الوجه العاشر ان المتعة فيها
توسعة على الناس بمستند شرعي وكل ما كان كذلك كان جائزا فالمتعة
جائزة والمستند الشرعي ما سردناه من الادلة على جوازها ولا يلزم عليه
الزنا اذ هي توسعة لانه لا مستند له من الشرع بل الشرع صرح بتحريمه
والاجماع منعقد عليه هذا ما استحضرته لهم على اباحة المتعة وقد رايت
لبعضهم على ذلك خمسة عشر وجها لم استحضر جميعها واكثر هذه الوجوه
الزامي للخصم اذ الشيعة لا تحتج باخبار الاحاد احتج الجمهور بوجوه
احدها قوله عز وجل فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف
والمتعة ليست من المعروف فيتضمن الجناح فتكون حراما الثاني حديث
علي رضي الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة يوم خيبر
والاصل بقاء ما كان على ما كان الثالث ان ائمة الحديث كمسلم وغيره نقلوا
حديث سبرة بن معبد نقلا مستفيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم
بتحريم المتعة والتغليظ فيها وتابيد تحريمها الى يوم القيمة بالفاظ
كثيرة مختلفة ومثل ذلك ينسخ به غيره الرابع اجماع الجمهور من الصحابة
ومن بعدهم على تحريمها وهو قاطع فلا يعارضه غيره الخامس ان ذات
المتعة لا زوجة ولا لورثت منه اذا مات ولا ملك يمين والا لما
جاز نكاحها له وحينئذ يكون حراما وهو بنكاحها عاد لقوله عز وجل
الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الايتين هذه حجج الفريقين
في المسئلة على ما حضر في الآن ولكل على حجة صاحبه اعتراض وجواب
يطول ذكره • فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب يعني اذا تزوجت الامة فعليها نصف حد
الحرة المحصنة وهو عام في تنصيف الحد خص بالتغريب فلا تغرب
ولا ترجم لعدم الاحصان الشرعي وانما تجلد خمسين جلدة فكانه قال

نصف ما على المحصنات مما يقبل التنصيف والجلد يقبله دون التغريب لانه
معنى بسيط لا يقبل التجزية بخلاف الضرب فانه مجموع حركات يقبل التجزية من
حيث هى مجموع فان قيل تغريب العام نصفه تغريب نصف عام فقد قبل التجزية
قلنا انما قبلها هنا باعتبار طرفه الزمانى لا بحسب ذاته اذ حقيقة التغريب
انه التفريق بينه وبين وطنه ومفهوم التفريق من حيث هو هو لا يعقل فيه
التجزية كضده الذى هو الجمع بينهما ٭ وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن
النكاح او عن نكاح الاماء خير لكم هو عام يخص بمن خشى بتركه العنت فانه
يشرع فى حقه وجوبا او ندبا ٭ ويهديكم سنن الذين من قبلكم قد يستشعر منه
ان من قبل هذه الامة افضل منها اذ جعلوا كالقدوة لها وهو مناقض لما سبق
من كونها خير امة اخرجت للناس والجواب انه لا نسلم انه يشعر بذلك ولو
اشعر به لكنه محتمل وغيره قاطع فلا يعارضه ٭ لا تاكلوا اموالكم بينكم
بالباطل عام مطرد والاستثنا بعده وهو الا ان تكون تجارة عن تراض منكم
منقطع فلا يكون مخصصا ٭ ولا تقتلوا انفسكم الاية اى لا تقتلوها
مباشرة ولا سببا فهو عام يخص فى المباشرة بما اذا قال الجانى للولى انا اقتص
لك من نفسى فرضى جاز ويقتل الجانى نفسه فى ذلك لان ذلك حق عليه
يؤديه او لان يده كيد الولى وفى التسبب بكل ما تضمن مصلحة مطلوبة شرعا
كالجهاد ونحوه مما سبق فى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ٭ ومن يفعل ذلك
عدوانا وظلما الاية عام مطرد وفى تقييده بالعدوان اشارة الى تخصيص ما قبله
اذ يدل على ان قتل الانسان نفسه قد لا يكون عدوانا وظلما فيجوز الا ان
يحمل هذا التقييد على عادة كانت او ان ذلك هو مقتضى قتل نفسه ٭ ان
تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فيه انقسام السيئات الى كبائر

مطلب فى بيان الكبائر هـ

وصغائر وان اجتناب جميع الكبائر مكفر لجميع الصغائر واختلف فى
الكبائر فقيل السبع المنصوص عليها وهى الشرك ٭ والقتل ٭ والسحر ٭ والقذف ٭
واكل مال اليتيم ٭ والزنا ٭ وشهادة الزور ٭ وزيد فيها فى حديث اخر التولى
عن الزحف واكل الربا وقيل هى سبعون موزعة على الجوارح وقيل هى ما
ترتب عليه حد فى الدنيا او وعيد فى الاخرة وقيل هى المنصوص عليه
وكل معصية ساوى قبحها ومفسدتها واحدة من المنصوص عليه وهو اجود
الاقوال ما ذكر منها وما لم يذكر وقيل لا صغير فى الذنوب بل كلها كبائر نظرا
الى عظم المعصى كما قيل لا تنظروا الى صغر الذنوب ولكن انظروا على من
اجترأتم وهو خلاف مقتضى هذه الاية وقوله عز وجل الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم وتكفير الصغائر باجتناب الكبائر مناسب

عرفا وشرعا اما عرفا فلان الملك اذا اطاعته الرعية ولم تنازعه ملكه وكان
حليما صفح لها عن سائر ما يصدر عنها من الجرايم واما شرعا فلان الشخص
اذا اجتنب النجاسة المغلظة كالبول والغايط عفى له عن النجاسة الخفيفة
المختلف فيها واذا اجتنب ما يمكنه التحرز منه عفى له عما يشق تحرزه منه
كطين الشوارع ونحوه ولو اتى كبيرة واحدة اختل شرط تكفير الصغاير ٭
والذين عاقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم هذا عام فى ارث المولى بالموالاة
ثم نسخ بارث الاقارب واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ٭ الرجال قوامون
على النساء هو عام وهو شبيه بقوله عز وجل وللرجال عليهن درجة اى
يقومون بامر النساء ويكفلونهن ٭ واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن
الاية عامة وذلك حكم كل ناشزة ٭ ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
عام فى تحريم الفخر والخيلاء وبغض فاعلهما خص من ذلك الخيلاء حال
الحرب لقوله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يبغضها الله الا فى هذا المكان
او فى حال الضرورة ٭ ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا هو عام فى
ذم الشيطان خص بقرين النبى صلى الله عليه وسلم حيث اخبر انه اعين عليه
فاسلم اذا قيل انه صار مسلما فانه لا يذم حينئذ ٭ وماذا عليهم لو امنوا بالله
الاية يحتج بها القدرية وتقريره لو كان الكفر وانتفاء الايمان مخلوقا لله لما
لامهم عليه فدل على انه مخلوق لهم وجواب الكسبية انه لامهم على كسبهم
للكفر على وفق اراداتهم وجواب الجبرية انه لامهم على ما ظهر على جوارحهم
او على ما لو فوض اليهم كان معصية وكفرا ٭ ان الله لا يظلم مثقال ذرة
عام مطرد وبمفهوم الموافقة دل على نفى الظلم فى اكبر من ذلك ٭ يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى يستدل بها على صحة تكليف
من لا يفهم كالناسى والسكران اذا كان هذا خطابا وتكليفا للسكارى
ولا حجة فيه انما هو خطاب للصحابة ان لا يقربوا الصلوة حال سكرهم
او خطابا لهم بان لا يسكروا ثم يقربوا الصلوة ٭ ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء الاية فيها مسئلتان احداهما ان
الشرك لا يغفر لمن مات عليه ومدركه سمعى كهذه الاية ونحوها لا عقلى
اذ العقل لا يمنع العفو عن كل كافر المسئلة الثانية ان ما سوى الشرك
من المعاصى يغفره الله عز وجل لمن يشاء بلا عوض ومن لا يشاء ذلك
فى حقه لا يغفره له بل يعاقبه عليه عوضا عنه ثم يخلصه بايمانه هذا
مذهب الجمهور اما المعتزلة فقالوا من مات على كبيرة ولم يتب عنها
استحق الخلود فى العذاب ولا يجوز العفو عنه فى الحكمة الشرعية لئلا

يصير العفو مطمعاً للناس في الكبائر والحكمة تقتضي الزجر لا الاطماع واكدوا
ذلك بعمومات شرعية نحو ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين
فيها ابدا ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون واشباه ذلك مما يتناول
الكافر والفاسق الموحد واجيب بان هذه عمومات والعموم ليس نصاً
في جميع افراده والا لما جاز تخصيص بعضها وما ذكرناه من دليل العفو
اظهر دلالة فيجب تقديمه وتحمل هذه العمومات على انها خاصة بالكفار
جمعاً بين الادلة اما ما ذكروه من الحكمة العقلية فلا شك ان على قولهم
يكون المكلف اشد خوفا وتوقياً للمعاصي لكن ذلك غير لازم لان العاقل
اذا اعتقد ان العاصي متردد بحسب المشية بين ان يعاقب او يعفى
عنه ترجح عنده جانب التقوى خوف العقاب واعلم ان التوجيه ههنا
من حيث السمع مع الجمهور ومن حيث النظر مع المعتزلة لان الانسان كلما
كان اشد خوفا كان اعظم تقوى فكان اقرب الى السلامة • ان الذين كفروا
باياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها
ليذوقوا العذاب الاية فيه مسئلتان احداهما انه اورد ههنا سؤال على
العذاب وهو ان تبديل جلود غير جلودهم يقتضي تعذيب جلود لم تعص
وعقاب البرى جور قبيح وجوابه من وجهين احدهما ان المغايرة بين الجلدين
في التركيب دون الحقيقة كما يهدم جدار ثم يبنى بالالة بعينها فيقال
هذا غير ذاك اي في تاليفه وعلى هذا لا يلزم تعذيب البرى الثاني على
تقدير المغايرة الحقيقية لا يلزم الجور لان المقصود بالعذاب هو الروح
والنفس والجلد الة في اتصال العذاب اليهما كما يحبس الحيوان في عدة حبوس
ويجلد بعده سياط المسئلة الثانية ليذوقوا العذاب يقتضي ان افعاله
عز وجل واحكامه معللة بالامور الحكمية وقد اختلف في تعليل احكامه
عز وجل على قولين احدهما لا تعلل لان كل من فعل فعلا لعلة كان مستكملا
بتلك العلة ما لم يكن له قبلها من الكمال فيكون ناقصاً بذاته مستكملا
بغيره وذلك على الله عز وجل محال والثاني انها تعلل لان كل فعل لا علة
له ولا غاية فهو عبث والعبث على الله عز وجل محال والتحقيق في هذا ان
العلة تارة يراد بها موجب الفعل وموجده وتارة غايته والحكمة الباعثة
على فعله فان اريد بالعلة ههنا الاولى فالله عز وجل هو علة افعاله لا
علة لها سواه وان اريد بها الثانية فلا بد منها تحرزا عن لزوم العبث اذ
من لا غاية لفعله يقصدها بها اما عابث او فاعل بالطبع وكلاهما على الله
عز وجل محال ولا يلزم استكماله بغيره وانما يلزم ذلك اذ لو كانت مصالح

افعاله ونفعها عايداً اليه وليس كذلك انما هي عايدة الى خلقه فالكمال المستفاد
بتلك العلل الغائية لهم لا له سبحانه وتعالى فان قيل اي نفع لخلقه في تجديد
جلود اهل النار ليذوقوا العذاب قلنا زجر السامعين بذلك ليرتدعوا عن
مثل افعال اولئك المعذبين • ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
عام ربما خص بما اذا تعلق برد الامانة مفسدة راجحة مثل مال المحجور
عليه بيد الولي اذا خاف من رده اليه تضييعه وسلاح اهل الحرب
والبغاة ونحوه اذا كان امانة وعلم او ظن انه ان رده اليهم استعانوا به
على الفساد فيجب تعويقه حتى تؤمن غائلته واشباه ذلك • واذا حكمتم
بين الناس ان تحكموا بالعدل عام مطرد • اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم عام مخصوص بما اذا دعوا الى بدعة او معصية لا تجوز
طاعتهم لقوله صلى الله عليه وسلم انما الطاعة في المعروف لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وقد امتنع كثير من ائمة السلف من اجابة الخلفاء
الى المناكر والمفاسد والبدع وهم في ذلك قدوة والاية المذكورة لهم حجة
فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول يحتج به الظاهرية على
انكار القياس لان الحكم اما مجمع عليه فلا حاجة الى القياس ومختلف
فيه فيجب رده الى الله والرسول والمراد كتاب الله عز وجل وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم واستفادته منهما وهذا موضع بيان فلو كان القياس
مدركا للحكم لوجب ذكره ههنا والا لزم تاخير البيان عن وقت الحاجة وانه
باطل واجاب القياسون بان القياس مستفاد من الكتاب والسنة فرد
الحكم اليهما يتضمن اعتبار القياس لانا نقول القياس يقتضي ان الحكم المتنازع
فيه كذا وكذا والكتاب والسنة دلا على ان القياس دليل معتبر • وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله هذه اللام تفيد تعليلا تكليفيا لا تكوينيا
قدريًا ومعناه انا ارسلنا الرسل لقصد تكليف الناس طاعتهم وليس
المراد انا ارسلناهم وقدرنا طاعة الخلق لهم اذ لو قدرت طاعتهم من
جميع الخلق لكانت لكن الواقع بخلافه بدليل معصية الاكثر لهم وهذا
هو القول في نحو وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واشباهه واما
قوله عز وجل باذن الله فافاد ان طاعة المطيع مشروطة باذن الله عز وجل
فيها وتقديره لها بحيث انها بدون ذلك لا توجد وهذا متردد بين المعتزلة
والجمهور لان المعتزلة يقولون اشار باذن الله الى الامداد بالالطاف
والافعال مخلوقة للمكلفين والجمهور يقولون اشار به الى انه يخلق افعالهم
على وفق اراداتهم واكسابهم اما باقي الاية وهو ولو انهم اذ ظلموا انفسهم

جاؤك فاستغفروا الله فيقوى به المعتزلة دعواهم اذ هم لا يكونون ظالمين
بما هو فعل الله عز وجل ولا مستغفرين منه ولو كان كذلك لكان الله عز وجل
غافرا الفعل نفسه والجواب على رأى الكسبية والمجبرة معروف وقد تكرر فى
عدة مواضع وقد سبقت قاعدته **قوله عز وجل** فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية هذه عظيمة فى الاعتصام بالسنة والتسليم
لامر الرسول صلى الله عليه وسلم وقد تنازعتها فرق الامة فى المسائل التى
كفر بها بعضهم بعضا اذ كل فرقة تقول للاخرى لو امتثلتم لسلمتم ما جاء
عن الرسول صلى الله عليه وسلم لكنكم لم تسلموا فانتم كفار وضلال
وخصوصا السنة والشيعة فان الشيعة زعموا ان الصحابة لم يحكموا النبى
صلى الله عليه وسلم فى امر الامامة ولم يسلموا له حكمه اذ خالفوا نصه على
على يوم الغدير فخرجوا عن الايمان بذلك والسنة قالوا لهم انتم لم تحكموا
النبى صلى الله عليه وسلم ولم تسلموا له اذ نص على فضل الصحابة رضى الله
عنهم وقطع لهم بالجنة معينا منهم وغير معين ثم انتم تكفرونهم فخرجتم
عن الايمان بذلك • مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين الاية هكذا ترتيبهم فى الحقيقة فقد يحتج به من
يرى الواو للترتيب ولا حجة فيه لان هذا ترتيب اتفاقى لا اقتضائى
اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة هو من باب لو كنتم
فى بيوتكم الاية وقد سبق القول فيها وادراك الموت لهم اما بدخوله عليهم
من غير مانع او بخروجهم اليه بما يخلق فى نفوسهم من دواعى الخروج
والصوارف عن القعود • قل كل من عند الله يعنى السيئة والحسنة وهما
المكروه والمحبوب والجدب والخصب ويتناول بعمومه الطاعة والمعصية
لانهما حسنة وسيئة ويحتج به الجمهور على ان الله عز وجل خالق المعاصى
والشرور حتى جعل من خالف ذلك لا يكاد يفقه بما ذكر فى تمام الاية وعارضت
المعتزلة بقوله عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك واجيب بان معناه فبكسبك جزاء على فعلك نحو وما اصابكم
يوم التقى الجمعان فباذن الله مع قوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من
عند انفسكم وقيل فمعناه فمن نفسك على جهة الانكار اى ليست السيئة
التى تصيبك من نفسك فتتفق مع التى قبلها وحذف همزة الاستفهام
اذا دل عليه دليل جائز نحو افائن مت فهم الخالدون اى افهم الخالدون
وارسلناك للناس رسولا فيه عموم الدعوة الى عموم الناس نحو وما ارسلناك
الا كافة يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا • وكفى بالله شهيدا

للناس صح

اى

اى على رسالتك يشهد لك باظهار المعجزات على صدقك اذ المعجز فى قوة قول
الله عز وجل صدق عبدى فى انه رسولى وهاتان من مسائل النبوات والثانية
مقررة للاولى لانه انما تبينت عموم دعوته باخباره وما ورد على لسانه وخبره
انما يقبل اذا ثبت صدقه وصدقه انما ثبت بالمعجز فاذن نظم الدليل هكذا
محمد صلى الله عليه وسلم اتى بالمعجز وكل من اتى بالمعجز فهو صادق وكل صادق
يجب قبول خبره فمحمد صلى الله عليه وسلم يجب قبول خبره وقد اخبر بعموم دعوته
فيجب قبول خبره بعموم دعوته وهو المطلوب • ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا هذه وامثالها نحو فتول عنهم واشباهه يحتمل انه اشارة الى الوعيد لهم
فيكون محكما ويحتمل انه على ظاهره فى التولى والاعراض عن قتالهم فيكون منسوخا
باية السيف وهذه كالقاعدة الكلية فى هذا الضرب والاشبه انها وعيد
فلا نسخ وايضا الاصل عدمه فاعرض عنهم من هذا الباب • ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا هذا قياس استثنائى يستثنى منه نقيض
التالى فينتج عين المقدم هكذا لكن لا يجدون فيه اختلافا فليس هو من
عند غير الله فهو اذن من عند الله عز وجل وهذا القياس يلزمه لو لم يكن
من عند الله لما اتفق لكنه اتفق فهو من عند الله والمراد بالاختلاف
التناقض المحض بشروطه وهو ليس موجودا فى القران كما بيناه فى كتاب
دفع التعارض عما يوهم التناقض لا مطلق الاختلاف لانه موجود كثيرا
فى القران لكن ذلك لا يقدح فان قيل لم قلتم انه لو كان من عند غير
الله لزمه الاختلاف وظاهر انه ليس كذلك فان كثيرا من الكتب المصنفة
هى من عند غير الله عز وجل ولا اختلاف فيها لاتقان مصنفيها له وتدبرهم
اياها وجوابه من وجهين احدهما ان مثل القران فى نظمه وطريق اعجازه
لو قدر ان بشرا تكلفه فى مثل حجمه للزمه الاختلاف لوعورة طريقه
على السالك غير المعصوم الثانى انه لو تكلفه بشر بغير اذن الهى لاعجزه
الله فيه بوقوع الاختلاف فيه الدال على كذبه لما عرف من انه عز وجل لا
يؤيد بالمعجزة كذابا تمييزا للصادق من غيره • الله لا اله الا هو ليجمعنكم
الى يوم القيمة لا ريب فيه • ههنا مسئلتان احداهما التوحيد الذى هو
مقتضى لا اله الا الله والثانية المعاد والحشر ليوم القيمة وسيأتى
برهانهما فى موضعه ان شاء الله عز وجل • ومن اصدق من الله حديثا
عام مطرد اى لا احد اصدق منه حديثا وفيه تقرير لدعوى التوحيد
والمعاد المذكورين فى سياقه • اتريدون ان تهدوا من اضل الله الاية
هى من قواصم الظهر على المعتزلة لتصريحها باسناد الاضلال الى الله عز وجل

وتاويلهم المشهور وهو ان معنى اضل الله اصابه ضالا من باب ابخلت زيداً
واجبنته اذا اصبته كذلك لا يتجه ههنا لان معنى الاية اتريدون ان
تنا قضوا حكم الله عز وجل فتجعلون مهتديا من جعله الله عز وجل
ضالا ليس لها معنى الا هذا وهو يأبى تاويلهم • ومن يضلل الله فلن تجد
له سبيلا يعنى الى الرشد لان من يضلّه الله عز وجل يسدّ عليه طرق
الاهتدا بما يخلق فى نفسه من الصوارف عنه والدواعى الى الضلال ويطبع
على قلبه ومن يفعل الله عز وجل ذلك به لا يجد الى الرشد سبيلا وهو عام
مطرد • وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عام خصّ منه القتل قوداً وحدّاً
وقتل العادل الباغى ونحوه بما دل الدليل على تخصيصه اما قوله عز وجل
الا خطأ فاستثناء منقطع لا مخصص اذ لا يصح ان يقال للمؤمن قتل المؤمن
خطأ وانما التقدير لكن ان قتله خطأ فالاثم ساقط ويحتمل كونه متصلا
على تقدير ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا اذ قتله حرام يأثم به الا قتله خطأ
فلا يأثم به • ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية هو عام
مطرد فى الرقبة لانها حق الله عز وجل ومخصوص فى الدية بما اذا تصدق
بها الاولياء على القاتل سقطت لانها حقهم • فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين هو عام مطرد فيمن لم يقدر على عتق رقبة ان يصوم شهرين
ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها الاية احتج بها المعتزلة
على تخليد قاتل المؤمن عمدا عدوانا ونقل عن ابن عباس القول بتخليده
وقال تكاثف الوعيد فيها ولم ينزل بعدها ما ينسخها ثم طرد المعتزلة حكمها
فى كل ذى كبيرة لم يتب عنها واجاب الجمهور بوجوه احدها انها محمولة
على القاتل مستحلا لانه حينئذ يكفر باستحلال القتل وحكمه التخليد اما
غير المستحل فلا فهى عندهم عام مخصوص وقد اجمعنا على تخصيص عمومها
بالقتل العدوان اذ ظاهره ان المتعمد كيف ما قتل وجب تخليده وبالاجماع
لو قتله عمدا فى حدّ او قصاص لما كان عليه حرج والعام اذا خصّ ضعف
ومن ثم اختلف فى كونه حجة بعد التخصيص وحينئذ يتسلط عليها
تخصيصنا المذكور الثانى انها نسخت باية الفرقان الا من تاب الاية
ولقايل ان يقول دعوى نسخها ضعيفة لانها خبر والخبر لا ينسخ لان ذلك
يستلزم الكذب ويجاب عنه بانها وان كانت خبرا لكنها تضمنت حكما
شرعيا والخبر اذا تضمن حكما شرعيا جاز نسخه من جهة كونه حكما
شرعيا لا من جهة كونه خبرا الثالث انها معارضة بقوله عز وجل ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء وهو يتناول القتل عمدا وهو يقتضى ان القاتل

عمدا فى المشية لا مجزوم له بالتخليد ولقايل ان يقول ومن يقتل مؤمنا اخص
من ويغفر ما دون ذلك والخاص مقدم ومما يجاب به عنها الاحاديث
الصحيحة المستفيضة فى انه يخرج من النار من قال لا اله الا الله وهو يتناول
القاتل عمدا وغيره ولقايل ان يقول الاية اخص من مقتضى الحديث والخاص
مقدم • لا يستوى القاعدون من المؤمنين اول ما نزلت هكذا عامة ثم
خصصت بغير اولى الضرر وهى تقتضى التسوية بين المجاهد بماله ونفسه
والقاعد عن الجهاد لضرر او زمانة بنية الجهاد لو قدر وزايله الضرر وهو موافق
لاحاديث السنة نحو حديث مسلم من رواية سهل بن حنيف عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال من سأل الشهادة خالصا من قلبه بلغه الله منازل الشهداء
وان مات على فراشه وقوله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه ان بالمدينة قوما
ما قطعتم واديا ولا نزلتم منزلا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال وهم
بالمدينة حبسهم العذر ومن ههنا اخذ على رضى الله عنه قوله فيما روى عنه
انه قال فى حروبه فى الجمل وصفين والنهروان لقد حضر حروبنا هذه قوم هم
الآن فى اصلاب الاباء وارحام الامهات سيلفظهم الدهر الى حضروا معنا
بالنيات على تقدير وجودهم ولعلك تستبعد هذا وهو قريب جدا اذ ليس
مقصود الجهاد نصرة الله عز وجل من ذل ولا تكثيره من قل لان الله عز وجل
قادر على الانتصار من كل عدو له بكلمة او يجمعهم على الايمان به والطاعة
له فلا يبقى له عدو وانما مقصود الجهاد امتحان النفوس ببذلها فى محبته
وتعريضها للهلاك فى سبيله ولا فرق فى ذلك بين من بذل نفسه بالفعل
ومن بذلها بالقوة بالنية الصادقة وشواهد هذا كثيرة ومرجع الجميع
الى ان الاعمال بالنيات ولا يقدح فيما ذكرناه قوله عز وجل وفضل الله
المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما لان المراد القاعدين بغير نية الجهاد
او انه يفضلهم من جهة دون جهة مثل ان يسوى بين الفريقين فى كمية
الاجر ويفضل المجاهدين فى كيفيته ونحو ذلك • ان الذين توفاهم الملئكة
ظالمى انفسهم الاية يحتج بها الشيعة على التقية كما فعل البخارى فى كتابه
وقد سبق وجه الاستدلال بها فى ال عمران • فقد وقع اجره على الله يحتج بها
المعتزلة على ان ثواب الطاعة واجب على الله عز وجل ويتبع ذلك ان افعال
المكلفين مخلوقة لهم وقد سبق الجواب عن ذلك • فليس عليكم جناح ان
تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا يحتج بهذه مع قول
يعلى بن منيه ما بالنا نقصر وقد امنا على ان مفهوم الشرط حجة ووجهه
ان هذا الرجل العربى فهم من تعليق جواز قصر الصلوة على الخوف انتفاؤه

عند انتفاء الخوف وكذلك عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فهم ذلك فاقرهما
النبي صلى الله عليه وسلم على فهمهما ثم بين لهم ان بقاء الجواز عند انتفاء الخوف
انما هو من جهة اخرى وهي الصدقة عليهم والتخفيف عنهم ولولا ان المفهوم
المذكور حجة لما فهماه ولما اقرهما النبي صلى الله عليه وسلم على فهمهما اياه
وبعضهم يترجم مفهوم الشرط بان يقول المعلق على شئ بحرف ان عدم عند
عدم ذلك الشئ نحو ان دخلت الدار فانت طالق علق طلاقها على الدخول
فينتفي عند انتفاء الدخول والمفهوم على اضرب مفهوم الشرط والحصر والصفة
والعدد واللقب وغير ذلك مما سيقع في مواضعه ان شاء الله عز وجل
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا هو لكفار معهودين او عام اريد به
الخاص او عام خص بمن اسلم منهم بعد ذلك اذ صار اخا وصديقا لا عدوا
او المراد كانوا لكم عدوا حال كفرهم • ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من
مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم فيه دليل على جواز فرض مسائل لم
تقع بعد واعداد حكمها الوقت وقوعها لان الله عز وجل بين لهم حكم المطر
والمرض قبل وقوعه على تقدير وقوعه • فانهم يالمون كما تالمون وترجون من
الله ما لا يرجون فيه ترجيح احد الدليلين المتعارضين بما يختص به من
اسباب القوة لان الله عز وجل قال للمؤمنين جدوا في جهاد الكفار ولا يصدنكم
عنهم الم الجهاد فان الالم مشترك بينكم وبينهم وتترجحون عليهم برجا ثواب
الاخرة دونهم وذلك مما يناسب جدكم في جهادكم • لتحكم بين الناس بما اراك
الله يحتمل ان المراد بما نصته لك في الكتاب ويحتمل ان المراد بما اراكه بواسطة
نظرك واجتهادك في احكام الكتاب وادلته وفيه على هذا دليل على انه عليه
الصلوة والسلام كان يجتهد فيما لا نص عنده فيه من الحوادث وهي مسئلة
خلاف في اصول الفقه حجة من اجاز هذه الاية وان الاجتهاد في الاحكام
منصب كمال فلا ينبغي ان يفوته صلى الله عليه وسلم وقد دل على وقوعه منه
قوله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجب ولو سمعت شعرها قبل قتله لم
اقتله في قضيتين مشهورتين حجة المانع وما ينطق عن الهوى ان هو الا
وحي يوحى ولانه قادر على يقين الوحي والاجتهاد لا يفيد اليقين فجوازه في
حقه والحالة هذه كالتيمم مع القدرة على الماء ثم على القول الاول وهو ان
الاجتهاد جائز له هل يقع منه الخطا فيه قولان للاصوليين احدهما لا
لعصمته صلى الله عليه وسلم والثاني نعم بشرط ان لا يقر عليه استدلالا
بنحو عفا الله عنك لم اذنت لهم ما كان لنبي ان تكون له اسرى ونحو ذلك
ويتعلق بهذا مسئلة التفويض وهي انه هل يجوز ان يفوض الله عز وجل

الى

الى نبي حكم الامة بان يقول احكم بينهم باجتهادك وما حكمت به فهو حق
او وانت لا تحكم الا بالحق فيه قولان اقربهما الجواز وهو قول موسى بن عمران
من الاصوليين لانه مضمون له اصابة الحق وكل مضمون له ذلك جاز له
الحكم او يقال هذا التفويض لا محذور فيه وكلما كان كذلك كان جائزا • ولا
يستخفون من الله وهو معهم هذه المعية عند الجمهور بالعلم وعند بعض
الفرق من المتكلمين والصوفية بالذات كالهواء مع الناس بناته ولا يرونه
والاول قول الائمة والخلاف مطرد في انني معكما اسمع وارى انا معكم مستمعون
وهو معكم اينما كنتم ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ونحوه • وكان الله
بما تعملون محيطا عام مطرد اي بالعلم وهو يدل على قول الائمة في ان المعية
بالعلم ايضا • فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ظاهره استعمال الجدل يوم
القيمة عند الحساب يحتج الله عز وجل على خلقه ويحتج كل منهم لنفسه ويحتج
بعض الناس على بعض بدليل ليحاجوكم به عند ربكم وهو يدل على شرف علم
الجدل اذ كان طريقا الى لزوم الحق ونفي الباطل في الدنيا والاخرة • ومن
يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما عام لكن
بشرط الاخلاص في التوبة والاستغفار وسابقة القبول • ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه عام مطرد • ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم
به بريئا الاية عام خص منه من دخل دار الحرب بغير امان ولا عهد بل مغيرا
او متلصصا جاز ان يفتك ما شاء ويحيل به على بعضهم لان له اذا اهم
مباشرة فبالسبب اولى • وما يضرونك من شئ عام اريد به الخاص وهو
الضرر في الدين بدليل لهمت طائفة منهم ان يضلوك وان حمل على انه
عام مطلق كان مخصوصا بما لحقه من اذى الكفار وضررهم كيوم احد
ونحوه • وانزل الله عليك الكتاب والحكمة ان اريد بالحكمة السنة دل
على انها منزلة كالكتاب وكان هذا شاهدا وموافقا لقوله صلى الله عليه وسلم
الا واني اوتيت الكتاب ومثله معه وان جبريل ياتيني بالسنة كما
ياتيني بالقران • وعلمك ما لم تكن تعلم ان جعلنا ما نكرة موصوفة
اي علمك شيئا لم تكن تعلمه فلا عموم وان كانت خبرية عامة فالمراد
بها خصوص ما علمه او كانت مخصوصة بما استبد الله عز وجل به مما لم
يكن يعلمه بدليل وقل رب زدني علما ولو كان قد علم كل ما لم يعلم لم يبق
شئ يسال زيادة علمه • لا خير في كثير من نجواهم عام في نفي الخير فيه خص
بالاستثناء المذكور • ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله عام مطرد
قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع

غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً هذه عمدة
الجمهور فى ان الاجماع حجة وتقريره ان الله عز وجل توعد على اتباع غير سبيل
المؤمنين فدل على تحريمه ويلزم منه وجوب اتباع سبيل المؤمنين وهو الاجماع
او نقول اتباع غير سبيل المؤمنين متوعد عليه وكل متوعد عليه حرام فاتباع
غير سبيل المؤمنين حرام وسبيل المؤمنين هو الاجماع فاتباع غير الاجماع حرام
فاتباع الاجماع واجب واعترض عليه بوجوه الاول ان قولكم توعد على اتباع
غير سبيل المؤمنين تريدون انه توعد عليه وحده او مع غيره الاول ممنوع
والثانى مسلم لكنه حينئذ لا يدل على تحريمه لجواز ان يكون التحريم انما هو
للمجموع المركب من اتباع غير سبيل المؤمنين وذلك الغير وهو مشاقة الرسول
ههنا فلا يكون اتباع غير سبيل المؤمنين بمفرده حراماً الوجه الثانى سلمنا
ان التوعد عليه بمفرده وان ذلك يدل على تحريمه لكن لم قلتم انه يلزم منه صح
وجوب اتباع سبيل المؤمنين وظاهر انه ليس كذلك لاحتمال الواسطة بين
سبيل المؤمنين وسبيل غيرهم وهو الوقف بين طريقين لا طريق هؤلاء ولا
طريق هؤلاء بل بينهما وسطا اما على جهة الجواز والاباحة التى لا رجحان لاحد
طرفيها او على جهة الوقف والتردد فى مهلة النظر وبتقدير هذه الواسطة
لا يلزم اتباع سبيل المؤمنين عينا وفى هذا الوجه نظر لان هذه الواسطة انما
تتصور لو قيل ويتبع سبيل غير المؤمنين اما اذا قيل ويتبع غير سبيل المؤمنين
فتندرج الواسطة المذكورة تحت هذا القسم الممنوع فلا يبقى متعينا الا اتباع
سبيل المؤمنين الوجه الثالث لم قلتم سبيل المؤمنين هو الاجماع ولا بد
بل جاز ان يكون سبيل المؤمنين هو اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
وترك مشاقته المتوعد عليها حتى كانه قيل ومن يشاقق الرسول ويتبع
غير سبيل المؤمنين فى متابعته وترك شقاقه وحينئذ يكون الوعيد على
الكفر وترك الايمان لا على ترك الاجماع وجاز ان يكون سبيل المؤمنين هو ما
صاروا به مؤمنين وهو الايمان حتى كانه قيل ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو
الايمان وهذا متجه جدا لانه يصير من باب اقتران الحكم بالوصف المناسب
لاشتقاق المؤمنين من الايمان وجاز ان يكون سبيل المؤمنين هو ما سبق فى
الاية قبلها وهو الامر بالصدقة والمعروف والاصلاح حتى كانه قيل ويتبع
غير سبيل المؤمنين فى الامر بهذه الخصال واذا احتمل سبيل المؤمنين هذه
المعانى امتنع تعينه للاجماع او نقول حينئذ تبقى الاية فيه ظاهراً لا قاطعاً
ثم يلزم المحال من وجهين احدهما اثبات القاعدة القاطعة بالظاهر
المحتمل وهو اثبات الاقوى بالاضعف وهو باطل والثانى ان الظاهر انما

بلغ مقابلة

عمل

عمل به بالاجماع فلو اثبت الاجماع بالظاهر لزم الدور وانه محال لاستناد الاجماع
الى نفسه بواسطة العمل بالظاهر الوجه الرابع قوله فى الطريقة الثانية اتباع
غير سبيل المؤمنين متوعد عليه يتوجه عليه اسولة احدها الوجه الاول
على الطريقة الاولى الثانى ان غير لا يتعرف بالاضافة وحينئذ يبقى تقدير
الكلام ويتبع غير سبيل المؤمنين اى ويتبع سبيلا مغايراً لسبيل المؤمنين
وحينئذ يكون هذا مطلقا فى غير سبيل المؤمنين لا عاما فى كل ما غاير سبيل
المؤمنين واذا كان الامر كذلك احتمل ان يكون السبيل المتوعد عليه المغاير لسبيل
المؤمنين سبيلا معهوداً وهو سبيل الكفر ويحصل بذلك الوفا بوظيفة اللفظ
المطلق فلا يبقى اللفظ واجب التناول للاجماع ويجاب عن هذا بان غير
اذا تعين ما اضيفت اليه تعرفت نحو هذا الحق غير الباطل وههنا قد تعين
ما اضيفت اليه وهو سبيل المؤمنين الثالث ان اللام فى المؤمنين يحتمل انها
للعموم فيقرب ما قلتم ويحتمل انها لبعض معهود منهم فينبغى تقديره ويتبع غير
سبيل قوم مخصوصين من المؤمنين فلا يكون المراد به الاجماع ثم نقول
ما ذكرتم من الدليل لو دل على ان الاجماع حجة لكان عندنا ما يعارضه وذلك
من وجوه احدها ان ابن عباس خالف عثمان فى حجب الام باثنين من الاخوة والاخوات
وقال ليس الاخوان اخوة فى لسان قومك فاحتج عليه عثمان بالاجماع قبله وفى
عصره على ذلك فلم يرجع ابن عباس اليه واستمر على خلافه ولم ينكر عليه عثمان ولا
اخذ على يده ورده الى اجماع الناس ولو كان الاجماع حجة لما استمر ابن عباس
على خلافه ولا اقره عثمان على ذلك وايضا فاحد الامرين لازم اما ان ما احتج به
عثمان ليس باجماع مع انه اجماع الشيخين فى عصرهما فغيره فى الاعصار بعد ذلك
اولى ان لا يكون اجماعاً او ان ابن عباس خالف الاجماع واقره عثمان على ذلك
الوجه الثانى ان ابن مسعود كان لا يجيز لمن عدم الماء ان يتيمم كما ثبت فى
البخارى فى مناظرته ابا موسى على ذلك وهذا منه مخالف للنص والاجماع فان
كان ابن مسعود مصيباً فى ذلك كان الاجماع على جواز التيمم لعادم الماء خطأ
فلا يكون الاجماع حجة لجواز الخطا فيه وان كان مخطئاً فالصحابة لم ينكروا عليه
مخالفته للاجماع فيكون اجماعهم على ترك الانكار خطا فلا يكون الاجماع حجة
لما ذكرنا الثالث ان الاجماع هو اتفاق مجتهدى المؤمنين على امر دينى والمؤمن
من اتصف بالايمان والايمان هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر وبذلك فسره صلى الله عليه وسلم فى حديث جبريل عليه السلام المتفق
عليه ثم ان المؤمنين المتصفين بهذا الايمان المصدقين بهذه الاركان قد
اشتهر انقسامهم الى نيف وسبعين فرقة منهم من يرى الاجماع حجة ومنهم

من لا يراه كالشيعة والخوارج والنظام ومن تابعهم فان اريد بالاجماع سبيل
المجتهدين من طوايف الامة كلها النيف والسبعين لم يمكن وجوده لان بعضهم ينكر
كونه حجة فلا يمكن اعتبار موافقته في الاجماع لان اعتباره في الاجماع فرع على كونه
يرى الاجماع حجة والاصل منتف فالفرع اولى وان اريد بالاجماع سبيل المجتهدين
من بعض طوايف الامة فهؤلاء بعض المؤمنين والاية انما دلت على وجوب اتباع
سبيل مجتهدي المؤمنين لا سبيل مجتهدي بعضهم واعلم ان هذه اشكالات
صعبة على الاجماع عند من هو فاضل يدري ما يقول ويقال له ولا تظنن هذا
غريبا مني فقد وقفت على شرح ورقات امام الحرمين للشيخ الامام الفاضل
تاج الدين عبد الرحمن بن ابرهيم بن سباع الفزاري المعروف بالفركاج الدمشقي
وقد زيف فيها ادلة الاجماع باسرها ولم يعتمد منها الا على ما هو تحلة القسم والذي
يقتضيه النظر ان الاجماع احد ادلة الشرع كالنص والقياس وربما قدم عليه الظاهر
كما قدمه ابن عباس عليه اذ قدم ظاهر فان كان له اخوة على الاجماع الذي احتج به
عثمان مع انه اقوى الاجماعات اذ هو اجماع الصحابة الذي خالفت الظاهرية
فيما سواه من الاجماعات وكما قدم ابن مسعود القياس المصلحي على الاجماع على
جواز التيمم لعادم الماء حيث قال لو اجزنا لهم التيمم لاوشك اذا برد الماء
على احدهم ان يتيمم والماء حاضر قوله عز وجل ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني الكفار العابدين للاوثان ما يدعون منها الا اناثا كاللات
والعزى ومنات ونحوها وما يدعون الا شيطانا مريدا وهو الذي سول لهم
عبادتها وكلهم من اجوافها اما غير الوثنيين من العرب فقد دعوا من دون
الله عز وجل الملائكة والكواكب وغيرها فهذا العام مخصوص بهؤلاء
او عام اريد به الخاص وهم الوثنيون من العرب • ولامرنهم فليبتكن
اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله عام اريد به الخاص اذ لم
يبتكوا جميع اذان الانعام ولا غيروا جميع خلق الله عز وجل • وما يعدهم
الشيطان الا غرورا عام مطرد • اولئك ماويهم جهنم عام اريد به من
مات على هذه الاوصاف منهم وهي عبادة الاوثان وما بعدها • ولا يجدون
عنها محيصا عام مطرد • والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية عام مطرد
من يعمل سوءا يجز به عام خص بما عفا الله عز وجل عنه اما تفضلا او بشفاعة
او سقط مقاصة • ومن يعمل من الصالحات الاية عام مطرد بشرط الموت
على ذلك • والصلح خير عام خص بما اذا افضى الى مفسدة راجحة او فساد
لا يتدارك فتركه خير • واحضرت الانفس الشح هذا عام مطرد باعتبار الفطرة
المطبوع عليها الانسان انه يشح ويبخل فلا تناقض قوله عز وجل ومن يوق

شح نفسه كما ان الانسان طبع على الشهوة ولا ينافيه وجود معصوم من اثارها
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله عام مطرد
شاهده يا ايها الناس اتقوا ربكم • فان لله ما في السموات وما في الارض تكرر
في القران وهو عام مطرد • فعند الله ثواب الدنيا والاخرة عام مطرد • كونوا
قوامين بالقسط عام في امر المؤمنين بذلك وكذلك يا ايها الذين امنوا ومن
يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر الاية عام مطرد فيمن كفر بهذه
الاركان او بعضها وهي اركان الايمان كما سبق • بشر المنافقين الاية عام فيمن
مات منافقا • فان العزة لله جميعا عام مطرد • ان الله جامع المنافقين
والكافرين الاية عام مطرد • ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا عام مطرد
وهو حجة على المعتزلة وقد سبق مثله • ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار عام فيمن مات منافقا • وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما عام
مطرد • لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يحتج بدليل خطابه على
استحباب الجهر بالصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم خلافا لبعض متكلمي
العصر حيث قال فيما بلغنا عنه لا يستحب وبيانه ان مفهوم لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول انه يحب الجهر بالحسن من القول والصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم وغيرها من الاذكار من حسن القول فيحب الله عز وجل الجهر
بها لكن بشرط امن الريا والعجب ونحوه من المحبطات فان خاف شيئا من
ذلك فالاسرار افضل وربما وجب وتحقيق القسمة ان الذاكر وكل طايع
ان قصد التاسي به وامن المحبط استحب له الجهر وان خاف المحبط ولم يقصد
التأسي او قصده وليس اهلا له وجب الاسرار وان قصد التاسي وخاف
المحبط فالاحوط الاسرار وان لم يقصد التأسي ولا خاف المحبط جاز الامران
وفي ايهما افضل احتمالان اصحهما الاسرار للحديث من ذكرني في نفسه ذكرته
في نفسي واختصاص ذكره بالذات القديمة افضل من ذكره في ملاء الملائكة
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا اعلم ان
هذا توسط في الصورة وهو انحراف في الحقيقة فلذلك ذم بخلاف باقي
التوسطات نحو ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وابتغ بين ذلك سبيلا
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الايات ونحوها فان التوسط فيها
محمود وتحقيق ذلك ان الحق لما كان تابعا للبرهان فتارة يكون في الوسط
وتارة يكون في الطرف فاذا كان في الوسط كان الطرف انحرافا مذموما كما
في قوله عز وجل ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فهذان طرفان مذمومان والحق في الواسطة وهو القصد بين الاسراف

والتقتير واذا كان الحق فى الطرف كان التوسط انحرافا مذموما كما فى هذه الاية
فان الانسان اما ان يؤمن بالله عز وجل وبرسله او يكفر بهما جميعا او يؤمن
بالبعض ويكفر بالبعض فالحق فى الطرف الاول فالثانى مع الواسطة انحراف
باطل والغالب هو القسم الاول وهو كون الصواب فى الواسطة فمن ثم ورد
خير الامور اوساطها وقول الشاعر كلا طرفى قصد الامور ذميم • بناء على
الغالب والتحقيق ما قلناه وهذه القاعدة شبيهة بقياس الشبه اذا كان معناه
تردد الواسطة بين طرفين فيلحق باشبههما بها • فقد سالوا موسى اكبر من
ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم يحتج بها المعتزلة
على عدم جواز الرؤية وقد سبق ذلك فى البقرة • بل طبع الله عليها بكفرهم
يحتج بها المعتزلة والجمهور اما المعتزلة قالوا الطبع على قلوبهم كان عقوبة
على كفر صدر عنهم بخلقهم ولا استحال ان يعاقبهم على فعله والجمهور
قالوا كما طبع عليها اخرا عقوبة طبع عليها اولا ابعادا وبغضا بحسب سابق
العلم • وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله هذا اعنى رسول الله
تخصيص من الله عز وجل لعيسى عليه السلام وتنويها بذكره باثبات رسالته
وليس من قول اليهود اذ لو كان من قولهم لكان ذلك اعترافا منهم برسالته
وذلك مع اعترافهم بقتله على زعمهم وافتخارهم به محال • وما قتلوه وما صلبوه
اختلف اهل الملل فى قتل المسيح وصلبه فادعاه اليهود والنصارى وانكره
المسلمون اما اليهود فادعوه على جهة التشفى بالمسيح حيث بدل دين التورية
واحل السبت ونحو ذلك واما النصارى فادعوه على جهة المرتبة للمسيح
والتشنيع على اليهود بقتل داع الى الحق واحتجوا بان التواتر ثابت بين
اليهود والنصارى والمجوس على قتل المسيح وصلبه قبل ظهور ملة الاسلام وهو
سبب العداوة بين اليهود والنصارى وبان قتل المسيح ثابت فى الانجيل المتواتر
وكل ما ثبت فى الانجيل المتواتر فهو حق ثابت فى نفس الامر اما انه ثابت فى
الانجيل فمشاهد بالعيان لمن نظر فيه واما ان الانجيل متواتر فلاطباق
النصارى عليه فى شرق الارض وغربها كاطباق المسلمين على القران واما
ان ما ثبت فى المتواتر فهو حق فلان التواتر يفيد العلم قطعا وايضا فلان
الانجيل معصوم وما ثبت فى الكتاب المعصوم فهو حق احتج المسلمون بوجهين
احدهما ان نفى قتل المسيح ثابت فى القران المعصوم وكل ما ثبت فى القران المعصوم
فهو حق معصوم فنفى قتل المسيح حق معصوم اما ان نفى قتله ثابت فى القران
فلهذه الاية وما قتلوه واما ان القران معصوم فلقيام البرهان على انه كلام
الله عز وجل وكلام الله عز وجل معصوم واما ان ما ثبت فى المعصوم معصوم

فلانه جزء من المعصوم وجزء المعصوم معصوم فثبت بذلك نفى قتل المسيح
فلو ثبت قتله مع ذلك لاجتمع النقيضان وانه محال الوجه الثانى ان قتل
المسيح لو ثبت لتواتر كتواتر مولده ودعواه التى ادعاها واللازم باطل فالملزوم
كذلك بيان الملازمة ان قتل المسيح بعد ظهور امره وانتشار دعوته وظهور
الخوارق على يده امر شنيع جدا فى العقول والطباع كما ان ولادته من غير اب
امر غريب فى العادات والعقول فلو كان لقتله اصل لوجب اشتهاره اشتهارا
مساويا لولادته ولو اشتهر كذلك لتواتر كتواتره لقضا العادات بتواتر
المشهورات بيان انتفاء اللازم انه لو تواتر قتله كتواتر مولده لما اختلف
فيه كما لم يختلف فى مولده لكن راينا الخلاف وقع فى قتله ولم يقع فى مولده و
دعوته فدل على ان قتله لم يتواتر والا لكان احد المتواترين المتساويين فى
القوة مختلفا فيه دون الاخر وانه محال وحاصل هذا الدليل ان تواتر قتله
لازم لقتله واللازم منتف فالقتل منتف وانما قلنا ان المتواتر منتف لان
الاتفاق عليه بتقدير وقوعه لازم له والاتفاق منتف فالتواتر منتف والجواب
عن شبهتهم قوله التواتر ثابت بين الملل الثلاث على قتل المسيح قلنا لا نسلم
التواتر عندهم سلمناه لكن التواتر انما يحتج به اذا كان داعيه متفقا وليس
كذلك ههنا لان داعى اليهود الى اثباته التشفى بالمسيح وداعى النصارى الى
اثباته التعدى على اليهود والتشنيع عليهم واما داعى المجوس فيحتمل انه التقليد
للطائفتين ويحتمل انه السخرية بهم ويحتمل انه استدراجهم الى الضلال اذ
لم يوافقوهم فى التنبيه فاذن هذا التواتر مركب الداعى محتمل للباطل فلا يسمع
سلمنا ثبوت التواتر بينهم لكن لا نسلم انه على قتل عين المسيح بل على قتل شخص
ظن الراؤون انه المسيح ولا يلزم من ذلك انه عين المسيح للاحتمال انه شبه لهم
كما جزم به القران ويدل على تحقيق ذلك ان فى الانجيل انهم لما اخذوا المسيح
ليقتلوه اظلم الوجود من الساعة الثالثة من النهار الى الساعة التاسعة
حتى ظن الناس ان الساعة قد قامت ففى هذه المدة المزعجة التى شبه المسيح
اما على بعض تلاميذه واحبائه منحة له وفداء للمسيح به او على عدوه يهودا
الاسخريوطى الذى دل عليه واسلمه كيدا له ومكرا به فقتل وعرج بالمسيح وهذا
الاحتمال لا ينتفى ابدا وما لم ينتف لا تتم حجتهم ولا نسلم من كدورات الظن
فلا يعتمد عليها فى مقام القطع واما كون قتله سببا للعداوة بين اليهود
والنصارى فبناء على اعتقادهم الفاسد فى ان اليهود قتلته فلا حجة فيه
قوله قتل المسيح ثابت فى الانجيل المتواتر قلنا اما انه ثابت فى الانجيل فنعم
وذلك لا يضرنا كما لا يضركم اثبات تنبيه المجوس وبنوة نبيهم زرادست فى

كتبهم واما كون الانجيل متواترا فممنوع لانه انما الف على جهة التاريخ وحفظ سيرة
المسيح بعد ان رفع وقتل وصلب على زعمكم بنحو ثمانين سنة معتمدا فى جمعه على
اربعة وهم لوقا ومرقش ويوحنا ومتى ومثل هذا لا يحصل به التواتر ودعوى
النصارى ان هؤلاء كانوا انبياء معصومين حل عليهم روح القدس دعوى
خيال تورث الخبال تكاد تزول منها الجبال فلا تسمع فلو قالوا اطبقت النصارى
عليه فى شرق البلاد وغربها كاطباق المسلمين على القران قلنا التواتر لا
يثبت بمجرد الاطباق وانما يثبت بوجود حقيقته وشروطه وهى اتفاق
العدد الكثير المامون تواطيه على الكذب على الاخبار عن محسوس مع اتفاق
الطرفين والواسطة فى هذه القيود وهذا المعنى موجود فى اطباق المسلمين
على نقل القران وليس موجودا فى نقل النصارى للانجيل فان الطرف الاول
الذى على عهد المسيح لم يكونوا على شرط التواتر لقلتهم وضعفهم حتى ان
المسيح على زعمكم قتل قتل اللصوص وصلب بين لصين وما استطاعوا لجثته
الاستنقاذ من هيرودس الملك حتى دفنوها وان بطرس رئيس الحواريين
واشجعهم واصدقهم فى محبة المسيح لما سئل عن المسيح انكره فى ليلة واحدة
قبل ان يصيح الديك ثلاث مرات ثم لم تزل الملة المسيحية خاملة مستضعفة
مع اليهود لا يجسر احد يتظاهر بذكر المسيح ولا بسيرته ولا بالانجيل حتى ظهر
قسطنطين بن قسطنطين فاظهرها وذلك بعد ما بين من السنين نحو ثلثمائة
سنين فاين التواتر وما هذا شانه وكذا قوله ان الانجيل معصوم هو ممنوع
لان المعصوم له تفسيران احدهما يراد به كلام الله عز وجل ورسله والانجيل
الذى بايدى النصارى ليس كلام الله عز وجل الا على زعمهم ان المسيح هو الله
والانجيل كلامه وذلك بناء ممنوع على ممنوع وليس هو كلام المسيح جميعه بل
بعضه كلامه واكثره حكايات وماجرايات من كلام غيره شبيه بالسيرة
والتاريخ والثانى ان يراد به المحفوظ من التناقض والتهافت وليس الانجيل
كذلك اذ قد تبين للناس فيه من التناقض كثير جدا على ما استقصيناه فى
كتاب مفرد ولو لم يكن من ذلك الا التهافت الذى فى قصة صلب المسيح لكان
كافيا حتى احتاج شراحه والمفسرون له الى تكلف بعيد فى ازالته وكم بزل
فاين الانجيل والحالة هذه من العصمة وقد تكلم فى تهافت الانجيل والرد
على اهله جماعة منهم ابو محمد بن حزم وابن عوف الزهرى الاسكندرى وتقى
الدين صالح الخطيب القوصى واحسنوا واجودهم ابن عوف فلقد شفى وكفى
فتبين بما ذكرناه ضعف بل بطلان دعواهم فى قتل المسيح ان شاء الله عز وجل
وما قتلوه يقينا هذا يحتمل انه نفى ليقين القتل ويحتمل انه يقين لنفى القتل

وهو المراد وان شئت يحتمل ان القتل منفى التيقن او متيقن النفى وهو المراد
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده يحتج به على امرين احدهما
ان ادم لم يكن نبيا والا لبدى بذكره فى هذا السياق لانه ابلغ ويجاب عنه
بوجهين احدهما ان ادم دخل فى قوله عز وجل ورسلا قد قصصناهم عليك
من قبل وقد سبقت قصة ادم الثانى ان ذلك منقوض بادريس هو نبى
باتفاق ولم يصرح به هنا الامر الثانى ان شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد نسخه
لاستواء الوحى الى نبينا وغيره من النبيين لان الشرايع متلقاة عن الوحى
فاذا استوى الجميع فى الوحى استووا فى الشرايع واجيب بان المراد كما
اوحينا اليهم فى التوحيد ونحوه من قواعد الاصول ردا على تثليث النصارى
المذكورين قبل هذه الاية وبعدها بدليل لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا
والجمع بينهما بما ذكرنا من استواء الشرايع فى الاصول التى لا تقبل التغيير
دون الفروع التى تقبله • وكلم الله موسى تكليما يحتج به الصوتية على انه كلمه
بحرف وصوت ووجهه انه اكد الفعل بالمصدر ارادة لحقيقة الكلام وهو
بالحرف والصوت احتج الاخرون بما سبق وبانه انما اكد بالمصدر لئلا يظن
انه كلمه الهاما او فى الرؤيا ونحو ذلك وتاوله بعض المعتزلة على انه كلمه باظفار
المحن من الكلم وهو الجرح بدليل وفتناك فتونا وهو ضعيف بعيد • رسلا مبشرين
ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يحتج به على ان الله عز وجل
لو لم يرسل الرسل الى خلقه لم تقم بحجته عليهم ونظيره ذلك ولو انا اهلكناهم
بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا • ولولا ان تصيبهم
مصيبة بما قدمت ايديهم الايتين وتحقيق هذا ان حجة الله عز وجل على ضربين
حقيقية يستبد بعلمها وظاهرة يشاركه فى العلم بها خلقه فالاولى قائمة
على الخلق بدون الرسل اذ هو سبحانه وتعالى غير متهم فى حكمه وعدله
والثانية لا تقوم بدون الرسل وهى اقوى الحجتين واظهرها فاخذ الله عز وجل
بها لانها احوط لدفع تهمة الجور عنه من الكفار اذ لو عاقبهم بحسب علمه فيهم
لقالوا ما انصفتنا لو انذرتنا برسول لما توجهت لك علينا حجة ثم ترتب
على هذا ان العقل لا يحكم له اذ لو كان له حكم لما توقف قيام حجة الله عز وجل
على خلقه على بعثه للرسل اذ كان العقل كافيا فى قيام الحجة وهذه الاية فى هذا
الوجه موافقة لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولم يقل
حتى نجعل لكم عقولا غير ان تحقيق محل النزاع ما هو فالجمهور يحكون عن
المعتزلة انهم يقولون العقل حاكم وهى عبارة فيها اجمال وشناعة لايهامه
الشرك فى الحكم كما اشركوا فى خلق الافعال والمعتزلة يفسرون مرادهم بان العقل

جعله الله عز وجل مدركًا لحسن الحسن وقبح القبيح بحيث يقتضي من جهة الحكمة
المناسبة والمناسبة الحكمية ان يثاب على الاول ويعاقب على الثانى وان الحسن
والقبيح مدركان بالعقل كما يدركان بالشرع وان الشرع مؤكد لحكم العقل فى
ذلك • لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه ونظيره فاعلموا انما انزل بعلم الله
اعلم ان الناس اتفقوا الا من عساه شذ منهم على ان الله عز وجل عالم قادر
مريد حى متكلم سميع بصير قديم باق ثم اختلفوا فالجمهور على انه كذلك لمعان
قديمة زائدة على مفهوم ذاته قائمة بها كالحيوة والعلم والقدرة وكذلك سائرها
وذهب المعتزلة ومن تابعهم الى ان لا صفة هناك ثبوتية زائدة ثم اختلفوا
فقال بعضهم معنى كونه عالمًا قادرًا حيًا انه ليس بجاهل ولا عاجز ولا ميت
وكذلك سائرها ويسمون السلبية وقال اخرون هو كذلك لمعان ليست
موجودة ولا معدومة وهى مشتقة من المعانى الثبوتية سموها احوالًا كالعالمية
والقادرية والحيية وهى كونه عالمًا قادرًا حيًا حجة الجمهور هذه الاية
انزله بعلمه دل على ان له علما والمعقول منه صفة ثبوتية زائدة وايضا القران
عربى ولغة العرب ان العالم من قام به العلم وهو وصف ثبوتى وايضا فعال
لما يريد مع ان الفعل مشتق من المصدر وهو الارادة وقد وجد الفعل
المشتق فوجب ان تكون الارادة المشتق منها موجودة واذا ثبت هذا فى
العلم والارادة وجب مثله فى باقى الصفات اذ لا قائل بالفرق وتاول
الخصم انزله بعلمه على معنى انزله وهو يعلمه احترازا من ان يكون ساهيًا
او غافلا حجة الخصم لو كان عالمًا بعلم قائم بذاته زائد على مفهومها قديم
لزم تعدد القديم وايضا افتقار الذات الى غيرها فى كمالها وهما محالان
وجوابه ان المحال انما هو تعدد الذوات القديمة لا الذات والصفات و
وكذلك افتقار الذات الى غيرها فى وجودها هو المحال لا فى غيره او افتقارها
الى غير خارج عنها لا الى غير قائم بها لا ينفك عنها مع ان الحال الذى ادعاه
اصحاب الاحوال لا موجود ولا معدوم ما غير معقول واستقصاء البحث فى
هذا فى موضع اخر وانما هذا اشارة الى مأخذ المذهبين • انما المسيح عيسى ابن
مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه الاية فيها مباحث الاول
اثبات رسالة المسيح عليه السلام خلافا لليهود وسنذكر برهانه فى سورة المائدة
ان شاء الله عز وجل الثانى معنى كونه كلمة الله عز وجل عند المسلمين انه خلقه
بكلمته وهى كن التى يخلق بها وخص عيسى بتسميته كلمة تشريفا نحو ناقة الله
وبيت الله ومعناه عند النصارى ان كلمة الله الحقيقية التى هى صفة النطق حلت
فى مريم واستحالت لحما ودما حتى تكون منها عيسى وهو محال لوجوه احدها

انتقال

انتقال الصفة مجردة عن محلها الى غيره يوجب قيامها بنفسها فيما بين المحلين
المنتقل عنه واليه الثانى حلول الصفة القديمة فى المحل الحادث وهو
مريم الثالث استحالة القديم وتغيره الرابع استحالة الصفة التى لا قيام
لها بذاتها ذاتا قائمة بنفسها والكل محال الثالث القاها الى مريم معناه عند
المسلمين ما حكى فى سورة مريم وغيرها من تعرض الملك لها ونفخه فى فمها
او جيب درعها حتى حملت بالمسيح وعندهم حلول الكلمة القديمة فيها كما مر
وبطلانه بما سبق الرابع وروح منه معناه عند المسلمين انه روح مخلوق
خاص سلكه فى المسيح له قوة اظهار الخوارق والتعدى الى الغير كتصيير الطين
ضربا من الطير وعندهم انه روح من ذات الله عز وجل وبه كان الها عندهم
قالوا لان من للتبعيض وقد اخبر ان المسيح روح منه وهو المسمى روح القدس
وهو صفة الله القديمة يعنى حياته وهى احد الاقانيم الثلاثة والجواب ان
منه ههنا لابتداء الغاية لا للتبعيض كقوله عز وجل وسخر لكم ما فى السموات
وما فى الارض جميعا منه اى ابتداؤه منه ومن فضله وكذلك وروح منه
اى الله عز وجل مبدا هذا الروح خلقا لئلا يظن قدمه ولو كان روح المسيح
هو حياة الله عز وجل لكان اما جميع روحه او بعضه فان كان الاول لزم
بقاؤه بعد انتقال حياته الى المسيح بلا حياة فيكون قد مات الاب لحياة
الابن وانه محال وان كان الثانى لزم تبعيض حياة الله عز وجل لوجهين
احدهما انها صفة فلو تبعضت لكانت جسما وذلك انقلاب الحقايق اذ
صارت الصفة ذاتا والثانى ان الحياة صفة بسيطة فلو تبعضت لزم
انقلاب البسيط مركبا وانه محال الخامس فامنوا بالله ورسوله اى اعتقدوا
المسيح رسولا كسائر الرسل ولا تعتقدوه الها لان ذلك غلو فى الدين كما
ذكر فى صدر الاية السادس • ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم هو نهى
لهم عن التثليث ومعناه عندهم ان الله عز وجل جوهر ذو ثلاثة اقانيم
وعنوا بالجوهر القائم بذاته الغنى عن محل يقوم به او يقومه وبالاقانيم
الصفات او القوى وهى كونه موجودا ناطقا حيا فاقنوم الوجود سموه
ابا واقنوم النطق سموه ابنا وهى الكلمة المسيحية واقنوم الحيوة سموه
روح القدس قالوا فقولنا الاب والابن وروح القدس كقول المسلمين
الله الرحمن الرحيم ثم انهم زعموا ان كل واحد من الاب والابن وروح القدس
اله كامل بالحد والحقيقة وانهم مع ذلك ليسوا ثلاثة الهة فى خبط كثير
وتخليط غزير منه ما لا يعقل ومنه ما لا يساعده الشبهة فضلا عن الحجة
فلهذا قيل لهم انتهوا عن هذا الاعتقاد الباطل الذى ليس له حاصل ولا

وراءه طايل يكن الانتهاء عنه خيرًا لكم • انما الله اله واحد اى من كل الجهات لا
تعدد ولا انقسام له بوجه فقولكم الاب والابن وروح القدس اله واحد
تناقض لانكم كثرتموه اولا ثم وحدتموه ثانيا وهو تهافت وتلاعب من
الشيطان بعقولكم وهذا بخلاف قول المسلمين بسم الله الرحمن الرحيم
لانهم يقولون ذلك على معنى ان الذات الالهية واحدة لكنها متصفة بصفات
كمالية فان اقتصرتم انتم على مثل ذلك وافقتم وان تماديتم فى تخليطكم المذكور
فلكم الويل والثبور التابع سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات الاية
اى تنزه عن الولد اذ ما سواه فى السموات والارض مملوك له والملك ينافى
الولدية كما سبق فى البقرة والبحث مع النصارى طويل افردنا له عدة
تعاليق قوله عز وجل لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله ولا الملائكة
المقربون الاية لما زعمت النصارى الهية المسيح قيل لهم ان المسيح نفسه
لن يستنكف ولا يأنف من الاقرار بالعبودية فانتم يا نصارى فى تنزيهه
عنها فضولية ثم احتج بهذه الاية من يرى ان الملائكة افضل من الانبيا
وتقريره ان هذا السياق فى مثل هذا المقام يقتضى ان المذكور اخرا افضل
كما يقال ان فلانا لا يستنكف عن خدمته او زيارة الوزير ولا السلطان
وذلك يقتضى ان الملائكة افضل من الانبياء لان المسيح من افضلهم فاذا
كانت الملائكة افضل منه فغيره ممن هو افضل منه بطريق اولى واعترض
عليه بانا لا نسلم صحة ما ادعيتم سلمناه لكن الاية انما تضمنت تفضيل
الملائكة المقربين على المسيح فلا يلزم تفضيل غيرهم عليه ولا تفضيل
احد من الملائكة على غيره من الانبياء واعلم ان الاية شديدة الظهور
فى تفضيل الملائكة ولها شواهد اخر من الكتاب والسنة والنظر اما
الكتاب فقوله عز وجل ولا اقول لكم انى ملك ان هذا الا ملك كريم
وقوله عز وجل فى بنى ادم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ولم يقل على جميع من خلقنا مع ان بنى ادم فضلوا على من سوى الملائكة
باتفاق فلم يبق احد ينبغى ان لا يكونوا فضلوا عليه الا الملائكة ثم
قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله عز وجل من ذكرنى فى نفسه ذكرته
فى نفسى ومن ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منهم تصريح بان الملائكة
افضل من بنى ادم ويتناول عمومه الانبياء واما النظر فلان الملائكة
رسل الله عز وجل الى الانبياء بغير واسطة ورسل الله بغير واسطة افضل
من رسله بواسطة وايضا فالانبياء للملائكة كالامم للنبيين والرسول
افضل من امته ولان الملائكة معلمون والانبياء متعلمون منهم والمعلم

المفيد افضل من المتعلم المستفيد والادلة على هذا كثيرة غير انه مذهب المعتزلة
والفلاسفة والجمهور على خلافهم لوجوه احدها ان الانبياء بهم قامت حجة الله
عز وجل على خلقه بخلاف الملائكة حتى قال الله عز وجل ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا الثانى ان الانبياء فى الدعاء الى الله عز وجل واقامة حجة على خلقه اشد
تعبًا ونصبًا لما جرى عليهم من التكذيب والاذى والثواب والفضيلة على قدر
المشقة الثالث ان ادم ابا البشر سجد له الملائكة والمسجود له افضل من
الساجد ثم فى الانبياء من هو افضل من ادم عليه السلام فهو اولى بان يكون
افضل من الملائكة الرابع ان الناس فى الموقف انما يستشفعون بالانبياء
فى تخفيف الموقف عنهم لا بالملائكة ولو كانوا افضل من الانبياء لكانوا اولى
بالشفاعة الخامس ان الانبياء عبدوا الله عز وجل ورضى عنهم مع معارضة
الشهوة والغضب المجبول عليهما البشر وعبادة الملائكة مع تجردهم عنها
والعبادة الاولى افضل لشدتها ومشقتها فالعابد افضل السادس ان ابليس
وهاروت وماروت كانوا من خيار الملائكة وصدر عنهم ما لم يصدر مثله
او بعضه الا عن شرار بنى ادم والحجاج من الطرفين كثير وذهب قوم الى ان
خواص البشر افضل من الملائكة والملائكة افضل من عامة البشر فيوفيهم
اجورهم يحتج به المعتزلة اذ لو كانت اعمالهم مخلوقة له لكان منه العوض والمعوض
وقد سبق هذا وجوابه • يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم يحتمل وجهين
احدهما انه يعنى القران برهان اى حجة لله عز وجل على خلقه لما اشتمل عليه
من حجج التوحيد والنبوات وغير ذلك ويحتمل انه برهان لمحمد صلى الله عليه وسلم
على رسالته وتقريره ان القران معجز وكل معجز فهو برهان على صدق من
جاء به فالقران برهان على صدق من جاء به وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقد
سبق تقرير كونه معجزا فيما اقول وهو ظاهر واعلم ان القران من حيث
هو حجة لله عز وجل ولرسوله يسمى برهانا ومن حيث هو مرشد للخلق الى
مصالح معاشهم ومعادهم كاشف عنهم للعمى قائد لهم الى الهدى يسمى نورا يبين
الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم طريق الهدى لئلا تضلوا وقيل يبين طرق الضلال
لتجتنبوها من باب قول القايل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه والله عز وجل
المائدة
اعلم بالصواب القول فى سورة المائدة يا ايها الذين امنوا
خطاب عام • اوفوا بالعقود وهى العهود والمواثيق وهو عام مخصوص
بالعقود الفاسدة والمتضمنة للمفاسد الراجحة كاشتراط اهل الحرب فى
الهدنة رد من جاء من نسائهم الينا مسلما او على ان يدفع اليهم مصحف ونحو
ذلك فلا يجب الوفاء به • احلت لكم بهيمة الانعام عام خص بالاستثناء

بعده • الا ما يتلى عليكم وهو ما تضمنته الاية بعد وهى حرمت عليكم الميتة
الاية • ان الله يحكم ما يريد عام مطرد • لا تحلوا شعائر الله عام مخصوص
باحوال الضرورات كاحلال مكة للنبى صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار وحكم
ذلك باق عند الحاجة وكاحلالهم من الاحرام للاحصار ونحو ذلك وشعائر الله
عز وجل حرماته المعظمة • ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام عام
كالذى قبله فى التخصيص الضرورى • واذا حللتم اى من الاحرام فاصطادوا
اباحة واختلف فى الامر الوارد بعد الحظر هل هو للاباحة او على مقتضاه الاصلى
وجوبا او غيره فيه قولان فمن قال هو على مقتضاه الوضعى قال خرج نحو
فاصطادوا فاذا قضيت الصلوة فانتشروا بدليل خاص • وتعاونوا على
البر والتقوى عام فى كل بر وتقوى يخص منه ما عجز عنه او عارضه مفسدة
راجحة كالنهى عن منكر يثير فتنة عامة والامر بمعروف يفوق اهم منه فلا
يتعاون عليه • ولا تعاونوا على الاثم والعدوان عام ايضا يخص منه ما
استكره عليه او جهل تحريمه او تضمن مصلحة راجحة كقوم هموا بفسق عام
كالقتل والزنا واتلاف المال وامكن اشغالهم وتعويقهم عن ذلك بسماع
الملاهى او شرب شراب ونحوه مما مفسدته اقل من مفسدة ما هموا به جاز
اعانتهم عليه وربما وجب • والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
عام فى تحريمها ويخص بما خصت به الميتة فى المخمصة ونحوه وما اكل السبع
عام خص بالاستثناء • الا ما ذكيتم وكذلك هو مخصص للاربعة قبلها فما
ادركت تذكيته منها حل وهذا استثناء رجع الى جنس جمل قبله وهل يرجع
الاستثناء الى ما يليه فقط او الى جميع ما تقدمه مما يصلح رجوعه اليه
او يوقف فيه اقوال موضعها سورة النور ان شاء الله عز وجل • وما ذبح على
النصب وان تستقسموا بالازلام عام الا فى الضرورة يستباح بها الكفر
ونحوه • ذلكم فسق اى جميعه اكل المحرمات والاستقسام وهو عام فى كونه
فسقا الا ما استبيح منه بالتخصيص فلا فسق فيه • يئس الذين كفروا من
دينكم عام فى الكفار الآيسين ما عاد احد منهم يطمع فى تبديل دين الاسلام
بالكلية • اكملت لكم دينكم عام فى الدين لم يبق فى شئ منه نقص • واتممت
عليكم نعمتى عام اريد به الخاص وهو نعمة الدين اما نعمة الدنيا ففى تمامها
نظر فانها انما تتم بملك الدنيا باسرها كما ملكها سليمان ونحوه ولقايل ان
يقول لعل الاقتصار من نعمة الدنيا على بعضها من اتمام نعمة الدين فى حق
هؤلاء المخاطبين لئلا تلهيهم عن مهمات الاخرة • ورضيت لكم الاسلام دينا
ان قيل ههنا وفى قوله عز وجل ان الدين عند الله الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام

دينا

دينا الايات جعل الاسلام هو الدين جميعه وفى حديث جبريل الصحيح جعل
الايمان والاسلام والاحسان هو الدين فالدين الذى هو الاسلام فى الايات هو
ثلث الدين الذى هو مجموع الامور الثلاثة فى الحديث فكيف الجمع وجوابه وجوه
احدها ان الثلاثة لما كانت متلازمة فى نظر الشرع جاز التعبير ببعضها عن
جميعها لان باقيها لا ينفك عن المذكور منها كما يقال الانسان هو الناطق ولا
ينص على الحيوان للزومه اياه الثانى ان يكون الدين مشتركا بين الامور الثلثة
المذكورة فى الحديث وبين الاسلام وحده المذكور فى الاية فاراد فى كل واحد
منهما احد المشتركين الثالث يكون معناه ورضيت لكم الاسلام من الدين
اى رضيته لكم جزا من الدين مضموما اليه الجزآن الاخران الرابع ان معناه
ورضيت لكم دين الاسلام وهو مجموع الامور الثلاثة فتتفق الاية والحديث
الخامس ان الاسلام صار فى العرف علما على ما يقابل اليهودية والنصرانية وسائر
الملل من الاديان فكانه قال ورضيت لكم هذه الملة الخاصة المقابلة
لسائر الملل دينا وهو معنى الذى قبله • فمن اضطر فى مخمصة عام فى المضطر
وهذا مخصوص لعموم التحريم المتقدم فى الميتة وما بعدها وظاهره جواز
الاكل مما اهل به لغير الله وما ذبح على النصب للمخمصة • قل احل لكم الطيبات
ليس المراد بها ضد الخبايث المحرمات اذ كان يصير تقديره احل لكم الحلال
وهو دور لا يحصل به جوابهم وانما المراد احل لكم المستلذات المستطابات
فيكون عاما مخصوصا بما حرم منها كالخمر ولحم الخنزير والسباع والجوارح
ونحوها من المستلذات المحرمة • وما علمتم اى واحل لكم صيد الجوارح
المعلمة وهو عام فيه خص بصور منها ما امسكه الكلب ونحوه على نفسه لا
على صاحبه بدليل • فكلوا مما امسكن عليكم ومنها ما اكل الكلب منه لدلالته
على انه انما امسك على نفسه ومنها ما لم يسم الله عز وجل على الصايد عند ارساله
عليه على خلاف فيه بدليل • واذكروا اسم الله عليه ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم
الله عليه وغير ذلك من الصور المفصلة فى الفقه والجوارح عام خص بصفة
التعليم والتكليب فكلوا مما امسكن عليكم عام خص بما لم يسم عليه على ما
مر وبما شارك الكلب فيه غيره مما يقدح فى الحل ككلب استرسل بنفسه او
كلب مجوسى او تردى من علو او ما مغرق او كان الكلب مغصوبا اذ صيده للمالك
او كان ما امسكه الجارح ونحوه غير ماكول كسبع او جارح مثله ونحو ذلك من
الصور واذكروا اسم الله عليه فيه مسئلتان احداهما انه يدل على ان الاسم
غير المسمى اما اولا فلاضافة اسم الى الله والاضافة تقتضى التغاير واما
ثانيا فلان الذى يتحرك به لسان المسمى على الصيد ليس هو الذات القديمة

قطعا وانما هو لفظ دال عليها وذلك قاطع فى التغاير الثانية ان اسم الله ههنا اما
عام اريد به الخاص والمراد به المعهود وهو لفظ الله وليس المراد عمومه والا لتوقف
حل الصيد والذبيحة على ذكر كل اسم لله عز وجل وعلى ذكر التسعة والتسعين اسما
وانه باطل باجماع • وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم عام خص بصور منها
ما حرم علينا ابتداء كالميتة والخنزير فيكون محرما علينا ابتداء وبواسطة
اهل الكتاب ومنها ما حرم عليهم كذى الظفر من بهيمة الانعام ونحوها لاننا
تبع لهم فى حل طعامهم فحرم علينا ما حرم عليهم ومنها شحم الثرب والكليتين
مما يحل لهم ذبحه يحرم عليهم وفى حله لنا قولان ومنها الغدة واذن القلب
يكره اكله لنا مطلقا مما ذبحوه او ذبحناه وفى تحريمه خلاف وما كان من مثل
هذه الصور • وطعامكم حل لهم عام ويخص منه شحم ذبايحنا المحرم عليه لو
ذبحه هو • والمحصنات من المومنات اى العفايف يحل لكم نكاحهن ويخص
منه ذوات الازواج والمعتدة والمحرمة بسبب او نسب مما ذكر فى سورة النساء
والمشتبهة كاخته المشتبهة باجنبيات حتى تتعين والزانية على الزانى وغيره
حتى تتوب وتعتد لمفهوم المحصنات كل هؤلاء يحرم نكاحهن مطلقا او موقتا
ويخص بهن هذا العموم • والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
عام فى حراير اهل الكتاب يحل نكاحهن من الذميات والحربيات وفى الحربيات
خلاف الاصح جوازه للعموم والاصح امتناع نكاح امائهم للتخصيص بالمحصنات
وهن الحراير اذ لا احصان لامة • ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله عام
مطرد قوله عز وجل اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم الاية اقتضى
بعمومه وجوب الوضوء لكل صلوة فان تعذر الوضوء فالتيمم خص ذلك فى
الوضوء بالاجماع لكونه رافعا فلا يجب الا على من اراد الصلوة وهو محدث
وبقى فى التيمم على عمومه فيجب عند ارادة كل صلوة بحيث لا يجمع بتيمم فرضين
فى وقت واحد وهو مذهب الشافعى وقول لاحمد والصحيح عنده ان التيمم
وظيفة الوقت فيصلى به ما شاء فى الوقت من فروض ونوافل حتى يخرج
وجوهكم عام فى الوجه وهو من منابت شعر الراس المعتاد الى مجتمع اللحيين طولا
وما بين الاذنين عرضا وخص منه داخل العينين فلا يجب غسله اذا خيف الضرر
وان امن ففى استحبابه وجهان ومقتضى العموم وجوبه وفى المسترسل من اللحية
عن مجتمع اللحيين قولان احدهما يجب غسله لاتصاله بمحل الفرض والثانى لا
يجب لخروجه عن حد الوجه وداخل الفم والانف متردد بين ظاهر الوجه
وباطن الحلق فمن ثم وقع الخلاف فى وجوب المضمضة والاستنشاق وايديكم
عام ثم ان قيل حد اليد الى تحت الابط كما فهمه الصحابة اولا فقد خص منها ما بين

المرافق والاباط وان قيل ان حدها الى الكوع كما فى قطع السارق فهو عام
مطرد وزيد عليه ما بين الكوع الى المرفق بالغاية المذكورة الى المرافق وبهذا
يتضح القول فى دخول المرفق فى الغسل فعلى حد اليد الاول يكون دخول
المرفق فى الغسل بعموم لفظ اليد بعد تخصيص ما فوق المرفق الى الابط
وعلى حدها الثانى ينبنى على ان الى بمعنى مع على غير المختار فيدخلان فى
الغسل او على اصلها فى الغاية فينبنى على ان الغاية تتناول ما بعدها فيه
اقوال ثالثها ان كان من جنسها تناولته والا فلا وهو اختيار المبرد
ورابعها انها مجملة فى التناول وعدمه يقف على الدليل فان قلنا يتناوله
مطلقا او اذا كان من جنسها دخل فى الغسل ههنا لان المرفق من جنس اليد
وان قلنا لا يتناول ما بعدها او هى مجملة تحتمل التناول وعدمه ففيه
قولان احدهما يدخل فى الغسل لبيان النبى صلى الله عليه وسلم ذلك بفعله
حيث توضا فغسل يديه وادار الماء على مرفقيه والثانى لا يدخل وهو قول
زفر بن الهذيل من اهل العراق عملا بمقتضى الغاية فى عدم التناول او اقتصارا
على الاقل المتيقن ان جعلناها مجملة ويحمل فعل النبى صلى الله عليه وسلم
فى غسل المرافق على الاستحباب والقول فى الى الكعبين نحو منه فى الى المرافق
وامسحوا برؤسكم وارجلكم فيه مسائل الاولى الباء قيل للالصاق وقيل زائدة
فيقتضى تعميم الراس بالمسح اى امسحوا رؤسكم ملصقين بها ايديكم وهو مذهب
مالك واحمد رحمهما الله وقيل للتبعيض فيقتضى اجزاء مسح بعضه وهو مذهب
الشافعى رحمه الله ولو شعرة لحصول مسمى المسح والزيادة والتبعيض ضعيفان
وان كان التبعيض فى الباء منقولا عن الشافعى ولو ثبت عنه كان حجة وقد
خرج مسح البعض على غير تبعيض الباء وهو ان الباء وردت للتبعيض وغيره
فى الاستعمال فكانت فى الاية مجملة لاحتمالها الامرين فاقتصر فيه على الاقل
المتيقن وهو ما يصدق عليه اسم المسح وهو تقرير الامام فخر الدين فى تفسيره
وعند ابى حنيفة رحمه الله الواجب مسح ربع الراس وعنه قدر الناصية
وعنه قدر ثلاث اصابع لان المسح يقتضى الة يمسح بها وهى الكف وثلاث
اصابع اكثره فقامت مقام جميعه وفى كون الباء للتبعيض والا مباحث
نظرية مذكورة فى اصول الفقه لا نطيل بذكرها ويكفى فى ذلك اطباق اهل
اللغة على انكارها انها للتبعيض الا ابن كيسان وما يروى عن الشافعى
قال ابن برهان الاصولى النحوى من زعم ان الباء للتبعيض فقد اتى
اهل اللغة بما لا يعرفونه ومحل الخلاف ما اذا دخلت على فعل يتعدى بنفسه
نحو مسحت رأسى وبرأسى لا مطلقا المسئلة الثانية ذكر الرأس وهو ممسوح

تحللا للمغسولات احتج به من رأى الترتيب فرضا فى الوضوء وهو الشافعى واحمد
رحمهما الله بناء على ذلك لا بد له من فائدة ولا فائدة الا التنبيه على الترتيب
وفيه نظر لان لقايل ان يقول ان تخلل الرأس للمغسولات هو بمقتضى الكلام
القديم عبارة مسموعة جعل او معنى ذاتيا والكلام القديم لا يعلل بالفوائد
والعلل سلمنا انه لا بد له من فائدة لكن جاز ان تلك الفائدة تعديل الكلام
المعتبر فى الاعجاز وجاز انها للتنبيه على استحباب الترتيب لا وجوبه ومن
الشافعية من بنى الترتيب فى الوضوء على كون الواو العاطفة تقتضى الترتيب
وبعض الاعضاء معطوف على بعض بها ويحكى ايضا عن الشافعى والصحيح ان
لا ترتيب فيها وانها للجمع المطلق كما مر ومنهم من اثبت الترتيب بان النبى
صلى الله عليه وسلم توضا وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به
وذلك الوضوء اما مرتب فيلزم ان لا تقبل الصلوة الا بوضوء مرتب وهو
المطلوب او غير مرتب فيلزم ان لا تقبل الصلوة الا بوضوء غير مرتب وهو
خلاف الاجماع وهى طريقة حسنة مطردة فى جميع ابعاض الوضوء غير انها منتقضة
على كل مستدل بها بما لا يقول هو بوجوبه فى الوضوء كالمضمضة والاستنشاق
والموالاة وسائر السنن عند من لا يرى فرضية شئ منها فان النكتة جارية
فيه بعينها بان يقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به ثم لا يخلو اما انه
عليه الصلوة والسلام تمضمض فيه او لا الى اخرها المسئلة الثالثة وارجلكم
قرا نصف القرا بفتح اللام نصبا عطفا على الوجوه والايدى فى الغسل واحتج
به الجمهور وقرا الباقون بكسر اللام جرا عطفا على الرؤس فى المسح واحتج به
الشيعة ثم كل واحد من الفريقين تاول قراءة الاخر على خلاف الظاهر
فالجمهور تاولوا قراءة الجر على المجاورة للرؤس نحو • •

• كبير اناس فى بجاد مزمل • صفيف شواء او قدير معجل •

ونحو ضب خرب والاصل مزمل وخرب بالرفع وقديرا بالنصب وانما
جر الثلاثة لمجاورتها المجرور قبلها وردت الشيعة ذلك بان الاعراب
على المجاورة شاذ نادر وضعيف فى القياس فلا تحمل عليه القراءة المشهورة
ثم هو انما يستعمل حيث يؤمن اللبس لا حيث يلبس كما ههنا على ان معنى الشاهد
الثالث لكم جحر ضب خرب جحره فهو نعت سببى مقيس لكن حذف الفاعل
لدلالة خبر المبتداء عليه اذ التقدير هذا جحر ضب خرب جحره والشيعة
تاولوا قراءة النصب على انها على محل برؤسكم نحو فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو نصب صح
وهو اقرب من الوجوه والايدى والعطف على الاقرب اولى ورد الجمهور
ذلك بان العطف على محل برؤسكم وان كان اقرب لكن العطف على لفظ

الوجوه

الوجوه والايدى اقوى واعتبار الاقوى اولى من اعتبار الاقرب لان القوة
معنى حقيقى والقرب معنى اضافى عدمى ثم اكد واذلك بفعل النبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه واتفاق السواد الاعظم على غسل الرجلين واعلم ان الخلاف
لما قوى فى هذه المسئلة من الطرفين ذهب قوم من الجمهور الى التخيير بين
الغسل والمسح واخرون الى الجمع بينهما احتياطا فصار فيها اربعة مذاهب
وخص من عموم الاعضاء الاربعة ما قام به مانع من التطهير كالجراحة
والشجة ونحوها • او لامستم النساء عام خص منه من لا تشتهى لصغرها
والمحرم على خلاف فى ذلك فلا ينقض الوضوء مسها واللمس عن غير قصد
او لغير شهوة عند بعضهم ثم ان الملامسة حقيقة وضعية فى تماس
البشرتين ومجاز فى الوطى فمن اعتبرهما من لفظ واحد كالشافعى ونحوه
ينقض الوضوء بالجماع واللمس ومن لم يعتبرهما فى لفظ واحد كابى حنيفة
نقض الوضوء بالجماع للاجماع ولم ينقضه باللمس ولا اعتبر من اللفظ
الواحد حقيقته ومجازه وانه باطل عنده وهذا من مسائل الحقيقة
والمجاز فى اصول الفقه • فلم تجدوا ماء فتيمموا هذا نكرة فى سياق
نفى فيعم ومقتضاه انه ان لم يعدم جميع افراد الماء المطلق لا يجوز له
التيمم وقد وقع النزاع فى صور منها الماء المتغير بالطاهرات تغيرا
شديدا بحيث لا يخرجه عن طبيعة الماء وقوته هل يجوز الوضوء بناء على ان الماء
المطلق يتناوله ام لا ومنها المستعمل فى رفع الحدث اجاز مالك استعماله فى
الطهارة مع الكراهة ومنعه الباقون بناء على ذلك او كونه صار نجسا عند بعضهم
ومنها نبيذ التمر عند عدم الماء فى السفر هل يتوضا به ام لا منعه الائمة الا ابا
حنيفة حجة المانع ان جميع افراد الماء معدومة فوجب الانتقال الى التيمم اذ
لم يجعل الشرع بينهما واسطة فمن اجاز الوضوء بالنبيذ فقد اثبت الواسطة
حيث لم يثبتها الشرع وانه غير جائز حجة من اجاز قوله صلى الله عليه وسلم
لابن مسعود ولم يجد معه الا نبيذا ثمرة طيبة وماء طهور فسماه ماء ولانه
لا بد فى النبيذ من اجزاء مائية فواجده لم يعدم جميع افراد الماء فيلزمه استعمال
تلك الاجزاء واستعمالها مفردة لا يمكن لاستهلاكها فتوصل اليه باستعمال الجميع
اعنى الماء وما استهلك فيه وصار ذلك من باب ما لا يتم الواجب الا به فهو
واجب والجواب ان الحديث قد ضعف والاجزاء المائية فى النبيذ خرجت
عن اسم الماء وطبيعته فلا يتناولها العموم فلا يجب استعمالها • فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه اختلف فى من ههنا هل هى للتبعيض او لابتداء
الغاية فعلى الاول يشترط فيما يتيمم به ان يكون له غبار يعلق بمحل التيمم

تحقيقا لمعنى الباء فى التبعيض وهو مذهب الشافعى واحمد وعلى الثانى لا يشترط
ذلك لان الواجب ابتداء المسح من الصعيد وهو حاصل بدون الغبار حتى
لو ضرب بيده على حجر صلد ونحوه مما لا غبار فيه جاز وهو مذهب مالك وابى
حنيفة ثم الزم الشافعية الاكتفاء بمسح بعض الوجه فى التيمم من قوله عز وجل
فامسحوا بوجوهكم كما جاز الاكتفاء بمسح بعض الرأس من امسحوا برؤسكم والا
فسووا بينهما فى التعميم او افرقوا بين الموضعين مع اتحاد الصيغة ووجود
الباء المبعضة فيهما لكنهم فرقوا بان المسح فى الراس اصل فعمل فيه مقتضى
الباء التبعيض بخلاف المسح فى الوجه فانه بدل عن ما يجب استيعابه به وهو
الغسل فالحق باصله وهذا عند التحقيق ليس بالقوى لان مقتضيات الالفاظ
لا يؤثر فيها اختلاف الاحكام وهذا البحث يتعلق بحروف المعانى وهى من ابواب
اصول الفقه • ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج هو عام بدليل وما جعل عليكم
فى الدين من حرج وهو عام مطرد لان الله عز وجل لم يشرع حكما الا واوسع الطريق
اليه ويسره حتى لم يبق دونه حرج ولا عسر ويحتج بهذه الاية ونحوها من رأى
انه اذا تعارض فى مسئلة حكمان اجتهاديان خفيف وثقيل ترجح الخفيف دفعا
للحرج وفى هذا اقوال ثالثها التخيير والاخذ بالاثقل احوط وهذه من اصول الفقه
قوله عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم
سمعنا واطعنا يحتمل ان هذا تذكير للمؤمنين بالعهد المأخوذ عليهم يوم
الست بربكم قالوا بلى ويحتمل انه تذكير لهم ببيعتهم النبى صلى الله عليه وسلم
على النصرة والاسلام والتزام احكام الشريعة وهو اشبه • ولقد اخذ الله
ميثاق بنى اسرائيل يعنى على طاعة موسى عليه السلام وهو عام فيهم • وبعثنا
منهم اثنى عشر نقيبا استشهد الامامية بهذا على ان ائمة الامة من اهل البيت
اثنى عشر على عدد نقباء بنى اسرائيل لان النقبا هنا الشهود بدليل سياق
الاية والائمة شهود على الامة لقوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم ولان
الامام خليفة الرسول والرسول شاهد على الامة فكذا خلفاؤه واعلم ان
هذا تشبيه مجرد من غير ربط لزومى وانما الاشبه بنقباء بنى اسرائيل نقباء
الانصار الذين بايعوا بيعة العقبة • وقال الله انى معكم اى بالنصرة والاعانة
وامنتم برسلى عام مطرد فى الايمان بالرسل • لاكفرن عنكم سيئاتكم عام فى
تكفير جميعها ولا يجوز تخصيصه بالكفر لقوله عز وجل ان الله لا يغفر ان
يشرك به لان تكفير سيئاتهم انما هو على تقدير الايمان كما صرحت به الاية
وهو والكفر لا يجتمعان فاذن تكفير السيئات عام مطرد فيما سوى الكفر
فمن كفر بعد ذلك منكم الاية عام مطرد • فبما نقضهم ميثاقهم يحتمل ان

نقضهم

نقضهم اياه بمخالفة جميع اجزائه وهى الخمسة المذكورة فى الاية قبلها اقام
الصلوة وايتاء الزكوة والايمان بالرسل وتعظيمهم واقراض الله عز وجل
قرضا حسنا ويحتمل ان نقضه بمخالفة بعض اجزائه ولو جزؤ واحد منه لان
ماهية الجملة تنتفى بانتفاء جزء منها كالعشرة تنتفى صورتها وماهيتها
بعدم واحد منها ويحتج القدرية بهذه ونحوها ووجهه انه عز وجل لعنهم
بنقضهم الميثاق فلو كان نقضه مخلوقا له لكان لاعنا لهم على فعله وذلك جور
وقد عرف هذا وجوابه غير مرة على رأى الكسبية والمجبرة • وجعلنا قلوبهم
قاسية قسوة القلب صلابته فلا يلين لطاعة الله عز وجل وذكره وسببها
ما يخلقه الله عز وجل فى القلب من غلبة شهوات الدنيا عليه والاغترار بها
فيخالف فى تحصيلها المامورات ويرتكب المحظورات وربما قال المعتزلة
انه عز وجل جعل تقسيته لقلوبهم عقوبة على نقضهم للميثاق فلو كانت
العقوبة والذنب جميعا من فعله وخلقه لما كان احدهما بان يكون ذنبا
والاخر عقوبة اولى من العكس ويجاب عنه بالمنع بل نقول لما كانا جميعا
مخلوقين له بالقدرة والاختيار اختار ان خلق النقض ذنبا وتقسية
القلوب عقوبة • يحرفون الكلم عن مواضعه قيل حرفوه بالتبديل وقيل
بالتأويل والحق انهم حرفوه بالامرين ولعل اختلاف العبارتين وهى
يحرفون الكلم عن مواضعه ومن بعد مواضعه اشارة الى ذلك ويشبه
ان تحريفه من بعد مواضعه بالتبديل وعن مواضعه بالتأويل لان التبديل
اخص التحريفين ومن بعد مواضعه اخص العبارتين فيجعل الاخص للاخص
عملا بموجب المناسبة هذا كله فى اليهود ثم قال الله عز وجل ومن الذين
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اى بالتوحيد فثلثوا كما سبق من مذهبهم
وهذا عام مطرد فى النصارى • لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن
مريم هذا عام مطرد واعلم انهم قرروا هذه الدعوى بان قالوا كلمة
الله عز وجل حلت فى هيكل المسيح وكلمة الله لا تنفك عن ذات الله فهيكل
المسيح لا ينفك عن ذات الله بواسطة الكلمة الحالة قالوا ولا نعنى بكون
المسيح هو الله والله هو المسيح الا ان ذاته لا تنفك عن ذاته بطريق الحلول
وقد سبق بطلان هذه المقدمات واجاب الله عز وجل عن دعواهم هذه
بقوله عز وجل • من يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم
وتقريره لو كان الله هو المسيح ابن مريم لامتنع عليه اهلاكه واللازم
باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة ان الله عز وجل لو كان هو المسيح
لكانا ذاتا واحدة قديمة ولو كانا ذاتا واحدة قديمة لامتنع ان يهلك الله

ذاته القديمة اذ القديم لا يقبل العدم ولا الهلاك ولا التاثر بوجه بيان
انتفاء اللازم وهو ان الله عز وجل قادر على اهلاك من فى الارض جميعًا بل
جميع العالم فعلى اهلاك المسيح وحده اولى واذا كان قادرًا على اهلاكه لزم انه
ليس هو الله عز وجل لان اهلاك المسيح مقدور واهلاك الله عز وجل نفسه
غير مقدور وينتج ان المسيح ليس هو الله وينعكس كليًا ان الله عز وجل ليس هو
المسيح وهو المطلوب • ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء
اشارة الى ما سبق من ان العالم باسره مملوك لله عز وجل ونفسه اوابنه
على تقدير قول النصارى ليس مملوكا له فلو كان المسيح هو الله عز وجل او ابنه
كما قالوا لكان المسيح خارجًا عن عالم السموات والارض وانه باطل واذا ثبت
انه من العالم والعالم مملوك مخلوق فالمسيح بهيكله وروحه وكثيفه ولطيفه
مملوك مخلوق ومختصر هذا ان المسيح من العالم وكل ما هو من العالم فهو مملوك
مخلوق فالمسيح مملوك مخلوق • قل فلم يعذبكم بذنوبكم تقريره انكم ايها
اليهود والنصارى معذبون بذنوبكم والابناء والاحباء لا يعذبون بذنوبهم
فانتم ايها اليهود والنصارى لستم ابناء الله ولا احباءه بل انتم بشر من خلقه
يغفر لمن يشاء منكم ويعذب من يشاء • يا اهل الكتاب قدجاءكم رسولنا
معناه معنى لولا ارسلت الينا رسولا ونحوه من الاحتجاج على الله عز وجل
بنفى بعثة الرسل فقطع هذه الحجة عنه بارسال محمد صلى الله عليه وسلم • يا قوم
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء الاية يقتضى ان النبوة نعمة على
النبى وعلى قومه لشرفهم به كما قال عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وانه لذكر
لك ولقومك اى شرف • قال انما يتقبل الله من المتقين يحتج به من يرى ان
الفاسق لا يقبل له عمل ولعله رأى الخوارج وتقريره ان الفاسق ليس بمتق
وكل من ليس بمتق لا يقبل منه عمل فالفاسق لا يقبل منه عمل اما الاولى
فواضحة بذاتها واما الثانية فلهذه الاية لاقتضائها حصر تقبل العمل
فى المتقين وحصر الشئ فى الشئ يقتضى ان لا يوجد فى غيرها فالتقبل لا
يوجد فى غير المتقى وهو المطلوب او يقال المتقبل عمله متق والفاسق
ليس بمتق فالمتقبل منه ليس بفاسق وينعكس كليًا الفاسق ليس متقبلا
منه والجواب ان هذه الشبهة مبنية على ان انما فى الاية للحصر وان التقوى
هى العامة وهو تقوى المعاصى على الاطلاق وكلاهما ممنوع اما الاول فلما
تقرر قبل من ان انما لا تقتضى الحصر بل الاثبات المؤكد واما الثانى فلان المراد
التقوى الخاصة وهى اجتناب الكفر وعلى هذا التقدير نمنع مقدمتى الدليل المذكور
فلا نسلم ان الفاسق ليس بمتق ولا ان كل من ليس بمتق لا يتقبل منه ويدل

بلغ مقابلة

على

على ما ذكرناه قوله عز وجل وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا والاية
تحصر المانع من قبول النفقة فى الكفر وذلك يقتضى ان غير الكفر لا يمنع قبولها
وحينئذ ينتظم الدليل هكذا المانع من قبول النفقة هو الكفر والكفر غير موجود
فى الفاسق المؤمن فالمانع غير موجود فى الفاسق المؤمن • فبعث الله غرابا يبحث
فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه ان كان هذا الغراب ملكا كما قيل فلا
عجب وان كان غرابا حقيقيًا فطال ما ارشد الله عز وجل الانسان ببعض الحيوان
فهذا جالينوس الحكيم انما استفاد الحقنة من طائر فى البحر اذا اصابه تخمة زج
بمنقاره من ماء البحر فى دبره فيستطلق فيبرا واستفاد وان الرازيانج
فيه جلاء للبصر من الحية اذا اطال مقامها فى الشتاء تحت الارض اظلم بصرها
فتخرج اذا خرجت على الفور الى الرازيانج الاخضر فتفتح عينها فيه وتحك به
بصرها فيزول عنها وهذا النوع كثير فى اسرار الحيوان وقد اعطى الله عز وجل
كل شئ خلقه ثم هدى فارشاد ابن ادم الى دفن اخيه بالغراب من هذا الباب
من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل اعلم ان العلة الشرعية تارة تستفاد
من النص عليها وتارة بالايماء اليها وتارة بالسبر والتقسيم وتارة بالدوران
بالنص كما فى هذه الاية وبها يستشهد فى ذلك نحو فعلت كذا لكذا او من اجل
كذا او لعلة كذا ونحوه وباقى الاقسام نشير الى ما نمر به منه ان شاء الله عز
وجل • فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا يحتج بها القدرية فى ان افعال العباد
مخلوقة لهم والا لكان قطع السارق عقوبة له على خلق غيره وذلك جور واجيب
بان قطعه على كسبه كما صرحت به الاية ولا يلزم من كون الفعل كسبًا له ان يكون
مخلوقا له • ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين
لم يرد الله ان يطهر قلوبهم هذا حجة على المعتزلة فى ان الله عز وجل يريد فتنة
بعض الخلق اى ضلالهم ولا يريد تطهير قلوبهم بالايمان والهدى فيمتنعان
منهم والاية فيه واضحة غنية عن البيان بتقرير البرهان • فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم هذا مخصص لعموم قوله عز وجل انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله خص فى اهل الكتاب بهذه الاية حيث خير
فى الحكم بينهم فاما الحكام بعد النبى صلى الله عليه وسلم فهل يلزمهم الحكم بين
اهل الذمة اذا ترافعوا اليهم فيه خلاف وتفصيل • وكيف يحكمونك وعندهم
التورية فيها حكم الله يحتج اليهود بهذا على صحة توراتهم الزامًا للمسلمين
لان القران قد صرح بان فيها حكم الله وكل ما فيه حكم الله فهو حق معتبر
فالتورية حق معتبر وجوابه معنى فيها حكم الله اى بعضه او حكم خاص
كحكم الزانيين الذين كانت فيهما القصة ونحن لا ندعى تحريف جميعها بل ما

تلزمهم به الحجة من صفات محمد صلى الله عليه وسلم ونحوه ولا يلزم من تضمنها بعض
حكم الله ان يكون جميعها حقا معتبرًا وانما يلزم ذلك ان لو قال فى جميعها حكم
الله او فيها جميع او كل حكم الله لكنه لم يقل ذلك ثم قوله وكل ما فيه حكم الله فهو
حق معتبر غلط او مغالطة لان قولنا فيه حكم الله ظرف ومظروف فالمظروف
الذى هو حكم الله هو الحق المعتبر اما الظرف الذى فيه الحكم فجاز ان يكون حقا
وباطلا ولو صح ما ذكرت لكان اذا تحقق ان فى الانجيل او كتاب المجوس ونحوه
حكمًا واحدًا حقا هو حكم لله عز وجل وجب ان يكون جميع الانجيل ونحوه حقا
معتبرًا وانت لا تقول به • انا انزلنا التورية فيها هدى ونور هذا انما هو
فى التورية المنزلة وهى حق فلا حجة لليهود فيه على حقية التورية التى بايديهم
لانها مبدل فيها محرف • ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
الظالمون الفاسقون فى فواصل الايات الثلاث وانما تفاوتت هذه
الفواصل اما لان الكفر يستلزم الظلم والفسق او لانه بحسب مراتب
المخالفة فى الحكم فتارك الحكم بما انزل الله فى التوحيد ونحوه من اركان
الدين يكون كافرًا وتاركه فى احكام الفروع كالقصاص ونحوه يكون ظالما
فاسقا وهو عام فى من لم يحكم بما انزل الله او يحكم بغير ما انزل الله ويخص
منه المكره والمخطى فى الاجتهاد وتارك الحكم بين اهل الذمة اذا ترافعوا اليه
اذا قلنا يخير فى الحكم بينهم او لاشكال الحكم وتعارض الدليل ونحو ذلك
قوله عز وجل ان النفس بالنفس يحتج به من رأى قتل الحر بالعبد والمسلم
بالذمى بنا على اصول احدها ان شرع من قبلنا شرع لنا اذ النفس بالنفس
من شرع التورية الثانى ان المفهوم ليس بحجة فمفهوم الحر بالحر لا يخصص
هذا العموم الثالث اخر الاية ومن لم يحكم بما انزل الله يتناول اهل الاسلام
وغيرهم مع اهل التورية وروى ابو حنيفة فى مسنده باسناده ان النبى صلى
الله عليه وسلم قتل مسلما بذمى وقال انا احق من وفى بذمته حجة الاخرين
ان القصاص شرطه المكافاة ولفظه ينبى عن ذلك والعبد لا يكافى الحر
والذمى لا يكافى المسلم والاصلان الاولان مع الحديث الذى رواه ممنوعة
والاصل الثالث مخصوص او متروك باقوى منه والجروح قصاص عام
يخص بما تعذر فيه ذلك بان لا يؤمن فيه الحيف كالجائفة ونحوها وجروح
العبد لا يقتص بها من الحر لعدم التكافؤ بينهما كما مر • واتيناه الانجيل
فيه هدى ونور يعنى الانجيل المنزل لا المبدل فلا حجة فى هذه للنصارى
كما لا حجة لليهود فى التى سبقت وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه كانوا
مأمورين بالحكم بالانجيل المنزل قبل نسخ شريعتهم او بعده اذا تحاكموا الى

حاكمهم

حاكمهم وامكنه معرفة الحكم المنزل فاحكم بينهم بما انزل الله يحتمل ان هذا ناسخ لما
سبق من تخييره فى الحكم بينهم ويحتمل ان المعنى احكم بينهم بما انزل الله ان اخترت
الحكم بينهم نحو وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط • لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا
يحتج به على ان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا اذ لو لم يكن كذلك لما خصت كل امة
بشرعة انما هو فى فروع التكاليف اما التوحيد ونحوه من اصول الديانات فالشرايع
فيه واحدة ثم ان الاية ليست فى محل النزاع اذ ما كان لنا فيه شرعة ومنهاج لا يحتاج
فيه الى شرع من قبلنا انما محل النزاع هو الحكم الذى لا دليل عندنا فيه وهو موجود
فى شرع من قبلنا ولم يرد شرعنا بنسخه والاية ليست فى ذلك • ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة هو حجة على المعتزلة فى ان الله عز وجل اراد اختلاف الامم ويلزم
من ذلك انه اراد هداية المهتدى وضلال الضال اذ بهما يتقوم الاختلاف
وفى هذا اللزوم نظر بل الاختلاف يحصل بارادته هداية البعض اما ضلال
البعض الاخر فهو منهم عند الخصم وبالجملة فالاية مراغمة لهم • الى الله مرجعكم
جميعًا فيه اثبات البعث والمعاد وهو عام مطرد فى الجميع • لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء عام فى ترك موالاتهم والاستعانة بهم بطريق الموالاة فى
امر دين او دنيا الا حيث يضطر اليهم ولا يوجد مسلم يقوم مقامهم فى كتابة
او تطبب ونحوه فيجوز على ما فيه اما بطريق المعاملة كالمبايعة والاجارة
والمناكحة ونحو ذلك مجردًا عن الموالاة فجائز والموالاة هى العناية الظاهرة
عن موادة باطنة • بعضهم اولياء بعض اى انما يصلح موالاة بعضهم لبعض لما
بينهم من جامع الكفر لا للمومنين لانهم فى الواقع متوالون كيف وقد القى
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة • ومن يتولهم منكم فانه منهم ظاهره
انه يكفر بموالاتهم وهو كذلك اذ موالاتهم تستلزم معاداة المومنين وهى
كفر اما من اعتنى بامر بعضهم على جهة الرحمة او رعاية الذمة او استمالتهم
الى الاسلام ونحو ذلك مجردًا عن موالاتهم فلا بأس لقوله عز وجل لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم الاية
قوله عز وجل انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الاية احتجت بها
الشيعة على امامة على بعد النبى صلى الله عليه وسلم وتقرير حجتهم منها
من وجوه احدها حصر وليهم فى المذكور بعد وهو على والولى هو الامام
لقوله عليه الصلاة والسلام ان عليًا منى وانا منه وهو ولى كل مومن بعدى
وفى حديث اخر وهو وليكم بعدى حديثان مشهوران رواهما احمد والمفهوم
من الولى هو الرئيس المطاع او المتصرف النافذ التصرف كولى اليتيم والمرأة
خصوصًا وقد قال وليكم بعدى وهذه البعدية تقتضى فى العرف الاستخلاف

بشرعة ومنهاج واجيب بان اختصاص كل امة

لانهم انما يحتاجون بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى امام يقوم مقامه بامرهم العام الوجه
الثاني قوله عز وجل والذين امنوا عام اريد به الخاص وهو علي كقوله عز وجل الذين
قال لهم الناس ان الناس يعني عروة بن مسعود قال لابي سفيان لان جميع الذين
لما كانوا في رعاية امامهم وحياطته وهم تابعون له وردا وصدرا جاز ان يعبر عنه
بلفظهم خصوصا علي في شهرته وشرفه وكمال فضله وليس لله بمستنكر
ان يجمع العالم في واحد وانما قلنا ان المراد بالذين امنوا علي لقوله عز وجل
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون فجعل هذه الجملة بدلا
من الذين امنوا قبلها ثم ان النقلة اتفقوا الا من شذ منهم على ان عليا هو
الذي تصدق في الصلوة بخاتمه وهو راكع فكان هذا كالعلامة على امامته
وقد وجدت هذه العلامة في علي دون غيره فوجب ان يكون هو المراد بولاية
المؤمنين التي هي عبارة عن امامتهم وانما قلنا ان المراد بهذه العلامة الصدقة
في حال الركوع لانه عز وجل قال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون
اي في حال ركوعهم والجملة حالية الوجه الثالث قوله عز وجل قبل هذه الاية
يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
ثم استطرد الاية المذكورة مع قوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين الراية
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يكون الفتح على يديه مع قوله عز وجل
ههنا فان حزب الله هم الغالبون فيه دليل واضح على ذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم
وصفه بما وصفه الله عز وجل به من محبته لله ومحبة الله عز وجل اياه وبالفتح
المستلزم لكونه غالبا اشارة من النبي صلى الله عليه وسلم الى ان المراد بهذه الاية
هو صاحب هذه الصفات وصار ذلك كالتفسير والبيان للاية من النبي صلى
الله عليه وسلم هذا وجه استدلالهم بهذه الاية واعترض الجمهور عليهم بان
قالوا قولكم انه حصر وليهم في المذكور بعد انما هو بناء على ان انما للحصر وهو
ممنوع سلمناه لكن لا نسلم ان المراد بوليهم علي لان المذكور في الاية الله ورسوله
والذين امنوا فتخصيصه بعلي وحده بعيد في النظر والاستعمال سلمناه لكن
لا نسلم ان المراد بالولي الامام انما المراد منه ضد العدو لان الاية وردت
في سياق لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فنهاهم عن موالاة اهل الكتاب
ثم بين لهم من يتولون وهم الله ورسوله والذين امنوا فكان مقتضى سياق
الاية ان اتخذوا المؤمنين اولياء لا اليهود والنصارى ويبعد جدا ان يقال
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ولا اصدقاء لكن اتخذوا عليا اماما
او المؤمنين ائمة لانه في هذا المقام فيما يتعلق بالموالاة والمعاداة لا فيما
يتعلق بالامرة والامامة سلمناه لكن لا نسلم انه والذين امنوا عام اريد به

الخاص اذ هو دعوى خلاف الاصل سلمناه لكن لا نسلم ان هذا الخاص المراد بالاية
هو علي بل قد نقل انه ابو بكر رضي الله عنه قوله الصدقة في حال الركوع علامة على
انه هو المراد لوجودها فيه خاصة قلنا لا نسلم ان المراد بالاية الصدقة في حال
الركوع لوجهين احدهما ان ذلك عمل في الصلوة يبطلها عند بعض العلما فكيف
يجعل صفة مدح يتحلى ويستحق به الامامة الكبرى الثاني انا لا نسلم ان قوله
عز وجل وهم راكعون جملة حالية بل هي استينافية والوجه الثالث لهم مناسبة
اقناعية لا يعول على مثلها وقولهم صار ذلك كالتفسير والبيان للاية من النبي
صلى الله عليه وسلم اعتراف منهم بان الاية مجملة تحتاج الى البيان والمجمل لا
دلالة له وما ادعوه بيانا لا نسلمه واعلم ان جميع ما ذكر في هذا الاعتراض
تحقيق لا الوجهين في منع ان المراد بالاية الصدقة في حال الركوع فانهما ضعيفان
جدليتان اما الاول فلان الجمهور من العلماء على ان العمل اليسير في الصلوة لا
يبطلها والصدقة بالدرهم والخاتم ونحوه فيها عمل يسير فلا تبطل واما الثاني
فلان جعل وهم راكعون جملة حالية اولى لانه اقل لعدد الجمل وايضا لو جعلت
استينافية لزم عطف الركوع على الصلوة وهو تكرار او عطف خاص على عام وقد
كان السجود احق بذلك فكان يجب ان يقال وهم ساجدون واعلم ان هذه
الاية من عمد الشيعة وعند المحققين واعتبار ما سبقها ولحقها لا حجة لهم
فيها بوجه والذي قرروه منها ضرب من الشبهة وانما مقصودها التعلق
بولاية الله ورسوله والمؤمنين والاعراض عن ولاية اليهود والنصارى والمشركين
واخص ما يرد به على الشيعة ان هذه الاية اعم من دعواكم والعام لا دلالة
له على الخاص بنفي ولا اثبات لانها دلالة لازم على ملزوم وهي عقيم فان
حزب الله هم الغالبون عام مطرد لكن غلبتهم تارة في الدنيا بالظهور وتارة
بالنصر يوم النشور انا لننصر رسلنا الاية وحينئذ لا يرد سؤال من يقول
قد راينا كثيرا من اولياء الله عز وجل مغلوبين لا غالبين فليكن هذا العام
مخصوصا بهم او اريد به خصوص الغالبين من اولياء الله عز وجل لا يقال
هذا لما ذكرنا وجعل منهم القردة والخنازير هذا اشارة الى من مسخ من
بني اسرائيل من اصحاب السبت والمائدة والمسخ هو قلب الحقيقة الصورية
لا الهيولائية الى غيرها كالانسان قردا ونحوه ومعنى ذلك ان اجناس الاعيان
العنصرية ثلاثة جماد ونبات وحيوان وهيولى الجميع اعني مادته واحدة
وهي الجسم اذ هو مشترك بين الكل لكن الجماد بقي على مطلق الجسمية والنبات
اختص عنه بقوة نباتية افادته صورة النبات والحيوان اختص بالنفس
الحيوانية فافادته صورة الحيوان وكذلك الانسان اختص بالنفس الناطقة

فالمسخ نقل هذه الصورة بعضها الى بعض على مثال استحالة العناصر الاربعة بعضها
الى بعض مع انها لا تخرج عن دائرة الجوهرية كذلك صور الاجسام الخاصة ينتقل
بعضها الى بعض مع بقائها فى دائرة الجسمية كما مسخ هؤلاء قردة وخنازير
وامراة لوط مسخت فيما نقل فى التورية ملحا فانقلبت صورتها الانسانية
الى الجمادية ولا يستحضر احد مسخ نباتا غير انه ممكن واحتج اهل الكيميا على
امكانها بهذا اذ ليس فيها الا نقل صورة معدن الى معدن كما ينقل صورة
عنصر الى عنصر كالماء هواء والهواء نارا وبالعكس وكانتقال الانسان خنزيرا
وقردا كذلك تنتقل الصورة النحاسية مثلا او الفضية ذهبية ونحوه والفاعل
لذلك عند الجمهور هو الله عز وجل والصانع كاسب فلم يبق للمنع من امكان
ذلك وجه ومن زعم ان الكيميا خلق الذهب والفضة او غيرهما من الاعيان
وذلك محال من غير الله عز وجل فقد وهم وانما هى كما ذكرنا نقل صورة الى غيرها
لا خلق مادة واختراعها غير ان الانتقال فى الكيميا قطع وقت عتيد فى طلب
امر بعيد وذلك جهل شديد وهذه المسئلة وان لم تكن مشهورة من اصول
الدين لكنها ذكرت فى سياق ما يناسبها من المسخ وكلاهما يتعلق بافعال
الله عز وجل وهى مندرجة تحت اركان اصول الدين كما ذكرناه قبل ان
الكلام فى الله عز وجل اما فى الذات او الصفات او الافعال • يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك عام مطرد فى الامر بتبليغ كلما انزل عليه وقد
فعل ذلك صلى الله عليه وسلم فمن زعم انه كتم شيئا من القران فقد كذب
اما كونه يؤخر التبليغ او البيان لمصلحة اما بوحى او اجتهاد فذلك جائز
وان لم تفعل فما بلغت رسالاته اورد بعضهم ان هذا الكلام تضمن اتحاد
الشرط والمشروط اذ التقدير بلغ رسالات ربك فان لم تبلغها فما بلغتها
وظاهره غير مفيد وجوابه ان المعنى وان لم تبلغها فحكمك حكم من امر
بالتبليغ فلم يفعل او وان لم تبلغها فقد خالفت واستحققت الوعيد
ونحو ذلك ولكن الله عز وجل اكرم نبيه عن التصريح بكلام مزعج فعرض له به
تعريضا وافهمه المقصود من لفظ يتضمنه ويرادفه نحو عبس وتولى بلفظ الماضى
المسند الى غائب ولم يقل عبست وتوليت اذ جاءك الاعمى كل ذلك اكراما له
بالتلطف فى خطابه صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل • لقد كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح ابن مريم سبق القول فى هذا • وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله
ربى وربكم هذا اعتراف منه بانه عبد مربوب وقد نطق الانجيل الذى بايدى النصارى
بمثل هذا وحينئذ يقال المسيح مربوب ولا شئ من المربوب باله فالمسيح ليس
باله اما الاولى فبنص القران والانجيل واما الثانية فبالاتفاق لكن النصارى

زعموا

زعموا ان المربوب ناسوته لا لاهوته فلا ينتج الدليل المذكور الا سلب الالهية
عن الناسوت لا عن جملة المسيح وجوابه ان النص دل على مربوبية المسيح
والمسيح هو مجموع الجملة المركبة من كثيفه ولطيفه وذلك ينفى ان يكون فيه
لطيفا غير مربوب فينتفى ان يكون فيه شئ من اللاهوت على ان دعوى حلول
اللاهوت فيه باطلة ممنوعة • انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
وماويه النار فيه اثبات العذاب الحسى فى المعاد خلافا للنصارى والفلاسفة
اذ قالوا لا عذاب الا العقلى وهو البعد عن الله عز وجل ونحوه مما سبق وهذا نص
من المسيح على خلاف ذلك وقد وافق عليه الانجيل اذ حكى فيه ان المسيح امر بعض
اتباعه بالخروج عن ماله ثم قال الحق اقول لكم من ترك فى هذه الدار زوجة
او زرعا او مالا فله فى الاخرة خير من ذلك او كما قال وهو قاطع فى اثبات
النعيم الحسى فكذا العذاب المقابل له • لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة
الاية قد سبق انهم يريدون بذلك ثالث ثلاثة اقانيم وهى الاب والابن وروح
القدس وان كل واحد من هذه الثلاثة اله كامل بالحد والحقيقة وانهم مع ذلك
ليسوا ثلاثة الهة بل اله واحد وان ذلك تناقض وتخليط واما عامة الناس
فيظنون ان مرادهم بالثلاثة الله ومريم والمسيح وليس كذلك ووجه كفرهم
اشراكهم اذ مقالتهم المذكورة واعتقادهم يلزمه الشرك قطعا ولذلك نوقضوا
باثبات التوحيد بقوله عز وجل • وما من اله الا اله واحد ثم توعدوا على كفرهم
بان قيل • وان لم ينتهوا عما يقولون اى من الكفر بالاسلام • ليمسن الذين
كفروا منهم اى المستمرين على الكفر منهم • عذاب اليم ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اعلم ان هذه الجملة تضمنت نفى الهية
المسيح خلافا للنصارى واثبات رسالته خلافا لليهود اما نفى الهيته فقد
سبق عليه ادلة وقد استدل الله عز وجل عليه ههنا بقوله كانا يعنى هو
وامه مريم يأكلان الطعام وهو كناية عن شيئين احدهما انهما كانا يفتقران
الى اكل الطعام المقيم للبنية وكل مفتقر الى ذلك فليس باله ينتج انهما ليسا
بالهين الثانى كانا يحتاجان الى الخلاء وقضاء الحاجة وكل من احتاج الى
ذلك فهو حادث وكل حادث فليس هو بقديم وكل من ليس بقديم فليس هو
باله ينتج انهما ليسا بالهين ولما علم النصارى بقوة هذه البراهين وكونها
مبطلة لدعواهم فزعوا الى شبهة سولها لهم الشيطان فزعموا ان المسيح جملة
مركبة من ناسوت ظاهر ولاهوت باطن وانه كان ياكل ويشرب ويقضى الحاجة
ويالم من جهة ناسوته ويفعل المعجزات ويظهر الخوارق من جهة لاهوته
قالوا وحينئذ ما ذكرتموه من البرهان انما يدل على نفى الالهية والقدم

عن ناسوته فقط لا عن لاهوته وهذا بناء منهم على ان اللاهوت حل في جسد المسيح
وقد سبق بطلانه ولنذكر ههنا من ذلك وجهين احدهما ان المعقول في الحلول
احاطة المحل بالحال كاحاطة الظرف بالمظروف فلو حل اللاهوت هيكل المسيح
لكان جسد المسيح اكبر مما حل فيه فيكون الجسد البشرى اعظم من الذات الالهية
وانه محال الوجه الثانى انهم لو عورضوا بمثل دعواهم في جميع الانبياء وانهم
ركبوا من ناسوت ولاهوت وانهم اكلوا الطعام بناسوتهم واظهروا المعجزا
بلاهوتهم لم يجدوا عن ذلك جوابا ولا امكنهم الانفصال عنه بطايل غيره
انهم يقولون ولد من غير اب فينتقض عليهم بادم واولى اذ كان لا من اب
ولا من ام ولا اثر لخروجه من الرحم او يقولون ورد النص الالهى بتسميته
ابنا والله عز وجل له ابا فيقال لهم لا نسلم ان النص الالهى ورد بذلك ولا
نسلم صحة ما تدعونه من النصوص سلمناه لكنه ينتقض بيعقوب اذ
قيل له في التورية انت ابنى بكرى وبقول المسيح للحواريين وغيرهم ان اباكم
السماوى برّكم وقوله اذهب الى ابى وابيكم والهى والهكم فليكن هؤلاء كلهم
الهة لاجل هذه التسمية وانه باطل باتفاق • قل اتعبدون من دون الله
ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا هذا دليل اخر على عدم الالهية للمسيح وتقريره
ان الاله يملك الضر والنفع والمسيح لا يملك الضر والنفع فالاله ليس بالمسيح
وينعكس كنفسه المسيح ليس باله والمقدمة الاولى واضحة واما الثانية فلان
المسيح لم يملك لنفسه ضرا ولا نفعا اذ عند النصارى انه قتل وصلب وقهر
وظلم فلم يمتنع غير ان النصارى يتجاهلون ويزعمون انه لم يعجز عن نفع
نفسه ولكنه هو اسلمها للعدو اقامة للحجة عليهم في امور اخر يرغب عن
ذكرها لسخافتها وضعف عقل قائلها واما اثبات رسالة المسيح خلافا
لليهود فلانه ادعى النبوة واظهر المعجز على وفق دعواه وكل من فعل ذلك
فهو رسول صادق فالمسيح رسول صادق اما انه ادعى النبوة فبالتواتر
وقد صرح به القران في قوله عز وجل واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل
انى رسول الله اليكم الاية واما انه اظهر المعجز على وفق دعواه فبالتواتر ايضا
كاحياء الموتى وغيره من الخوارق التى هى كمعجزات موسى عليه السلام واعظم
واما ان كل من كان كذلك فهو رسول صادق فلوجهين احدهما ان تاييد
الله عز وجل من ادعى النبوة بالمعجز يتنزل منزلة قوله صدق عبدى في دعواه
انه رسولى بدليل ان انسانا لو قال لجماعة بحضرة ملك انا رسول الملك
اليكم ثم قال للملك صدق دعواى بخرق عادة من عاداتك ففعل الملك
ذلك علم بالضرورة صدق ذلك الانسان في دعواه الثانى لو لم يكن من اتى

بالمعجز

بالمعجز على وفق دعواه صادقا لجاز ان لا يكون موسى في مثل ذلك صادقا لكن
ذلك باتفاق منا ومنهم باطل فثبت بما ذكرناه ان المسيح رسول الله ولزم من
ثبوت رسالته ثبوت النسخ الذى يفرون منه واعترض اليهود على هذه الحجة
بان قالوا لا نسلم ان المسيح ادعى الرسالة وانما ادعى انه ابن الله والمسيح الذى
وعدنا به هو ابن داود فالمسيح ابن مريم ليس هو المسيح الموعود ولا ادعى
الرسالة بل الالهية سلمناه لكن لا نسلم انه انظر المعجز على وفق دعواه ولكنه
لما فرت به امه الى مصر خدم بعض اليهود ممن كان قد اوتى الاسم الاعظم فسرقه
او تعلمه منه فكان يفعل به الخوارق ويدعى ما شاء واذا بطلت المقدمة الاولى
من دليلكم لم تنفعكم الثانية وحدها ولا حاجة بنا نحن الى منعها والجواب
ان كون المسيح عليه السلام ادعى انه ابن الله باطل من اباطيل النصارى ثم تلقاه
اليهود منهم ولو سلم لكان ذلك مجازا وتشريفا كما قيل لاسرائيل انت ابنى بكرى
ولو ان يعقوب عليه السلام قال انا ابن الله بهذا الاعتبار لم يكن ذلك منافيا
لدعواه الرسالة واما كون المسيح الذى وعدتم به هو ابن داود فهو صادق
على عيسى بن مريم اذ هو ابن داود من جهة امه مريم وقول اليهود ان دين
التورية ان النسب لا يثبت من جهة الام مدافعهم غير مامونين عليها
ولو سلم ذلك لم يضر لان المسيح صاحب دعوة مستقلة وشريعة وملة
والنسب في شرعه يثبت من جهة الام على خلاف حكم التورية فيجب التسليم
لما جاء به من المعجز ثم ينزل كونه ابن داود على مقتضى شرعه ثم ان صفة
المسيح عليه السلام واردة في التورية عند ذكر موت يعقوب عليه السلام
ووصيته اولاده حيث قال لا يزال الملك بين فخذى يهودا حتى ياتى المنتظر
الذى يركب الحمار ويحمر من الخمر وجهه واشد بياضا من اللبن اسنانه في
صفات اخر موجودة في المسيح فانكار اليهود له مكابرة وعناد واما كونه
سرق الاسم الاعظم من بعض احبارهم فان فتحوا هذا عورضوا بمثله في موسى
عليه السلام وانه سرق الاسم الاعظم من شعيب عليه السلام حين صاهره
ورعى له الغنم عشر سنين لكن ذلك باطل في حق موسى فكذلك في حق المسيح
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه الاية تقتضى ان ترك الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر مع امكانه والقدرة عليه كبيرة يستحق بها اللعن ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا الايتين تقتضى ان تولى الكفار كفر موجب
للسخط مخلد في العذاب مناف للايمان بالله عز وجل ورسله وكتبه
لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن
اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى الايات تعلق بها النصارى

على جهة الالزام للمسلمين وتقرير شبهتهم منها ان قالوا نحن قد اثنى علينا القران
وكل من اثنى عليه القران فهو خير محق فنحن خيرون محقون اما ان القران اثنى
علينا ففي هذه الايات اثنى علينا بان منا قسيسين ورهبانا وانا متواضعون
لا استكبار عندنا وغير ذلك واما ان من اثنى عليه القران يكون محقا
فلانه معصوم عند المسلمين والمعصوم لا يقول الا حقا ولا يمدح ولا يقدح
الا بحق والجواب ان المراد بالنصارى في الاية نصارى مخصوصون
وهم النجاشي واصحابه من اهل الحبشة لا جميع النصارى بدليل انه وصفهم
بانهم اقرب مودة للمسلمين وانتم اشد عداوة لهم ووصفهم بانهم اذا
سمعوا القران فاضت اعينهم تصديقا له وانتم لا تصدقونه ووصفهم بانهم
امنوا بالاسلام وشهدوا بصلاح المسلمين وانتم لستم كذلك فدل على ان
المراد ما ذكرناه من خصوص النصارى لا ما ذكرتموه من عمومهم وكيف
يثنى عليكم وقد صرح قبل هذا بكفركم لاجل التثليث الذى تدينون به
وفي اول هذه السورة يقول ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم
فنسوا حظا مما ذكروا به وهو ذم لهم فدل على ان الذم والمدح مختلف
الموضوع وان المذموم غير الممدوح وهذه شبهة اوردها على بعض النصارى
فاجبته بنحو هذا الجواب • لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم عام في النهي عن تحريم
الطيبات يحتمل ان يخص منه ما اذا نذر صوما او احراما او تطوع به فانه قد
حرم على نفسه طيبات وهو غير منهي عن ذلك ولقايل ان يقول ليس هذا
من باب تحريم الطيبات وانما هي عبادات تبعها تحريم طيبات فتحريم الطيبات
حصل تبعا لا قصدا • فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون
اهليكم او كسوتهم او تحرير رقبة هذا هو المثال المشهور في الواجب المخير وهو
ايجاب احد الاشياء على التخيير لا على التعيين والخلاف في جوازه مع المعتزلة
وهو عند التحقيق خلاف لفظي لان الجميع اتفقوا على انه لو فعل الجميع او ترك
الجميع لما اثيب ولا عوقب الا على واحد وتحقيق المسئلة ان التكليف تعلق
بالقدر المشترك بين الاشياء المخير فيها وهو واحد منها فمن اتى بهذا
المشترك خرج عن عهدة التكليف ومن عطل المشترك بترك الجميع اثم وهذا
القول في الواجب الموسع وفرض الكفاية • انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه هذا عام في تحريم هذه الاربعة
خص منه الخمر للتداوي عند بعض العلماء وبعضهم يطرد فيه العموم فلا
يبيحه لتداو ولا غيره الا لدفع لقمة غص بها ولم يجد غيره او اكره على
شربه • ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اى من

المباحات

المباحات فهو مخصوص بها • لا تقتلوا الصيد وانتم حرم عام في تحريم قتله
يحتمل ان يخص منه ما قتل خطأ او لمصلحة الصيد كتخليصه من شبكة وعلاجه
من مرض ونحوه ويحتمل ان هذا لا يدخل تحت عموم التحريم حتى يخص منه لان
العموم انما يتناول قتله عن قصد وهذا لم يقصد قتله لكنه يخص بلا خلاف
بالصيد الصايل اذا قتله لا تحريم فيه ولا اثم ولكن هل يضمنه ام لا خلاف الاصح
لا يجب ضمانه • ليذوق وبال امره يحتج به على ان الكفارة شرعت عقوبة
وزجرا لا جبرا والتحقيق ان الكفارات منها ما شرع زاجرا كهذه ومنها
ما شرع جابرا كفدية الاذى اذ لا معصية هناك يزجر عنها وهذه قاعدة
في الكفارات حيث كانت عن معصية فالمقصود بها الزجر وان كان فيها
جبر فهو تبع وحيث لا معصية فهي جابرة لما نقص من العبادات او فات
من بعض الحقوق التعبدية • احل لكم صيد البحر عام خص منه الضفدع
والتمساح والكوسج وعلى قياسه كل سبع مائي وانسان الماء وكلبه وخنزيره
وكلما حرم نظيره في البر على خلاف بينهم في بعض هذه الصور المخصوصة
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما يعني حرم عليكم اكله وهو عام خص
منه صيد الحلال يجوز للمحرم اكله اذا لم يصده لاجله لقوله عليه الصلاة
والسلام صيد البر حرام ما لم تصيدوه او يصاد لكم • ما جعل الله من بحيرة
الاية عامة في نفي الاربعة المذكورة فيها فلا يشرع في الاسلام شئ منها •
عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ربما احتج بها بعض من لا
يعلم على سقوط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس كذلك اذ هو خلاف
الاجماع على وجوب الامر والنهي وانما معنى الاية اعملوا على خلاص انفسكم
بالطاعة وترك المعصية ثم ان ضل ضال لم يضركم اذا اهتديتم وان اهتدى
مهتد لم ينفعكم اذا ضللتم كما قيل عليك بخاصة نفسك • يوم يجمع الله
الرسل عام مطرد • فيقول ماذا اجبتم فيه ان الانبياء يستشهدون على
الامم نحو فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين وهذه من
احكام اليوم الاخر • اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي الاية فيها جملة
من معجزات المسيح الدالة على صدقه في دعوى الرسالة كما سبق في ال عمران
واذ كففت بنى اسرايل عنك فيه رد على من زعم انه قتل وصلب مع ما
سبق من النص على ذلك في سورة النساء • اذ قال الحواريون يا عيسى
ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء الايات
فيها ذكر المائدة وهي من معجزات عيسى عليه السلام لم تذكر الا في هذا
المكان واعلم ان الحواريين قد ورد الثناء عليهم فوجب دفع ما لا

يليق بحالهم عنهم فمنه قولهم هل يستطيع ربك اما على قراءة الخطاب فلا
اشكال اذ تقديره هل تستطيع يا عيسى ان تسأل ربك واما على الغايب
فمعناه هل يفعل ربك ذلك ان سألته فعبروا عن الفعل بالاستطاعة
لانها من لوازمه ومنه قولهم • نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم
ان قد صدقتنا ظاهر في انهم كانوا شاكين في صدقه فيجاب عنه بوجوه احدها
ان هذا كان عند اول متابعتهم له ولما يرسخ الايمان في قلوبهم كالمؤلفة
قلوبهم من مؤمني الصحابة حيث استقر ايمانهم والثاني ان يكون هذا
القول من بعض اتباع الحواريين ونسب اليهم مجازا كما ينسب الى الرجل قول
بعض حاشيته واتباعه الثالث ان يجاب عنه بمثل ما اجيب عن قول ابرهيم
ولكن ليطمئن قلبي اي بالعيان وان كانت قلوبنا مطمئنة بالايمان •
واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من
دون الله اختلف في هذا فقيل انه وقع وان الله عز وجل سأل عنه المسيح
لما رفع اليه وقيل لم يقع ولكن سيقع يوم القيمة ويسأله عنه تقريعا للنصارى
وتوبيخا لهم والمعنى واذ يقول الله يا عيسى واستعمل الماضي موضع المضارع
وعكسه واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي ما تلت • ما قلت لهم الا ما امرتني به
ان اعبدوا الله ربي وربكم هذا مما سبق من الاعتراف بالعبودية والربوبية
على ما مر تقريره القول في سورة الانعام الحمد لله الذي خلق الانعام
السموات والارض اختلف في ايهما خلقت اولا على قولين مشهورين
ممكنين تضمنهما القرآن كما سيأتي في موضعه ان شاء الله عز وجل • الظلمات
والنور فيه سؤالان احدهما لم قدم الظلمات على النور وجوابه لان الظلمة امر
عدمي اذ هي عدم الاستنارة عما من شأنه ان يستنير والنور امر وجودي والعدم
قبل الوجود الثاني لم جمع الظلمات ووحد النور والجواب لان النور امر
واحد حقيقي بسيط والظلمات اعدام نشأت عن الاجرام المتعددة اذ
الظلمة انما تحدث في مكان لحيلولة جرم كثيف بينه وبين النير فاذا حالت
عدة اجرام بين النير وعدة امكنة حدثت ظلمات بالضرورة واعتبر
هذا بعدة اشجار متفرقة يحدث لها في النهار المشمس والليل المقمر عدة
ظلال والليل ظلمة حدثت لحيلولة الارض بين الشمس والفضا فلذلك اظلم
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا يعبد معه مع انه
مخلوق وانما الله عز وجل هو خالق كل شئ وهذا من ادلة التوحيد وتقريره
ان الله عز وجل هو خالق الموجودات وكل من كان خالق الموجودات فهو
وحده الاله فالله عز وجل وحده هو الاله والمقدمتان واضحتان وفيه تعريض

بالمجوس

بالمجوس لنصه على خلق الظلمات والنور اللذين اعتقدهما المجوس الهين وتقريره
ان الظلمة والنور مخلوقان ولا شئ من المخلوق باله فلا شئ من الظلمة والنور
باله وانما اغتر المجوس بان قالوا العالم مشتمل على خير وشر وهما لا يصدران
عن مبداء واحد فهما صادران عن مبدأين وليس اولى بهما من النور والظلمة
لان النور خير فناسب ان يصدر عنه الخير والظلمة شر فناسب ان يصدر عنها
الشر واعلم ان هذا كلام ركيك لا يستحق جوابا لكن لا بد من كشف الشبهة
فنقول قولكم الخير والشر لا يصدران عن مبدا واحد ان بنيتم ذلك على
رأي الفلاسفة في ان الواحد لا يصدر عنه الا واحد فهو اصل باطل وشبهة
زائغة وان كان شيئا قلتموه بالمناسبة المجردة فهو منقوض نقضا كليا
وجزئيا اما نقضه الكلي فان العناصر الاربعة التي هي امهات العالم كل واحد
منها يصدر عنه خير وشر مع انه واحد فالنار تنضج الطبيخ والخبز وهو خير
وتحرق الثياب ونحوها وهو شر والهوى ينفس عن الحيوان ويدفع نتن الفضا
ونحوه من منافعه وهو خير ويعصف ويشتد فيهدم البيوت ويحطم الاشجار
ونحوه من مضاره وهو شر والماء يروي العطشان ويطهر المغتسل ويبرد
جسم المتبرد به وهو خير ويغرق كثيرا من الناس والحيوان كما فعل الطوفان
وذلك شر والارض تقل الحيوان ان يغور فيها ويخرج منها الزرع والنبات
والمعادن وهو خير واذا استولى جرم منها على حيوان قتله غما وهو شر
واما نقضه الجزئي فكل شئ يعتبر حاله الا وفي طيه ضر ونفع وخير وشر
كالسباع هي ضارة بالافتراس نافعة بما فيها من الخواص والافعي ونحوها من
ذوات السموم فيها السم الضار والدرياق النافع ونحو ذلك كثير فبطل
قولكم في وجوب تعدد المبدا ثم قولكم ليس اولى بهما من النور والظلمة معارض
بان السماء والارض اولى بهما لان السماء شفافة علوية لطيفة فهي خير
والارض سفلية كثيفة فهي شر وهما اصلان او كالاصلين للنور والظلمة
ومما ينافي قصدون به ان النهار فاضح بنوره والليل كاتم بظلمته وذلك شر
صادر عن الخير وخير صادر عن شرير ومن ثم قال الشاعر •
• لا يلق الا بليل من يواصله • فالشمس نمامة والليل قواد •
وقال الاخر في صفة هارب تحت الليل • •
• وكم لظلام الليل عندك من يد • تخبر ان المانونية تكذب •
وهم اصحاب ماني الزنديق طائفة من المجوس وايضا لو كان النور والظلمة
الهين لكانا مؤثرين فيما يحدث فيهما فلو ولد مولود في النور واخر في الظلمة
امكن في العقل ان يكونا خيرين او شريرين او احدهما خيرا والاخر شريرا فيتقدير

ان يكونا خيرين يلزم صدور الخير عن الظلمة الشريرة وبتقدير ان يكونا شريرين يلزم صدور الشر عن النور الخير وبتقدير ان يكون المولود فى النور شريرًا والاخر خيرا يلزم الامران جميعا وكل ذلك مما ينقض قولهم ويهدم اصلهم
وهو الله فى السموات وفى الارض الاية اختلف فى الوقف على السموات بناء على اثبات الجهة وعدمه وهو مشهور حتى صار الواقف على السموات يعرف بذلك انه من مثبتى الجهة والاشبه من حيث المعنى عدم الوقف عليه كقوله عز وجل وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله • ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون زعم بعضهم ان المسيح كان ملكا فى هيكل بشر الباسا على الناس حتى ضلت فيه النصارى قال وهذه الاية تشير الى ذلك وهذا قول مشتق من قول النصارى لان اولئك جعلوا الحلول فيه للاهوت وهذا نزل درجه وجعله للملك ثم يحتج بالاية على المعتزلة فى ان الله عز وجل هو الذى يهدى ويضل لانه اخبر انه لو اجاب الكفار الى سؤالهم لما نفعهم ذلك فى الهداية مع الباسه وتشبيهه عليهم • ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه هذا اخبار بالبعث وبرهانه فى مواضع اخر تذكر ان شاء الله عز وجل • وله ما سكن فى الليل والنهار اى وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر لدلالته عليه بالالتزام ولعل فيه اشارة الى دليل حدوث العالم وتقريره ان كل ما اشتمل عليه الليل والنهار فهو اما ساكن واما متحرك وكل ما كان اما ساكنا واما متحركا فهو حادث فكل ما اشتمل عليه الليل والنهار حادث اما الاولى فواضحة لاستحالة تخلو شئ مما اشتملا عليه من الحركة والسكون ان كان جوهرا فبالذات وان كان عرضا فبالعرض كالجوهر واللون القائم به واما الثانية فلان الحركة والسكون من امارات الحدوث كما عرف • وهو القاهر فوق عباده احتج بها اصحاب الجهة حملا له على الفوقية الحسية وحمله الاخرون على الفوقية المعنوية نحو قولهم الملك فوق الوزير اى فى الرتبة وفوقية الله عز وجل بالرتبة والقدرة والكمال اذ هو قديم قادر كامل ومن سواه حادث عاجز ناقص وفى المسئلة مباحث اخر • قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم هذا قاطع فى جواز تسمية الله شيئا خلافا لبعض المعتزلة والشيعة لنا ان معنى هذا الكلام قل الله اعظم شئ او اعظم الاشياء شهادة وافعل التفضيل انما يضاف الى ما هو بعضه ثم ينتظم القياس هكذا الله اكبر شهادة والاكبر شهادة شئ فالله عز وجل شئ ولان الشئ لغة هو الموجود والله عز وجل موجود فالله عز وجل شئ احتج الخصم بان الله عز وجل لو كان شيئا لاشبه الاشياء

ولو من جهة تسميته وكونه شيئا وكل ما اشبه الاشياء من جهة ما فله حكمها وهو الحدوث وذلك يوجب ان يكون الله عز وجل حادثا وانه محال والجواب ان هذا بعينه لازم فى كونه موجودا فان اثبت كونه موجودًا لزمك اثباته شيئا والا لزمك اعتقاد انه معدوم او حال من الاحوال لا موجود ولا معدوم او موجود معدوم من جهة واحدة او من جهتين والكل محال •
واوحى الى هذا القران لانذركم به ومن بلغ هذا دليل على عموم دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لان القران بلغ جميع العالم ولا احد ممن بلغه القران بخارج عن دعوته فلا احد من العالم بخارج عن دعوة القران فان قيل لا نسلم ان القران بلغ جميع العالم بل فى اقطار المعمورة من لم يسمع بالقران فضلا عن ان يبلغه قلنا هب انا سلمنا ذلك تنزيلا لكن المراد ومن بلغه القران بالامكان وهو بالغ جميع العالم بالامكان كانه قال لانذركم به ومن بلغه بالقوة او الفعل او من بلغه او امكن ان يبلغه ذلك يستغرق العالم ائنكم لتشهدون الاية تضمنت نفى الشرك واثبات التوحيد وسياتى برهانه ان شاء الله عز وجل • الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم اى يعرفون صحة القران او صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله ابن سلام انى لاعرف محمدًا اشد مما اعرف ابنى قيل له وكيف ذلك قال انى لاعلم انه رسول الله باخبار الله ولا اعلم ما تصنع النساء ثم ينتظم من هذا حجة على كفرهم وتقريره انهم كذبوا من علموا صدقه وكل مكذب من علم صدقه فهو كافر فاهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم كفار لكن هل اهل الكتاب عام مطرد او عام اريد به الخاص وهم الاحبار واهل العلم منهم وهذا هو الاشبه لان كثيرا من عوامهم وجهالهم لم يقرا التورية وغيرها من الكتب حتى يرى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فيها انما اخذ عن الاحبار تقليدا ان محمدا ليس مذكورا فيها باسم ولا صفة فاعتقاد مثل هذا العامى جهل مستند الى كذب لكن القسمان تحت دائرة اللوم والوعيد اما العالم فلكذبه وكتمانه الحق واما العامى فلتركه البحث وسؤال العلماء عن هذا الامر مع عموم دعوة الاسلام ووضوح برهانها وهب انه عذر بجهله لكنه لا يعذر فى ترك سؤال العلماء حتى يحصل له سكون النفس اما باثبات او نفى • ويوم نحشرهم جميعا هى ونظايرها حيث وقعت اخبار عن البعث والمعاد والجزاء • وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم وقرا هذا اما على حقيقته على وجه يعلمه الله عز وجل وكناية عما يخلقه فى قلوبهم من دواعى المخالفة والصوارف

عن متابعة الحق وقد سبق القول في ختم الله على قلوبهم وهو من هذا الباب • وهم ينهون عنه وينأون عنه الاشبه ان المراد به عامة الكفار المشاققين للنبي صلى الله عليه وسلم كانوا ينهون الناس عن اتباعه وينأون اى يبعدون عنه فذمهم الله عز وجل على شدة نفورهم وتنفيرهم عن الحق وقيل المراد بها ابا طالب كان ينهى عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم وينتصر له بجهده وهو مع ذلك ينأى اى يبعد بنفسه عن متابعته فذمه الله عز وجل على ذلك وقد اختلف الجمهور والشيعة في اسلام ابي طالب ويأتي الكلام عليه ان شاء الله عز وجل في سورة القصص • ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه الاية يحتج بها على ان الله عز وجل يعلم ما كان وما يكون وما لا يكون على تقدير لو كان كيف كان يكون وهو كذلك والاستدلال مطابق واصله معرفة كيفية علم الغيب وهو واضح لكن شرطه لا يوجد الا في الله عز وجل فلذلك استبد به واما في هذه المسئلة الخاصة فلانه عز وجل علم انهم بموجب طباعهم وفطرهم التي فطرهم عليها من الاشر والبطر والاستكبار عن الحق وغلبة الشهوات والاهوا عليهم لو ردوا من عذاب الاخرة الى الدنيا لعادوا الى كفرهم مع انه ينسيهم امر المعاد واليوم الاخر وما جرى لهم في النار ومثل هذا واقع في الدنيا كثيرا وهم المفسدون واللصوص ونحوهم اذا ظفر بهم ليقتلوا او يقطعوا اعطوا التوبة من فسادهم فاذا تركوا عادوا الى شر مما كانوا عليه وكذلك لو فرض ان الحية او الفارة تابت عند القتل من اللدغ والفساد لعلم كذبها وانها ان ردت عادت لغلبة طبعها الفطري عليها • وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وفي اية اخرى نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين اعلم ان الناس اختلفوا في المعاد فمنهم من اثبت المعاد الجسماني والروحاني وهم المسلمون ومن تابعهم ومنهم من اثبت الروحاني دون الجسماني وهم الفلاسفة والنصارى ومنهم من انكرهما جميعا وهم هؤلاء الدهرية الملحدة قالوا ما يهلكنا الا الدهر فهو باق بعدنا ولا رجعة لنا وتوقف جالينوس في هذه المذاهب اما المعاد الجسماني دون الروحاني فلم نعلم به قايلا لاستحالته وقد قرر الله عز وجل براهين المعاد في مواضعها ونحن الآن ان شاء الله عز وجل نشير اليها جملة لتعرف ثم نذكرها مفصلة كلما مررنا بشئ منها وهي على اضرب احدها قياس الاعادة على الابتداء نحو كما بداكم تعودون • كما بدانا اول خلق نعيده • وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده • افعيينا بالخلق الاول وما كان من ذلك الضرب الثاني قياس الاعادة على خلق السموات والارض بطريق اولى نحو اوليس الذي خلق السموات

والارض

والارض بقادر على ان يخلق مثلهم على ان يحيى الموتى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الضرب الثالث قياس الاعادة على احياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات وهو في كل موضع ذكر انزال المطر غالبا نحو ويحيى الارض بعد موتها وكذلك تخرجون الضرب الرابع قياس الاعادة على اخراج النار من الشجر الاخضر وهو موضع واحد في اخر يس هذا الذي استحضرناه من براهين الاعادة فان وجدنا شيئا اخر تكلمنا عليه في موضعه ان شاء الله عز وجل قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله الاية عام مطرد في المكذبين بشرط الموافاة على ذلك كما دلت عليه الاية ويحتج به على المعتزلة في مسئلة الرؤية بناء على ان اللقاء يقتضي الرؤية وتقريره ان الله عز وجل ذم من كذب بلقائه وحكم بخسرانه ثم ينتظم الدليل هكذا ان كان لقاء الله عز وجل واقعا فرؤيته واقعة لكن المقدم حق فالتالي مثله بيان الملازمة ما تقدم من ان اللقا لغة يقتضي الرؤية فلقاء الله عز وجل يقتضي رؤيته واما حقية المقدم فبهذه الاية وغيرها من نصوص القران على ان لقاء الله حق واقع لا محالة واما حقية التالي فلان الرؤية قد ثبت انها من لوازم اللقا وقد ثبت الملزوم فوجب ثبوت اللازم بالضرورة • قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون هذا عام معهود او عام اريد به الخاص اى الذي يقولونه من التكذيب والكفر والا فقد كانوا يسلمون عليه ويعظمونه ويقاربونه في امور كثيرة ومثل ذلك لا يحزنه • ولو شاء الله لجمعهم على الهدى يحتج به على القدرية من وجهين احدهما ان المانع لهؤلاء من الهدى مشيته و مشيته واجبة فامتناع هداهم واجب وهو معنى الجبر الثاني ان جمعهم على الهدى اصلح لهم وعند الخصم يجب عليه رعاية الاصلح فما باله لم يفعله والخصم يجيب عن الاول بمنع وجوب مشيته عز وجل بل هي عنده حادثة لا في محل وهو من محالاتهم التي ياباها العقل وزعم ان معنى الاية انه لو شاء لجبرهم على الهدى جبرا وقسرا لا ان مشيته مانعة لهم عن الهدى • انما يستجيب الذين يسمعون اى وهؤلاء كالموتى لا يسمعون ينتج ان هؤلاء لا يستجيبون يعني لداعي الهدى والحق وهذا يشير الى قوله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اى هؤلاء لم يسمعهم الله وكل من لم يسمعه الله عز وجل لا يستجيب فهؤلاء لا يستجيبون ومعنى كونه لم يسمعهم انه لم يخلق فيهم داعيا لقبول الحق بل خلق فيهم الصوارف عنه فصاروا كالموتى لا يسمعون • وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه الاية احتج بها اليهود والنصارى على جهة الالزام للمسلمين على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يات باية لانه

هؤلاء قومه الذين ارسل اليهم قد اخبروا انه لم يات باية ووافقهم هو على ذلك
ولم يناذعهم فيه بل احالهم فى الاية على مجرد قدرة الله عز وجل على انزالها
ومجرد القدرة على انزالها لا يقتضى انزالها فبقى على اصل العدم ونفى الحال
على ما زعمه القوم من انه لم يات باية والجواب من وجهين احدهما ان هذا
انما كان بعد ان ظهرت اياته وبهرت لكن هؤلاء الكفار تلقوها بالعناد المحض
وزعموا انها سحر مستمر كما عاند فرعون ايات موسى وعاند اليهود ايات
المسيح فكان قول الكفار لولا نزل عليه اية بناء منهم على ان ما جاءهم به من
الايات ليس بشئ بناء على عنادهم وسوء اعتقادهم الوجه الثانى ان معنى
الاية لولا نزل عليه اية يضطرنا الى الايمان به مثل ان نرى الملائكة او نرى ربنا
ونحوه فاجاب الله عز وجل بانه قادر على ان ينزل ذلك لكنه يفوت حكمة
التكليف اذ المراد منهم الايمان الاختيارى لا الاضطرارى اذ هو غير مراد
ولا نافع والا لنفع فرعون حين ادركه الغرق وعاين الحق ولنفع اهل النار
فانهم يؤمنون حينئذ لكن ايمانا اضطراريا لا ينفعهم وقد نقل عن
الامام ابى حنيفة رحمه الله انه قال لا يدخل النار الا مؤمن فقيل له كيف ذلك
فتلى فلما رأوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين
فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا ولعل الاشارة الى هذا وقعت
بقوله عز وجل ولكن اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون وجه الحكمة فى ترك
اضطرارهم الى الايمان وفى الجواب وجه اخر اشير اليه فى قوله عز وجل وما
منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون وهو يشير الى ان الايات
فترت عن كفار العرب فطلبوها فقيل لهم انما امسكناها عنكم ابقاء عليكم
لئلا تكذبوا بها فتهلكوا كما هلك من قبلكم قوله عز وجل وما من دابة
فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم احتج بها التناسخية وهم
القائلون بتناسخ ارواح الحيوان بعضها فى اجساد بعض بعد موته ووجه
استدلالهم بها انها تضمنت ان للدواب والطير امم امثال الناس وانما يكونون
امثال الناس بتقدير انهم كانوا على مثل حالهم ثم انتقلوا الى صور الدواب
والطير وذلك معنى التناسخ وجوابه ان التناسخ على رأى اهله قد تقرر فى
الكلام والحكمة انه محال واما هذه الاية فليست نصا فيه ولا ظاهرا فلا وجه
للاستدلال بها عليه ولكن للاشياء نسبة فدليلهم مدلولهم فى الضعف والبعد
عن العقل والاية تحتمل وجوها احدها ان الدواب والطير امثالنا فى العبادة
بدليل كل قد علم صلوته وتسبيحه وان من شئ الا يسبح بحمده الثانى انهم مثلنا
فى التكليف وارسال الرسل فيهم بدليل ولقد بعثنا فى كل امة رسولا على ما ذهب

اليه بعضهم فى عمومه فى امم العقلا وغيرهم الثالث انهم امثالنا فى انهم عقلاء
مدركون على ما ذهب اليه قوم الرابع انهم امثالنا فى انهم يرزقون بدليل وما من
دابة فى الارض الا على الله رزقها. الله يرزقها واياكم الخامس انهم امثالنا فى
انهم يبعثون ويحشرون كما دل عليه اخر الاية ويحتمل غير ذلك مما يستبد
الله عز وجل بعلمه ومع هذه الاحتمالات القريبة الظاهرة اى شئ يبقى
للتناسخ البعيد عنها يحتج عليه منها. ما فرطنا فى الكتاب من شئ يحتج به
الظاهرية على ابطال القياس وتقريره ان كل حكم من احكام الشرع الممكنة
فهو شئ والكتاب لم يفرط فيه فى شئ ينتج ان كل حكم من احكام الشرع الممكنة
لم يفرط فيه فى الكتاب وحينئذ لا حاجة بنا الى القياس لانا نستفيد الاحكام
من نصوص الكتاب وعموماته وظواهره وبيان السنة له وما لا حاجة بنا اليه
فاثباته عبث والعبث باطل فاثبات القياس باطل وجوابه من وجهين
احدهما ان المراد بالكتاب اللوح المحفوظ الجامع لكليات العالم وجزئياته
حتى ان الكتب المنزلة جميعها جزء منه وليس المراد به خصوص القران فلا
يتم استدلالهم الثانى سلمنا انه المراد لكن القياس من جملة الاشياء التى
لم يفرط فى الكتاب فيها وهو حجة من حجج الشرع بدلالة مستفادة من الكتاب
ثم ينتظم الدليل هكذا القياس شئ والكتاب لم يفرط فيه فى شئ فالقياس
لم يفرط فيه فى الكتاب وسيأتى القول فيه فى موضع اخر ان شاء الله عز وجل
من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم هذا من قواصم
الاعتزال فى نسبة الهداية والاضلال الى الله عز وجل وقد سبق مثله وسبب
ذلك ما يخلقه الله عز وجل من الدواعى والصوارف فى قلب الانسان فيهتدى
او يضل بها. قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله
تدعون الايتين هذا من ادلة التوحيد وتقريره ان الاله هو المفزوع
اليه عند الشدائد ولا شئ من الاصنام ونحوها بل ومما سوى الله عز وجل
مفزوع اليه عند الشدائد تنتج لا شئ من الاصنام وما سوى الله عز وجل
باله والمقدمتان واضحتان. بل اياه تدعون قدم المفعول لافادة الحصر
وهو من ادواته كما سبق. فيكشف ما تدعون اليه ان شاء هذا شرط
مخصص لعموم اجيب دعوة الداع او مقيد لمطلقه كما مر. فلولا اذ جاءهم
بأسنا تضرعوا الاية وما قبلها تدل على ان الله عز وجل قد يمتحن عباده
بالبأساء والضراء والمصايب رياضة لانفسهم على الذل والضراعة
واليه الاشارة بلعلهم يضرعون ويدل على ان التضرع عند النوازل من
انجع الوسايل ووجهه ان كبرياء الاله جل جلاله يقتضى له الضراعة والذل

بمن دونه فمن فعل ذلك رحم كقوم يونس عليه السلام لما اظلهم العذاب تضرعوا
فسلموا ومن قسى قلبه فلم يتضرع فقد اخل بوظيفة الكبرياء وعرض نفسه
للهلاك ومثل هذا بعينه يجرى مع ملوك الارض من ضرع لهم سلم ومن تجلد
عليهم قصم وهو الموذج لما ذكرنا ويقال ان النمر يواثب الانسان ما دام
منتصب الشخص فاذا نام تركه وفى الاثر ان الله عز وجل اوحى الى داود عليه
السلام يا داود خفنى كما تخاف الاسد ومن كلام بعض الحكماء القضا والقدر
سبعان فتماوت بين ايديهما فان السبع لا ياكل الميتة وهذه المسئلة تتعلق
بصفة الكبرياء • وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون مع قوله عز وجل
كذلك زينا لكل امة عملهم فالله عز وجل يزين ما يشاء بخلق الدواعى اليه
والصوارف عن غيره والشيطان يزين بالوسوسة وهى سبب ضعيف انما
جئ به لاقامة الحجة على الشيطان وفتنة من نسبا يجاد الشر اليه بالظلم
والعدوان ان كيد الشيطان كان ضعيفا والعلة التامة الموجبة لكل شئ
هى ارادة الله عز وجل وتصرفه • فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب
كل شئ حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة هذا هو حقيقة الاستدراج
وهو ضرب من ضروب القدر بل بحر من بحاره غرق فيه الخلايق الا من تداركه
الله عز وجل فانقذه منه اوحفظه ابتداء عنه • فقطع دابر القوم الذين
ظلموا والحمد لله رب العالمين يحتمل امرين احدهما ان الظالمين هلكوا
والله عز وجل باق يستحق الحمد ازلا وابدا فتكون هذه راجعة الى صفة البقاء
الازلى الابدى والثانى ان الظالمين لما هلكوا كان هلاكهم نعمة من الله
عز وجل يستحق الحمد عليها اذ هلاك الظالم راحة للناس فهو مستريح ومستراح
منه • قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم الاية هى من دلايل التوحيد
من جهة الافعال وكمال القدرة والتصرف وتقريره ان الله عز وجل
هو المتصرف فى سمعكم وابصاركم وقلوبكم بالاخذ والرد وكل متصرف فى
ذلك فهو الاله فالله عز وجل هو الاله بيان الاولى ان هذا التصرف ممكن
وكل ممكن مقدور لله عز وجل فهذا التصرف مقدور لله عز وجل بيان
الثانية ان المتصرف فى ذلك يجب ان يكون تام القدرة وكل من وجب ان
يكون تام القدرة فهو الاله • قل لا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول لكم انى ملك يحتج به من يرى الملائكة افضل من الانبياء
وقد سبق ذلك وتقريره ههنا ان الكفار كانوا يعتقدون ان الملك
افضل من النبى ولهذا طلبوا رؤية الملائكة وان يرسل اليهم ملك ثم ان
النبى صلى الله عليه وسلم اقرهم على هذا الاعتقاد وقال انا لا ادعى انى ملك

بلغ مقابلة

كما تعتقدون فى الملك بل انا بشر اتبع ما يوحى الى وحينئذ يقال النبى صلى الله
عليه وسلم اقرهم على اعتقاد تفضيل الملك وكلما اقر النبى صلى الله عليه وسلم
عليه فهو حق وللخصم منع الاولى • وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا يحتج به على المعتزلة فى ان الله عز وجل يفتن من يشاء
بان ينصب له اشراك الضلال ليضل ولو لم ينصبها لهم لما وقعوا فيها وشرح
ذلك • الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه كعمار بن ياسر
وبلال وصهيب وسلمان وخباب ونحوهم امر النبى صلى الله عليه وسلم بتقريبهم
ومخالفة الكفار فى طردهم وابعادهم فلما فعل ذلك قال الكفار لو كان
الاسلام منة ونعمة لما اختص بها هؤلاء دوننا فكان ذلك الامر سببا لهذا
الاستدلال الفاسد الموجب لفتنتهم والامتناع من الاسلام ولو امر النبى
صلى الله عليه وسلم بابعاد المذكورين وتقريب الكفار لكان اشرح لصدورهم
وارغب لهم فى الاسلام ويشهد لهذا قوله عز وجل ليجعل ذلك فتنة للذين
فى قلوبهم مرض وفى الايتين دليل على ان افعال الله عز وجل واحكامه معللة
بالحكم والمقاصد اذ علل فتن الكفار بقولهم اهؤلاء من الله عليهم وعلل القاء
الشيطان فى امنية النبى عليه السلام بفتنة المرضى القلوب • انه من عمل
منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم يحتج به على لزوم
التوبة لان الله عز وجل اخبر بقبولها بقوله فانه غفور رحيم اذ هو مرادف
لقوله ثم تاب قبلت توبته وكلما اخبر الله عز وجل به فهو واقع لا محالة ثم
المعتزلة يجعلون قبولها واجبا عليه والجمهور واجبا منه • وعنده مفاتح
الغيب عام فيها وهى الخمس التى فى اخر لقمان ببيان السنة وظاهر الاية ان المراد
وعنده علم كل غيب كلى اوجزئى وباقى الاية كالشرح لذلك فمنه • ويعلم ما فى
البر والبحر ومنه • وما تسقط من ورقة الا يعلمها الى اخر الاية من الغيوب
الكلية والجزئية واختلف فى المقتضى لعموم علمه فقالت المعتزلة هو
ذاته لا الصفة زائدة وقال الجمهور هو العلم وهو صفة قائمة بذاته زائدة
على مفهومها وقد سبق ذلك قوله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل
اى بالنوم سماه وفاة بجامع تعطل الحس فيهما ومن ثم قيل النوم اخو الموت
وقد جاء فى بعض كتب الاولين ان الارواح تعرج الى الله عز وجل فى حال
النوم فيلقى اليها من امره ما يشاء فاذا عادت الى الاجسام القت ذلك
الى النفوس والقلوب فحركت له الاعضاء والجوارح وان ثبت هذا فلعله
المراد بخلق الدواعى والصوارف وعند الفلاسفة ان النفس عالم علوى
مطبوع على حب ادراك العلوم والحقايق لكنه تعلق بهذا البدن الطبيعى

قسراً على جهة التدبير له فهي مشغولة به حال اليقظة فاذا كان النوم تجردت
والى عالمها العلوي توجهت لاقتناص المطالب العلمية وتحصيل الحقايق الكشفية
الغيبية فتحصل من ذلك بحسب قوتها واستعدادها وشبهوا النفس
بامرأة مربية لولدها فلا تزال مشغولة به ما دام يقظان فاذا نام انتهزت
فرصة خلوتها وتوجهت الى ما هو من همتها وقد اختلف في ان الروح والنفس
شيء واحد او شيئان مختلفان فان صح انهما شيئان امكن صحة القولين
اعني قول الفلاسفة في النفس وما جاء في بعض الكتب القديمة في الروح
وتكون النفس تحصل العلوم والروح تاتي بالامر المحتوم وعلم ذلك تحقيقا
عند الله عز وجل • ثم يبعثكم فيه اي في النهار عن نوم الليل • ليقضى
اجل مسمى وهو اجل الحيوة • ثم اليه مرجعكم بالموت ثم البعث • فينبئكم
بما كنتم تعملون اي ويجازيكم عليه وهذه المسئلة مركبة من انواع من
اصول الدين • ويرسل عليكم حفظة وهم الكرام الكاتبون مع كل مكلف
اثنان منهم يحفظون عليه اعماله وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
يعلمون ما تفعلون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وبعض الزنادقة
ينكرهم لانه لا يراهم ويلزمه ان ينكر الهواء المالي للفضا لانه لا يراه وان ينكر
عقله ونفسه وروحه لانه لا يرى شيئا من ذلك • قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر الايتين من ادلة التوحيد وتقريره كما سبق في اغير الله تدعون
وكذب به قومك وهو الحق يعني القران الدليل على حقيقته وجوه احدها
انه معجز في نفسه وكل معجز حق الثاني ظهور معجزات غيره على يد من جاء
به واخبر بحقيقته الثالث ما تضمنته من الاخبار بالغيوب الماضية
والمستقبلة فكان الاخبار مطابقا مع وجوه اخر • قل لست عليكم
بوكيل منسوخ باية السيف او خارج مخرج الوعيد فهو محكم • واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما
ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين دلت
هذه الاية على ان الناسي غير مكلف لقوله عز وجل فلا تقعد بعد الذكرى
مع القوم دل على ان قعوده معهم حال النسيان غير منهي عنه لانه فيه
معذور بالنسيان ولو كان مكلفا حينئذ لتعلق به النهي واذا ثبت هذا
في الناسي الحق به الساهي والمخطي والجاهل والمكره يؤكد ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم عفي لامتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولان توجه
التكليف مع هذه الاعذار تكليف ما لا يطاق وانه مرفوع ويتفرع عن هذا
الاصل مسائل كثيرة من العبادات والعادات فيسقط بهذه الاعذار الاثم

والحكم

والحكم المختص بالله عز وجل دون الحكم المتعلق بحقوق الادميين كدية الخطا وقيمة
المتلف خطا ونحوه لان ذلك من باب العدل والاعذار لا تؤثر في سقوط العدل
بخلاف التكليف • قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا هذا
من ادلة التوحيد وقد سبق تقريره في المائدة في اتعبدون من دون
الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا • وله الملك يوم ينفخ في الصور فيه اثبات
النفخ في الصور وقد تكرر ذكره في القران وهو امر من احكام اليوم الاخر ورد
به القران هكذا وبينته السنة بانه قرن عظيم كسعة السموات والارض
قد التقمه ملك يسمى اسرافيل وجثى على ركبتيه ينتظر متى يؤمر فينفخ فيه
نفخا مزعجا جدا وعند ذلك تقوم الساعة ويبعث الموتى ونحو ذلك من
امور الاخرة • عالم الغيب والشهادة اي ان الله عز وجل يعلم ما غاب عن
خلقه وما شهدوه فالغيب انما هو بالنسبة اليهم لا اليه اذ لا يغيب عنه شيء
علما ولا رؤية واعلم ان العالم على ضربين عالم غيب وهو ما غاب عن المخلوق
وعالم شهادة وهو ما شهده كالسموات والارض والجبال والبحار وساير الجزئيات
العنصرية وعالم الغيب اشرف من عالم الشهادة لوجوه احدها ان الله
عز وجل من قبيل الغيب ولذلك جعله ابو عمرو بن العلاء اسما من اسمائه فقال
في قوله عز وجل الذين يؤمنون بالغيب اي يؤمنون بالله الثاني ان ما غاب
عنا تشوقت النفس اليه عزيزا وما شوهد سيمته فصار مملولا وذليلا الا ما
خصته دليل الثالث انه حيث ذكر قدم فلا يكاد ان يقال عالم الشهادة
والغيب وذلك دليل شرفه على طريقة العرب في تقديم الاهم سواء قلنا
الواو للترتيب اولا وعالم الغيب والشهادة هو المشار اليه بقوله عز وجل
فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ثم لنذكر اقسام العالمين اما عالم
الغيب فهو اما قديم او حادث فالقديم هو الله عز وجل ولا تنكرن ادراجنا
له تحت العالم فانما هذا مجاز والمعنى مفهوم والحادث على اقسام احدها
الملائكة والثاني العقول والثالث النفوس والرابع النار والذي نرى
منها انما هو مظهرها او اثر من اثارها واما حقيقتها فجوهر لا يرى كالهواء
واولى لان موضعها اعلى من موضعه والخامس الهواء والسادس الجن
والشياطين لانهم فرع النار التي هي غير مرئية السابع ما وراء العالم
من قبيل الغيب ومن ثم اختلف فيه هل هو خلاء او ملاء الثامن الاخرة
غيب والدنيا شهادة التاسع النوم غيب واليقظة شهادة والحيوان
يتقلب بينهما كل يوم وليلة ويكشف للانسان في منامه كشوفات غيبية
ولقد احسن الشيخ نجم الدين بن اسرائيل في قوله •

وإذا غدت للمرء من يقظاته • حجب فموطن كشفه الاحلام •

ومما يشبه ذلك المرض المغيب للذهن الذي يعرض فيه الاستغراق كالسرسام
ونحوه حال الموت وغيره فان الكشوفات تحصل فيه كثيرًا وهو مشهود والمنام
من افضل احوال الغيب اذ كان جزأ من النبوة وقد اوحى الى الانبيا في المنام
كثيرا العاشر الرجال السالكون الى الله عز وجل اذا تمكنوا احصل لهم
سكر وصحو وهما غيب وشهادة ثم ان الغيب والشهادة قد يلزمان موضعهما
من الخفا والظهور وقد ينتقلان فيتعاقبان على موضوع واحد كالسماء
وزينتها النجومية هي غيب في النهار وشهادة في الليل وقد يتعدد
موضوعهما كزيد وعمرو غاب احدهما عنك وشاهدت الاخر فهما غيب
وشهادة وتفصيل ذلك يكثر وليس هو المقصود وانما المقصود ان اللذة
ضربان حسية كالاكل والشرب والنكاح وعقلية كادراك الحقايق العقلية
والمعاني الروحانية والاولى شهادة والثانية غيب واذا ثبت لنا ان
عالم الغيب افضل من عالم الشهادة ثبت ان اللذة العقلية افضل من
الحسية ومن فوائد العلم بذلك الجد في طلبها وسهولة الموت على النفس
في العبور اليها فان قيل قد جعلتم الشياطين من عالم الغيب وزعمتم
انه افضل من عالم الشهادة فيلزم ان الشياطين افضل من الادميين
قلنا الشياطين لهم جهتان احداهما كونهم من عالم الغيب والثانية كونهم
شياطين اشرارا فمن الجهة الاولى لا يمتنع انهم افضل من بني ادم ومن الجهة
الثانية الكلاب افضل منهم كما قيل في بني ادم من جهة كونهم اناسا عقلاء
هم افضل من البهائم ومن غلب هواه منهم على عقله كانت البهيمة افضل منه
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين هذا
يدل على ان قوله ولكن ليطمئن قلبي اراد به طمانينة العيان كما ذكر في موضعه
لان الله عز وجل اخبر انه اراه الملكوت ليوقن واحياء الموتى من قبيل الملكوت
الغيبي • فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الايات حاصلها انه
استدل بحركات الكواكب وافولها على عدم الهيتها وربوبيتها وذلك بناء
على مقدمات الاولى اثبات الاعراض وهي ما لا يقوم بنفسه فيفتقر الى موضوع
يقوم به كالحركة والسكون والالوان والطعوم والارايح والاكوان وهي الاجتماع
والافتراق وغير ذلك من الاعراض واثباتها شهادة بالحس الثانية ان الاعراض
مغايرة للجواهر بدليل ان الجوهر الواحد يتعاقب عليه الاضداد من الاعراض
كالحركة والسكون والسواد والبياض وذاته في الحالين واحدة فالجوهر الباقي
غير العرض الفاني الثالثة ان الاعراض لا تنفك عن الجواهر اذ لو انفكت عنها

لزم قيام العرض بذاته وانه محال الرابعة ان الاعراض حادثة لانها تتعاقب
على الجواهر وجودا وعدما مسبوقا بعضها ببعض والحدوث من لوازم المسبوقية
والملزوم موجود قطعا فاللازم كذلك الخامسة ان ما لا ينفك عن الحادث
او لا ينفك عنه الحادث يجب ان يكون حادثا اذ لو كان قديما مع انه لم يفارق
الحادث لزم تقدمه على الحادث وذلك يوجب انفكاكه عن الحادث فيما قبل
وجود الحادث وذلك يستلزم انه انفك عن الحادث على تقدير انه لم ينفك
عنه وانه محال ولان زيدا وعمرا لو ولدا في ساعة واحدة ثم استمرا الى تسعين
سنة من مولدهما استحال ان يكون عمر احدهما مائة دون الاخر واذا ثبت هذه
المقدمات ثبت حدوث الجواهر لعدم انفكاكها عن الاعراض الحادثة وينتظم
البرهان هكذا الجوهر لا يفارق الحوادث وكلما لا يفارق الحوادث حادث فالجوهر
حادث والعالم اما جواهر او اعراض وقد ثبت حدوثهما فالعالم المؤلف منهما
باسره حادث والحادث اما ان يكون الموجد له هو وهو محال او غيره فهو اما
حادث فيلزم الدور او التسلسل او قديم وهو المطلوب كما سبق تقريره فهذه
الطريقة العامة في اثبات حدوث العالم وقدم الصانع وهي مستفادة من
ابرهيم عليه السلام في مقامه هذا النظري ولقد اوتي رشده من قبل ومتكلموا
الاسلام تلاميذه في هذه الطريقة وهي من ايسر الطرق واحسنها والرشد
الابراهيمي عليها ظاهر ونور برهانها ساطع باهر وحاجه قومه هذه المحاجة
انما تقومت بابرهيم وقومه لانها مفاعلة تستدعي اكثر من فريق واحد
ففيها اذا دليل على الحجاج والجدال في طلب الحق في اصول الدين وفروعه
اقتداء بابرهيم عليه السلام • وسع ربي كل شئ علما اعلم ان المعتزلة لما
كانوا ينكرون كون العلم صفة زائدة على مفهوم الذات تأولوا نحو ولا
يحيطون بشئ من علمه على معنى معلومه ونحو انزله بعلمه على معنى انزله وهو
يعلمه واما هذه الاية ونحوها فلا يمكنهم تأويلها بذلك اذ لا يصح ان يقال
وسع ربي كل شئ معلوما ولا وهو يعلم ولا وسع ربي كل شئ ذاتا ولا حالا
فتعين اثبات العلم ههنا معنى قائما بذاته اذ التقدير وسع علم ربي كل شئ
كما يقال طاب زيد نفسا اي طابت نفس زيد وتفقا الكبش شحما اي تفقا
شحم الكبش فهذه الاية ونحوها قوية في هذه الاية الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم الاية قد وردت السنة بتفسير الظلم ههنا بالشرك استدلالا
بقول لقمان ان الشرك لظلم عظيم فعلى هذه لا حجة فيه للمعتزلة وان
حمل الظلم على ظاهره العام امكنهم ان يحتجوا به على ان صاحب الكبيرة
مخلد في النار اذا لم يتب منها اذ يكون مفهوم الاية ان من امن وخلط

ايمانه بظلم فليس له امن ولا هو مهتدى وهو ظاهر فى دعواهم ان لم يكن قاطعاً
وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه هذه الحجة المشار اليها اما استدلاله
المتقدم على عدم ربوبية النجوم او حجة اخرى على التوحيد لان قومه كانوا
صبائية مشركين وهو انما كان يناظرهم على التوحيد والاحتجاجه عليهم انما
كان بدليل العقل اذ لم يكن هناك سمع يلزمهم وادلة العقل هى الطريقة
الكلامية وفى هذا شرف عظيم للكلام واهله اذ جعل الله الكلام حجة له
اضافها اليه وجعل صدورها عنه بقوله عز وجل وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء فيه اشارة الى ارتفاع درجة
المتكلمين عند الله عز وجل كما رفع درجة ابرهيم على قومه بالحجة البالغة
الغالبة • ومن ذريته اى ومن ذرية ابرهيم داود وسليمان الى زكريا
ويحيى وعيسى الاية هذا يرد على اليهود دعواهم السابقة ان النسب فى شرع
التورية لا يلحق من جهة الام حتى زعموا ان المسيح ليس هو ابن داود
وذلك لان القران شرك بين عيسى وسائر النبيين المذكورين معه فى
كونهم من ذرية ابرهيم مع ان عيسى انما ينمى اليه من جهة امه فدل على
بطلان دعوى اليهود اللهم الا ان يريدوا ان العصوبة لا تثبت من جهة
الام فهذا نعم لان ابرهيم واسحق ويعقوب وداود انما هم اجداد المسيح
لامه وليسوا بعصبة وليعلم ان ايوب ذكر فى هؤلاء النبيين الذين هم من
ذرية ابرهيم مع ان ايوب ليس من بنى اسرائيل انما هو من بنى العيص
ابن اسحق فايوب هو ابن اخى اسرائيل لان العيص ويعقوب اسرائيل
هما ابنا اسحق بن ابرهيم فايوب هو ابن عم بنى اسرائيل لا اخوهم من
ولد اسرائيل وجميع الانبيا من بنى اسرائيل الا اثنى عشر منهم ايوب وهم
ادم ادريس نوح هود صالح ابرهيم لوط اسحق اسمعيل اسرائيل وهو
يعقوب ايوب محمد صلى الله عليهم اجمعين • وكلا فضلنا على العالمين
يحتمل ان هولاء جميعهم من حيث هم جمع فضلوا على جميع العالمين
ويحتمل ان كل واحد منهم فضل على عالم زمانه او على من عدا باقى النبيين
او بعضهم • ومن ابائهم وذرياتهم هذا العموم لا يتناول عيسى اذ
لا اب له ولا ذرية فهو مخصوص به • ذلك هدى الله يهدى به من يشاء
يحتج به على المعتزلة من وجهين احدهما انه اضاف الهدى اليه فدل على انه
منه لا من العبد الثانى انه اخبر انه يهدى به من يشاء فجعل مناط
الهداية المشية لا غيرها من طاعة او استعداد ونحوه ولا يجوز حمل
الهدى هاهنا على الارشاد لان الارشاد عام لا يخص بل هو للمومن والكافر

بدليل

بدليل واما ثمود فهديناهم غير ان المومن يوفق فيهتدى والكافر يخذل فلا
يهتدى وبالجملة الارشاد لا يلزم منه حصول الرشاد • ولو اشركوا لحبط
عنهم ما كانوا يعملون ظاهر هذا انه راجع الى الانبياء المذكورين واباءهم
وذرياتهم واخوانهم فيدل على ان الانبياء يجوز عليهم الشرك وانهم انما
عصموا من وقوعه منهم لا من جوازه عليهم ونظيره لئن اشركت ليحبطن
عملك **قوله عز وجل** اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده يحتج بهذا
على ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جميع هولاء الانبيا لانه
امر بالاقتداء بجميعهم والاقتداء بهم فعل مثل ما فعلوا ولا بد انه
امتثل هذا الامر والا كان عاصياً وذلك لا يجوز وحينئذ قد فعل وحده من
الطاعة مثل ما فعل هؤلاء جميعهم والواحد اذا فعل مثل ما فعل الجماعة كان
افضل منهم ويحكى ان هذه المسئلة وقعت فى زمن الشيخ عز الدين بن عبد
السلام فافتى فيها بانه عليه الصلاة والسلام كان افضل من كل واحد منهم
لا انه افضل من جميعهم فقام الجماعة من علماء عصره على تكفيره فعصمه الله عز
وجل منهم • اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ دعوى منهم عامة فى نفى
الانزال • قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نقض للدعوى العامة بهذه
الصورة الجزئية ويحتج بهذا من يرى ان العام نص فى كل فرد من افراده اذ لو لم
يكن كذلك لجاز ان تكون الصورة الخاصة غير مرادة من العام فلا ينتقض بها وقد
اختلف فى ان العام نص فى افراده ام لا على قولين احدهما هو نص فيها لما
ذكرناه والثانى ليس فيها نصاً والا كان تخصيص العام نسخاً للقدر المخصوص
منه اذ هو رفع للحكم فى المنصوص عليه ويحتمل ان يكون نصاً فى افراده فى النفى
دون الاثبات لاعتضاد العام المنفى بالنفى الاصلى دون المثبت فاذا قيل
لا رجل فى الدار او ما فى الدار من رجل كان نصاً فى نفى كل رجل رجل فينتقض
بزيد اذا كان فيها لان النفى اللفظى اعتضد بالنفى الاصلى فحصل منهما النص
على نفى كل فرد بخلاف قولنا الرجال فى الدار اذ هو اثبات فلم يوافقه النفى
الاصلى فلم يحصل التعاضد على النص على كل فرد فلا ينتقض بزيد اذا لم
يكن فيها وهذا بحث جيد بادئ الرأى وعند النظر فيه لا يخلو من كلام
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الكلام فى عمومه كما فى وعلمك ما لم تكن
تعلم وقد سبق • قل الله اى قل انزله الله • ثم ذرهم يعنى المنكرين فى خوضهم
يلعبون ويستشهد به الصوفية واهل السلوك على الانقطاع عن الناس
بالقلب او القالب او بهما فيقول قل الله ثم ذرهم • ولقد جئتمونا فرادى
كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم هذا يحتمل ان يقال

لهم يوم القيمة فيكون ماخولناكم عاماً مطرداً ويحتمل انه عقيب الموت فيكونه
مخصوصاً بما يصحب احدهم من الكفن من جملة ما خوله • ان الله فالق الحب
والنوى عام اريد به الخاص وهو الحب والنوى الذى انفلق عن الشجر والزرع
اما غيره فذلك يتلف فى الارض فلا ينفلق عن شئ • وهو الذى جعل لكم
النجوم لتهتدوا بها عام اريد به الخاص وهى النجوم التى لها هداية كالقطب
والجدى والفرقدين ونحوها دون ما لا هداية له كالسيارة فانها مشرقة
ومغربة ومتوسطة فلا دلالة لها على جهة بعينها • وهو الذى انزل من
السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ هو عام مطرد فى ان كل نبات فانما هو خارج
بماء السماء اذ ليس المراد بماء السماء المطر وحده بل كل ما فى الارض من بحر ونهر
وعين وغير ذلك فاصله من السماء بدليل الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه
ينابيع فى الارض وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه فى الارض بديع السموات
والارض الاية تضمنت خمس جمل كلها عام مطرد قوله عز وجل لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار احتج بها فريقان احدهما المعتزلة على نفى الرؤية
لانه عز وجل تمدح بانه يدرك الابصار ولا تدركه ولو جازت رؤيته لما كان
فيه تمدح وجوابه من وجوه احدها انه انما تمدح بان الابصار لا تدركه لا
بانها لا يجوز ان تدركه الثانى ان الادراك ينبئ على الاحاطة ونحن لا ندعيها
وانما ندعى الرؤية واحداهما غير الاخرى الثالث ان معنى الاية نفى رؤيته فى
الدنيا لا فى الاخرة ونزاعنا فيه الرابع ان الابصار عام اريد به الخاص وهو
ابصار الكفار فى الاخرة بدليل كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وهو
ضعيف الخامس ان الاية عام خص بقوله عز وجل وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة وتمام الكلام فى المسئلة ياتى فى الاعراف وغيرها ان شاء الله عز
وجل الفريق الثانى الاتحادية وهم القائلون بان البارى عز وجل سار
بذاته فى الوجود كسريان الماء فى العود ووجه احتجاجهم بها انه عز وجل
اخبر انه فى كل حال من الاحوال يدرك الخلق وهم لا يدركونه وما ذاك الا
لانه سار بذاته فيهم كالهواء السارى فى العالم المتخلل لاجرامه ثم بين ذلك بقوله
وهو اللطيف الخبير اشارة الى انه للطافة ذاته سرى فى العالم فهو يراهم وهم
لا يرونه وكذلك هو للطافته وسريانه فيهم خبير باحوالهم واكدوا هذا
الاستدلال بقوله عز وجل ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد • ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون • وهو معكم اينما
كنتم • اننى معكما • انا معكم مستمعون • ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو
رابعهم الايات مع قوله صلى الله عليه وسلم ان المصلى يناجى ربه ان الله بين

مبحث فيه رد على الاتحادية لعنهم الله تعالى

للطافة صح

احدكم وبين قبلته • انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا انه
اقرب الى احدكم من عنق راحلته قالوا وهذه نصوص كثيرة ظاهرة فى انه مع العالم
بذاته فلا يجوز تاويلها على انه معهم بعلمه لوجهين احدهما انه خلاف الظاهر
ولا قاطع يوجبه الثانى ان المخالف فريقان احدهما لا يرى تاويل ايات
الصفات فلا يجوز له تاويل هذه النصوص والا لزمه التاويل فى الباقى
والثانى من يرى التاويل لكن التاويل لا بد له من دليل موجب له قاطع او
راجح على المؤول وكل دليل يبديه مما يوجب التاويل يلزمه مثله فى مذهب
التاويل فيستوى التاويل وعدمه فى لزوم المحال عليه عنده وحينئذ يترجح ترك
التاويل لانه الاصل بيان ذلك ان المؤول لهذه الايات على العالم اما مثبت
للجهة او ناف لها فان كان مثبتا للجهة فهو انما يتاول هذه الايات على انها بالعلم
لئلا يلزم من سريان الذات القديمة فى العالم مباشرتها للمحدثات فيجرى
عليها ما يجرى على المحدثات او لئلا يلزمها التحيز والانحصار فى داخل كرة
العالم وكلا الامرين باطل اما الاول فلان الزيبق يباشر غيره من الجواهر
وهو بطبيعته وصقاله لا يتلوث بها ولا يتاثر فجاز ان يكون للذات القديمة
خاصة تمنعها من التاثر بالمحدثات عند مباشرتها لها واما الثانى فلازم
لهم فى كونه على العرش مختصا بذاته بجهة فوق فانه حينئذ لا يخلو من ان
يكون مطابقا للعرش فى المقدار او اصغر او اكبر وعلى كل تقدير يلزم منه
التحيز والجسمية او الجوهرية فقد لزمهم من مذهبهم ما فروا منه فى
مذهب الاتحاد وان كان نافيا للجهة فهو انما يفر من سريانه بذاته فى
الوجود من لزوم التحيز والانحصار وهو لازم له قطعا لان نفاة الجهة
اتفقوا على ان البارى عز وجل ليس بذاته داخل تحت الكرة وهذا يقتضى
قطعا ان ذاته متناهية من جهة داخل كرة العالم لان كل ذات خلا منها مكان
او جهة فهى متناهية من جهة ذلك المكان او تلك الجهة وكل جهة تناهت
من بعض الجهات لزم تحيزها وانحصارها فيما سوى تلك الجهة التى تناهت
منها وينتظم الدليل عليهم هكذا ذات الله متناهية من جهة كرة العالم
وكل ذات متناهية من جهة ما فهى منحصرة فيما سوى تلك الجهة ينتج ان
ذات الله عز وجل منحصرة فيما سوى كرة العالم فقد لزم هؤلاء من مذهبهم
ما فروا منه من الاتحاد واذا الزمهم المحذور مع التاويل فالتزامه مع عدم
التاويل اولى لصيرورة التاويل عبثا بلا فائدة هذا اقصى ما امكن الان
فى تقرير شبهة الاتحادية والجواب عنها من وجهين مجمل ومفصل اما
المجمل فهو ان اجماع المسلمين قاطع بخلاف مذهب الاتحاد وهو يقتضى بطلانه

وهذه الشبهة لا ثبوت لها مع الاجماع اذ اى شخص من اهل الاجماع تصدى
لنقضها نقضها واما المفصل فيطول ههنا لئلا نحتاج الى ذكرها فى موضع
اخر ثم كلمات ربنا باية يحتجون بها احلنا بالكلام فيها على هذا الموضع. فمن
ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها عام مطرد. وما انا عليكم بحفيظ محكم
او منسوخ باية السيف وكذلك واعرض عن المشركين والنسخ فيها اظهر
ولو شاء الله ما اشركوا. ولو شاء الله ما فعلوه حجة على المعتزلة سبق
تقريرها والاعتراض عليها عند ولو شاء الله لجمعهم على الهدى. ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله الاية يحتج بها على سد الذرايع
وحسم مواد الفساد اذ كان معنى الاية لا تسبوا الهتهم فيجعلوا ذلك
وسيلة وذريعة الى سب الهكم ونظيره لا تقولوا راعنا كما سبق فيه
وقاعدة سد الذرايع عظيمة وفروعها كثيرة قال بها مالك واحمد ومن
تابعهما خلافا للباقى العلماء اذا اجازوا الحيل وصنفوا فيها الكتب
كذلك زينا لكل امة عملهم سبق القول فيه. ثم الى ربهم مرجعهم
فيه اثبات المعاد. ونقلب افئدتهم وابصارهم يحتج به على ان الله عز وجل
هو مقلب القلوب الى الهدى او الضلال ولذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم
يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وذلك انما هو بخلق
الدواعى والصوارف وتصرف الله عز وجل فى خلقه اما بطرد العادات كطلوع
الشمس من المشرق كل يوم او بخرق العادات كانشقاق القمر وطلوع
الشمس من المغرب او بخلق الدواعى والصوارف وهو غريب بديع عجيب
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الاية تدل على انه هو المانع لهم عن الايمان الا ان
يشاء وذلك بما يخلقه فى نفوسهم من دواعى الكفر والصوارف عن الايمان
بما يخيل اليهم من ان تلك الخوارق سحر فلا يؤمنون بها كما قالوا فى انشقاق
القمر وغيره انه سحر مستمر. والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق سبق الكلام فى مثله. وتمت كلمات ربك يحتج به على قدم الكلام لانه
وصف بالتمام والحادث ليس بتام فكلام الله عز وجل ليس بحادث فهو قديم
ثم يبقى النزاع فى ان الكلام معنى ذاتى او عبارة مسموعة على ما سبق.
وذروا ظاهر الاثم وباطنه عام مطرد جامع. الله اعلم حيث يجعل رسالاته
يحتج بها على عصمة الملائكة والانبياء لانهم جميعا رسل الله وكل رسول
معصوم والحق انها انما تدل على صلاح الرسل اما العصمة فدليلها غير
هذا. فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الاية من قواصم
الظهر على المعتزلة لانها دلت على ان المؤثر فى الهدى والضلال ارادة الله

ويصرفنا عما نحن بصدده وقد استقصينا هذه المسئلة ستين وجوابا فى التعليق المسمى بالباهر فى احكام الباطن والظاهر وانما استقصينا شبهة الاتحادية ههنا صح

عز وجل وفعله من شرح الصدر وتوسيعه او تضييقه وتحريجه. يا معشر الجن
والانس الم ياتكم رسل منكم الاية يحتج بها على ان الجن ارسل فيهم رسل منهم
كالانس وهى ظاهرة فى ذلك وهى مسئلة خلاف فالمثبت لذلك احتج بهذا الظاهر
والمانع تاول اضافة الرسل الى الفريقين كاضافة اللؤلؤ والمرجان الى البحرين
فى قوله عز وجل مرج البحرين يلتقيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما
هو خارج من احدهما وهو الملح وليس هذا بشئ بل هو خارج منهما بدليل قوله
عز وجل هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج ومن كل تاكلون لحما
طريا وتستخرجون حلية تلبسونها والحلية هنا هى اللؤلؤ والمرجان هناك
وقد اخبر انها من كل واحد من البحرين وانما اعتمد هذا القائل على قول الحكماء
الطبيعيين مثل ارسطاطاليس فى كتاب الاثار العلوية وكتاب الاحجار وغيره
حيث زعموا ان اللؤلؤ والمرجان لا يتكون الا فى البحر الملح والله عز وجل اخبر
منهم بمخلوقاته وعجايب مصنوعاته الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
غير ان نبينا صلى الله عليه وسلم ارسل الى الجن والانس لانهم قصدوه وسمعوا
منه القران واخذوا عنه الشرايع ولو كان هناك نبى منهم لامتنع فى العادة ان
يتركوه ويقصدوا غير جنسهم واذا ثبت ان الجن ارسل اليهم رسل منهم ثبت
انهم مكلفون مخاطبون كالانس وفى كون كفارهم مخاطبين بفروع الدين ما فى
كفار الانس من الخلاف وهذه مسئلة وقعت فذكرناها. ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم يحتج بها وبنظائرها المعتزلة ووجه احتجاجهم ان افعالهم لو
كانت مخلوقة لغيرهم لكان اهلاكهم بها ظلما لهم واللازم باطل بهذه
الاية فالملزوم كذلك واجاب الكسبية بانها مكسوبة لهم والجبرية بانها لو
فوضت اليهم لكانت معاصى يستحقون بها الهلاك فعاملهم على حسب علمه
فيهم. ولكل درجات مما عملوا وهذا يدل على ما ورد من ان دخول الجنة
بفضل الله عز وجل واقتسام درجاتها بالاعمال. ان يشا يذهبكم الاية يستدل
بها على استعمال القياس لانه قاس اهلاكهم واستخلاف غيرهم بعدهم على
اهلاك من قبلهم واستخلافهم بعدهم وتلخيصه نستخلف بعدكم ابناءكم كما
استخلفناكم بعد ابائكم وهو قياس تمثيل. كلوا من ثمره اذا اثمر واتوا حقه
يوم حصاده يحتج به على جواز عطف الوجوب على الاباحة لانه عطف ايتاء
الحق الواجب على الاكل المباح واذا جاز ذلك جاز عكسه نحو اتوا حقه وكلوا
وكذلك عطف سائر الاحكام بعضها على بعض ويحتج به ايضا على جواز الخطاب
بالمجمل لان الحق المذكور مجمل وبينته السنة بنصف العشر او كماله من خمسة
اوسق فصاعدا ونحو ذلك من احكامه. قل الذكرين حرم ام الانثيين

او ما اشتملت عليه ارحام الانثيين الاية يحتج بها على الاستدلال بالسبر والتقسيم
قل لا اجد فيما اوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا
لا ينحصر المحرمات فى هذه الثلاثة فاقتضى اباحة ما عداها ثم خص ذلك
العام بالسنة كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير وبالقران كل
مستخبث ونقل عن مالك التمسك بهذه الاية فى اباحة ما عداها • حرمنا كل
ذى ظفر عام مطرد فى التحريم ذلك على اليهود • حرمنا عليهم شحومهما عام
خص بالمستثنيات بعده • ذلك جزيناهم ببغيهم دل على ان تحريم الطيبات
من العقوبات ثم قد يكون بدون عقاب محسوس كهذه الاية وقد يكون مع
عقاب محسوس كاليهود وغيرهم من الكفار فى الاخرة يحرمون الجنة الطيبة
ويعاقبون بالنار الموصدة اعاذنا الله عز وجل واياكم منها • سيقول الذين
اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب
الذين من قبلهم حتى ذاقوا باسنا قرئت كذب بالتشديد فلا حجة فيها للمعتزلة
وقرئت كذب بالتخفيف وحينئذ يحتجون بها وتقريره انه كذبهم فى احالة
شركهم على مشية الله عز وجل ولو كان شركهم بمشيته لكانوا صادقين ولم
يكذبهم فدل على ان الشرك وتحريم المباح وغيره ذلك من المعاصى ليس بمشية
الله عز وجل وانما هو مشية فاعليه وخلقهم وهذا من عمدهم فى المسئلة واجاب
الجمهور عنها بان تكذيبهم ليس راجعا الى قولهم لو شاء الله ما اشركنا وانما هو
راجع الى ما تضمنه من اخبارهم باعتقاد ذلك كانه قال كذبتم فى اخباركم
بانكم تعتقدون نفوذ مشية الله باشراككم وذلك لان قولهم لو شاء الله
ما اشركنا خرج مخرج الاستهزاء والتهكم والالزام للنبى صلى الله عليه وسلم منهم
حيث اخبر بذلك وهذا كما حكى عنهم فى قوله عز وجل واذا قيل لهم انفقوا
مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه وشبيه
بقوله عز وجل فى المنافقين حين قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم ان
المنافقين لكاذبون فانه لم يكذبهم فى ان محمدا رسول الله اذ ذاك حتى
نص عليه فى سورة الفتح وانما كذبهم فى دعواهم الشهادة بالرسالة اذ الشهادة
قول مطابق للاعتقاد وهم انما قالوا ذلك قولا يخالفه اعتقادهم كذلك
ههنا كذبهم فى دعواهم انهم يعتقدون ان لو شاء الله ما اشركوا الا فى نفس
هذه القضية لانه قد نص عليها قبل هذا بايات ولو شاء الله ما اشركوا وما
جعلناك عليهم حفيظا • قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون
الا الظن يقتضى ان الظن خلاف العلم لانه نفى احدهما واثبت الاخر لكن الظن
فى اللغة يشمل الاحتمال الراجح من غير جزم والاحتمال المتساوى وعند الاصوليين

الاول

الاول ظن والثانى شك • فان شهدوا فلا تشهد معهم يستدل به على ان العالم بشهود
الزور يحرم عليه موافقتهم حاكما كان او شاهدا او مشهودا له او عليه او غيرهم خلافا
للمسئلة المشهورة عن ابى حنيفة فى ان شاهدى زور لو شهدا ان فلانا مات جاز
لاخر ان يتزوج امرأته مع علمه بكذبهم وحل له وطؤها لان عنده الحاكم منشئ للاحكام
لا مثبت لها على وفق الواقع • ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا
هذا خطاب للعرب ومعناه انزلنا عليكم القران لئلا تقولوا ما جاءنا من
كتاب نتبعه وانما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى
ونحن غير عارفين بما عندهم وهذا من باب تقرير الحجة عليهم نحو لئلا يكون
للناس على الله حجة بعد الرسل وفيه ان المجوس لم يأتهم كتاب لانه عز وجل
اخبر ان العرب لو احتجوا بان الكتاب لم ينزل الا على اليهود والنصارى لكانوا
صادقين وحجتهم قائمة وعذرهم واضح وبالجملة فهذا تقرير من الله عز وجل
لهم على حصر الكتاب فى الطائفتين على تقدير انهم يحصرونه فيهما والله عز وجل
لا يقر الا على حق وهذه مسئلة خلاف هل كان للمجوس كتاب ورفع او لم يكن لهم
كتاب اصلا وهو ظاهر هذه الاية اما المجوس فزعموا ان نبيهم زرادشت جاءهم
بكتاب فيه تفصيل ما كان وما يكون وانه جلد فى جلد اثنى عشرة الف جاموسة
على ما حكاه ابن ابى الاصبع فى تاريخ الاطبا والظاهر ان هذا اختلاف منهم وعليهم
اذ مثل هذا لا يكتم فلو كان حقا لتواتر والمشهور ان زرادشت هذا ليس بمحترم
حرمة النبيين ولا الصديقين ولا الشهداء ولا الصالحين ولا له فى احكام الرقيق
نصيب ولا هو من المختلف فى نبوتهم بل مقطوع بعدم نبوته وهو من طبقة مانى
ومزدك لا شئ فى سبه ولعنه وظاهر كلام القاضى عياض فى اخر كتاب الشفا انه
من سبه عزر وعوقب وجعله فى ذلك كالخضر ونحوه واظنه والله عز وجل اعلم
وهما منه فان لم يكن وهما فهو نقل غريب جدا فتامله • يوم ياتى بعض ايات
ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل هو اشارة الى ان الشمس تطلع
من مغربها بين يدى الساعة ثم يغلق باب التوبة وهى من جهة المغرب
سعتها مسيرة اربعين سنة وزعم بعض العلماء ان طلوع الشمس من مغربها
تكذيب للمنجمين والفلاسفة ورد عليهم لانهم لما سمعوا فى القران قول ابرهيم
لنمرود ان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب قالوا هذا من
ابرهيم يتضمن قدرة الله على ان ياتى بها من المغرب وليس كذلك اذ هو محال
لا يدخل تحت المقدورية فاكذبوا باخراجها من المغرب فى اخر الوقت وان
ثبت انها ردت لعلى رضى الله عنه كما حكاه القاضى عياض فى الشفا فقد
تقدم اكذابهم من حينئذ • ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم

في شيء يحتج به من انكر الخلاف بين الائمة في الفروع فضلا عن الاصول لان ذلك
تفريق للدين وهو منهي عنه واجيب بانه محمول على التفرق في اصول الدين لا في فروعه
للاجماع على جوازه • وبذلك امرت احتج به ابو حنيفة على وجوب الاضحية لان
الاشارة الى ما سبق من الصلاة والنسك والاضحية من النسك والاية اقتضت
انها مامور بها والامر للوجوب واجيب بان المخاطب بالامر بها هو النبي
صلى الله عليه وسلم فان كان الامر بها على الوجوب فهو خاص به لا يتعدى
الى الامة • ولا تكسب كل نفس الا عليها قيل المراد الا لها بدليل لها ما كسبت
وعليها ما اكتسبت واستعملت على بمعنى اللام وقيل المعنى الا عليها في الشر
ولها في الخير فاكتفى باحدهما كقوله عز وجل وله ما سكن في الليل والنهار
وسرابيل تقيكم الحر ونحوه • ثم الى ربكم مرجعكم فيه اثبات المعاد فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون فيه ان كشف الحقايق وارتفاع الخلاف انما يكون
في عالم الاخرة واوله عقيب الموت بل حال الموت وعيان الملك وهذه في
النحل اوضح منها ههنا • ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما اتاكم
يحتج به على تعليل افعاله عز وجل اي فاضل بينكم ليختبر ما عندكم من الطاعة والشكر

القول في سورة الاعراف كتاب انزل اليك ثم قال عز وجل لتنذر به

الاعراف

وهو تعليل الانزال بالانذار وهو من باب ما سبق انفا • اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم ان اريد باتباعه تصديقه فهو عام مطرد لان تصديق الجميع
واجب بمعنى الاعتقاد انه حق من حق وان اريد به الامتثال التكليفي فهو
عام اريد به الخاص وهو الاوامر والنواهي • وكم من قرية اهلكناها فجاءها
بأسنا اي اهلكناها في الحكم فجاءها باسنا في التنفيذ الواقع وهذا كما حكي
ان شخصا وقع من علو فمات فقيل وقع فلان فمات فقال بعض العارفين
بل مات فوقع اي لما حكم بموته جعل وقوعه سببا لتنفيذ ما حكم به وقيل
المعنى اردنا اهلاكها فجاءها باسنا وهو قريب من الاول وقيل هو من
باب التقديم والتاخير اي جاءها باسنا فاهلكناها وهذه من باب حروف
المعاني في اصول الفقه • والوزن يومئذ الحق الايتين يحتج به ونظيريه
في المؤمنين والقارعة على وزن اعمال العباد ثم اختلف فيه فالجمهور على
انه وزن حقيقي بميزان ذات كفتين ولسان وان الموزون صحايف الاعمال
او اعتمادات تساوي حركات الاعمال او يخلق الله عز وجل فيهما ثقلا وخفة
تكون امارة على ما يراد بالعبد من سعادة او غيرها والمعتزلة على انه
وزن مجاز بمعنى اقامة العدل بحيث لا بخس ولا ظلم بدليل ونضع الموازين
القسط ابدل القسط من الموازين والمقصود هو المبدل لا المبدول منه كما

اقتضت القرينة كانه قال ونضع القسط واجيب بان وضع القسط لا ينافي نصب
الموازين لجواز ان سبب القسط هو الميزان • ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم
قلنا للملائكة اسجدوا لادم يحتمل ان الخلق والتصوير لادم واضيفا الى
المخاطبين لتضمن صلب ادم لهم فالترتيب والتراخي بثم على اصله ويحتمل
انهما للمخاطبين فيكون الجواب على نحو ما مر في اهلكناها فجاءها باسنا اي
خلقناكم في علمنا او اردنا خلقكم ثم قلنا او قلنا للملائكة اسجدوا ثم خلقناكم
قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك فيه اقتضاء الامر الوجوب والفور لانه لامه
على تاخير السجود عن وقت امره به لان اذ للوقت تقديره ما منعك ان تسجد
وقت امري لك بالسجود وفيهما خلاف ولا في ان لا تسجد زائدة والا لاقتضى ان
ابليس سجد ثم ليم على السجود الذي هو طاعة وانه محال ونظيره في زيادة لا
قول الراجز • في بئر لا حور سرى وما شعر • لما راين الشمط القفندرا •
اي ان تسخرا • قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين تضمن هذا
من ابليس مخالفة وعنادا واستكبارا واعتراضا وقدحا في الحكمة وجهلا
بالحقايق وغلطا في الفلسفة لان النار خفيفة طايشة محرقة شريرة
والطين رزين ثابت متواضع ولا جرم رجع كل منهما الى اصله فابليس
مذموم وادم مرحوم وبالجملة فابليس استعمل الفلسفة فوقع في السفه
ولو اعطى الفلسفة حقها لاعطى الطاعة مستحقها • قال فاهبط منها فما
يكون لك ان تتكبر فيها الضمير اما للسماء او للجنة وعلى التقديرين يدل
على ان الجنة دار تواضع وادب لا كبر فيها وعلى القول بان الضمير للجنة
وهو الظاهر يقتضي ظاهره ان ادم ومن سجد له وابليس جميعا كانوا في
تلك الحال في الجنة فلما امتنع ابليس من الطاعة على الفور عوقب بالخروج
من الجنة على الفور • قال فبما اغويتني يحتج به الجمهور على ان الهادي والمضل
والمغوي هو الله عز وجل لانه اقر ابليس على نسبة الاغواء اليه ولولا ان
الامر كذلك لما اقره بل كان يقول له ويحك امعصية وبهتا اتعصيني
وتبهتني فلما اقره على ذلك دل على صحته والجمهور اذا تمسكوا بهذا
قال لهم المعتزلة انتم تلاميذ ابليس تشنيعا عليهم وليس احتجاج الجمهور
بقول ابليس وانما هو باقرار الله عز وجل عليه • فوسوس لهما الشيطان ليبدي
لهما اي وسوس لهما ليعصيا فتبدو سوآتهما فذكر الغاية البعدى لاستلزامها
القربى اذ كانت اثرا لها • وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
اي لئلا تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يحتج بهذا من يرى الملائكة
افضل من البشر حتى ادم وتقريره انه هذا يدل على ان ذلك كان مشهورا

متقررا عند ادم وحوا حتى جعل ابليس سببا لاغوائهما واستزلالهما ولولا ما
قبلاه منه مسارعين اليه وايضا لما اقدما على المخالفة حرصا على رتبة
الملائكة دل على ما قلناه لان العاقل انما يحرص على ما يعتقده كمالا له وايضا
لما قرن كونهما ملكين بكونهما من الخالدين دل على ان الملك افضل من البشر
كما ان الخالد افضل من الزايل • وناداهما ربهما يحتج به مثبتو الحرف والصوت
فى كلام الله عز وجل اعنى نفس تكلمه لان الندا لا يعقل الا كذلك ومثله واذ نادى
ربك موسى ونحوه واجاب الاخرون بانه ناداهما بواسطة الملك واسمعهما
بكلامه الذاتى نداء بجامع الافهام قوله عز وجل يا بنى ادم قد انزلنا عليكم
لباسا الاية تضمنت المجاز بمراتب وذلك لان المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس
انما هو الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس وصار ذلك
كقول الراجز • الحمد لله العظيم المنان • صار الثريد فى روس العيدان •
سمى السنبل فى رؤس العصف الذى تحته ثريدا وانما يصير ثريدا بعد ان يحصد ثم
يدرس ثم يصفى ثم يطحن ثم يخبز ثم يثرد سمى ابن السيد البطليموسى هذا وامثاله
مجاز المراتب وهو من غرايب مسائل المجاز • يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان
اضاف الفتنة الى الشيطان مع قول موسى ان هى الا فتنتك وقوله عز وجل
وكذلك فتنا بعضهم ببعض وتحقيقه ما سبق من ان فتنة الشيطان
بالوسوسة وفتنة الله عز وجل بالتقدير وخلق الدواعى والصوارف •
انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم هذا من جملة الابتلا والمحنة وعظم
الفتنة اذ لو رآهم بنو ادم لاحترزوا منهم كما يحترز بعضهم من بعض ولكن
صاروا كما قيل • رمتنى بنات الدهر من حيث لا ارى • فكيف بمن يرمى وليس براى •
والسبب فى انهم يرونا ولا نراهم ان مادتهم نارية لطيفة ومادتنا طينية
كثيفة والكثيف لا يرى اللطيف فان قيل فنحن نرى النار التى هى مادتهم فما
بالنا لا نراهم قلنا التخليق يلطف المادة الا ترى ان البشر الطف من الطين
الذى هو مادته وكذلك كل فرع هو الطف من اصله كالزيت من الزيتون
والعصير من العنب والدبس من الرطب ونحو ذلك • قل ان الله لا يامر بالفحشاء
يحتج بها المعتزلة ووجه احتجاجهم انه كما لا يامر بالفحشاء لا يريدها وقال
الجمهور بل هو يريدها ويقدرها بتقدير اسبابها وخلق دواعيها والصوارف
عنها وان لم يامر بها ولعل اصل الخلاف ان المعصية خلاف الامر عند الجمهور
فلا ينافيه موافقة الارادة فى المعصية وعند المعتزلة هى مخالفة الارادة
فلو كان مريدا للمعصية لكان المكلف عاصيا من حيث هو مطيع وانه محال
ومذهب الجمهور فى ان الطاعة والمعصية دايران مع الامر والنهى اشبه باللغة

والنظر وهو الصواب ويحكى ان الشيخ ابا اسحق الاسفرايينى دخل على الصاحب بن
عباد وعنده القاضى عبد الجبار الهمذانى فلما راه القاضى قال تعريضا به سبحان
المنزه عن الفحشاء فقال الشيخ ابو اسحق سبحان من يفعل ما يشاء فاستوفى كل
واحد منهما حجته فى خمس كلمات واعلم ان هؤلاء الذين قالوا فى فاحشتهم
وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها صدقوا فى تقليد ابائهم وكذبوا على ربهم
كما بداكم تعودون يحتمل امرين احدهما اثبات المعاد اى كما بداكم اى ابتدا خلقكم
بعد العدم الاصلى كذلك يعيدكم بعد العدم الطارى على وجودكم وهو ايسر ولا
فرق غير ان الانسان فى ابتداء نشأته يتدرج فى الاطوار السبعة نطفة ثم علقة
ثم مضغة الى اخرها وفى اعادته لا يتدرج فى الاطوار غير ان هذا ليس مؤثرا فى
حكم القدرة التامة وقد قيل ان عند ارادة البعث تمطر السماء اربعين يوما
ماء كمنى الرجال فلعل الارض يحصل فيها حرارة كحرارة الرحم ثم يتطور العالم
فى بطنها كتطوره فى بطون الامهات والارض تسمى اما فلعله لذلك اوله
ولغيره وبالجملة فالقدرة صالحة للتاثير بواسطة التطوير ودون التطوير
الثانى اثبات القدر اولا واخرا اى كما بدا خلقكم مؤمنا وكافرا ومهتديا
وضالا كذلك يعيدكم كما بداكم يشهد لذلك قوله عز وجل هو الذى خلقكم فمنكم
كافر ومنكم مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه فى ظلمة ثم رش
عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل وقوله صلى الله
عليه وسلم يبعث كل انسان على ما مات عليه اى من هدى وضلال وكفر وايمان
دل على هذا الاحتمال قوله عز وجل كما بداكم تعودون • فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة اشارة الى ان افتراقهم فى الهدى والضلال من البدء ثم
يعادون على ما بدؤا عليه من ذلك وانظر الى لطيف حكمته عز وجل فى قوله فريقا
هدى نسب الهدى اليه اذ لا محذور فيه ولم يقل وفريقا اضل بل قال وفريقا
حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء الاية فاحال بضلالهم على
علته الكسبية من جهتهم واشار الى علته القدرية من جهته فتحرر من ذلك
ان علة ضلالهم مركبة من تقديره الجازم المتقادم وكسبهم الاخير المتراخى
ولو شاء الله ما فعلوه وانما الزموه شبهة فى استحقاق الذم وغير الارادة
الالهية ما ثم • وكلوا واشربوا ولا تسرفوا هذا من اصول الطب وتدبير
الابدان وهو الاقتصاد فى الماكل والمشرب ويحكى ان جبرائيل بن بختيشوع
الطبيب دخل على هرون الرشيد وعنده قارئ فقرا هذه الاية فقال الحكيم
يا امير المومنين ما ترك كتابكم شيئا من الطب الا استوفاه فى هذه الكلمات
ووجه ذلك ان المقصود من الطعام والشراب انما هو بقاء النفس بما يستحيل

منه من الدم ويجوهر منه من الروح الحاس والمدرك فاذا اقتصد فيه قويت المعدة
على هضمه فانصرف اكثره الى المقصود وبقى باقيه تدفعه الطبيعة ثقلا فيبقى البدن
خالصا من الفضول بعده كما كان قبله واذا اسرف فيه بقى الزائد على المقصود
فضولا واخلاطا فى البدن خصوصا ان ضعفت المعدة عن هضمه فتكون
تلك الاخلاط غليظة ثم يتعفن تلك الاخلاط فيولد امراضا يكون منها العطب
ويحكى عن جالينوس انه قال انا احب ان اكل لاعيش وهؤلاء يحبون ان يعيشوا
لياكلوا يعنى ان الحكمة تقتضى ان تكون الحيوة غاية الاكل والاكل وسيلة لها
والعامة عكسوا ذلك فجعلوا الاكل غاية الحيوة والحيوة وسيلة له وهو دأب
البهائم وقال ابن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد • فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب

وكلوا واشربوا امر اباحة ولا تسرفوا يحتمل انه نهى ارشاد ويحتمل الكراهة
قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن هذا جامع لكل محرم
والخصال الاربع المذكورة بعده معطوفة عليه عطف الخاص على العام • وان
تقولوا على الله ما لا تعلمون يحتج به من زعم ان خبر الواحد يفيد العلم لانا
انما نقبل خبر العدل والعدل قد حرم عليه ان يقول ما لا يعلم فوجب انه
لا يقول الا ما يعلم وذلك يفيد العلم وهو ضعيف ومقدمته الاخيرة ظنية
لجواز ان يخالف لداع او صارف فيقول ما لا يعلم ثم لو افادت الاحاد العلم
لما احتيج الى العدد فى البينات ولما تفاوتت فى العدد ولما كان للاستفاضة
والتواتر مزية على الاحاد واللوازم باطلة فالملزوم كذلك ولانا نجد انفسنا
غير عاملة بموجب خبر الواحد فالقول بافادته العلم مصادم لهذا العلم
الوجدانى الضرورى فلا يلتفت اليه وربما احتج بقوله عز وجل قل من
حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق من يرى اباحة
الطرب وسماع الملاهى لان الاية اقتضت اباحة عموم الطيبات من الرزق
وهذه الاشياء من طيبات رزق السمع فكانت مباحة كطيبات رزق
الذوق والشم والبصر واللمس وهذه والتى قبلها اعنى افادة خبر الواحد
العلم يعزيان الى مذهب الظاهرية والاشبه ان سماع الملاهى ان دعى الى الحرام
او اشغل عن واجب فهو حرام وان دعى الى مكروه او صد عن مندوب فهو
مكروه والا فهو مباح وحيث يحرم يخرج جواز التداوى به من الماليخوليا
ونحوه من الامراض على الخلاف فى التداوى بالمسكر • ولكل امة اجل ونظايرها
حجة للجمهور على ان المقتول هلك باجله لم يكن ليستاخر عن ذلك ولا يستقدم

ولو لم يقتله القاتل لهلك فى وقت القتل بسبب غيره خلافا للمعتزلة فيما
يحكى عنهم من ان القاتل قطع عليه اجله ولو لم يقتله لاستمر حيا الى اخر اجله
استصحابا بالحال حيوته والاشبه الاول لان تفويت هذه الحيوة المعينة فى
هذا الوقت المعين بالسبب المعين معلوم لله عز وجل وكل ما كان معلوما
لله عز وجل استحال تغيره بتقدم او تاخر وما قاله المعتزلة تخييل ذهنى لا وقوع
له فى الخارج اصلا • فمن اتقى واصلح اى اتقى للكفر واصلح العمل فهو فى قوة
فمن امن واصلح • وان الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد سبق القول فيه
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها الاية لم يشترط مع الكفر نفى العمل
الصالح كما اشترط مع الايمان وجوده والفرق ان العمل الصالح لا يتصور مع
الكفر اذ الكفر مانع من وجوده فلم يحتج الى اشتراط نفيه لانه منفى لوجود
مانعه او انتفاء شرطه وهو الايمان بخلاف الايمان فان انتفاء العمل الصالح
يصح معه فلذلك اشترط وجوده فى تمام الجزاء عليه وهذا يقتضى ان الكفر
فى بابه اعظم من الايمان فى بابه وكذلك النواهى والمعاصى اعظم من الاوامر
والطاعات فى بابها وسبب ذلك عظمة الجناب الالهى عن الجراءة عليه بالمعاصى
واستغناؤه عن الطاعات فالمعاصى تغضبه والطاعات لا تنفعه انما
هى احسان من المطيع الى نفسه الا ترى ان السلطان اذا خرج عن طاعته
خارجى جهز اليه العساكر وقام له وقعد ولو اهدى له ملك الارض لم يحفل
له بعض ذلك الاحتفال • اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يحتمل ان المراد
نصيبهم من الشقاوة السابقة لهم فى الكتاب ويحتمل ان المراد نصيبهم من
الرزق المقسوم لهم فى الكتاب ويحتمل ارادة الامرين والنكتة المقصودة
قوله عز وجل ينالهم نصيبهم ولم يقل ينالون نصيبهم اشارة الى ان ما
سبق فى الكتاب من شقاوة وسعادة ورزق هو اشد طلبا للانسان حتى
يناله من الانسان له حتى يدركه ولو لم يكن لاهل التفويض والتوكل غير هذه
لكفتهم اذا فهموها • لا تفتح لهم ابواب السماء يعنى لارواحهم عقيب
الموت بل ترد فتخر من السماء تهوى بها الريح فى مكان سحيق اى بعيد
وهو سجين بخلاف المؤمنين فان ابواب السماء تفتح لارواحهم حتى تنتهى
الى العرش اكراما لها ثم تعاد الى القبر للسؤال وتفصيل هذا فى حديث البرا
ابن عازب وهذه من متعلقات اليوم الاخر • حتى يلج الجمل فى سم الخياط
هو من باب تعليق الشئ على المحال نحو حتى يعود اللبن فى الضرع وحتى
يشيب الغراب ويبيض القار

وحتى يؤوب القارضان كلاهما • وينشر فى القتلى كليب لوائل

ونحو ذلك • ونزعنا ما فى صدورهم من غل يعنى كان فى الدنيا وقد يستبعد
ذلك وليس ببعيد اما ان نسب الى القدرة الالهية فظاهر واما ان نسب الى
الواقع فكثيرا ما طابت النفوس عن خبث واصطلح الناس عن غضب وتنازلوا
عن غل واحن وقد حكى فى كتاب عجائب المخلوقات ان فى البحر سمكة اذا اكلها
المتصاغنان زال ما فى نفوسهما وعادا اصدقا وبالجملة فهذا امر ممكن وكل
ممكن مقدور وكل مقدور اخبر الصادق بوقوعه فهو واقع لا محالة • وقالوا
الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لعلهم يقولون
هذا لما يرون من صعوبة الطريق ووعورة المسلك فيعلمون انهم عاجزون
عن قطعه لولا اعانة الله عز وجل لهم فيحمد ونه على نعمه ويعترفون بالحمد والحق
لاهله ويحتج به الجمهور على ان الهدى من الله ويطردون حكمه فى مقابله وهو
الضلال بقضائه وقدره • لقد جاءت رسل ربنا بالحق عرفوا ذلك عيانا بعد
ان كانوا يعرفونه فى دار التكليف نظرا وبرهانا وتلك المعرفة اتم • ونودوا
ان تلكم الجنة اورثتموها الاية يعنى ان الجنة كانت للكفار بتقدير ان
لو امنوا والنار للمؤمنين ان لو كفروا فاذا دخل المؤمنون الجنة فكانهم
ورثوا ما كان للكفار لو امنوا وذلك هو التغابن يغبن اهل الجنة اهل
النار بفوزهم وهلاك اولئك • ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار الى
اخر القصة من احكام اليوم الاخر فى مجاورة اهل الجنة والنار • فهل لنا
من شفعاء فيشفعوا لنا الاية هى فى الكفار لا تنفعهم شفاعة ولا يجدون
شافعا • الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام قيل هى من ايام ربك كل
يوم كالف سنة مما تعدون وقيل هى من ايامنا هذه وهو اشبه وعلى كمال
القدرة ادل وههنا سؤال مشهور وهو كيف خلقها فى ستة ايام مع قدرته
على خلقها بكن فيكون وجوابه ان ذلك ليعلم عبيده الاناءة والتثبت و
لذلك امرهم بذلك فقال اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ان جاءكم فاسق
بنبأ فتبينوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس ان فيك
لخصلتان يحبهما الله الحلم والاناءة • ثم استوى على العرش هذه ونظائرها
فى القران تعرف بمسئلة الاستواء وهى ان الله عز وجل هل يقال انه بذاته
استوى على عرشه فوق السموات ام لا اثبته الحنابلة والمحدثون ونفاه
المعتزلة والاشعريون ومن تابعهم وبعضهم يسميها مسئلة الجهة وبعضهم
مسئلة العلو احتج المثبتون بوجوه احدها هذه الايات اذ تقتضى
استواءه على العرش وهو السرير الالهى بذاته الثانى ان الله عز وجل والعالم
حقيقتان موجودتان وكل موجودين فاما ان يكون احدهما ساريا فى

بلغ مقابلة

الاخر

الاخر او مماسا له او نائيا عنه والاول والثانى محال على الله عز وجل فتعين الثالث
وهو انه مباين للعالم وقد ورد الشرع بما يصلح ان يكون جهة مباينة له وهى
جهة العلو فتعينت بتعيين الشرع ولانها اشرف الثالث ان النبى صلى الله عليه
وسلم عرج به الى ربه وانه عليه الصلاة والسلام عرج به الى جهة فوق ينتج من
الشكل الثالث ان رب محمد فى جهة فوق ويتعين انه مستو على العرش بالنص
الرابع قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب مع قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة
لا تجاوز صلوتهم اذانهم فبين ان صعود الاعمال اليه الى جهة فوق وذلك
يقتضى انه فوق الخامس قوله عز وجل ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم
الارض ان يرسل عليكم حاصبا مع قوله صلى الله عليه وسلم ايما امراة باتت هاجرة
لفراش زوجها كان الذى فى السماء ساخطا عليها رواه مسلم ونظم الدليل منه
ان الله عز وجل هو المؤثر سخطه والمؤثر سخطه فى السماء فالله عز وجل فى السماء
والاولى اجماعية والثانية ثابتة بالحديث السادس شهادة القران ان فرعون
بنى صرحا ليطلع الى اله موسى فى السموات واقره موسى على ذلك والاحتجاج
باقرار موسى لا بفعل فرعون السابع تكليم موسى على الجبل ليكون اقرب الى
جهة الرب والا لم يكن لصعوده الجبل فائدة الثامن الله عز وجل ذات موجودة
وكل ذات موجودة فاما فى السموات او فى الارض او فيهما او لا فى واحدة منهما
والكل باطل الا الاول والخصم يدعى الاخير وهو انه لا فى واحدة منهما كسائر المجردات
التاسع حديث الجويرية اذ قال لها اين الله فاشارت الى السماء فحكم بايمانها بذلك
والخصم يكفر من حكم النبى صلى الله عليه وسلم بايمان مثله وهذه مباينة للشرع
العاشر اجمع الناس على رفع ايديهم الى السماء فى الدعاء لتلقى الخير والبركة منه
وهى شهادة شرعية فطرية عامة على انه فوق السماء احتج النافون بوجوه احدها
انه لو كان بذاته سبحانه على العرش لكان اما اصغر منه او اكبر او مساويا وبكل
حال يلزم كونه متحيزا جسما مركبا منقسما وانه محال الثانى ان الله عز وجل قديم
واجب غنى فلو كان مستويا بذاته على العرش فى جهة فوق لكان متحيزا وكل متحيز
جسم او جوهر وكل جسم او جوهر حادث ممكن مفتقر فالقديم حادث هذا خلف
الثالث ان العرش ان كان قديما لزم تعدد الذات القديمة وهو محال وان كان
حادثا فان كان الاستواء عليه قديما لزم قدم الحادث او حدوث القديم وانه محال
وان كان حادثا فان كان صفة قائمة بذات القديم لزم قيام الحوادث بذاته
وهو محال وان لم يكن قائما بذاته فالتقدير حدوثه فهو مسبوق بعدمه فعدمه
ازلى والازلى لا يزول فعدم الاستواء لم يزل والاستواء لم يكن وحينئذ يجب
تأويل الاستواء على الاستيلاء نحو قد استوى بشر على العراق • بغير سيف ودم مهراق

وقوله الاخر • ولما علونا واستوينا عليهم • تركناهم صرعى لنسر وطائر •
الرابع ان الله عز وجل فى الازل لم يكن مستويا على العرش وهو الان على ما كان
عليه فى الازل فهو الان غير مستو على العرش على ما يقوله الخصم وهذا ضعيف
اذ لقايل ان يعارضه بانه لم يكن معه عالم فى الازل وهو الان على ما كان عليه
فى الازل فالعالم ليس معه الان لكنه خلاف العيان وذهب ابو عبد الله بن
حامد الى ان معنى استوائه على العرش الاستقرار كما ذهب الى ان نزوله كل ليلة الى
سماء الدنيا انتقال واحتج بقوله عز وجل فاذا استويت انت ومن معك
على الفلك وقد انكر ذلك على ابن حامد ورد عليه واعلم ان السمع قوى فى
الاثبات والعقل قوى فى النفى غير ان النفاة قالوا العقل اصل السمع فيجب
تقديمه والا لزم القدح فى دلالة الاصل على الفرع وذلك قادح فى الفرع
ايضا فتقديم الفرع مبطل لشهادة الاصل والفرع جميعا وانه غير جائز
واجابوا عن حجج المثبتين من حيث الاجمال بانها شبه وظواهر فلا تعارض
الحجج القواطع قال بعض النفاة احد الامرين لازم اما بطلان مذهب
المثبتين او صحة مذهب الاتحادية لان اثبات الجهة والاستوا يستلزم التجسيم
وهو لا يصح الا على رأى الاتحادية الذين يجيزون ظهور الحق سبحانه وتعالى
فى المظاهر الجسمانية والاطوار الطبيعية واليه الاشارة بقول الحلاج للجنيد
يا معلم من الذى ياتى البشر على رسوم الطبع فقال له الجنيد اسكت ويحك
اى خشبة تريد ان تفسد • الا له الخلق والامر احتج به من قال ان القران
ليس بمخلوق لان القران هو الامر والامر غير الخلق فالقران غير الخلق فالقران
غير مخلوق واما ان القران هو الامر فلقوله عز وجل انا انزلناه فى ليلة
مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا ففسر القران
بالامر واما ان الامر غير الخلق فلعطفه عليه فى هذه الاية والعطف يقتضى التغاير
واجاب الخصم بان الامر مشترك بين القران وغيره ولا نسلم ان المراد به ههنا
القران سلمناه لكن لا نسلم ان الامر غير الخلق وعطفه عليه ليس عطف تغاير
بل عطف خاص على عام • ادعوا ربكم تضرعا تنبيه على عظمته التى يستحق بها
ضراعة غيره له وخفية تنبيه على قربه الذى لا يحتاج معه الى ان يجهر له كقوله
صلى الله عليه وسلم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا بصيرا
قريبا انه اقرب الى احدكم من عنق راحلته • ان رحمة الله قريب من المحسنين
ان كانت الرحمة صفة فعل فهى قريبة بذاتها وان كانت صفة ذات فالقرب
اثرها او ذاتها على رأى من يرى ان الله عز وجل بذاته فى كل مكان او على رأى
الاتحادية لانها حينئذ لا تفارق الذات فلا يمكن قربها بذاتها الا على رأى

هؤلاء • وهو الذى يرسل الرياح الاية هذه من ادلة المعاد قياسا على احياء
الارض بالمطر والنبات وقد صرح بالقياس فقال عز وجل كذلك نخرج الموتى
اى كاخراج الثمرات بالمطر من الارض الميتة نخرج الموتى من الارض وتوجيه
القياس ان حب الثمار مفرق فى الارض كاجزاء الموتى وهى الجواهر المفردة المنحلة
اليها الاجسام ثم انه عز وجل يجمع ذلك الحب ويحييه حتى يخرج زرعا وثمرا
نافعا كذلك يجمع اجزاء الموتى من الارض ويحييها حتى يخرج بشرا سويا
والجامع امكانهما ودخول الممكن تحت المقدورية • لقد ارسلنا نوحا الى قومه
فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قول نوح هذا وغيره من الرسل فى
هذه السورة وغيرها شهادة بالتوحيد موافقة لقوله عز وجل واسأل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وسياتى برهان
التوحيد فى موضعه ان شاء الله عز وجل قول هود لقومه فاذكروا الاء الله
اى نعمه واحدها الى وزن معا لواحد الامعاء وقد اختلف العلماء فى ان لله
عز وجل على الكفار نعمة ام لا على قولين احدهما نعم لهذه الاية وغيرها مما عدد
عليهم فيها نعمه والثانى لا لان ما اعطوه من متاع الدنيا استدراج لا نعمة
فهو كالعسل المسموم هو افة لا حلاوة ومرجع الخلاف الى ان النعمة ما هى ان اريد
به مجرد اللذة والتنعيم فعلى الكفار نعم عظيمة وان اريد بها التنعيم مع سلامة
العاقبة فيه فلا نعمة عليهم بل هى نقم فى صورة نعم • قال قد وقع عليكم من ربكم
رجس وغضب اشارة الى حصول المانع الالهى القدرى من الايمان بخلق دواعى
الكفر والصارف عن الايمان وهو المشار اليه بقوله عز وجل كذلك يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون ونظيره فى يونس وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا
وما كانوا مؤمنين عدم ايمانهم مفهوم من تكذيبهم وانما اتى به تاكيدا
والتاكيد من ابواب اللغات فى اصول الفقه وكذا واضل فرعون قومه
وما هدى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده الثانى فيهما مفهوم من
الاول وجئ به تاكيدا قول شعيب • قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى
ملتكم بعد اذ نجانا الله منها لما كان منشاه فى قوم كفار انعقد له سبب
موافقتهم فتجوز به عن ملابسة ملتهم فسمى اعراضه عنها بهداية الله عز وجل
اياه نجاة منها ودخوله فيها لو قدر عودا اليها وقوله • وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا يدل على جواز الكفر على الانبياء اذا شاءه الله
عز وجل والا لم يكن لاستثنائه معنى وقد سبق ان عصمتهم انما هى من وقوع
الكفر لا من جوازه • ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم
يحتج به المعتزلة على ان الذنوب مخلوقة لاهلها والا لكان مصيبا لهم بها

هو مخلوق له وذلك جود والطبع على قلوبهم اذا كان من جملة عقوبتهم على
ذنوبهم لم يكن فيه حجة جوابه قد عرف غير مرة وقاعدته في مقدمة الكتاب
وافية به حيث وقع • فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على
قلوب الكافرين يحتج بها الفريقان اما المعتزلة فلكونه علل الطبع على
قلوبهم بكفرهم فلو كان كفرهم معلولا للطبع على قلوبهم لزم الدور فدل
على ان كفرهم معلول لاراداتهم مخلوق لهم والجمهور منعوا كون الطبع على قلوبهم
معللا بكفرهم بل كفرهم معللا بالطبع على قلوبهم كانه قال كذلك يطبع الله
على قلوب قوم فيكفرون بسبب الطبع على قلوبهم • وانا فوقهم قاهرون
يستشهد به من يحمل الفوقية في حق الله عز وجل حيث وقعت على المعنوية
لا الحسية • واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها يعني ارض مصر اورثها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون كانوا
فيها بدليل ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى ونمكن لهم
وبدليل فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ذكر السهيلي في
الاعلام انه الفيوم كذلك واورثناها بني اسرائيل يعني جنات فرعون وكنوزه
اورثها بنوا اسرائيل لا يقال ان بني اسرائيل بعد ان جاوزوا البحر فارين
من فرعون لم ينقل انهم عادوا الى مصر فكيف ورثوها لانا نقول هذه دعوى
مجردة بل قد نقل وثيمة بن موسى في قصص الانبياء ان فرعون لما هلك
وقومه وامنت بنوا اسرائيل غايلته ندب موسى نقيبين من نقبائه الاثنى
عشر احدهما كالب بن يوفنا والثاني يوشع بن نون مع كل واحد منهما سبطه
اثنى عشر الفا وارسلهما الى مصر وقد خلت من حاميتها لغرق اهلها مع فرعون
فاخذوا ذخاير فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريثهم ارض مصر •
وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي واصلح الاية يحتج بها الشيعة
على استخلاف النبي صلى الله عليه وسلم عليا على الامة بعده وقرروا ذلك
بقوله صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي
بعدي وهرون خليفة موسى على امته عند ذهابه لميقات ربه فكذلك علي
يجب ان يكون خليفة محمد صلى الله عليه وسلم على امته عند اجابته داعي
ربه وربما قرروه بطريق اخر وهو انه لما استثنى النبوة من منازل هرون
دل على انه اثبت لعلي منه باقي المنازل الهارونية من موسى ومن تلك
المنازل انه خليفته في حيوته ولو عاش بعد وفاته فكذلك النبي صلى الله
عليه وسلم استخلف عليا في حيوته عند خروجه الى تبوك ثم انه عاش
بعده مدة فوجب ان يكون خليفته بعد وفاته لتثبت له المنزلة الهارونية

تحقيقا

تحقيقا في الحيوة وتقديرا بعد الوفاة واجاب الجمهور عن الطريقة الاولى
بان استخلاف موسى لهرون كان في حيوته ودعواكم استخلاف علي بعد
وفاة النبي صلى الله عليه وسلم والحيوة والوفاة نقيضان لا يصح قياس
احدهما على الاخر وعن الطريقة الثانية بانا لا نسلم ان هرون لو عاش بعد موسى
كان خليفة بعده وحينئذ لا تثبت هذه المنزلة لهرون فلا تثبت لعلي لانه مشبه
به وفرع عليه • قال رب ارني انظر اليك يحتج به الجمهور على جواز رؤية الله
عز وجل والا لكان موسى غير عارف بما يجوز على الله عز وجل وما لا يجوز او
مجترئا عليه بسؤال ما لا يجوز عليه وكلاهما باطل واعترض المعتزلة بان قالوا
لم يكن سؤال موسى الرؤية لنفسه انما كان لقومه حين قالوا ارنا الله جهرة
وقد قوبلوا عليه بالصعق والموت ولم يلزم من ذلك جهل ولا جراءة من موسى
اذ كان مبلغا عن غيره ومبلغ الكفر والمعصية ليس بكافر ولا عاصي والجواب
ان هذا جهل بمراتب الكتاب ووقايعه او تجاهل بذلك وذلك لان موسى
عليه السلام كان له مع الله عز وجل في هذا المقام ميقاتان احدهما هذا
وكان فيه وحده وسال الرؤية فيه لنفسه والثاني بعد هذا وهو مذكور
بعد على ترتيب الواقع عند قوله عز وجل واختار موسى قومه سبعين رجلا
لميقاتنا وهناك سال قومه الرؤية فاخذتهم الصاعقة فهذا الاعتراض
من المعتزلة فاسد اما عن غلط او مغالطة • قال لن تراني احتج به المعتزلة
على عدم جواز رؤيته عز وجل لانه نفى رؤية موسى له بلن المقتضية لتابيد
النفي وذلك يقتضي انتفاء رؤيته اياه في الدنيا والاخرة واذا لم يره
موسى في الدارين مع انه الكليم القريب فغيره ممن هو دونه بطريق اولى
وغيره ممن هو مثله كذلك اذ حكم المثلين واحد ولعدم القايل بالفرق
وجوابه لا نسلم ان لن تقتضي تابيد النفي بدليل ولن يتمنوه ابدا على
ما تقرر هناك على انا لا نسلم انه نفى جواز الرؤية بل وقوعها في الدنيا
لا غير ثم ان محمدا صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام افضل من موسى
عليه السلام للاجماع في محمد صلى الله عليه وسلم ولما سبق في تقريره في المسيح
فلا يلزم من انتفاء الرؤية في حق موسى انتفاؤها في حقهما واذا جازت
لهما حصل المقصود اذ النزاع في جوازها • ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني الاية احتج بها فريقان اما الجمهور فقالوا علق
رؤيته على استقرار الجبل حال التجلي واستقراره حينئذ ممكن
فالرؤية اذن معلقة على امر ممكن وكل معلق على ممكن فهو ممكن فالرؤية
ممكنة وهو المطلوب واما المعتزلة فقالوا ان الله عز وجل علم ان الجبل

لا يستقر عند تجليه له وحينئذ انما علق الرؤية على استقرار الجبل حال اضطرابه
واندكاكه للتجلى واستقراره حال اضطرابه محال فالرؤية انما علقت على محال
فالرؤية محال واعلم ان الجمهور لاحظوا امكان استقرار الجبل لذاته حال التجلى
ولاشك فى امكان ذلك بهذا الاعتبار والمعتزلة لاحظوا استحالة استقراره حال
اضطرابه بحسب ما عرض له من هيبة التجلى واعتبار الشئ لذاته اولى من اعتباره
بعارض له فتلخص ان الدست ههنا للجمهور • فلما افاق قال سبحانك تبت
اليك وانا اول المؤمنين قالت المعتزلة تبت اليك من سؤال الرؤية وانا
اول المؤمنين بانك لا ترى وليس نصا فيما قالوه لاحتمال ان المعنى تبت اليك
مطلقا او من سؤال الرؤية فى الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك حتى لا يثبت
لتجليك الجبال • قال يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى عام اريد
به الخاص اى على ناس عصره اذ لم يكن فيه نبى غيره اما الانبياء والرسل قبله وبعده
فكثير واما الكلام فخص به كفاحا على من عداه الا من خصه الدليل كنبينا صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج • والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا الاية
ظاهرها وجوب قبول التوبة من التائب لكن وجوبه من الله عز وجل عند الجمهور
وعليه عند المعتزلة كما سبق • ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء
يحتج به الجمهور على ما عرف من مذهبهم فى الضلال والهدى وهو واشباهه قاطع
لا حيلة للمعتزلة ويقال ان الله عز وجل اخبر موسى بافتتان قومه من بعده
بالعجل وهو يكلمه على الطور فقال موسى يا رب هذا السامرى صنع صورة العجل
فمن نفخ فيه الروح حتى خار قال انا يا موسى قال فما ارى اضل قومى الا انت
فقال احسنت يا حكيم الحكما وهذا نص فى المدعى وفيه ان الايمان بالقدر وتفويض
الامور الى الله عز وجل من الحكمة • قال عذابى اصيب به من اشاء فيه ان مناط
العذاب والرحمة ومدارهما هو المشية لا الطاعة والمعصية ولا الاستعداد
ونحوه ويدل على هذا ان الرحمة قد تلحق من لم يعمل خيرا ظاهرا قط ككافر
يؤمن عند الموت والعذاب يلحق من تعبد طول عمره كمؤمن كفر عند الموت
وانما الاعمال امارات قد تصدق وقد لا • الرسول النبى الامى الذى يجدونه
مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل اما التورية فالنبى صلى الله عليه وسلم
مذكور فيها باسمه وصفته فى عدة مواضع على ما استخرجه العلما فى دلائل
النبوة ورأينا بعضه فيها من ذلك قوله واستعلن الله من جبال فاران اى
ظهر دينه من هناك والمراد جبال مكة واما الانجيل فصفة النبى صلى الله عليه وسلم
فى فصل الفارقليط من انجيل يوحنا على ما قررناه منه فى مناقضة الانجيل
هذا مع ما لحق الكتابين من التحريف والتبديل لكن بقاء ما ذكرناه من ذكر النبى

صلى الله عليه وسلم فيهما من قبيل المعجز لان اجتهاد امتين عظيمتين على ازالة ذكره من
كتابين لطيفى الحجم ثم لا يستطيعون ذلك معجز لا شك فيه وتعجيز الهى لا ريب
فيه ومعنى الاية يجدون ذكره او اسمه او وصفه مكتوبا عندهم اذ لا يمكن ان
تكون ذاته وعينه البشرية فى الكتابين لما سبق من استحالة كون الاسم هو
عين المسمى • يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر يحتج به من يرى تحسين
العقل وتقبيحه ووجهه ان معنى الاية يأمرهم بما يعرفون وينهاهم عما
ينكرون اذ لو لم يكن كذلك لكان تقديره يامرهم بما جاء به وينهاهم عما لم
يجى به او يأمرهم بما يأمرهم وينهاهم عما ينهاهم وهو اما خلف من القول او تقصير
فى الوصف فتعين ان المراد ما ذكرنا ثم لا يخلو اما ان يكون المراد يأمرهم
بما يعرفون فى الشرايع السابقة او بما يعرفون فى عقولهم والاول باطل والا
لكان شرع النبى صلى الله عليه وسلم تابعا لشرع من قبله وهو باطل فتعين الثانى
وهو المطلوب والقول بالتحسين والتقبيح هو رأى المعتزلة ومن تابعهم
والجمهور قالوا ان الحسن والقبح يطلق باعتبارات ثلاثة احدها بمعنى الكمال
والنقص كقولنا العلم حسن والجهل قبيح والثانى بمعنى ما يلايم الطبع وينافره
كقولنا اللذة حسن والالم قبيح والثالث بمعنى المدح والثواب على العمل شرعا
او الذم والعقاب شرعا والحسن والقبح بالاعتبارين الاولين عقليان اى
يدركان بالعقل وبالاعتبار الثالث شرعيان اى لا يدركان الا بالشرع وهو
محل النزاع اما الاولان فمحل وفاق معهم وحينئذ يجوز حمل الاية على الاعتبار
الاول اى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر اللذين هما من باب الكمالات
والنقايص لان ذلك هو الذى يحتاج اليه فى اقامة الدعوى ويستميل القلوب
الى الاجابة واما المعروف والمنكر اللذان بحسب الذم والمدح والثواب والعقاب
فيثبت حكمهما بدليل منفصل وتحقيق مذهب المعتزلة فى هذا انهم لا يقولون
ان العقل حاكم موجب او محرم وانما يقولون انه مدرك بما جعل الله عز وجل
فيه من القوة ان هذا الفعل ينبغى او لا ينبغى ويدرك ادراكا حكميا اى من
جهة الحكمة ان هذا الفعل مما يقتضى السياسة الشرعية ان يثاب او يعاقب
عليه لا انهم يقولون ان الشارع ان لم يثب او يعاقب عليه عوقب او استحق
العقاب قالوا وانما قلنا ذلك لان المعلومات على ضربين حقايق وتكاليف
فالحقايق ثلاث واجب وهو ما يلزم من عدمه محال لذاته وممتنع وهو ما
يلزم من وجوده محال لذاته وممكن خاص وهو ما لا يلزم محال من وجوده
ولا عدمه والتكاليف ثلاث مأمور به ومزجور عنه ومخير فيه بين فعله
وتركه ثم لما كان العقل يدرك احكام الحقايق من حيث الجواز والامتناع

والوجوب فكذلك يدرك احكام التكاليف من حسن وقبيح ومابينهما واجاب الجمهور
بانا لانسلم انه يلزم من ادراكه احكام الحقايق العقلية انه يدرك احكام التكاليف
الشرعية وهل محل النزاع بيننا الا هذا بعينه • قل يا ايها الناس انى رسول الله
اليكم جميعاً حجة فى عموم دعوة الاسلام مع نصوص اخر من الكتاب والسنة
وعارضه اليهود والنصارى بقوله عز وجل لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير
من قبلك وذلك يقتضى اختصاص دعوته بالعرب الاميين دون غيرهم من الامم
والفرق الذين سبقت فيهم النذر وانزلت فيهم الكتب وسيأتى جوابه فى
موضعه ان شاء الله عز وجل • وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا يحتج به
مع نظيره فى البقرة على ان الواو لا تقتضى الترتيب لان السجود قدم فى
احداهما واخر فى الاخرى والقصة واحدة فلو كانت للترتيب لزم اختلاف
الخبر والكذب فى احد النصين وانه محال • اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم الاية يحتج بها الجبرية ونحوه
لان هذا اضطرار او شبيه بالاضطرار لهم الى المعصية لانه القى عليهم شهوة
السمك وحرم عليهم العمل يوم السبت ومنع الحيتان ان لا تاتى الا فيه فصار شبيهاً
بما قيل القاه فى اليم مكتوفا وقال له اياك اياك ان تبتل بالماء وقد صرح
بمعنى هذا حيث قال عز وجل كذلك نبلوهم قالت المعتزلة الفرق بينهما ان هؤلاء
المعتدين فى السبت مختارون لصيد السمك بخلاف الملقى فى الماء مكتوفا اذ لا
اختيار له ثم باقى الاية لنا وهو كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون دل على ان
ابتلاءهم بذلك عقوبة على فسق صدر عنهم باختيارهم وهم علته التامة وجواب
الكسبية والجبرية عنه قد عرف ثم ان فى ضمن هذه القصة احتيال اصحاب
السبت على الصيد المحرم بان نصبوا المصايد يوم الجمعة فوقع فيها الحيتان
ثم اخذوها يوم الاحد وغالطوا انفسهم وظنوا ان ذلك يخلصهم من اللائمة
فلم يخلصوا ولم يعذروا ولم يعد ذلك منهم كياسة وتلطفا فى حصول المقصود
بل عد منهم مكرا فوبلوا بمثله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فمسخوا قردة لانهم
مسخوا احكام الله فاحالوه عن صورته بحيلهم فاحال الله عز وجل صورهم
بحوله ويحتج بهذا من منع الحيل فى احكام الشرع وهو مالك واحمد ومن تابعهما
خلافا للباقين فى اجازتها كالمخالعة والتحليل والمعاملة الربوية ونحوها
ولعلهم راوا ان المنع من مثل ذلك تضييق فى شرع من قبلنا من قبيل الاصار
والاغلال التى كانت عليهم واستباحته لنا من باب الرخصة والتوسعة علينا
لان اصارهم واغلالهم رفعت عنا ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم كما سبق فى
هذه الصورة قريبا ولعل الخلاف مبنى على مسئلة شرع من قبلنا شرع لنا

وايضا العقود لها صور ومعانى فاعتبار صورة العقد ومعناه كالعزيمة فى
النكاح والبيع المجمع عليهما واعتبار صورته فقط كالرخصة كما فى التحليل وبيع
المعاملة ونظيره من العقليات الحد التام من الجنس والفصل جميعاً والفصل
وحده حد ناقص ولان الصورة امارة يدور الحكم عليها ولما قيل لهم الحيلة قنطرة
الحرام قالوا فقد حصل مقصودنا لان القنطرة انما وضعت لتمنع من الوقوع
فى الماء فالحيلة تخلصنا من الحرام واعلم انهم غلطوا فى هذا الفهم وغالطوا
لان اولئك انما ارادوا ان الحيلة قنطرة الى الحرام موصلة اليها الا انها قنطرة
عليه مخلصة منه وفى هذه المسئلة بحث طويل هذا حاصله وتعظيم الشعائر
والحرمات فى طرف من حرم الحيل المخيلات • قالوا معذرة الى ربكم الاية تدل
على وجوب انكار المنكر على من اصر عليه وعلم انه لا يزدجر بشرط امن المفسدة الراجحة
وتفصيله ان الانكار ان خلا عن مفسدة اصلا وجب وان استلزم مفسدة
راجحة لم يجب وان تضمن مفسدة مساوية لمصلحة احتمل الخلاف والتخيير
والاولى الترك لان تحريك الساكن يخشى منه التفاقم • فلما نسوا ما ذكروا
به انجينا الذين ينهون عن السوء الاية اعلم ان اصحاب السبت انقسموا الى
مباشر للمعصية ومنكر لها ناه عنها ولا مباشر ولا منكر فلم ينج من العذاب
الا الناهون واما العصاة فعوقبوا بمعصيتهم والساكتون عنها عوقبوا لتركهم
الانكار الواجب وتعلقت الشيعة بهذا اذ زعموا ان الصحابة انقسموا الى
مؤذ لاهل البيت ومعين له وساكت عن الانكار والنصرة مع القدرة ومنكر
منتصر بلسانه او قلبه قالوا والفرق الثلاث الاول هالكة والناجية هى
الرابعة وهم الشيعة اولا واخراً كما فى اصحاب السبت واجاب اهل السنة بانا
لانسلم ان احداً من الصحابة رضى الله عنهم اذى اهل البيت ولو سلمناه لكن
القران ورد بمدحهم وذم اصحاب السبت فلا يصح قياس احدهما على الاخر اذ
هو قياس ضد على ضد او جمع حيث فرق النص وهو فاسد الاعتبار • فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى الاية تضمنت
ان الكذب على الله عز وجل وكتبه ورسله حرام لا يجوز اخذ الاجرة عليه
فيحتج به على ان تحريف التأويل والنصوص من الكتاب والسنة والاحكام
والفتاوى لا يجوز بعوض ولا محاباة ولا غيرهما خلافا لما حكى عن بعض
الفقهاء انه يفتى الاجانب بالعزايم والاقارب والاصدقا بالرخص وان
ضعف مستندها فى النظر قوله عز وجل • واذ اخذ ربك من بنى ادم
من ظهورهم ذريتهم الاية دلت على ان الذرية اخذت من ظهور بنى ادم
والتفسير بانها اخذت من ظهر ادم وكلاهما حق لان الذرية استخرجت

فی هذا المقام علی ترتیبها وتفصیلها ذریة ادم من ظهره ثم ذریة کل واحد من بنیه
من ظهره کما اذا فرضنا الف صندوق بعضها فی بعض فی کل صندوق شئ من
الجوهر فاستخرجنا بعضها من بعض • الست بربکم تقریرهم بالتوحید والربوبیة
قالوا بلی المشهور ان بلی حرف ایجاب یجاب به النفی فیقرر خلاف مضمونه
فلست بربکم مضمونه سلب الربوبیة وبلی قررت هذا السلب وهو اثبات
الربوبیة ونعم لکونها مقررة لمضمون ما قبلها لم تصلح ههنا والا کانت
تقریرًا لسلب الربوبیة وانه کفر ویحکی ان ابن الانباری دعی فی جماعة
لیشهد علی شخص فقال بعضهم للشخص الا نشهد علیک فقال نعم فشهدوا علیه
الا ابن الانباری امتنع فقیل له فی ذلک فقال هذه الشهادة لا تصح علی موجب
اللغة لانه انما قررکم علی ان لا تشهدوا علیه کانه قال نعم لا تشهدوا علی واعلم
ان حکم هذه الشهادة علی موجب الفقه انها تصح علی عامی لا یفرق بین بلی
ونعم دون عالم یفرق بینهما فلعل ابن الانباری اخذ بالاحوط الذی لا یعترض
فیه احتمال خلاف او انه اراد بیان هذا الحکم اللغوی لاصحابه وقد ذکر ابن
الانباری فی بعض کتبه ان بلی مرکبة من بل الاضرابیة ولا النافیة ویتضح
معناها فی مواردها مطردة علی ذلک فاذا وقعت فی جواب السلب کان معناها
سلب سلب ما بعدها وسلب السلب ایجاب فمعناها الایجاب مثاله فی هذه
الایة لما قیل الست بربکم قالوا بلی ای بل لا لست ربنا وهو فی قوة بل انت
ربنا لان لا للسلب ولست للسلب وسلب السلب ایجاب فسلب سلب الربوبیة
ایجاب لها فاعلم ذلک ثم فی الایة سؤالان احدهما انه لو سبق للناس مقام
شهدوا فیه بالتوحید واخذ اقرارهم به لکانوا الآن یذکرون ذلک وجوابه
انهم کانوا حینئذ نفوسًا وارواحًا مجردة والذکر انما هو بجاسة بدنیة
او متعلقة بالبدن والبدن وقواه ومتعلقاته انما حدث بعد ذلک فلذلک
لم یذکروا ذلک المقام الآن وانما هذا السؤال کمن یقول لو کان زید حضر عند
السلطان لکان ثوبه علیه وهو غیر لازم لجواز حضوره مجردًا عن لباس
ویحتمل ان یکون تجرد النفس شرطًا فی ذکر ذلک او تعلقها بالبدن مانعًا
منه فاذا تجردت بالموت کشف عنها غطاؤها فابصرت ما بین یدیها وورائها
السؤال الثانی کیف قامت علیهم الحجة الآن بذلک الاقرار وهم لا یذکرونه
وجوابه ان المراد لیس اقامة الحجة علیهم الآن بل یوم القیمة • ان یقولوا
یوم القیمة انا کنا عن هذا غافلین وهم یومئذ یذکرون ذلک المقام اما بخلق
الذکر فیهم او بازالة الموجب للنسیان ثم لا یمتنع قیام الحجة علیهم بما لم یذکروا
کما لزمهم الایمان بما لم یدرکوا ولان الصادق اخبرهم بوقوع ذلک المقام فلزمهم

تصدیقه

تصدیقه ثم تقوم الحجة علیهم بذلک کما لو علم الشاهدان هذا خطه ولم یذکره
ثم ربما ظن ظان ان الذریة انما تکون للرجال دون النساء لقوله عز وجل
من بنی ادم ذریتهم ولم یقل من بناته ولا من ولده ولیس کذلک بدلیل قوله
عز وجل وانی اعیذها بک وذریتها وانما قال بنی ادم تغلیبا لجانب الذکوریة
علی ما هو المعتاد فیه • من یهدی الله فهو المهتدی ومن یضلل فاولئک
هم الخاسرون یحتج به الجمهور فی ان الهدی والاضلال من فعل الله عز وجل
وخلقه وانهما ینسبان الیه من هذه الجهة والمعتزلة یتأولون ذلک علی انه
یهدی ویضل بفعل الالطاف او منعها ثم اذا قیل لهم منع اللطف اما موجب
للضلال فیلزمکم المحذور کما لو کان هو الخالق له او غیر موجب له فلا یؤثر
قالوا منع اللطف واسطة بین ما ذکرتم وهو انه مرجح للضلال غیر موجب
له وانما الموجب له اختیار العبد وفعله وحینئذ یقال لهم الموجب له فعل
المکلف وحده او مع منع اللطف الاول باطل لانه انما فعل شیئا برجح وقوعه
فاستحال استقلاله به بعد ذلک فتعین الثانی وهو ان الموجب لفعل العبد
مع منع اللطف فیلزمکم ایقاع المقدور من قادرین وان ینسب الی الله عز وجل
من الجور الذی تفرون منه بقدر تاثیره فی الفعل بمنع اللطف او یقال لهم
العبد هو الموجب الکامل للفعل او یشارکه فیه منع اللطف ویعود ما ذکرناه
وهذا تحقیق مع المعتزلة فی البحث وهو صعب علیهم • ولقد ذرانا لجهنم کثیرا
من الجن والانس یحتج به الجمهور ایضا وتقریره ان هذا یقتضی ان الارادة والعلم
تعلقا بان هؤلاء للنار ثم خلقوا لاجلها فکان تعلق الارادة والعلم بانهم
للنار موجبا لصدور المعاصی التی هی امارة العقاب منهم والا انقلب العلم الازلی
جهلا والارادة غیر مؤثرة وانه محال ویجاب بان اللام فی لجهنم للعاقبة ای
ذراناهم للجنة علی تقدیر ان یطیعوا فعصوا فکانت عاقبتهم الی النار ثم لا نسلم
ان تعلق العلم والارادة بشئ ما یکون موجبًا له اذ شان العلم الکشف وشان
الارادة التخصیص وانما الایجاب والتاثیر للقدرة فلا یعترض علیها غیرها
من الصفات اذ لکل صفة وظیفة تختص بها ویعترض علی هذا الجواب بان
لام التعلیل اکثر من لام العاقبة فحمل هذه اللام علی الاکثر اولی واما قولهم
العلم والارادة لیسا موجبین قلنا نعم لکنهما یستتبعان تعلق القدرة علی
وفق ما تعلقا به والا لتناقض مقتضی الصفات الازلیة او الاحوال او الذات
علی الخلاف فی ذلک وانه محال مثاله لو تعلق العلم والارادة به بان زیدا فی
النار فالقدرة ان تعلقت بذلک فهو المطلوب وان تعلقت بخلافه تنافت
الصفات فی مقتضاها ولزم النقص فی هذه الصفة التی لا یوجد متعلقها او الجمع

بين المتعلقات المتنافية وانه محال وهذا بحث جيد فتدبره • ولله الاسماء
الحسنى يقتضى ان الاسم غير المسمى والا لكان ما للشئ فهو نفسه وانه محال كما
سبق ثم الاسم لغوى واصطلاحى فاللغوى هو اللفظ الدال على الذات نحو زيد
والاصطلاحى هو اللفظ الدال على معنى فى نفسه غير مقترن بزمان محصل والاول
يقابله الصفة وهى اللفظ الدال على معنى ينسب الى الذات كالطويل والقصير والثانى
يقابله الفعل والحرف نحو قد قام والاسماء الحسنى كلها اسماء بالاصطلاح النحوى
وعلى التفسير اللغوى ليس فيها اسم الا الله والباقى صفات اما ثبوتية او سلبية
او اضافية او مركبة من ذلك • والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون ان قيل استدراجهم اما الى كمال المعصية فتكذيبهم الايات كفر
عظيم فلا فائدة للاستدراج او الى الاهلاك فالله عز وجل قادر على اهلاكهم
مجاهرة على كفرهم فى الحال فلا فائدة للاستدراج ويجاب بان فائدة الاملاء
لهم ليؤخذوا على غرة وغفلة من غير توبة كما قال عز وجل واملى لهم ان كيدى
متين حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة وحينئذ يقال للمعتزلة انتم
توجبون رعاية الاصلح والاصلح لهؤلاء ان يوخذ بقلوبهم الى الطاعة والايمان
لا ان يستدرجوا الى الموت على الكفر والعصيان لكن ان كانوا لا يقولون
بوجوب رعاية الاصلح مطلقا بل بوجوبها فى مقدمات التكليف وما يتوقف
عليه لم يلزمهم هذا السؤال غير ان المشهور عنهم الاطلاق حتى الزمه بعضهم
فى دخول النار لاهلها وقال هو اصلح لهم وقد حصل ثم يقال استدراجهم الى
اخذهم على غرة وغير توبة اما موجب لمقصوده فيلزم الجبر وعدم رعاية
الاصلح او غير مؤثر اصلا وهو نقص فى القدرة والارادة وهو محال او مرجح
لمقصوده من غير ايجاب فيلزم مقدور بين قادرين واعانة الله عز وجل لهم
على فعل القبيح فيستحق من الذم ونسبة الجور اليه بقدر مشاركته فى ذلك
وكله محال فدل على صحة مذهب الجبر والتفويض • اولم ينظروا فى ملكوت
السموات والارض وما خلق الله من شئ فى هذه الجملة مسائل الاولى وجوب
النظر على المكلفين لانه عز وجل انكر تركه على هؤلاء المكذبين وذلك يقتضى
وجوبه الثانية ان النظر طريق الى العلم بالمنظور فيه والا لم يكن لايجابه وانكار
تركه معنى والواقع قاطع فى ذلك اذ قد ادرك بالنظر علوم كثيره الثالثة ان
المخلوقات باسرها من حيث هى جملة ومن حيث هى كل فرد فرد تدل على وجود
الصانع وقدمه لان كل فرد من افراد المخلوقات هو اما جوهر او عرض على راى
المتكلمين وهو اما هيولى او صورة او جسم او عقل ونفس على راى الفلاسفة
وعلى كل تقدير فذلك الفرد موجود فله موجد وليس موجده نفسه والا لزم الدور

فهو غيره وهو اما معدوم وهو محال اذ المعدوم لا يؤثر او موجود وهو اما حادث
فيلزم الدور او التسلسل او قديم وهو المطلوب وهذا مستفاد من قوله عز وجل
وما خلق الله من شئ اى كل شئ من المخلوقات يدل على صانعه هذه الدلالة والنظر
اما بالبصر وهو الرؤية او بالقلب وهو العطف والرحمة او بالبصيرة وهو المراد
ههنا وهو ترتيب امر من تصديق معلوم ترتيبا خاصا لاستعلام مجهول
من يضلل الله فلا هادى له الاية يحتج بها الجمهور على رايهم المشهور وهو ان
الله عز وجل خالق الضلال • يسئلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما
علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو هو موافق لقوله عز وجل وعنده مفاتح
الغيب ان الله عنده علم الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها ثم المشهور عند
بعض المسلمين انها تكون على انقضاء الف سنة او قريبا منها من حين مبعث
النبى صلى الله عليه وسلم وقد ظهر كثير من اشراطها وزعم بعض المؤرخين من
المنجمين ان ايام العالم كلها سبعة ايام عدد ايام الاسبوع غير ان كل يوم منها
اثنان وسبعون الف سنة وان المنقضى منها الى وقت الطوفان المائى
النوحى ستة ايام وقد بقى منها يوم واحد قد انقضى منه الى عامنا هذا وهو عام
ست عشرة وسبعمائة للهجرة ما بينه وبين الطوفان وهو نحو ثلاثة الاف
سنة تقريبا فالباقى على قوله من ايام العالم نحو تسعة وستين الف سنة
وزعم هذا القايل ان هذا امر مبرهن وذكر برهانه عليه فى تاريخه غير ان هذا
بعيد لوجوه يستغنى عن ذكرها بان هذا القول دهرية صغرى فالاشبه الاول
ان شاء الله عز وجل • ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء
الاية يعنى ان علم الغيب من خواص الاله لا من شان الرسل اذ انما شانهم التبليغ
كما قال ان انا الا نذير وبشير ورايت بعض من ينسب الى فضيلة ما يستشكل
هذه الملازمة المذكورة فى الاية وهى الاستكثار من الخير على تقدير علم الغيب
وما ظننت احدا يستشكل ذلك لوضوحه فان من علم الغيب علم اسباب
الخير فتلقاها او اسباب الشر فتحاماها الا ترى من مر بارض فعلم ان بها
كنزا سعى فى اخراجه لينتفع به ولو علم ان فيها نارا محرقة او بئرا مهلكا
او ثعبانا ناهشا حاد عنها فهذا امر واضح لا يخفى عن ذى لب • فلما اتاهما
صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما زعم بعضهم ان المراد ادم وحوا كانا لا يعيش
لهما ولد فقال ابليس لهما سموه عبد الحارث وهو اسمه فانه يعيش فسمياه فعاش
فنقم الله عز وجل عليهما ذلك ويحتج به من يجيز الكبائر على الانبياء لان
هذا كبيرة وقد صدر من ادم وهو نبى ولا برهان على ثبوت هذا عن ادم سمعى
ولا نظرى غير ان ظاهر الاية ونظمها يقتضيه فالله عز وجل اعلم وحمله بعض

المفسرين على اشراك المشركين عموماً بدليل ان فى سياقه متصلا به فتعالى
الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون الايات وهو جمع يطابق
كثرة المشركين لا تثنية ادم وحوا • الهم ارجل يمشون بها الاية احتج بها
بعض المشبهة على اثبات الرجل واليد والعين والاذن لله عز وجل محتجا بان
الاية دلت على ان عدم هذه الجوارح صفة نقص للاصنام يمنعها من استحقاق
الالهية فاثباتها يجب ان يكون صفة كمال لله تعالى مصححة لاستحقاق الالهية
عملا بموجب قيام العكس ويجاب عنه بان ليس معنى الاية ما فهمتم انما
معناها ان الانسان مع ثبوت هذه الجوارح قاصر عن رتبة الالهية والاصنام
لفقد هذه الجوارح وغيرها قاصرة عن رتبة الانسان والقاصر عن القاصر عن
الشئ اولى بالقصور عن ذلك الشئ او نقول الصنم قاصر عن رتبة الانسان والانسان
قاصر عن الالهية فالصنم قاصر عن الالهية وهذا ابلغ فى الاستدلال واذا امكن
حمل الاية على هذا الوجه التنزيهى لم يجز حملها على تفسيركم التشبيهى •
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يحتج به المعتزلة على ان قوله عز وجل
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة لا يقتضى رؤية الله عز وجل وابصاره
لان الاية المذكورة تضمنت اثبات النظر المقرون بالى مع نفى الرؤية والابصار
فدل على ان الاول لا يلزمه الثانى وجوابه ان المشار اليه فى الاية هم الاصنام
كانهم ينظرون الى الانسان اذا قابلهم لكونهم مصنوعين على صورة الانسان
وهم لا يبصرون ابصاراً حقيقياً لكونهم جماداً بخلاف الحى اذا نظر الى شئ
فان ابصار ذلك الشئ يحصل لا محالة عند انتفاء موانع الرؤية واعرض
عن الجاهلين محكم او منسوخ باية السيف • واما ينزغنك من الشيطان نزغ
الايتين فيه اثبات الشيطان ونزغه وتعرضه بالانسان فى يقظته ومنامه
وان الانسان اذا وجد بعض ذلك يتعوذ بالله عز وجل من الشيطان ويذكر
الله عز وجل يذهب غية الشيطانى ويبصر رشده الرحمانى • ان الذين عند
ربك اشارة الى الملائكة او الى الملاء الاعلى منهم واحتج به من راى
الملائكة افضل من البشر لانهم وصفوا بعندية مضافة الى الله عز وجل
دون البشر فكانوا اشرف وافضل ويحتج به من يثبت الجهة حملاً للعندية
على المكانية وحملها خصمه على العندية المكينية القربية التشريفية والله
عز وجل اعلم بالصواب

القول فى سورة الانفال

الانفال

قل الانفال لله والرسول كانت كذلك يوم بدر ثم نسخت بقوله عز وجل واعلموا
انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول على ذلك التفصيل • انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الايتين هذا حصر للمؤمن الكامل لا المطلق

المؤمن

المؤمن بدليل ان المؤمن يصدق بدون بعض هذه الصفات بدليل قوله صلى
الله عليه وسلم من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن لا يقال ان من كان
بهذه الصفة استلزم الصفات التى فى الاية لانا لا نمنع من ذلك ولا دليل عليه
يجادلونك فى الحق بعد ما تبين اشارة الى كراهة ذلك من فاعله فيقتضى تحريم
الجدال فى الحق بعد بيانه وذم من فعله وان الجدال كذلك هو المذموم لا مطلق
الجدال كما مر • وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى يحتج به الفريقان اما المعتزلة
فبقوله عز وجل اذ رميت اضاف الرمى اليه واما الجمهور فبقوله عز وجل وما رميت
ولكن الله رمى نفى الرمى عن النبى صلى الله عليه وسلم واثبته لنفسه وقد حقق ذلك
بعض المفسرين فقال الرمى بالتراب والحجر اشتمل على قبض وارسال وهما من النبى
صلى الله عليه وسلم وعلى تبليغ واصابة وهما لله عز وجل فما رميت باعتبار هذين
اذ رميت باعتبار الاولين وهما عند الجمهور كسب له لا خلق • ولو علم الله فيهم
خيراً لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون هذا ظاهره مشكل لانه على صورة
قياس مركب من شرطيتين ينتج من الشكل الاول لو علم الله فيهم خيراً لاعرضوا عن
الحق وذلك يستلزم خلاف مقتضى العلم الازلى وانه محال واجيب عنه من
وجهين احدهما ان معناه لو اسمعهم على تقدير ان لا يعلم فيهم خيراً لاعرضوا و
وتقريره ان الجملة المذكورة متضمنة قياسين استثنائيين حذف من كل واحد
منهما مقدمته الاستثنائية لظهورها احدهما لو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم لكنه
لم يعلم فيهم خيراً فلم يسمعهم والثانى لو اسمعهم لتولوا اى على تقدير ان لا يعلم فيهم
خيراً كما دل عليه الاستثناء قبله لو اسمعهم لتولوا لكنه لم يسمعهم يعنى الدواب البكم
الصم فلم يتصور منهم التولى والاعراض هذا تقريره على رأى المفسرين الثانى على رأى
المنطقيين ان شرط انتاج الشكل الاول كلية كبراه والكبرى هٰهنا وهى ولو اسمعهم
ليست كلية اذ ليست مسورة بكلما ونحوها على ما عرف فى موضعه فلذلك لم تنتج
الاشكال المذكورة وفى هذه الاية اشارة الى ما قررناه فى سر القدر فى مقدمة
هذا الكتاب وهو ان الله عز وجل لو فوض اعمال العصاة اليهم لما كانت الا معصية
بحسب علمه فيهم فرجح جانب الجبر واجراهم على مقتضى العلم • واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه اى يخلق الدواعى والصوارف فى القلب تحول بين المرء
وارادته فربما اراد الانسان بطبعه او عقله شيئا فيخلق فيه الصارف عنه
والداعى الى خلافه ومن هٰهنا اخذ بعض العارفين حيث سئل بماذا عرفت
ربك فقال بنقض العزايم اى انه يعزم على شئ فينقضه الله عز وجل عليه
بما يخلقه فى قلبه من الصارف عنه وهذا من ادلة الجمهور على المعتزلة لان
فعل الانسان انما يتم بارادته واذا حال الله عز وجل بينه وبين ارادته امتنع

مقتضاها ووجب مقتضى الصارف مثاله لواراد ان يصلى فصرفه الله عزوجل
عن الصلوة الى الاكل لامتنعت منه الصلوة حينئذ ووجب الاكل والممتنع لا
يوجد سواء امتنع لذاته اولغيره • وانه اليه تحشرون فيه اثبات المعاد
واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يحتمل ان المراد اتقوا
معصية لايختص عقابها بمباشريها بل يتعدى الى من ترك انكارها فيكون
فيها حجة على وجوب انكار المنكر وان تارك الانكار مع القدرة فى حكم فاعل
المنكر فى لحوق الوعيد كما ان الرده كالمباشر فى قطاع الطريق وسامع الغيبة
احد المغتابين وراوى الكذب عالما به احد الكذابين ونحو ذلك ويدل
على هذا التأويل ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا ظهر فيكم المنكر
فلم تنكروه اوشك ان يعمكم الله بعقاب من عنده • ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا اى هداية تفرقون بها بين الحق والباطل وهذه ادل على هذا المطلوب من
قوله عزوجل واتقوا الله ويعلمكم الله لاحتمال ان هذه اتفاقية اقترانية فقط
لالزوم فيها بين التقوى والتعليم بخلاف ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا فانها
شرطية لزومية وتوجيه ذلك ان المتقى ولى الله وولى الله عزوجل مهدى
الى الحق فالمتقى مهدى الى الحق اما الاولى فلقوله عزوجل الا ان اولياء الله
لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون وصف الاوليا بالتقوى
فالولى متق والمتقى ولى لانهما متساويان فينعكس احدهما على الاخر لخصوص
المادة وان كان الموجب الكلى لاينعكس كليا واما الثانية فلقوله عزوجل
ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى من المضايق الحسية والعقلية لان اللفظ
يعمهما واشتباه الحق بالباطل من المضايق العقلية فالمتقى يجعل له منها
مخرجا بان ينصب له علم فرقان بين الحق والباطل وايضا ومن يؤمن بالله
يهد قلبه • واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه الاية عام خص بسلب
المقتول مبارزة تغريرا فانه لقاتله غير مخموس وما كان من جنس هذه
الصورة • ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان
مفعولا هذا من ادل الاشياء على نفوذ تصرف الله عزوجل فى خلقه بما يخلقه
فيهم من الدواعى والصوارف وذلك لان الله عزوجل لما اراد بموجب علمه
السابق هلاك الكفار ببدر ونصرة دينه ورسوله والمؤمنين حرك قريشا
على ارسال عيرهم الى الشام مع ابى سفيان على عادتهم فى التجارة ثم حرك لاخذها
النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه من المدينة فارصدوا لها على ماء بدر
فعلمت قريش فتحركت لحفظ مالها فجاء والتقى الجمعان بعدوتى بدر
المذكورتين ههنا كل ذلك بارادة الله عزوجل وما خلقه فى قلوب الفريقين

من الدواعى والصوارف ولولا ذلك لكانوا لو تواعدوا الى هناك لاختلفوا
فى الميعاد ليعلم ان لامراد لله الا كائن ولا كائن الا مراد فاذا شعب ههنا ذو
اعتزال حكم على عقله عند بالانعزال • اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الاية
قيل المنام ههنا محل النوم وهو العين والرؤية لذلك كانت يقظة وقيل
المنام على ظاهره فى انه خلاف اليقظة فكان ذلك رؤيا لارؤية لكن رؤيا
النبى صلى الله عليه وسلم حق ووحى فعلى كلا التقديرين يستدل بالاية على
ان لله عزوجل ان يظهر الاشياء على خلاف حقايقها فى نفس الامر لحكمة كما
اظهر ههنا قلة الكفار وهم فى نفس الامر كثيرون لئلا يفشل ويتنازع المؤمنون
ثم لايعد ذلك منه سبحانه وتعالى خطا ولا كذبا ولا جهلا ولايعد بالكلية
نقصا بل يعد حكمة وحكما وسع ربنا كل شئ رحمة وعلما وهكذا الكلام فى
قوله عزوجل • واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم
وقد سبق فى ال عمران بيان كيفية تكثير القليل فاما تقليل الكثير ههنا فبان
يعدم الله عزوجل بعضهم ثم يوجده وينزل ملائكة تحجب بعضهم عن عين الناظر
او يجمع شعاع البصر او يضعفه فلا يتصل الا ببعضهم وغير ذلك من امر الله
عزوجل والجمع ممكن مقدور • واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم
الاية جاء فى التفسير ان ابليس تراءى لكفار قريش على صورة سراقة بن مالك
ابن جشعم فغرهم بغروره حتى شركوه فى ثبوره ففى ذلك دليل على ان الشياطين
تظهر لبعض الانس وتتصور بما شاءت من الصور وشواهده كثيرة والكل
ممكن مقدور • والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت
بين قلوبهم الاية اعلم ان الحق سبحانه لما كان هو الواحد بالحقيقة
والوحدة من خواصه كانت قوته وبطشه فى وحدته فلا يحتاج الى تكثير من قلة
ولا تقوية من ضعف والخلق لما كان التعدد والكثرة والتركيب من لوازمهم
كانت قوتهم فى اجتماعهم وكثرتهم وشرط اجتماعهم اتفاقهم واتفاقهم انما
يكون بميل القلوب بعضها الى بعض وقد سبق ان الله عزوجل هو المتصرف
فى القلوب بخلق الدواعى والصوارف وانه يحول بين المرء وقلبه فكان امر
تاليف القلوب وتفريقها اليه عزوجل لا الى غيره ثم خلق دواعى الميل والالفة
قد يكون مجردا عن سبب وقد يكون مبنيا على سبب اما صالح كالاسلام وظهور
المعجزات فى تاليف قلوب الصحابة ونحوهم من اتباع الرسل او فاسد كاكل
الحرام ونحوه فى تاليف قطاع الطريق ونحوهم من المفسدين • ياايها النبى
حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قيل معناه يكفيك ويكفى من اتبعك
فمن عطف على الكاف فى حسبك محلا وقيل هو عطف على الله اى ويكفيك

المتبعون من المؤمنين بدليل هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين فالكفاية ههنا
مضافة الى الله عز وجل خلقا والى المؤمنين سعيا وكسبا على راى الجمهور • ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين الاية نسخت بما بعدها • فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين الاية وفيها مسئلتان احداهما نسخ الحكم الى اخف
منه لان ثبوت الواحد لاثنين اخف من ثبوته لعشرة ويجوز ايضا الى الاثقل
والمساوى الثانية قوله عز وجل الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا
احتج بها هشام بن عمرو الفوطى من المعتزلة على حدوث علم الله عز وجل
وانه لا يعلم شيئا حتى يكون استدلالا بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم
ضعفا عطف العلم على التخفيف ثم التخفيف حادث لتقييده بالان فكذا
ما عطف عليه وجوابه ان المعطوف انما يشارك المعطوف عليه وجوبا فى
الاعراب ونحوه اما فى الاحكام العقلية فلا وانما معنى الاية الان خفف الله
عنكم وقد علم اى فى الازل ان فيكم الان ضعفا عما كلفتموه فخففه عنكم
بالنسخ غاية ما يلزم منه استعمال الفعل الماضى فى موضع الحال بدون قد
وهو مذهب الكوفيين خلافا للبصريين وشاهده او جاؤكم حصرت صدورهم
مع شواهد اخرى فى كلام العرب وعلى راى البصريين تكون قد مقدرة ولعل
هشاما بنى ذلك على جواز قيام الحادث بذات الله عز وجل او على انه يعلم بعلم
حادث لا فى محل كالارادة عنده وعند اصحابه وكلا الامرين فاسد وتاسيس
بنيان جواز على شفا جرف هار • ما كان لنبى ان تكون له اسرى حتى يثخن
فى الارض الايتين يحتج بها على امرين احدهما ان الانبياء يجوز منهم الصغائر
الثانى وقوع الخطا منهم فى الاجتهاد ثم ينبهون عليه وقد سبق هذا فى سورة
النساء والحق ان الانبياء عليهم السلام معصومون مطلقا وما عوتبوا
عليه فانما هو من باب حسنات الابرار سيئات المقربين او نحو ذلك والله عز
وجل اعلم بالصواب القول فى سورة براءة فاجره حتى يسمع براءة
كلام الله يحتج به الصوتية وقد سبق القول فيه • فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فاخوانكم فى الدين يحتج به من راى تكفير تارك الصلوة
تكاسلا وهو مذهب احمد وتقريره انه علق كونهم اخواننا فى الدين على
اقامة الصلوة وايتاء الزكوة بحرف ان والمعلق بها عدم عند عدم ما علق
عليه عملا بموجب مفهوم الشرط فكونهم اخواننا فى الدين منتف عند انتفاء
اقامتهم الصلوة وذلك يقتضى كفرهم لان المؤمنين اخواننا وهؤلاء ليسوا
اخواننا فهؤلاء ليسوا مؤمنين واكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم بين العبد
والكفر ترك الصلوة فمن تركها فقد كفر حديث صحيح ولانه ركن يدخل فى

الاسلام

الاسلام بفعله فيخرج منه بتركه كالشهادتين واعترض عليه بان الاية فى الكفار
الاصليين ونحوهم بعلة الكفر وترك الصلوة وغيرهما من اعمال الكفار فلا
يلزم مثله فى غيرهم وعن الحديث بحمله على التغليظ او كفر النعمة بدليل قوله
صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله دخل الجنة ونحوه من العمومات المانعة
من تكفير تارك الصلوة وعن القياس بانا لا نسلم دخوله فى الاسلام بفعل
الصلوة سلمناه لكن لا نسلم ان كفره بترك الشهادتين معلل بانه يدخل فى
الاسلام بهما بل لان امتناعه منهما دل على كفر باطن فحكم بكفره لذلك وقد
نقل عن احمد انه رجع عن هذا القول الى موافقة باقى الائمة • انما المشركون
نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم
الله من فضله ان شاء فيه ان شعائر الله عز وجل يجب تعظيمها ولا يتسامح فيها
بجعل يوخذ من الكفار وقد جرت عادة اليهود ببيت المقدس ان يدخلوا المسجد
فيصلون الى قبة الصخرة امنين يرفعون اصواتهم بكتابهم بجعل يبذلونه لولى
الامر وهذه الاية نص او كالنص فى منع ذلك • وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله الاية اليهود ههنا طائفة مخصوصة منهم يقال لهم العنانية
فيما اقول وليس ذلك قولا لجميعهم وانما زعموا ذلك فى عزير لان بخت نصر لما
احرق التورية املاها عزير من حفظه فقالوا ما حفظها الا وهو ابن الله تعالى
عن قولهم ويحكى عن ابن كمونة شارح التلويحات السهروردية انه مر على قارى
يقرا وقالت اليهود عزير ابن الله فقال والله ما قالت اليهود هذا فتبعه من
سمعه من المسلمين ليقتلوه فاعجزهم وتحصن منهم وهذا جهل منه من وجهين
احدهما حمل اللام فى اليهود على الاستغراق وانما هى للعهد كما قلنا الثانى جهله
بمقالات اهل دينه وفرقهم ولو عرف ان ذلك مقالة طائفة من اليهود لما
انكروا اما النصارى فقد سبق القول معهم غير مرة • اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم الاية اما المسيح فاتخذوه ربا معبودا
بالحقيقة واما الاحبار لليهود والرهبان للنصارى فانما اتخذوهم اربابا
مجازا لانهم امروهم بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وانكار رسالته فاطاعوهم
وغير ذلك مما اطاعوهم فيه فصاروا كالارباب لهم بجامع الطاعة والنصارى
يزعمون ان المسيح قال لتلاميذه عند صعوده عنهم ما حللتموه فهو محلول
فى السماء وما ربطتموه فهو مربوط فى السماء فمن ثم اذا اذنب احدهم ذنبا جاء
بالقربان الى البترك او الراهب وقال يا ابونا اغفر لى بناء على ان خلافة المسيح
مستمرة فيهم وانهم اهل الحل والعقد فى السماء والارض على ما نقلوه عن المسيح
وهو من ابتداعاتهم فى الدين • وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا الاية بدليل

قول المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم
الله عليه الجنة وماويه النار • ليظهره على الدين كله اى على جميع الاديان والملل
بالحجة والسيف حيث انتهى حكمه وتاول عمر بن الخطاب رضي الله عنه
هذه الاية في موت النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان رسول الله لم يمت ولن
يموت حتى يظهره الله على الدين كله كما وعده وكان تاويلها اظهار الله بدينه
على الامم والاديان لان الكلمة والدعوة له صلى الله عليه وسلم والامة بسيفه
يضربون وببركته ينتصرون فقد تحقق وعد الله عز وجل له ولو كره الكافرون
الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار
اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا الاية احتج بها السنة على فضل
ابي بكر رضي الله عنه من وجوه احدها النص على ثبوت صحبته حتى قال بعض
العلماء من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لتكذيبه النص المتواتر
القاطع باثباتها بخلاف من انكر صحبة غيره لعدم ذلك وفيه نظر لان غيره
كعمر وعثمان وعلي وباقي العشرة ثبتت صحبتهم بالتواتر وهو قاطع ايضا
فانكار مدلوله كفر الوجه الثاني قوله لا تحزن ان الله معنا فكان له
في هذه المعية اختصاص لم يشاركه فيه صحابي وقد يقال بان هذا التشريف
حصل لجميع الصحابة بقوله عز وجل وانتم الاعلون والله معكم غير ان لقايل
ان يقول معية ابي بكر رضي الله عنه اخص من هذه فيمتاز بها الوجه
الثالث ثاني اثنين قالوا فيه اشارة الى شيئين احدهما انه ثانيه من بعده
في الامرة الثاني ان اسمه لم يفارق اسمه اذ كان يقال له خليفة رسول الله
حتى توفي فقيل لمن بعده وهو عمر رضي الله عنه امير المؤمنين وانقطعت
خصيصة ثاني اثنين الوجه الرابع فانزل الله سكينته عليه قال
بعضهم الضمير في عليه لابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم تفارقه
السكينة حتى يحتاج الى نزولها عليه وانما انزلت على ابي بكر رضي الله عنه
وهو ضعيف اما اولا فلقوله عز وجل فانزل الله سكينته على رسوله
فقد انزلت عليه السكينة مع ما ذكروه من عدم مفارقتها له ولا امتناع من
ان يزاد سكينة على سكينة نورا على نور واما ثانيا فلان ذلك يقتضي ان
الضمير في وايده بجنود لم تروها لابي بكر ايضا وهو خلاف الظاهر بل القاطع
ولا اظن احدا قال بذلك اما الشيعة فطعنوا على ابي بكر رضي الله عنه من
الاية بوجه واحد وهو قوله لا تحزن دل على انه حزن لاجل طلب الكفار لهما
مع انه مع رسول الله بعين الله تحت رعاية الله وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يخبر بانه سيظهر على اعدائه ويظهر دينه على جميع الاديان فحزن ابي بكر

بلغ مقابلة

والحالة

والحالة هذه اما شك في هذا الخبر او ضعف منه وخور قالوا وانما الشجاع المومن
واللبيب الموقن علي بن ابي طالب رضي الله عنه حيث كان حينئذ نائما على فراش
النبي صلى الله عليه وسلم معرضا نفسه من ايدي الكفار لشرب كووس الحمام فما شك
وما خار ولا تبلد ذهنه ولا حار واجاب اهل السنة بان حزن ابي بكر رضي الله
عنه لم يكن ضعفا ولا شكا وانما كان رقة غالبة وشفقة على النبي صلى الله عليه
وسلم ولو كان ذلك عن شك او ضعف لكان اولى ما صدر منه يوم بدر حين
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة لن تعبد وابو بكر
اخذ بردائه يقول كذاك مناشدتك ربك ان الله سينجز لك ما وعدك وهذا
غاية الشجاعة والايمان بثبوت الجنان عند قراع الاقران • عفا الله عنك لم
اذنت لهم الاية يحتج بها على امرين احدهما كرامة النبي صلى الله عليه وسلم على ربه
حيث بداه بالعفو قبل العقاب وقيل لولا ذلك لتقطع قلبه صلى الله عليه وسلم
فرقا وخشية من الله عز وجل الثاني الخطا في الاجتهاد حيث اذن لهم في التخلف
عن الغزو في غير موضع الاذن بدليل انه عوتب عليه وجوابه ما سبق في اخر
الانفال • ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا فيه مسائل
الاولى اثبات الكراهة صفة لله عز وجل ثم هل هي ذاتية او فعلية فيه
خلاف ويحتمل ان كراهته للشيء عبارة عن سلب ارادته له او عن ارادة سلبه
الثانية ان تثبيط هؤلاء هو تخليل عزائمهم بما يخلق في قلوبهم من دواعي
القعود والصوارف عن الخروج ثم ان تثبيطه لا بد وان يكون مؤثرا اما
وحده فيكون حجة للمجبرة او مع فعل العبد كما يقوله المعتزلة فيلزم المقدور
بين قادرين واستحقاق جزء من التجويز بحسب ما للتثبيط من التاثير وهما
باطلان وقد سبق تقرير هذا في اخر الاعراف الثالثة وقيل اقعدوا ظاهره
التناقض مع قوله لهم انفروا وجوابه ان قوله انفروا بلسان التكليف
واقعدوا بلسان التقدير والتكوين فلا تناقض • قل لن يصيبنا الا ما كتب
الله لنا الاية هذا اصل في التفويض والتسليم لتقدير العزيز العليم وهو
عام في مصايب الدنيا والدين غير ان ما لا كسب للعبد فيه كالمرض والموت
لا لائمة عليه فيه وما له فيه كسب كالمعاصي تلحقه فيه اللائمة باعتبار كسبه على
ما عرف من راى الكسبية والمجبرة • قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزئون
لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم الاية قوله قد كفرتم يحتمل انه اخبار عن
كفرهم باسباب معروفة ويحتمل انه انشاء للحكم بكفرهم عقب استهزائهم
فيحتج به على ان من استهزا بالله او رسول من رسله او بشيء من كتبه
المنزلة كافر ولا نعلم فيه خلافا • فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه

بما اخلفوا الله ما وعدوه الاية فيها اشارة الى ان الكذب وخلف الوعد الحرام
يعقب النفاق لان هؤلاء عقبوا النفاق بخلف الوعد والكذب ويشهد له
قوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه فهو منافق ومن كانت فيه خصلة
منهن كانت فيه خصلة من النفاق من اذا ائتمن خان واذا احدث كذب
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وانظر الى هذه المناسبة وهى ان الاربع
المذكورة فيها معنى النفاق من مخالفة الظاهر للباطن وهو ظاهر فى
الثلاث الاول واما الرابعة فلان الانسان فى حال اعتداله وعدم الخصومة
يعتقد فيه تقوى وعفاف واقتصاد باطن فاذا فجر فى خصومته تبين ظاهره
مخالفا لما اعتقد فى باطنه • وبما كانوا يكذبون يستدل به على ان الجملة
الشرطية خبرية يلحقها الصدق والكذب لان كذبهم واخلافهم انما هو
فى قوله لئن اتانا من فضله لنصدقن وهى قضية شرطية وقد سمى تركهم
مضمونها اخلافا وكذبا وذلك من خواص الخبر فدل على ما قلناه الى يوم
يلقونه يحتج به على رؤية الله عز وجل وقد سبق نظائره • ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم هذا ونحوه من المقادير العددية نحو
احد عشر كوكبا واثنى عشر نقيبا وتسع وتسعون نعجة وثمانين جلدة
يتضمن من حيث هو مفهوما عدديا وهو انتفاء الخبر والحكم عما زاد
عليه او نقص على خلاف فى هذا المفهوم اما هذا الموضع بعينه فلم يرد به
المفهوم لما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو اعلم انى ان زدت
على السبعين غفر لهم لزدت وانما خرج مخرج المبالغة والتكثير لان العرب
لهجت بالسبعين كثيرا حتى تداولوها فى معرض التكثير • قل نار جهنم
اشد حرا لو كانوا يفقهون فيه اشارة الى فقه العباد والمجتهدين
والمجاهدين انفسهم فى ذات الله عز وجل والمتجشمين متاعب الدنيا
خوفا من متاعب الاخرة وذلك مستفاد من قياس العكس لانه جعل
من عرض نفسه لنار الاخرة بالسلامة من حر الدنيا لا يفقه فاقتضى
ان عكسه وهو من صبر على حر الدنيا فى الطاعة خوفا من حر الاخرة فقيه
وهو كذلك • فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
احتج بها الفريقان اما المعتزلة فلانه جعل بكاهم بعلة من جهتهم وهى
افعالهم فدل على انهم خالقوها وموجدوها واما الجمهور فقالوا هو
جزاء على كسبهم كما صرح به فى الاية ولا يلزم من الكسب الخلق • فقل لن
تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
اى لعلة رضاكم بالقعود فيحتج به وبامثاله نحو انها كانت من قوم كافرين

وانها

وانها من الطوافين على ان تفيد التعليل • ولا تعجبك اموالهم واولادهم
انما يريد الله ان يعذبهم بها فى الدنيا الاية دلت على ان المال والولد عذاب
فى الدنيا على خلاف ما فى ظن الناس انها نعمة وراحة ثم يستفاد من هذه
ومن قوله عز وجل المال والبنون زينة الحيوة الدنيا ان زينة الدنيا عذاب
وينتظم القياس هكذا المال والبنون زينة والدنيا والمال والولد عذاب
اوليس براحة فى الدنيا ينتج ان زينة الدنيا عذاب اوليس براحة فى الدنيا
ولقايل ان يقول العذاب انما هو سياسة المال واما الانتفاع به فهو نعيم
لا عذاب والتقدير حينئذ انما يريد الله ان يعذبهم بسياستها وحفظها فى الدنيا
وحينئذ لا ينتج القياس اذ يبقى هكذا المال والولد زينة وسياسة المال
والولد عذاب فلا يتحد الاوسط فلا ينتج • والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والاخرى السابقة لكن الرسول والذين معه الايات احتج بها
الجمهور على فضل الصحابة رضى الله عنهم وانهم مرضى عنهم ومن اهل الجنة
لتصريحها بذلك وعمومها فيهم واعترضت الشيعة ابعدهم الله بان عمومها
مخصوص بمن عادى اهل البيت وخالف الامام المنصوص عليه منهم واجيب
بان احدا من الصحابة لم يعاد اهل البيت ولا خالف اماما منصوصا عليه منهم
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون فيه اشارة الى معنى قوله
عز وجل لتكونوا شهداء على الناس والى معنى قوله صلى الله عليه وسلم انتم شهداء
الله فى الارض • وستردون الى عالم الغيب والشهادة فيه اثبات المعاد واخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم التردد ههنا بالنسبة الى
السامعين اى لا تدرون اى الامرين يفعل بهم اما المتكلم سبحانه وتعالى
فلا يلحقه التردد فى شئ ولا يخفى عليه شئ وهذه ترجع الى صفة العلم •
ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الى وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الاية فيه احتراز المتكلم فى كلامه عما يرد عليه فى حكاية او تعليل
او نظم او قياس واجابة عن سؤال يتوقع وروده وبيانه انه عز وجل لما نهى
النبى والمؤمنين عن الاستغفار للمشركين قدر ان قائلا قال فهذا ابرهيم
استغفر لابيه بقوله واغفر لابى افلا نتاسى به ويقال ان هذا وقع من
بعض الناس فاجاب الله عز وجل عنه بان ذاك كان لان اباه وعده ان يؤمن
فلما اصر على كفره تبرا منه وترك استغفاره له وقد يقال ان ابرهيم لم يرد
باستغفاره لابيه حقيقة الاستغفار انما دعى له بما هو لازم المغفرة وهو
الايمان كانه قال اهد ابى ليصير اهلا للمغفرة يدل على هذا قوله انه كان
من الضالين فلما علل بضلاله دل على انه انما دعى له بضد الضلال وهو الهدى

والايمان • وماكان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم الاية احتج بها
الفريقان اما الجمهور فلانه عز وجل اسند الضلال والهداية الى نفسه واما
المعتزلة فلانه اخبر انه بحجة قائمة عليهم بانه بين لهم ما يتقون فخالفوا
ولم يتقوا وقد عرف الجواب وهذا من المتشابه فى احكام الافعال • يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين يقال ان ابابكر رضى الله عنه
يوم السقيفة لما طلبت الانصار الامرة استدل عليهم بهذه الاية وتقريره
انا نحن الصادقون وقد امرتم ان تكونوا مع الصادقين فانتم امرتم
ان تكونوا معنا فتكونون تبعا لنا اما الاولى فلقوله عز وجل فى سورة
الحشر فى صفة المهاجرين اولئك هم الصادقون واما الثانية فلهذه الاية
واعترض على هذا الاستدلال بوجوه احدها لا نسلم ان الصدق وصف خاص
بالمهاجرين بل هو وصف عام للصحابة وغيرهم من اهل التقوى اذ كل متق
صادق لقوله عز وجل ولكن البر من امن بالله فذكر خصال التقوى ثم قال
اولئك الذين صدقوا وقال عز وجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية وكان اكثرهم من الانصار يوم احد الوجه الثانى ان المامور
بالكون مع الصادقين هو عموم الذين امنوا من المهاجرين والانصار فلو صح
الاستدلال المذكور للزم اما اختصاص الانصار بالايمان دون المهاجرين
او امر المهاجرين بان يكونوا مع انفسهم وكلاهما محال الوجه الثالث لا نسلم
ان الكون مع الصادقين يقتضى متبوعيتهم ولا تبعية الكائن معهم بل هما
سواء • وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم
ليتفقهوا فى الدين الاية يحتج بها على امور احدها قبول خبر الواحد لان
الطائفة تصدق على الواحد وقد جعل منذرا ووجب الحذر باخباره ولولا
قبول خبره لما كان كذلك واعترض عليه بانا لا نسلم ان الطائفة تصدق
على الواحد سلمناه لكنها تصدق عليه وعلى غيره اما بالاشتراك او التواطى
او الحقيقة والمجاز فيكون مجملا لا دلالة له ثم انذاره وتحذيره يحتمل انه
انما يقبل بقرينة فلا يستقل وحده بوجوب القبول الامر الثانى صحة فرض
الكفاية وهو ايجاب الفعل على جميع المكلفين مع سقوطه بفعل بعضهم
وتقريره من الاية انه حض المؤمنين على نفير طائفة منهم للتفقه فى
الدين وذلك يقتضى تكليف جميعهم بما يكفى فيه فعل طائفة منهم وهو
المطلوب الامر الثالث ان التفقه فى الدين فرض كفاية وهو واضح من الاية
فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا هذه ونظائرها تدل على ان الايمان يقبل
الزيادة والنقصان خلافا للقوم واصل الخلاف ان حقيقة الايمان ماهى

ان

ان قيل هو التصديق المجرد لم يقبلهما اذ لا تفاوت فى التصديق الجازم وان
قيل هو التصديق مع العمل قولا وفعلا قبلهما لان القول والعمل جزء الايمان
وهما يقبلان الزيادة والنقصان فجزء الايمان يقبلهما فالايمان يقبلهما ثم
يعترض على المذهب الاول بان الايمان هو التصديق الاعتقادى لا العلمى
والاعتقادى يقبل التفاوت قوة وضعفا وبحسب قبوله التشكيك وعدمه
سلمنا ان الايمان هو التصديق العلمى لكن قد سبق فى قصة ابرهيم عليه السلام
وسؤاله ان يرى احياء الموتى ان العلم على اضرب علم اليقين وعين اليقين
وحق اليقين وهذه مراتب متفاوتة فى القوة والضعف والزيادة والنقص
وقول المتكلمين ان العلم لا يقبل التفاوت انما يريدون به العلم النظرى اما
باعتبار مراتبه المذكورة فيقبله • اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة
او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون فيه اشارة الى ان الفتن والبلايا
والمحن قد تكون زواجر وروادع وتنبيهات للانسان على ترك ذنبه
والاقبال على ربه عز وجل فمن وفق فعل • ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم يحتمل
انه خرج مخرج الدعا عليهم ويحتمل انه خبر عن انه صرف قلوبهم عن اتباع القران
والاجابة لداعى الايمان وهو حجة الجمهور على خلق الافعال بواسطة خلق
الدواعى والصوارف قالت المعتزلة انه لم يصرف قلوبهم الا بعد ان انصرفوا
بانفسهم فكان صرف قلوبهم عقوبة على انصرافهم الاختيارى واجيب
بان انصرافهم مكسوب لهم وصرف قلوبهم مخلوق لله عز وجل على ما عرف •
لقد جاءكم رسول من انفسكم الايتين تضمنتا التوحيد والنبوة اعنى رسالة
محمد صلى الله عليه وسلم وبرهانهما سيأتى ان شاء الله عز وجل مع ما مضى منه

القول فى سورة يونس

يونس

ان انذر الناس وبشر الذين امنوا الانذار
عام والبشرى خاص • اليه مرجعكم جميعا الاية فيه اثبات المعاد • ليجزى
الذين امنوا الاية علل اعادة الخلق بمجازاتهم فدل على جواز تعليل افعاله
بالحكم كما سبق وكذلك وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب يدل على
التعليل • يهديهم ربهم بايمانهم الباء علية او عوضية عند المعتزلة سببية
عند الجمهور • فقد لبثت فيكم عمرا من قبله هذا من ادلة النبوة وتقريره
انى قد عشت فيكم عمرا قبل دعوى النبوة فلو كنت مدعيا متقولا للقران
من عندى مختلقا له لفعلت ذلك من اول وقت واللازم باطل فالملزوم
كذلك وذلك يدل على انى انما اتبع ما يوحى الى فى زمن خاص بتخصيص الله عز
وجل • اذا لهم مكر فى اياتنا قل الله اسرع مكرا فيه جواز اطلاق المكر على
فعل الله عز وجل والماكر عليه ومنه والله خير الماكرين واشترط بعضهم لذلك

ان يقابل بمكر الغير نحو ومكروا ومكروا ومكرنا مكرا وفيه نظر بدليل قوله عز وجل
افامنوا مكر الله ولم يقابله مكر غيره والمكر والاستدراج متقاربان
ومستويان لاشتراكهما فى تحصيل المقصود بطريق خفى لطيف • ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون يعنى الحفظة وقد سبق ذكرهم فى الانعام • هو الذى يسيركم
فى البر والبحر يحتج به الجمهور لانه اضاف التسيير اليه مع انه ظاهر من الخلق
فدل على انهم يسيرهم خلقا وهم يسيرون كسبا وتسييره لهم بخلق السير والحركات
فيهم او بخلق الدواعى والصوارف او بكلا الامرين • وظنوا انهم احيط بهم
دعوا الله مخلصين له الدين الايتين فيه دليل التوحيد كما سبق فى الانعام •
والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم هذا من القواصم
للمعتزلة لانه دعى عاما وهدى خاصا لمن شاء فدل على ان الهدى بفضله
والضلال بقدره كل ذلك مستند الى سابق علمه • للذين احسنوا الحسنى وزيادة
ذكر اهل التفسير ان الزيادة هى رؤية الله عز وجل وهذا وان لم يكن قاطعا
لكنه يؤكد ادلة الرؤية • قل من يرزقكم الاية تضمنت دليل التوحيد من وجوه
احدها ان الله عز وجل هو الرازق من السموات والارض بالمطر والنبات
وكل من كان كذلك فهو الاله الحق الثانى انه عز وجل هو الذى يملك السمع
والبصر وكل من يملك السمع والابصار فهو الاله الحق ومعناه يتصرف فى السمع والبصر
فلا يدرك ان شيئا من مدركاتهما الا باذنه وارادته وتعلق به الاتحادية قالوا
لم يملك ذلك الا وهو سار فى الاجسام وليس بلازم وهذا المغناطيس يتصرف
فى الحديد من غير سريان ولا ملابسة وقد سبق القول معهم فى الانعام
الثالث انه عز وجل يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى الرابع انه
يدبر الامر اى امر السموات والارض بالتحريك والتسكين والتسخير والتصريف
والتقدير وقد وافق الكفار المخاطبون بهذا الخطاب على هذه الوجوه كلها
بقولهم هو الله وكل من كان كذلك فهو الاله الحق فالله عز وجل هو الاله الحق
وليس بعد الحق الا الضلال اذ لا واسطة بين الحق والباطل والهدى والضلال
فان اجبتم الى التوحيد والا فانتم ضلال • كذلك حقت كلمة ربك على الذين
فسقوا اى خرجوا عن الايمان بالكفر انهم لا يؤمنون احتج به الجمهور لانه
عز وجل اخبر بان كلمته حقت عليهم بالكفر وكل من حقت عليه الكلمة بالكفر
لا يؤمن واستحال منه الايمان فهؤلاء لا يؤمنون ومعنى حقت عليهم الكلمة
تعلق العلم والارادة الازليتان بكفرهم وكلما تعلقا به كان واجب الوقوع
فكفر هؤلاء واجب الوقوع وكل واجب الوقوع من الانسان فهو مجبور عليه
فهؤلاء مجبورون على كفرهم والجبر غير لازم لما سبق فى مقدمة الكتاب •

قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق الايتين تضمنتا دليلين على التوحيد
احدهما هكذا الله عز وجل يبدؤ الخلق ثم يعيده وشركاء الكفار اى الهتهم
التى ادعوا انها شركاء فى الالهية لا تبدؤ الخلق ولا تعيده فشركاؤهم ليسوا
الهة الثانى ان شركاءهم لا يملكون الهداية الى الحق والاله عز وجل يهدى الى
الحق فشركاؤهم ليسوا الها وهذه براهين واضحة لان بدء الخلق والهداية الى
الحق وغيرها امور ممكنة والله عز وجل قادر على جميع الممكنات والاصنام
جماد لا تقدر على شئ من الممكنات فالله عز وجل ليس هو الاصنام وينعكس كنفسه
الاصنام ليست هى الله عز وجل • وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغنى من
الحق شيئا احتج به من منع العمل بخبر الواحد لانه انما يفيد الظن وهو لا يغنى
عن الحق واجيب بان الاية انما منعت من اتباع الظن فى التوحيد ونحوه من
القطعيات اما العمليات فلا • وما كان هذا القران ان يفترى من دون
الله اى لا ينبغى للقران ان يكون من عند غير الله لانه معجز فى نفسه عبارة
ومعنى وذلك لا يقدر عليه الا الله عز وجل وهذا من مسائل القران واعجازه
ودلايل النبوة ودليل اعجازه الاية بعده • ام يقولون افتريه قل فاتوا
بسورة مثله وادعوا من استطعتم الاية وتقريره انكم اما ان تسلموا
انه من عند الله عز وجل فيلزمكم الايمان به وبمن جاء به او لا تسلمون ذلك
وتدعوا ان محمدا افتريه فيلزمكم ان تاتوا بسورة مثله تفترونها لتصححوا
دعواكم فى افترائه والا فانتم كاذبون خاطئون فى دعواكم وقد سبق نحو
هذا فى اول البقرة ثم انه تنزل معهم بالتحدى بالقران من مثله الى عشر
سور مثله الى سورة مثله • وان كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم الاية
وعيدية محكمة او منسوخة باية القتال • ان الله لا يظلم الناس شيئا الاية
يحتج بها المعتزلة على مذهبهم لانه لو خلق افعالهم ثم عاقبهم عليها لكان
ظالما لهم واللازم باطل واجاب المجبرة بانا لا نسلم ذلك وانما يلزم ان
لو كان يعلم انه لو فوض اليهم افعالهم لخلصوا من اللايمة اما وهو يعلم انه
لو فوض اليهم لكانوا ظالمين ايضا فلا والكسبية قالوا انما يلزم الظلم ان
لو لم يكن لهم مع خلقه كسب ما ولهم كسب يناسب العقاب عليه فلا • قل لا
املك لنفسى ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله اى فاملك لنفسى ضرا ونفعا
بمشيته هو لى كسب وله خلق وان كان الاستثناء منقطعا فالنفى قبله
عام مطرد • قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون يحتج به وبنظائره على صحة
الاستدلال بالسبر والتقسيم وهو حصر الاقسام وابطالها سوى المدعى
علة منها مثاله هاهنا انكم ايها الكفار حرمتم بعض ما رزقتموه فلا يخلو تحريمكم

لذلك اما ان يكون باذن شرعى او افترا منكم والاول باطل لان الشرع خصمكم
وهو ينكر الاذن لكم فتعين الثانى وهو انكم حرمتموه افتراء على الله وكذبا
عليه وما كان كذلك لا يلتفت اليه وقد سبق نحو هذا فى اواخر الانعام • ولا
تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً اذ تفيضون فيه هذا يحتج به الصوفية
على وجوب دوام المراقبة لدوام الشهادة وفى الاثر اتقوا الله فى الخلوات
فان الشاهد هو الحاكم وربما تعلقت الاتحادية بهذا على انه شاهد بذاته
وما ذاك الا لسريانه فى العالم واستتاره باطنا بهم ظاهراً وسياق الاية
يقتضى انه شاهد بعلمه وهو • وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض
ولا فى السماء الاية • لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة روى مرفوعاً
الى النبى صلى الله عليه وسلم ان البشرى فى الدنيا هى الرؤيا الصالحة يراها
المؤمن او ترى له واما البشرى فى الاخرة فقيل رؤية الله عز وجل كالزيادة
فى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والاشبه انها قول الملائكة وابشروا
بالجنة التى كنتم توعدون • قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى اشارة
الى ان الولد انما يكون لافتقار الى نصرته من ذلة او التكثير به من قلة والله
عز وجل غنى بذاته من كل جهة عما سواه واشار بان له ما فى السموات وما
فى الارض الى امرين احدهما بيان مستند غناه الذى اثبته لنفسه والثانى
منافاة الملكية للولدية كما سبق فى البقرة والغنى هو الذى لا يحتاج فى
وجوده ولا فى دوامه ولا فى كماله الى غيره وقيل هو من لا مزاج له يحتاج
لتغيره الى ما يحتاج اليه ذوات الامزجة • ان عندكم من سلطان بهذا
اى لا حجة عندكم على اتخاذه ولدا وهو يقتضى ان ما لا حجة عليه لا يثبت
فاجمعوا امركم يستشهد به على ان الاجماع لغة هو الاتفاق والعزم اذ
المعنى اتفقوا واعزموا على ما تريدون • ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين يقتضى ان التوكل من مهمات الايمان حتى يكاد يكون شرطا
فيه او فى كماله وشواهده كثيرة وتوجيهه ان التوكل هو التفويض ومن لا
يفوض الى الله عز وجل فكانه لم يرض به ربا ومدبراً فان كان ذلك عن عمد
واحتقار لشان القدرة فهو كفر وان كان من ضعف وغلبة جزع فهو نقص
فى الايمان او كماله • ربنا اطمس على اموالهم يقال انها انقلبت حجارة وحصى
وهو مسخ فى الجماد وقد رايت بسفح جبل المقطم بالقاهرة حصى مستديراً
منقوشا على هيئة الدنانير وحتى لم اشك اول ما رايتها انها دنانير
وهى كثيرة جدا يجمع منها قناطير كثيرة زعم الناس هناك ان هذا موضع
خزائن فرعون وان هذا مما مسخ من ماله ثم انى رايت فى احد اهرام الجيزة

بمصر احجاراً فيها حصى ملصق على هيئة الدنانير فترددت حينئذ فيما قيل
من ان ذلك مما مسخ من مال فرعون اذ الاهرام قبل فرعون بدهور ثم
زال عنى التردد لاحتمال ان مال فرعون مسخ على هيئة تلك الاحجار القديمة
كما مسخ بعض الناس على صور القردة والخنازير ولان ذلك عذاب عذب الله
عز وجل به قوما قبل ال فرعون لمسخ اموالهم وغير ذلك من الاحتمالات
واشدد على قلوبهم فلا يومنوا الاية اى اربط عليها فلا يدخلها الايمان
كالوعا المربوط وهو الطبع والختم بما يخلق فيها من دواعى الكفر والصوارف
عن الايمان • حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به
بنوا اسرائيل وانا من المسلمين يحتج به من راى ان فرعون مات مسلماً
وهو خلاف النصوص والاجماع اما النصوص فقوله عز وجل بعد هذه
مقرعا له • الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وهذا انكار من
الله عز وجل يتضمن نفى قبول توبته وايضا قوله عز وجل • فاخذناه
وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم يعنى فرعون اتى بما يلام عليه وهذا
ذم له ولو مات مسلماً لما اثنى عليه بالذم وكذلك ان فرعون وهامان
وجنودهما كانوا خاطئين • ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وحكمه وحكم
آله واحد اذ قد حكم على الجميع بانهم كانوا خاطئين واما الاجماع فمشهود
جواز لعن فرعون
على ذلك وعلى جواز لعنة فرعون وانما اظهر هذه المقالة الشيخ محيى الدين
ابن العربى الاندلسى الحاتمى صاحب فصوص الحكم والاجماع قبله على خلافه
وان ادعى ذلك كشفا فالكشف لا يرفع حكم الاجماع الظاهر كما ان القدر
الباطن لا يرفع حكم الكسب الظاهر • لتكون لمن خلفك اية اى لمن بعدك
وسمى البعد خلفا لان الناس متوجهون الى الاخرة فمن بعدهم متوجه اليها
خلفهم اولان من بعده خلفه فى ملكه اولان جهة خلف خلاف قدام وهذا
يقتضى تسمية قدام خلفا اذ كل منهما خلاف صاحبه وليس ببعيد كما سمى
قدام وراء فى نحو وكان وراءهم ملك اى امامهم لان فيهما معنى المواراة
وكذا فيهما معنى المخالفة • ولقد بوانا بنى اسرائيل مبوء صدق ورزقناهم
من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ونظيره فى الجاثية وآل عمران
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم
يحتج بذلك الفلاسفة وبعض المتكلمين على ترجيح علم المعقولات على
السمعيات وجعل المعقول اصلا محكما يرد اليه السمعى الذى هو كالفرع
المجمل ولذلك تراهم اذا لاح لهم فى حكم ما يعتقدونه برهانا عولوا عليه
واشتغلوا بتاويل السمعيات المخالفة له توفيقا بين الادلة وتقرير

احتجاجهم من هذه الاية ان الله عزوجل اخبر عن بنى اسرائيل انهم مكثوا برهة
متفقين قبل ان ياتيهم العلم السمعى فلما جاءهم اختلفوا وانما كانوا قبل
ورود السمع يعتمدون على سياسة العقل والعرف ونحوه والاتفاق محمود
والاختلاف مذموم فدل على ان تصرف العقل اوثق واوفق من ظواهر السمع
لما فى تصرف العقل من الجزم وعدم قبول التاويل وفى السمعيات من الاجمال
والاشتراك والترددات المانعة من الجزم القابلة للتاويل وهذه مسئلة
اصولية وهى ان النقليات هل تفيد اليقين ام لا فيه اقوال ثالثها انها
تفيده بانضمام قراين اليها لا بمجردها ووجه النفى مطلقا ان النقليات
يتوقف افادتها اليقين على امور غير متيقنة كعدم المجاز والاضمار والنقل
والاشتراك والتخصيص ونحوها وكل ما توقف على غير المتيقن فهو غير
متيقن ثم تفرع على هذا مسئلة اخرى وهى اذا تعارض السمع وما ادركه
العقل فى احكام العقايد فايهما يقدم فالمحدثون قدموا السمع لاحتمال غلط
العقل فى الامور الالهية ونحوها والشرع اوثق منه فى ذلك وغيره والمتكلمون
كالاشاعرة والمعتزلة والفلاسفة قدموا مدرك العقل لان السمع انما ثبت بدليل
العقل فلو قدم السمع عليه كان ذلك قدحا فى الاصل بالفرع ثم فى الفرع تبعا لاصله
وانه باطل والجواب عن شبهتهم من الاية ان العلم اعم من السمعى وغيره والعام
لا يدل على الخاص فلا نسلم ان المراد فما اختلفوا حتى جاءهم العلم السمعى بل هو اعم
من ذلك وحينئذ يلزمكم فى العلم العقلى ما الزمتمونا فى السمعى سلمناه لكن قد
سماه علما وهو فى العرف الادراك الجازم الذى لا يحتمل النقيض ومثل هذا كيف
يختلف فيه او يكون سببا للاختلاف سلمناه لكن ما ذكرتموه انما يلزم ان
لو كان اختلافهم بعد مجى العلم من جهة العلم لكن جهة اختلافهم اعم من
ذلك ثم قد عينت بجهة البغى بينهم لقوله عزوجل وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم والاختلاف بغيا لا يوجب
كون العلم غيا • فان كنت فى شك مما انزلنا اليك الكتاب فاسال الذين
يقرون الكتاب من قبلك الاية قد يتوهم من ظاهرها انه صلى الله عليه وسلم
اعترضه شك فى بعض الاوقات فيما انزل اليه كما توهمه بعض النصارى فاورده
متعلقا به وليس كذلك لانه صلى الله عليه وسلم معصوم من الشك والارتياب
لقوله عزوجل الم نشرح لك صدرك وانما وجه الاية صرف الخطاب الى من
يجوز عليه الشك من اتباعه واخصامه نحو كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن
عنده علم الكتاب فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فان لم يكن بد من
صرف الكلام اليه على ظاهر اللفظ فمعناه على تقدير ان تشك فاسال وان كان

ذلك التقدير لا يقع نحو لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اى لو قدر الهة اخرى لزم
الفساد لكن ذلك التقدير ممتنع وهذا يتخرج على ما سبق من ان الانبيا معصومون
من وقوع الكفر لا من جوازه عقلا • ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل اية الاية سبق نظيرها فى اوايل السورة والكلام عليه وحاصله
صرفهم عن الايمان بما يخلقه فيهم من الدواعى والصوارف • فلولا كانت قرية
امنت فنفعها ايمانها يعنى امنت عند معاينة العذاب ونظيره الآن وقد
عصيت قبل ثم اذا ما وقع امنتم به فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا
يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وحاصل ذلك ان الايمان
عند العيان يبقى اضطراريا والمعتبر النافع انما هو الاختيارى دون
الاضطرارى • ولو شاء ربك لامن من فى الارض كلهم جميعا احتج الجمهور
بها على مذهبهم كنظائرها ومعناها لو شاء الله لجمعهم على الهدى بما يخلق
فيهم من دواعيه وتاولها المعتزلة على معنى لاجبرهم على الايمان واضطرهم لوشاء صح
اليه بدليل افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين لكن الايمان الاضطرارى
غير معتبر فلذلك لم يجبرهم فالمنفى عنهم هو اجبارهم على الايمان والجاؤهم
واضطرارهم اليه لا لهدايتهم وارشادهم اليه وعند الجمهور المنفى مشيته
ايمانهم لا غير ثم ان المشية لا تخلو من التعلق بالضدين جميعا فلما لم تتعلق
بايمانهم لزم انها تعلقت بكفرهم وتعلقها موجب لوقوع متعلقها فكفر الكفار
وعصيان العصاة واجب الوقوع بغيره وهو تعلق الارادة به وهو يقوى مقالة
الجبرية • وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
اى يمتنع الايمان من نفس الا باذن الله اى ارادته ومشيته فهذه اقتضت
مع التى قبلها ان اذن الله عزوجل وارادته مناط ومدار للايمان وجودا
وعدما ان وجدت الارادة للايمان وجد وان انتفت انتفى وذلك يقوى
مقالة الجمهور ويحتج باخر الاية من يرى ان العلوم العقلية سبب للعصمة
من رجس الكفر والضلال بطريق قياس العكس لانها اقتضت وقوع الرجس
بمن لا يعقل وهو يقتضى ان من يعقل لا يلحقه رجس والمراد بمن يعقل اى
يستخرج الاحكام الحقة الحقيقية بالانظار العقلية وهذا حق بشرط مساعدة
التوفيق والا فكم من حكيم زل وذى نظر ضل • قل انظروا ماذا فى السموات
والارض الاية فيه ايجاب النظر لانه ماموربه والامر المطلق يقتضى الوجوب
وقد سبق هذا فى اواخر الاعراف وكيفية النظر فيما فى السموات والارض قد
سبق ايضا • وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون اى عن قوم انتفى
ايمانهم لتعلق مشية الله عزوجل بانتفائه اى لا ينفع النظر فى الايات

والتدبر لعجايب المصنوعات قوما حقت عليهم كلمة العذاب فضرب بينهم وبين
الايمان بحجاب • ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك هذا امر بالتوحيد
ونهى عن الشرك وبرهانه معه وهو الاستدلال بعدم القدرة على النفع والضر
على عدم الالهية كما تقرر فى المائدة • فان فعلت فانك اذا من الظالمين
اى بوضع الدعا والعبادة غير موضعهما وهو يشير الى ان العصمة للانبياء
انما هى من وقوع الكفر لا جوازه • وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو
الاية حجة موكدة لما قبلها على التوحيد بدليل الطرد والعكس نحو ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها الاية وتقريره ان الله عز وجل هو الذى
يدور النفع والضر والخير والشر مع ارادته وجودًا وعدمًا وكل من كان كذلك
فهو الاله الحق فالله عز وجل هو الاله الحق ومقدمتاه بينتان • فمن اهتدى
فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يحتج به المعتزلة اذ نسب
الهدى والضلال الى المخلوق لا الى نفسه وجوابه انه اضافه اليهم باعتبار انهم
محله او كاسبوه او على تقدير انه لو فوض اليهم خلقه لكان منهم اما ضلال لا
واما هدى • وما انا عليكم بوكيل محكم وعيدى او منسوخ باية القتال اقتلوا المشركين
القول فى سورة هود كتاب احكمت اياته ثم فصلت يستدل

هود

به على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب اذ ظاهره تراخى التفصيل عن
وقت انزاله لان ثم تقتضى التراخى ويحتمل انها لمجرد العطف كالواو وتنبيهًا
على تعظيم المنة او العناية بالتفصيل كما تقول اطعمت فلانا ثم كسوته واويته
ثم زوجته ونحو ذلك فلا يدل على المدعى • ان لا تعبدوا الا الله اننى لكم منه
نذير وبشير فيه اثبات التوحيد والنبوة وسيأتى برهانه ان شاء الله عز وجل
وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه هكذا هو الترتيب الطبيعى ان يستغفر
مما فعل ثم يتوب عن ان يفعل اذ الاستغفار طلب المغفرة لما وقع والتوبة
العزم على ان لا يوقع شيئا من الذنوب بعده ولما قدم التوبة على الاستغفار
فى قوله عز وجل افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لم يعطف الاستغفار
بثم لهذا المعنى • وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها يحتج به على ان
عموم الرزق من الله عز وجل حلاله وحرامه خلافا للمعتزلة فيه كما سبق
فى اول البقرة • وكان عرشه على الماء هذا يحتج به من راى العرش سريرًا وجرمًا
مستعليًا بالجملة ونفى تفسيره بالملك او نحوه مما تأوله نفاة الاستوا اذ
لا يصح ان يقال وكان ملكه على الماء وقد جاء فى الحديث يا رسول الله اين كان
ربنا قبل ان يخلق السموات والارض قال كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه
هواء والعماء ممدود اهو الغيم الرقيق • ليبلوكم ايكم احسن عملا هو تعليل

لخلق السموات والارض بالابتلا ويحتج به على تعليل افعاله واحكامه سبحانه
وتعالى • ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت الاية فيه اثبات البعث
ام يقولون افتريه قل فاتوا بعشر سور مثله الاية فيه اثبات اعجاز القران
والتحدى به واثبات النبوة بذلك على ما سبق فى البقرة ويونس • فاعلموا
انما انزل بعلم الله يحتج بها الجمهور على اثبات العلم صفة زائدة على مفهوم
الذات وعلى قياسه سائر الصفات وتاوله المعتزلة على معنى انزله وهو
يعلمه اما بذاته او بعالميته ولا يلزم من ذلك ان يكون هناك صفة زائدة
قوله عز وجل افمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه تعلقت به
الشيعة فى ان على بن ابى طالب رضى الله عنه هو خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بدليل قوله انى على بينة من ربى والشاهد منه هو على لقوله
صلى الله عليه وسلم ان عليًا منى وانا منه وهو وليكم بعدى وفى رواية
ولى كل مومن ثم ان القران اخبر انه يتلوه اى يكون بعده شاهدا على امته
لان الامام خليفة النبى والنبى شاهد على الامة فكذا خليفته فدل ذلك
على ان عليًا هو الامام بعد النبى صلى الله عليه وسلم واجاب السنة عن
هذا بان المراد بقوله عز وجل ويتلوه شاهد منه هو القران من الله عز
وجل شاهد للنبى صلى الله عليه وسلم بالصدق لانه معجزه الاكبر يدل عليه
قوله ومن قبله كتاب موسى اى ومن قبل الشاهد كتاب موسى فدل على ان
الشاهد وكتاب موسى من جنس واحد وعلى ليس من جنس كتاب موسى فلا
يكون مرادا من الاية وهذا بحث جيد من الطرفين ومن جهة الجمهور اجود
ومأخذ الخلاف ان الضمير فى منه يحتمل رجوعه الى من كان والى ربه فحمله
الشيعة على الاول والجمهور على الثانى وهو اقرب المذكورين ويحتمل ان
المراد بقوله افمن كان على بينة من ربه امة محمد صلى الله عليه وسلم
بدليل قوله عز وجل اولئك يؤمنون به فدل على ان المراد بمن كان جمع
لا مفرد وحينئذ يسقط الاستدلال به بالكلية • ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون يحتج به الجبرية على انهم لجبرهم على الكفر لم
يستطيعوا الايمان وتاوله المعتزلة على انهم لشدة كراهتهم للايمان
ما كانوا يستطيعون سماع دلايله كما يقال فلان ما يستطيع ان يسمع
بذكر فلان ونحوه • ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول
انى ملك يحتج به من يرى ان الملائكة افضل من الانبياء وقد سبق ذلك
قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا يحتج به على مشروعية الجدال
فى اظهار الحق واخفاء الباطل لان الاية دلت على ان نوحًا فعله واكثر منه

مع قومه خصوصاً فى اصول الدين مع الكفار والمبتدعة كما فعل نوح عليه السلام شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية • ان كان الله يريد ان يغويكم الاية يحتج بها الجمهور على ان الله عز وجل يريد اغواء بعض الخلق ومراد الله عز وجل واجب فاغواء هؤلاء واجب وهو المراد بخلق الافعال اذ لا معنى لخلقها الا ايجادها واختراعها باسباب موجبة لها والاغواء منها ولعل المعتزلة يتاولون ذلك على ان يغويهم معناه يصيبهم غاوين من باب اجبنت الرجل وابخلته اى اصبته ووجدته جبانا وبخيلا • واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن يحتج به من يرى تكليف ما لا يطاق وتقريره ان نوحا اخبر ان قومه لم يؤمن فى المستقبل احد منهم وخبر الله عز وجل صدق ومتعلقه جازم لا خلف فيه ثم انهم مع ذلك لم ينقطع الخطاب التكليفى عنهم وحينئذ هم مامورون بالايمان مع استحالته ووقوعه منهم وهو تكليف ما لا يطاق او تكليف بالمحال لا يقال ان تعلق العلم والاخبار الالهى بعدم ايمانهم لا يوجب صيرورته منهم محالا لان العلم كاشف عن الحقايق لا مؤثر فيها لانا نقول تعلق العلم بعدم ايمانهم يقتضى تعلق الارادة والقدرة بذلك ايضا لئلا تتنافى الصفات القديمة فى متعلقاتها وحينئذ يبقى ايمانهم خلاف المعلوم والمخبر به والمراد والمقدور وذلك يوجب استحالته قطعا • قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فيه جواز مقابلة الجاهل والاحمق ونحوهما بمثل فعله ويشهد له النصوص نحو فمن اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم واشباهه • قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك عام فيهم خص بالاستثناء بعده • الا من سبق عليه القول وهو ابنه المذكور انه غرق بعد وما امن معه الا قليل يحتج به الشيعة فى انهم المصيبون على قلتهم دون الجمهور على كثرتهم وقد سبق وجوابه عندكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة فى البقرة • ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى يحتج به من يرى العموم وان له صيغة والتمسك به لان نوحا انما تمسك فى هذا السؤال بعموم قوله عز وجل احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك وهو اسم جنس مضاف يفيد العموم فصار تقدير سؤال نوح ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى بانجا ابنى • قال يا نوح انه ليس من اهلك يحتمل وجوها احدها ان ابنك مخصوص فى علمنا من عموم اهلك وليس هو من اهلك الناجين الثانى انه ليس من اهل دينك بدليل انه عمل غير صالح وحينئذ يكون الاهل فى قوله عز وجل واهلك مجازا عن الموافقين فى الايمان الثالث ما قيل ان هذا الولد

كان

كان ابن زوجته او انه ولد على فراشه من غيره بدليل خيانتهما انه عمل غير صالح برفع عمل ونحوه مما لا يليق بعصمة الانبيا وعلى كل حال فلا بد فى هذه القضية من استعمال المجاز فى اهلك وتخصيص عمومه بالابن المذكور او تجوز نوح بولده عن ابن امراته فيحتج بها على استعمال المجاز والتخصيص فى الكلام • فلا تسالنى ما ليس لك به علم الاية كان نوحا لما قال ان ابنى من اهلى كان ذلك نوع اعتراض منه او تذكير لمن لا ينسى لان الله عز وجل قد حكم بانجا اهله فحكمه لا يتغير فلا فرق بين شفاعة نوح فى ابنه وعدمها فلذلك قوبل بهذا الكلام الذى يصعب موقعه فيقال ان نوحا بكى من هذا الكلام دهرا طويلا • تلك من انباء الغيب الاية سبقت دلالتها على النبوة فى ال عمران • ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها زعم الاتحادية ان معنى ذلك سريانه عز وجل بذاته فى العالم حتى فى الدواب فلذلك اخذ بنواصيها لانه الذى يحركها ويتحرك فيها ولذلك زعم ابن العربى فى الفصوص ان هودا اعلم الانبيا واعرفهم بسر الالهية لاجل هذا الكلام ومعنى الاية عند علماء التوحيد انه عز وجل لما فطر الدواب على طباع لا مخرج لها عن مقتضاها كان من حيث القدرة اخذا بنواصيها بحيث لا تتحرك الا بمقتضى ما طبعها وفطرها عليه كذا قاله الحكيم الترمذى فى بعض كتبه • وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لما كان دين الانبيا واحدا فى التوحيد وكلمتهم واحدة كان عصيان الواحد منهم كعصيان جميعهم والا فعاد ما عصوا بالحقيقة الا من ارسل اليهم وهو هود وحده • يجادلنا فى قوم لوط فيه جواز الجدال حتى مع الاكابر ومن فوق رتبة الشخص اذا لم يعد ذلك اهانة لهم ولم يثر فتنة او مفسدة راجحة كجدال ابراهيم ربه وقد امرنا باتباع ملته • قال يا قوم هؤلاء بناتى هن اطهر لكم يحتج بها الشيعة على جواز التقية لانه انما سمح بنكاح بناته لاضطراره الى صيانة اضيافه ولولا ذلك لما سمح لهم بهن وقد سبق ذلك فى ال عمران • وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار الاية قاطعة فى الرد على من زعم انه مات مسلما لان الله عز وجل سلب عنه الرشاد بعد موته والمسلم لا يسلب عنه الرشاد بعد موته وهو ينتج المقصود • وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم يحتج به المعتزلة اذ لو ذمهم على ما خلقه فيهم لكان ظالما لهم وقد عرف هذا وجوابه مرارا ثم ينتقض بالشخص القبيح الصورة فانه مذموم بالطبع كالقرد والخنزير ومن اشبههما من الناس وصورته مخلوقة لله عز وجل خلقا محضا بلا خلاف • وما نؤخره الا لاجل معدود يحتج به على تناهى ايام العالم وانقضا

مدة الدنيا خلافا للدهرية والفلاسفة حيث زعموا ان الزمان ازلي ابدي
لا ابتداء له ولا انقضاء ولا اول ولا اخر وحجتهم ان الزمان لو كان حادثا
لكان عدمه قبل وجوده وتلك القبلية من لواحق الزمان فيلزم وجود
الزمان قبل وجوده وانه محال وجوابه ان القبلية والبعدية من الامور
الاضافية التي هي عدم محض فلا نسلم انها تلحق شيئا ولا يلحقها شئ سلمناه
لكن قولكم القبلية من لواحق الزمان تريدون الزمان الحقيقي الخارجي
او التقديري الذهني الاول ممنوع والثاني مسلم ولا يلزم منه قدم الزمان
الخارجي ولعلك تستغرب اثبات الزمان التقديري والدليل عليه وجهان
احدهما قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله النور يوم الاربعا مع ان النور
انما هو حاصل من النيرات الفلكية ومنها الشمس التي حركتها سبب وجود
الزمان الحقيقي وذلك يقتضي انه خلق النور قبل الزمان الحقيقي ثم اخبر
بانه خلقه في زمان وهو يوم الاربعا ويلزم ان ذلك الزمان تقديري ذهني
لا حقيقي خارجي الوجه الثاني ان الزمان من لوازم الفعل ولذلك دل
عليه بالالتزام ثم انه يصح ان يقال خلق الله الزمان فيجب ان يكون خلقه
اياه في زمان تقديري والا لكان في زمان خارجي فيلزم وجوده قبل
وجوده وانه محال • خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء
ربك الاية في اهل النار والجنة وقد استشكل هذا الاستثنا ولبعضهم فيه
تصنيف مفرد والذي يتجه ان يقال فيه اما في اهل النار فمعناه الا ما شاء الله
من مقامهم في البرزخ او في حال الحيوة او فيهما فان ذلك كله في مدة دوام
السموات والارض وليسوا حينئذ في النار او معناه الا ما شاء الله من مقامهم
في الزمهرير فانهم يستغيثون من النار فيخرجون الى الزمهرير يعذبون
به وهو البرد الشديد وهم حينئذ ليسوا في النار واما في اهل الجنة
فيحتمل الا ما شاء الله من حال البرزخ او الحيوة او هما ويحتمل الا ما شاء الله
من حضورهم في حضيرة القدس عند رؤية الرب عز وجل كل جمعة او في اوقات
الرؤية وذلك المقام خارج عن الجنة ثم يعودون اليها ويحتمل الا ما شاء
الله من تنزههم في اقطار الملكوت فانه واسع والجنة جزء يسير منه فيتنزهون
فيه ثم يعودون اليها كما يخرج الناس من بساتينهم للقاء ملوكهم
والسلام عليهم والتشرف برؤيتهم وكما يخرج الملوك من بساتينهم للصيد
ونحوه ثم يعودون اليها ويحتمل غير ذلك مما في علم الله عز وجل مما اراد
بكلامه • فاستقم كما امرت كلمة جامعة لخصال الايمان والاسلام والاحسان
تقتضي فعل كل مامور وترك كل محظور ومن ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم

شيبتني

شيبتني هود واخواتها اما هود فبهذه الكلمة لانه خاف ان لا يقوم بموجبها
وان لا يفي بها واما اخواتها فسورة التكوير والانفطار والانشقاق
لتضمين حكاية امر الاخرة واهوال القيمة وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
من احب ان يرى القيمة راي عين فليقرا اذا الشمس كورت ونظير هذه
الكلمة قوله عز وجل لموسى وهرون فاستقيما وفي وصف الاوليا ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا • ومن تاب معك اي وليستقم من تاب
معك كما امر وهو امر بالاستقامة لجميع الامة ولن يقوم بذلك الا معان
موفق • ان الحسنات يذهبن السيئات يحتج به من قال بالمحابطة والمقاصة
بين الحسنات والسيئات ومعناه انهما ان استويا تساقطا وحبط احدهما
بالاخر وان تفاوتا سقط القدر المشترك من الطرفين وبقي الزائد له
او عليه وهذا مقتضى العدل ووضع الموازين القسط نعم الحسنات والسيئات
فيهن كبائر وصغائر فالصغيرة تسقط بمثلها وكذا الكبيرة اما الصغيرة
مع الكبيرة اذا تقابلتا فالسيئة الكبيرة تسقط الحسنة الصغيرة واما
العكس ففيه نظر الا ان يتفضل الله عز وجل ويسامح وهذا كله اذا صح
الاساس وهو الايمان اما مع الكفر فلا توجد الحسنة وان وجدت عادت
هباء منثورا • فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد
في الارض الاية تضمنت الذم لاكثر القرون الخالية على ترك انكار المنكر وذلك
يقتضي وجوبه ونجاة فاعله وهلاك تاركه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
من اصول الاسلام ومهمات الدين • وما كان ربك ليهلك القرى بظلم
واهلها مصلحون يحتج به المعتزلة كما في نظيره في الانعام • ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة يحتج به الجمهور كنظائره السابقة • ولا يزالون
مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم اي وللخلاف خلقهم كقوله عز
وجل ولقد ذرانا لجهنم كثيرا الاية وقيل للرحمة خلقهم فان اريد به عموم
الناس فباطل اذ اكثرهم للعذاب كما ثبت وان اريد البعض فيبقى تقديره
ولذلك خلق من رحم اي وللرحمة خلق من رحم وهو متجه على ما فيه من
ضعف فالاشبه الاول بدليل تمام الاية • وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين

القول في سورة يوسف

يوسف

انا انزلناه قرانا عربيا يحتج به من قال بقدم القران وانه منزل غير مخلوق
وعارضه الخصم بنحو وانزلنا الحديد وانا جعلناه قرانا عربيا والحديد
مخلوق مع انه منزل وكل مجعول مخلوق وقد وقعت المناظرة في هذا بين
عبد العزيز المكي وبشر المريسي على ما ذكر في كتاب الحيدة الذي رايت احد عشر

كوكبا الاية يحتج به على ان النجوم فى الرؤيا تدل على قوم اشراف وذكر فى التورية
والسيران يوسف راى مع رؤية النجوم رؤيا اخرى وهى انه رأى كانه واخوته
حتطبوا حطبا وربطوا حزمهم واقاموها ليربغوها فجاءت حزم اخوته
حتى سجدت لحزمته وهى كرؤيا النجوم فى التاويل والله غالب على امره اى اذا
اراد امرًا غلب عليه وفعله نحو ان الله بالغ امره ويحتج به الجبرية لان مقتضاه
انه اذا اراد فعلا او حالا من انسان غلب عليه واذا غلب عليه كان الانسان
مجبورًا عليه قطعًا وقيل غالب على امر يوسف يدبره وينصره ويحسن عاقبته
والاول اظهر • ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى لا يعلمون ان الله غالب على
امره لغلبة احكام الحس عليهم فاذا لم يدركوا ذلك بحسهم لم يعلموه وانما يعلمه
اقلهم ممن جاوز حكم الحس الى حكم العقل نظرا واستدلالا او كشفا واطلاعا
كما حكى عن بعض اهل الكشف انه قال ان هؤلاء المعتزلة يشكون انا فى العيان
انا والله لنرى المعاصى تنزل من السماء على جوارح العباد كالغمام او كما قال •
ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه هذا يحتمل وجهين
انه لولا رؤية البرهان لهم بها اذ همت به وذلك يقتضى انه لم يهم
بالمعصية والثانى ان الهم بها وجد منه فلولا رؤية البرهان لامضى
ما هم به وفعله فيتعلق به من يتكلم فى عصمة الانبيا ولا حجة فيه لان
الهم بالمعصية انما يكون معصية اذا تمكن من القلب وصار عزمًا مؤكدا
وما دون ذلك فهو خطرات غير قارة وحديث نفس معفو عنه وقد اخبر
الله عز وجل انه صرف عنه السوء والفحشاء وانه من عباده المخلصين
ومن هذه صفته فليس لاحد عليه متعلق • ان كان قميصه قد من قبل الاية
دليل على تعليق الاحكام بالقرائن والامارات المناسبة وعلى ترجيح احدى
الدعوتين او البينتين اذا تعارضتا بمرجح مناسب لانه رجح ههنا قول
يوسف بقد قميصه من دبر مع استوائهما فى عدم البينة فكذلك فى
الاستواء فى وجود البينة من الطرفين لتكافؤ الطرفين فى الصورتين
وقلن حاش لله ما هذا بشرًا ان هذا الا ملك كريم يحتج به من فضل الملائكة
على البشر ولا حجة فيه لوجهين احدهما ان هذا قول نساء كوافر قليلات
عقل ودين قد غلب عليهن الهوى فلا يسمع الثانى ان تفضيلهن الملك
ههنا انما هو فى الحسن والجمال لاقتضاء الحال ذلك وليس محل النزاع انما الخلاف
فى الفضل والكمال وارتفاع الدرجة عند ذى الجلال وذلك انما يعرف عن
الانبياء لا عن النساء • والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن الاية تقتضى
ان لا عاصم من المعصية وغيرها الا الله عز وجل وبقياس العكس وقواطع الادلة

ان

ان لا موبق فيها الا الله عز وجل وذلك بما يقدر من اسباب العصمة
او الوصمة ويخلقه من الدواعى والصوارف والهمة • ذلكما مما علمنى ربى انى
تركت ملة قوم الايتين يستدل بهما على ان ترك الباطل واتباع الحق يورث
التعليم من الله عز وجل لان يوسف عليه السلام علل تعليم الله عز وجل له
تأويل الرؤيا بتركه ملة الكفار واتباعه ملة ابائه الابرار وتعليمه تاويل
الرؤيا يحتمل انه بالوحى على لسان الملك ويحتمل انه بالالهام او بتحريك
الفكر على النظر والاستدلال • ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد
القهار استدلال من يوسف عليه السلام على التوحيد لارشاد اصحابه
فى السجن فقد كان داعيا الى الله عز وجل فى كل حال من شدة ورخا وتقريره
ان الله عز وجل رب واحد والرب الواحد خير من الارباب المتفرقين
اما الاولى فلما سيأتى ان شاء الله عز وجل من براهين التوحيد واما
الثانية فلان احكام الواحد متفقة واحكام المتفرقين متفرقة مختلفة
والاتفاق خير من الفرقة وبالقياس على الشاهد ان الرعية مع ملك
واحد اصلح حالا مع ملوك والعبد مع سيد واحد احسن حالا منه مع
جماعة سادة • ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها يحتج به من راى
ان الاسم هو المسمى لانه المعبود لا الاسم ولا حجة فيه كما سبق • وقال للذى
ظن انه ناج منهما فيه ان علم التعبير علم مظنون وقد يقطع بالتاويل
بقرائن او اطراد عادة ونحوه • فانسيه الشيطان ذكر ربه انسا الشيطان
بوسوسته والشيطان ووسوسته من قدر الله عز وجل واسبابه المقدرة
فالى ربك المنتهى فى كل شئ واليه يرجع الامر كله • قال تزرعون سبع سنين
دابا قيل معناه ازرعوا فهو خبر بمعنى الامر او امر بلفظ الخبر وقيل هو
خبر لفظا ومعنى فعليه اذن جواز اطلاق الخبر بتاويل الرؤيا على تقدير
صدقها ولا يشترط ان يقول ان صدقت رؤياك يكون كذا وكذا ولا يكون
مسيئا بتركه ذلك كما قال بعض المعبرين • وجاء اخوة يوسف فدخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون يستشهد به الشيعة فى غيبة الامام وانه
موجود لكن اكثر الناس لا يعرفونه وان راوه كما ان اخوة يوسف راوه
فعرفهم ولم يعرفوه وهو قياس تمثيل لا يفيد عندهم فى الفرعيات فما الظن
بالدينيات • وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب
متفرقة الاية قيل خشى عليهم من العين لانهم كانوا ذوى رواء وحسن فخاف
عليهم وهى الحاجة التى كانت فى نفسه فقضاها وقد اثنى الله عز وجل عليه
بذلك فقال وانه لذو علم لما علمناه ووافق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم

العين حق فاتفق على ذلك شرعنا وشرع من قبلنا فتاكد حكمها وفي كيفية الاصابة
بالعين خلاف فقيل هو سم ينفصل عن العين لخبث في النفس فيتصل بالشئ
مع الشعاع البصري فيغيره وقيل وهم وقوة نفس تنفعل له الاجسام العنصرية
كانفعال الحديد للمغناطيس والعاشق للمعشوق والنجوم لما توثر فيه على
راى اهلها وقيل هو تغير يحدثه الله عز وجل مقارنا للروية الرائي تنبيها له
على ان الدار دار تغير وزوال فلا يغتر بما هي عليه من حسن الحال تزهيدا له
فيها وترغيبا عنها وقيل غير ذلك • فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في
رحل اخيه الى اخر القصة ان كان قوله عز وجل ومن يكسب خطيئة او اثما
ثم يرم به بريا عاما مطلقا في جميع الشرايع والامم فيحتمل انه مخصوص
بهذه الواقعة ونحوها مما اذن الله عز وجل فيه او تضمن مصلحة لا يسمى
خطيئة حتى يخص به عموم الخطيئة • وما شهدنا الا بما علمنا يحتج به من راى
الظن نوع علم لانهم سموا ما حصل لهم علما وانما كان ظنا باطلا لظهور
كذبه بعد بان ابنه سرق تهمة ولم يسرق حقيقة واجيب بانهم سموا
الظن علما مجازا لما شابه العلم في قوته وبالجملة فبين العلم والظن
قدر مشترك يصلح علاقة للتجوز وهو الرجحان ونظير هذه المسئلة في سبحان
والامتحان • واسئل القرية اى اهلها وهو من باب مجاز الحذف والنقصان
والمجاز اما بزيادة نحو ليس كمثله او بنقصان نحو اسئل القرية او بنقل
واستعارة نحو وجه النهار وجناح الذل واشباه ذلك • قالوا تالله انك
لفي ضلالك القديم اى الذي سبق في قولهم ان ابانا لفي ضلال مبين وليس
المراد ضلالا في الدين بل في حب يوسف والمبالغة في الحب تسمى ضلالا
فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا يقال ان هذا القميص
كان من حرير الجنة جاء به جبريل عليه السلام فكساه يوسف او وضع
في قصبة ونحوها وعلق في عنقه وبكل حال هذه معجزة ليوسف عليه
السلام • وخروا له سجدا اى سجود تحية لا عبادة ولم يزل الناس كذلك
حتى حرمه الاسلام تمييزا لله عز وجل بهذه العبادة الخاصة دون
غيره فمن سجد لغير الله عز وجل قاصدا لعبادته عالما بتحريم ذلك
كفر • ذلك من انباء الغيب الاية حجة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
كما مر في هود وال عمران وانما قال ذلك في موضع وتلك في اخر ذهابا
الى القصص تارة والى القصة اخرى • وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين
اخبر الله عز وجل بذلك لعلمه بانه سيصرف اكثرهم عن الايمان بما
سيخلقه فيهم من الدواعي والصوارف • وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون

بلغ مقابلة

يعني

يعني الكفار كانوا يومنون بالله انه الخالق ومع ذلك يشركون الاصنام في
العبادة والايمان وهو التصديق بالله عز وجل لا ينافي الشرك انما الذي
ينافي الشرك هو التوحيد وهم كانوا يومنون بالله عز وجل وجودا وخلقا
وغير ذلك ولكن لا يوحدونه عبادة • حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا بالتشديد اى كذبهم قومهم فلا يتابعهم احد جاءهم نصرنا بامالة
قلوب الناس اليهم وكذبوا بالتخفيف اى اخلفهم الله عز وجل وعده في النصرة
وانهم ليسوا على شئ جاءهم نصرنا بانجائهم ومن اتبعهم واهلاك الكافرين
وقد انكرت عائشة رضي الله عنها هذا التاويل تنزيها للانبيا عن الشك
في امرهم واختارت الوجه الاول ونحوه وليس ما انكرته بالمنكر اذ الانسان
يطرى عليه لخوف او حزن او مرض او هم وغم احوال يقول ويظن فيها اقوالا
وظنونا هو فيها معذور لغلبة ذلك الحال الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما تراخى عنه الوحي في مبادي امره خرج ليتردى من شواهق الجبال وجدا
لانقطاع الوحي والرسل يوم القيمة يقال لهم ماذا اجبتم فيقولون لا
علم لنا ينسون او يستدهون لغلبة تلك الحالة عليهم ثم يتذكرون فيشهدون
بما علموا فكذا ظن الرسل ههنا انهم قد كذبوا هو من هذا الباب والله عز وجل
اعلم بالصواب **القول في سورة الرعد** الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها المشهور ان معناه ترون السماء بغير عمد لانها كرة
مستديرة لا حاجة لها الى عمد وقيل لا عمد لها ترونه فيفهم ان لها عمدا لا ترى
وليس بشئ اذ كونها بغير عمد ادل على القدرة والحكمة • يغشي الليل النهار
اى جعل كل واحد منهما يغشي صاحبه وسبب ذلك دوران الشمس في فلكها فاذا
غابت حالت الارض بينها وبين الفضا فاظلم فكان الليل واذا طلعت قابلت
الفضا فاضاء فكان النهار • تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل
يحتج بها المتكلمون على ان الله عز وجل يفعل بالقدرة والاختيار لا بالطبع والايجاب
خلافا للفلاسفة ووجهه ان الشجر اذا سقي بماء واحد فلو كان المؤثر فيه
فاعلا بالطبع لاتفق في الاكل لان الماء واحد واثر الطبع يتحد فيتعين الاتفاق
في الاكل فلما اختلف الاكل مع اتحاد الماء دل على ان اختلافه من جهة اختيار
الصانع فان قيل لعل اختلاف الثمار في طعومها والوانها من قبيل اختلاف
طبايع الشجر واختلاف القوابل كالشمس تفعل بالطبع وهي تبيض الثوب وتسود
وجه القصار فالجواب لا نسلم ان الشمس تفعل بطبعها ولا الماء ولا النار
يفعل شيئا من ذلك بطبعه بل هذه الاشياء اسباب والفاعل الخالق هو
الله عز وجل ثم ان اختلاف الطبايع والقوابل بفعل الله عز وجل اذ هو خالق

الرعد

كل شئ وذلك يدل على الفاعل المختار والا لاتحدت الطبايع والقوابل ايضا
وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد دل هذا الكلام على
البعث والمعاد لانه لما انكر تعجبهم منه دل على ان وقوعه ممكن وليس بعجب ثم
انه كفرهم وتوعدهم على انكار المعاد فدل على وجوب اعتقاد وقوعه اذ الوعيد
لايكون الا على محرم فدل على ان انكارهم للمعاد محرما فيكون الاعتراف به
واجبًا • انما انت منذر ولكل قوم هاد ربما احتج به الشيعة على وجوب الامامة
او وجود الامام ولا دلالة فيه على ذلك اذ المراد لكل قوم رسول يرشدهم
الى الحق او لكل قوم هاد هو الله عز وجل يهدى من يشاء منهم كانه قال
يسئلونك الايات وليس ذلك اليك انما انت منذر كسائر الرسل قبلك
او انت منذر وانا الهادى كما قيل • فانى واعظ والله هادى • الله يعلم ما
تحمل كل انثى هذا من مفاتح الغيب الخمس وانما علمه لانه خلقه الا يعلم من خلق
واذا اراد الله بقوم سوءًا فلا مرد له يحتج به الجمهور لان السوء يعم المعاصى
وغيرها من البلا وينتظم الدليل هكذا الله عز وجل يريد المعاصى وكلما
اراد الله عز وجل لا مرد له فالله عز وجل اذا اراد المعصية من قوم فلا
مرد لها وحينئذ تصير واجبة منهم وذلك المراد بخلقه اياها وهكذا
المعاصى مرادة لله وكل مراد لله فلا مرد له فالمعاصى لا مرد لها والخصم ينازع
فى المقدمة الاولى • يريكم البرق قيل هو سوط ملك السحاب اذا ساقه به اورى
النار وعند الحكما هو نار او نور يحصل باحتكاك اجرام السحاب بعضها
ببعض والسحاب عندهم بخار ودخان يحتقن فى الارض والجبال فيندفع
خارجا فتحمله الريح صاعدًا فاذا لقى برد الهواء اجتمع وتكاثف ثم
انعصر فنزلت رطوبته مطرا والصواعق نار تتكون عن الدخانية
المتراقية من الارض • له دعوة الحق اى هو المدعو الها حقا لا غيره وما
دعى من دونه كالاصنام ونحوها ليست آلهة لانها لا تستجيب ولا تنفع
وقد سبق نظم الدليل على ذلك • قل الله خالق كل شئ يحتج بعمومه على
انه عز وجل خالق الافعال من خير وشر وطاعة ومعصية وتقريره
ان افعال العباد شئ وكل شئ مخلوق لله عز وجل فافعال العباد مخلوقة لله
عز وجل والخصم يدعى تخصيص الثانية بما سوى المعاصى بدليل العدلى زعم
والصواب طرد العموم فيها تصحيحًا لراى الجمهور • وهو الواحد القهار اى
واحد لا خالق معه ولا شريك قهار لمن سواه على ما يريد منه بخلق الدواعى
والصوارف ونحو ذلك من الاسباب الغالبة ومع ذلك فله الحجة البالغة
ويحتج على المعتزلة ايضا بقوله عز وجل • ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه

ولو

ولو صح ما قالت المعتزلة من ان الناس خالقون لافعالهم لكان له شركاء
يخلقون كخلقه وانه محال واجاب الخصم بان الخلق على ضربين خلق
اعيان وخلق اعراض فخلق الاعيان وبعض الاعراض كالالوان ونحوها مختص
بالله عز وجل فاثباته لغيره هو الكفر والشرك الذى انكره فى الاية وخلق
بعض الاعراض وهى افعال الحيوان غير مختص به بل يشاركه فيه الناس
وذلك ليس بشرك وهذا كما ان معلوماته ضربان احدهما اختص به كالغيوب
والثانى شورك فيه كمعلومات البشر • ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء الاية اى ليست الايات موجبة للهداية
ولا عدمها موجبًا للضلال بل ذلك داير مع المشية وجودًا وعدما ويحتج
به الجمهور على ان الله عز وجل هو الهادى المضل لمن يشاء بخلق الهدى والضلال
افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعًا فيه حجة لهم كما مر
فى نظائره • وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله • اى ان الكفار
يجهلون ويظنون ان الامر المعجز الى النبى وليس كذلك بل امره الى الله عز
وجل فالنبى لا يستطيع ان ياتى به الا باذن الله • لكل اجل كتاب اى للايات
اجل ووقت ستاتيكم فيه واليه الاشارة بقوله عز وجل • ويقولون لولا
انزل عليه اية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اى وقت مجيئها عند حلول
اجله وهذه ونحوها من مسائل النبوات والمعجزات • يمحو الله ما يشاء
ويثبت هذا يعم النسخ التكليفى كنسخ اباحة الخمر بتحريمها والتكوينى كنسخ
الاماتة بالاحياء وعكسه ونقص العمر وزيادته باعتبار ما فى اللوح المحفوظ
ويستقر الواقع على مطابقة العلم الازلى القائم بالذات المشار اليه
بام الكتاب فالكتاب يطلق على القران وغيره من الكتب المنزلة وعلى اللوح
المحفوظ وام الكتاب اى اصل الكتب هو العلم القائم بذاته عز وجل • والله
يحكم لا معقب لحكمه اى لا معارض ممانع ولا مستدرك ولا طاعن على حكمته
كابليس ونحوه فحاصله انه لا ناقض لحكمه ولا طاعن فى حكمته وفيها اشارة
الى نحو لا يسأل عما يفعل فى التسليم للاقدار والاحكام • قل كفى بالله شهيدا
بينى وبينكم الاية لما قدح الكفار فى رسالته امر بمحاكمتهم الى من عنده
علم الكتاب وهم علماء بنى اسرائيل ممن عرف الحق فاتبعه كعبد الله بن سلام
ونحوه لانهم يعلمون انه نبى موعود به فى الكتب السابقة على لسان الانبيا
المتقدمين وقيل المراد بمن عنده علم الكتاب هو الله عز وجل عنده علم كل
شئ فى كتاب مبين اى ان انكرتم رسالتى فيكفينى الله شهيدا على صدقى
وهو يقضى بينى وبينكم بالنصرة فى الدنيا والاخرة وكذلك كان والله عز وجل

ابرهيم

اعلم بالصواب القول في سورة ابرهيم كتاب انزلناه اليك لتخرج
الناس الاية فيها تعليل انزال الكتاب باخراج الناس من الظلمات الى النور
ويحتج به على تعليل الاحكام الالهية بالحكم والمقاصد. باذن ربهم اشارة
الى ان لا خارج عن ظلمة الضلال الا باذنه عز وجل ويحتج به على القدرية في
ان اذن الله عز وجل وارادته مدار الضلال والهدى وجوداً وعدماً. وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم يستدل به على ان اللغات
اصطلاحية اذ لو كانت توقيفية لكان التوقيف على لسان الرسول
فيحتاج الى توقيف اخر ويلزم التسلسل واذا كانت اصطلاحية لم يلزم
ذلك وانقطع التسلسل بالاصطلاح. فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء
يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل هو الهادي المضل وان مدار ذلك على مشيئة
افي الله شك فاطر السموات والارض هذا تنبيه من الرسل على الاستدلال
على وجود الصانع بوجود العالم وهو استدلال على المؤثر باثره وعلى اللازم
بوجود ملزومه وتقريره ان السموات والارض اثر وفعل فلا بد
لهما من مؤثر وفاعل والمؤثر في وجودهما غيرهما قطعاً وهو الله عز وجل
ثم ان معرفة الرسل بوجود الصانع هل هي نظرية بهذا الطريق ونحوه
كابرهيم في استدلاله بافول الكواكب على ما مر او بطريق الكشف والعيان
تخصيصاً من الله عز وجل لهم بذلك هو محل نظر والاشبه انه عز وجل
درجهم الى معرفته بالنظر والاستدلال اولاً ثم بالكشف والعيان اخراً حتى
تمت المعرفة كما نظر ابرهيم عليه السلام في احوال الكواكب اولاً ثم سال
طمانينة القلب بالكشف العياني ثانياً وكما قال يوسف عليه السلام ءارباب
متفرقون خير والظاهر انه انما ارشد الى الله عز وجل بالطريق النظري الذي
عرفه به. ان انتم الا بشر مثلنا هذه شبهة الكفار وتقريرها اننا نحن وانتم
بشر فلستم اولى بالرسالة منا والا لزم الترجيح بلا مرجح. فاتونا بسلطان
مبين اي حجة ومعجزة وبرهان على صدقكم يكون مرجحا لدعواكم
قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم الاية اي ما ذكرتموه من اننا
واياكم بشر مسلم لكن قولكم لستم اولى بالرسالة منا ممنوع وقولكم يلزم
الترجيح بلا مرجح قلنا المرجح لنا عليكم منة الله عز وجل علينا دونكم فان
الله يمن على من يشاء من عباده دون بعض بارادته واختياره وسابق علمه
في خلقه واما الاية والمعجز فموقوف على اذن الله عز وجل وامره ليس الينا
بل هو يؤيدنا بذلك اذا شاء واعلم ان هذا يوهم ان هؤلاء الرسل
دعوا الى الله عز وجل بلا معجز ثم احالوا بالمعجز على اذن الله عز وجل وليس

كذلك

كذلك لقوله عز وجل في صدر القصة اذ جاءتهم رسلهم بالبينات وهي
الحجج والايات الظاهرة لكن لما عاندهم قومهم وطلبوا منهم ايات اخر
عناداً احالوهم على اذن الله عز وجل وهو كذلك رداً لعنادهم فان قيل
لعل البينات التي جاءت بها هذه الرسل بينات نظرية وهي الحجج الاستدلالية
كقولهم افي الله شك فاطر السموات والارض وقومهم سالوهم ايات
ومعجزات محسوسة ظاهرة قاطعة قلنا عرف القران في بينات الرسل
انها المعجزات القاطعة للحجة المثبتة للنبوة وقد تضمنت الاية ان هؤلاء
الرسل جاؤا قومهم بالبينات واما الاستدلال بخلق السموات والارض
فنافلة وزيادة على المعجزات كما ان نبينا صلى الله عليه وسلم جاء بمعجزات
كثيرة ثم كان ينبههم على الحق بالاشارات النظرية وقد تضمنت هذه القصة
جدالاً ومناظرة من الرسل لقومهم واحتجاجاً بيناً منهم على ما قررناه وفي
ذلك ما يدل على شرف العلوم النظرية ووجوب استعمالها عند الحاجة
اليها. وياتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ليس هذا تناقضاً لان
سلب الموت حقيقة واثباته مجاز ولا تعارض بينهما. قالوا لو هدانا
الله لهديناكم يحتج به الجمهور على ان هداية العبد من الله عز وجل لا من
نفسه وانها تمتنع اذا لم يردها الله عز وجل وربما اجاب المعتزلة بان
هذا حكاية كلام الكفار في الكفار وقد كانوا جبرية مثلكم فلا حجة فيه
لانكم احتججتم علينا بعين مقالتكم ونحن كما لم نسلمها في دار التكليف لا
نسلمها في دار الجزا لانها باطلة والباطل لا يتعين حقيقة باختلاف
المواطن ويجاب عنه بان هؤلاء الكفار لما صاروا في دار الحق صار كلامهم
حجة لوجهين احدهما ان دار الحق لا يقع فيها الا الحق الثاني ان الله عز
وجل حكاه عنهم غير منكر له منهم بل مقر لهم عليه وحسبك بما لم ينكره
الله عز وجل ان يكون معروفا وبما يقر عليه ان لا يكون منكرا. وما كان
لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا
انفسكم يحتج به المعتزلة لان الشيطان في دار الحق فلا يقول الا حقا
وقد الزم الكفار الملامة فدل على ان سببها منهم واجيب بان سببها منهم
كسباً لا خلقا ويكفي كسبهم لها في توجيه اللائمة عليهم. ويضل الله
الظالمين ويفعل الله ما يشاء يحتج به الجمهور وهو صريح في دعواهم
نسبة اضلال الظالمين الى الله عز وجل ويجيب المعتزلة بانه انما
اضلهم بعد ثبوت ظلمهم المخلوق لهم عقوبة عليه ويقال لهم عندكم
يمتنع منه ان يضل احداً مطلقا فاذا جاز ان يضلهم عقوبة جاز ان

يضلهم ابتداء او يقال لا نسلم ان ظلمهم مخلوق لهم بل هو كسب لهم لا غير
فهو اضلهم فظلموا ثم زادهم ضلالا لما ظلموا الكل ذلك بحسب تصرفه
وعلمه فيهم • الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قل تمتعوا فان مصيركم
الى النار يقتضى ان لله عز وجل على الكفار نعما يتمتعون بها خلافا
لمن منع ذلك وقد سبق الخلاف فيه فى الاعراف • واتاكم من كل ما سألتموه
ان جعل هذا عاما مطردا لزم ان كل من سأل شيئا من جميع الخلق يكون
قد اوتيه او اعطى منه ولا ارى هذا بتحقيق فالاشبه انه عام اريد به
الخاص وهو ما شاء الله عز وجل ايتاءهم اياه فالتقدير اذن اتاكم من كل
ما سألتموه مما شاء ان يؤتيكموه وصار هذا من باب فيكشف ما تدعون
اليه ان شاء مع عموم اجيب دعوة الداع ونحوه • وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها هذا واضح ولو لم يكن الا ان للانسان خواس خمسا يدرك بها
محسوساتها وعليه بكل واحد منها نعمة وهو لا يطيق احصاءها بل حس البصر
وحده او حس ايها شئت لا يطيق احصاءه وانت تدرك ببصرك نجوم
السماء نعليك بادراك كل نجم نعمة فهل تحصى نجوم السماء كلا فالحمد لله
عدد نعمه على جميع خلقه ما بين الازل والابد حمدا يوافى نعمه ويكافى مزيده
واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام يستدل به على ما سبق من ان عصمة
الانبيا عليهم السلام انما هى من وقوع الكفر لا من جوازه عليهم والا لم يكن
لهذا الدعا فائدة ولم يصح كما لا يصح ان يقول اجنبنى ان اكون بشرا حجرا
فى حالة واحدة • رب انهن اضللن كثيرا من الناس اى كن سبب ضلالهم
والا فالمضل لهم بالحقيقة اما هم لانفسهم على رأى المعتزلة او الله عز
وجل على راى الجمهور • الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق
هذا يقتضى ان الولد نعمة يحمد عليها وقد ثبت ان الولد من زينة الدنيا
فيقال هكذا الولد نعمة والولد زينة ينتج بعض النعمة زينة وينعكس
بعض الزينة نعمة والغرض من هذا تعريف كيفية نظم المقدمات المتفرقة فى
القران واستنتاج نتايجها وكذلك ثبت ان بعض الولد عدو والولد نعمة
ينتج بعض العدو نعمة فبعض النعمة عدو وعلى هذا وان امكن تخلف بعض
الشروط فيما ذكرناه لكن المقصود تعريف تاليف مقدمات القران وعليك
انت باعتبار شروط القياس • ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان اريد ما كسبت
من خير فهو عام مطرد بل ويزاد بالحسنة عشرا وان اريد ما كسبت من
خير وشر فهو عام مخصوص بمن يعفو الله عز وجل عنه وهذا بحسب
التكليف الظاهر اما بحسب باطن علم الله عز وجل فالظاهر اطراده اذ كل

نفس تجزى بعملها بحسب علمه الباطن كما سبق فى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
ام الكتاب • وليعلموا انما هو اله واحد فيه اثبات الوحدانية وان القران يدل
عليها لانه اخبر انه انزل القران بلاغا للناس لاجل انذارهم به وعلمهم بالوحدانية
ولولا تضمنه دليلها لما صح هذا التعليل وسيأتى بيان دليل التوحيد فى
الانبيا وسبحان والمؤمنين وغيرها وقد مضى شئ من ذلك القول
فى سورة الحجر ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية محكم وعيدى او منسوخ باية الحجر
السيف • ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون فيه ان القاتل لا يقطع
اجل المقتول وقد سبق القول فيه • ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا
منظرين لان برؤية الملائكة يبقى الايمان اضطراريا غير نافع كما سبق
انا نحن نزلنا الذكر الاية يحتج بها على انه منزل غير مخلوق وقد سبق وعلى انه
محفوظ من الزيادة والنقص وساير التغيرات خلافا لمن زعم انه يغير
ببعض هذه الوجوه والدليل على حفظه ضبط المصاحف والحفاظ له فى سائر
الاعصار ضبطا متواترا والتغيير يستحيل على ما هذه صفته عادة • ولو فتحنا
عليهم بابا من السماء الايتين هذا كقوله عز وجل ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الاية والمانع لهم فيهما من الايمان هو الخذلان بخلق الدواعى والصوارف
وان الذى عاينوه من البرهان سحر مستمر وفى ذلك حجة للجمهور على مذهبهم
المشهور • وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع الاية فيه
اثبات الشياطين واستراقهم السمع وحراسة السماء بالشهب من ذلك وعند
الفلاسفة ان الشهب المنقضة سببها مادة دخانية تترقى من الارض
متصلة بالاثير وهو كرة النار فيعلق فى تلك المادة وبحسبها قلة وكثرة
يكون الشهب صغرا وكبرا وطول مدة وقصرا ولم يرد الشرع بما قالوه ولا
بنفيه فالله اعلم بما خلق • والجان خلقناه من قبل من نار السموم فيه
ان وجود الجان والجن قبل ادم والانس • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى
الاية يحتج بها من راى قدم الروح ويحكى عن اهل جيلان وحجتهم انه اضاف
الروح اليه فدل على انها روح ذاته وايضا ان الملائكة لم يؤمروا بالسجود لادم
قبل حلول الروح فيه وامروا بالسجود له بعد ذلك والسجود انما يكون للقديم
فدل على ان الروح القديم حل فيه حتى استحق ان يسجد له وجوابه ان اضافة
الروح اليه اضافة تشريف والا لزم ما قالته النصارى فى المسيح للنص على انه
كلمة الله وروح منه وللاجماع على انه روح الله واما السجود فاما ان يقال انه
لله عز وجل وادم قبلة له او يكون لادم وهو سجود تحية لا عبادة كسجود ابوى
يوسف واخوته له • قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين

يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل لو لم يرد اضلال بعض الناس واهلاكهم واغواهم
لما اجاب ابليس الى هذا السؤال ومن زعم انا حكيماً او غيره يحصر قوماً في دار
ويرسل فيها النار العامة او الافاعي القاتلة الكثيرة ولم يرد اذى اولئك
القوم بالاحراق او اللسع فقد خرج عن فطرة البشر. قال رب بما اغويتني
سبق ذكره في الاعراف. لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الا عبادك
الاية تزيين الشيطان واغواؤه بالوسوسة وانما يتم ذلك بقدر الله عز وجل
وخلقه الدواعي والصوارف. ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك من الغاوين يحتج به من اجاز استثناء الاكثر مع قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاستثنى تارة المخلصين من عموم
العباد وتارة الغاوين من عموم المخلصين وايهما كان اكثر لزم استثناء
الاكثر واجيب بان استثناء المخلصين من عموم العباد استثنا الاقل
واما استثنا الغاوين من عبادي فليس متصلا اذ ليس الغاوين من
العباد الذين ليس لابليس عليهم سلطان والا لما كانوا غاوين فهو اذاً
منقطع وانما يتم دليلكم ان لو كان متصلا واعلم ان استثناء الاقل
صحيح والاستثناء المستغرق باطل واستثناء الاكثر والنصف محل
خلاف وهو في الاكثر ابعد. انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا
لمنجوهم اجمعين الا امراته الاية هذا استثنا من استثنا والاول منفي
فالثاني مثبت بناء على ان الاستثناء من الاثبات نفي ومن النفي اثبات
خلافا للحنفية ومأخذ الخلاف انا اذا قلنا ما قام احد الا زيد هل زيد
محكوم عليه باثبات القيام او انه مجرد عن حكم اثبات او نفي وهذا قولهم
والاشبه الاول لان الاستثنا يتضمن جملتين بمقتضى لسان العرب
مستثنى منها ومستثناة فهما اما موجبتان او سالبتان وهو باطل اذ
هو تطويل محض بلا فائدة او الاولى موجبة والثانية سالبة وهو خلاف
الفرض اذ الكلام في الاستثناء من النفي فتعين الرابع وهو ان الاولى
سالبة والثانية موجبة وهو المطلوب واستدل عليه بان الاستثناء
من النفي لو لم يكن اثباتا لما حصل التوحيد بلا اله الا الله واللازم باطل
بالاجماع فالملزوم كذلك واجيب بان ثبوت الهية الله عز وجل انما
حصلت بدليل العقل لا من هذا اللفظ واحتج الحنفية بان الاستثناء
من النفي لو كان اثباتا للزم من قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بطهور
ولا نكاح الا بولي صحة الصلوة والنكاح بمجرد حصول الطهور والولي
واللازم باطل فالملزوم كذلك ويجاب بوجهين احدهما ان الخلاف

في

في الاستثناء من ذات متعددة نحو ما قام القوم الا زيد وما ذكرتموه استثناء
من مصدر فليس محل النزاع الثاني هب انه محل النزاع لكن منع من لزوم ما
ذكرتم مانع وهو انه لو لزم ذلك لزم خلاف قاعدة عقلية وهي ان الشرط
لا يلزم من وجوده وجود المشروط انما يلزم من عدمه عدمه فتاثيره في عدمه
لا في وجوده وعلى ما ذكرتم كان يلزم من وجود بعض شروط الحكم وجوده
وانه باطل لما ذكرنا ولاحتمال بطلان الصلوة والنكاح لتخلف شرط اخر
واذا خصت قاعدة الاستثناء من النفي اثبات بقاعدة الشرط العقلية
بقي حكم الاستثنا فيما عدا ذلك للدليل السالم عن المعارض وبيان ان الاية
المذكورة من هذا الباب انه استثنى ال لوط من القوم المجرمين ثم استثنى
امراته من آله كانه قال ارسلنا الى قوم مجرمين لنهلكهم وهم قوم لوط الا
آل لوط فليسوا مجرمين فنحن منجوهم الا امراته من آله فانها مجرمة فتهلك
فاثبت لها الاجرام والهلاك المنفي عن الآل وهو استثناء مثبت من منفي
وهو المطلوب. ولا يلتفت منكم احد قد يقال انه عام خص بقوله عز وجل
في سورة هود الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم والحق ان هذا ليس بتخصيص
لان امراته لم يكن مأموراً ان يسرى بها ولا كانت هي منهية عن الالتفات
حتى تناولها الخطاب فتخص منه انما امر بالاسرا بغيرها من اهله لكن هي تبعتهم
بغير اذن طمعاً في النجاة فقدر عليها ان التفتت فهلكت فصار التقدير
ولا يلتفت منكم احد وان امراتك ستتبعكم وتلتفت فتهلك فهو خبر
اخر لا تخصيص. ان في ذلك لايات للمتوسمين قيل هم المتفرسون فيستدل به
على صحة الفراسة واستعمالها والاعتماد عليها في بعض الاحكام وهي الاستدلال
بامارات خلقية ظاهرة على اخلاق باطنة كالاستدلال بشقرة اللون
وزرقة العين على الشر على ما اشتهر ونحو ذلك وقد صنف الناس فيها
كتبا كارسطو ونحوه من القدما والامام فخر الدين من المتاخرين وغيرهم
وان الساعة لاتية فيه وجوب قيام الساعة سمعاً. فاصفح الصفح الجميل
منسوخ باية القتال. واعرض عن المشركين يحتمل انه وعيدي محكم
او منسوخ بما ذكرا ومعناه اصدع بما تومر ولا تلتفت اليهم في تثبيطهم
لك عن ذلك القول في سورة النحل اتى امر الله اى قرب وسياتى النحل
فنزل المستقبل منزلة الماضي لتحقق وقوعه في علمه. سبحانه وتعالى
عما يشركون فيه ذم الشرك ونفيه واثبات التوحيد. ينزل الملائكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده الاية فيه اثبات عموم النبوة
والتوحيد خلافا للبراهمة في النبوة فانهم نفوها محتجين بان العقل كاف

... من الكتب التي وقفها الفقير
الى الاء ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور ...
... عفى عنه

فيما ينبغي ان يستعمله المكلف لانه ياتى بالحسن ويجتنب القبيح ويحتاط فى المشتبه بفعل او ترك فالانبياء اما ان ياتوا على وفق العقل فلا حاجة معه اليهم او على خلاف العقل فلا التفات اليهم وجوابه ان هذا مبنى على التحسين والتقبيح العقلى وهو ممنوع وبتقدير تسليمه لا نسلم ان العقل يستقل بجميع ما ينبغي خصوصاً فى حقوق الاله عز وجل فلا بد له من معين على معرفة ما لا يستقل به من مصالح المعاش والمعاد وكيفية شكر المنعم والتعبد له وتعريف المقدرات ونحو ذلك وحينئذ لا نسلم انهم ان جاؤا على وفق العقل لا حاجة اليهم لجواز ان يعرفوه بعض ما يخفى عليه مما ينبغي له او يؤكد واحكمه بحكمهم ودليلان اقوى من دليل واحد ولا نسلم انهم ان جاؤا على خلافه لا يلتفت اليهم لجواز ان يخالفوه فيما يخفى عنه كما مر على ان ذلك فى نفس الامر فرض محال لاجماع الناس على ان الشرع لا ياتى بخلاف العقل فى نفس الامر وانما ياتى بما يقصر عن ادراكه العقل كتفضيل بعض الامكنة والازمنة على بعض لاسرار خفيت عنه وكوجوب صوم اخر يوم من رمضان وافطار الذى بعده ونحو ذلك ومع البراهمة كلام ابسط من هذا وخلافا لبعض المتصوفة حيث زعموا ان الرسل سوى الله وكلما سوى الله حجاب عن الله عز وجل فالرسل حجاب عن الله عز وجل فلا حاجة بالخلق اليهم وهذا من هؤلاء اما جهل ظاهر وفساد عقل اصابهم من غلبة الرياضة عليهم او زندقة خفية والحاد غلب عليهم من نظر فاسد وايسر ما يجابون به ان كبرى قياسهم ممنوعة الكلية وهو كاف فى فساد قياسهم فان الرسل وسيلة الى معرفة الله عز وجل والوصول اليه لا حجاب عنه وهل يقبل ذو عقل ان يقال نائب السلطان فى بلاده حجاب عنه فلا حاجة اليه اذ الانبيا يسوسون العباد فى امر المعاش والمعاد كنواب الملك فى بلاده وهب ان هذا المتصوف وشرذمة قليلة من اصحابه امكنهم الوصول الى الله عز وجل بلا واسطة لقوة رياضتهم واستعدادهم وقابليتهم فالسواد الاعظم الذين لا يمكنهم ما امكن هؤلاء يتركون على انقطاعهم وجهلهم من غير موصل ومعرف هذا جهل عظيم من هؤلاء وانما هذا كمن له عبيد كثيرون سائرون فى سفر عرض لهم بحر وفيهم نفر يسير عوامون والباقون لا يعرفون العوم فان مكثوا انقطعوا وان خاضوا غرقوا فهل ينكر العقل ان يمدوا بعوامين او ملاحين يقطعون بهم تلك اللجة • وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس الاية ربما ظن بعضهم ان المراد بهذا البلد مكة على الخصوص وليس كذلك بل عموم البلاد التى يحتاج فيها الى الظهر وتلحق المشقة دون بلوغها وكيف ولعل الخطاب لاهل مكة وما حولها ولا مشقة عليهم

بالنسبة الى بلوغها لانها دارهم وقرارهم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها احتج بها ابو حنيفة ومالك رحمهما الله على تحريم لحوم الخيل لانه عز وجل قرنها بما لا يوكل وهي البغال والحمير ونص على الحكمة فى خلقها فى سياق الامتنان به ولو كان فى خلقها حكمة سوى الركوب لاقتضى سياق الامتنان ذكرها كما قال فى الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون حتى عد لها خمس حكم ولما لم يذكر لخلق الخيل سوى حكمة واحدة صار كقوله لا تنتفعوا من الخيل بغير الركوب وهو نص فى المطلوب اما الشافعي واحمد رحمهما الله ومن تابعهما فلما راوا هذا الاستدلال لا يخرج عن كونه بالمفهوم وهو لا يعارض المنطوق رجحوا عليه السنة الصحيحة من حديث جابر واسما نحرنا فرسا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فاكلناه ومثل هذا ظاهر ان لم يكن قاطعا فى انه بلغه فاقر عليه وذلك حجة فى اباحة لحم الفرس وربما علل المانعون بانه فى اباحة لحم الخيل اغراء بها وتقليل لالة الجهاد وهو جيد غير انه منتقض بالابل كانت اكثر الة جهادهم وقد ابيح اكلها باتفاق وليس لمانع ان يمنع كون الابل من آلة الجهاد لقوله عز وجل فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب • وعلى الله قصد السبيل اى ارشاد قصد السبيل اى عليه ان يرشدكم الى السبيل الاقصد والطريق الاقوم الارشد وهذا وجوب منه لا عليه خلافا للمعتزلة بناء على وجوب رعاية مصالح التكليف واللطف بالمكلف على الله عز وجل عندهم وانشد بعضهم فى نحو ذلك

يا من تمكن فى علم ومعرفة • مفرقا بين صدق القول والكذب
هل جائز من كريم كل ذى كرم • عبد له من جميع العجم والعرب
يدعو الى فضله قوما ويمنعهم • عنه ابتداء بلا جرم ولا سبب

ويحدى صاحب هذه الابيات بها جماعة من اهل العلم فوقفوا الا عن قوله لا يسال عما يفعل وهم يسئلون وجواب ذلك لا يخرج عما قررناه فى مقدمة هذا التعليق من راى الجبرية وهو انه يمنعهم لعلمه بان لو فوض اليهم خلق افعالهم لامتنعوا من الطاعة وقارفوا المعصية وكذلك من دعى الى مادبة قوما جاز ان يمنع بعضهم عنها باسباب توجب منعه لعلمه بفساد نية او خبث طوية او لعلمه بانه انما اجاب كارها او متثاقلا وانه لو ترك وعزمه لم يجب ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم ثم قوله هل جائز ان اراد الجواز العقلى وهو الامكان الخاص فلا شك فى جوازه كذلك وان اراد هل حسن فهو تحسين عقلى وهو ممنوع ثم ان سؤاله خارج عن محل النزاع لان فرضه انه دعاهم ثم منعهم ابتداء بلا موجب ومحل النزاع

فيما اذا اشتبهم لموجب اختص هو بعلمه الا يعلم من خلق وهذا كما اشار اليه بقوله
عز وجل هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الاية وعند هذا التحقيق سقط ما
قاله هذا القائل من التلفيق والله ولى التوفيق • ومنها اى ومن السبل
جائر اى مائل عن القصد وهو كقوله عز وجل وان هذا صراطى مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله • ولو شاء لهداكم اجمعين
يحتج به الجمهور كما سبق • ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات • هذا عطف عام على خاص ومثله واتاكم من كل ما سالتموه
مع ما قبله واركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير عطف عام على
اخص ثم على اخص اذ العبادة اعم مما قبلها وفعل الخير اعم من العبادة
وكلام العرب اما عطف خاص على عام نحو وملائكته وجبريل او عام على
خاص كما ذكر هنا او عام على عام نحو الانس والبشر او خاص على خاص نحو
محمد واحمد • افمن يخلق كمن لا يخلق هذا من ادلة التوحيد وقد سبق
تقريره • ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول اين شركائى الذين كنتم تشاقون
فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين • لا
ينبغى لعالم ان يغفل عن هذه فانها قاطعة بان لاهل العلم مقالا بين
يدى الله عز وجل يوم القيمة وانه ربما حكم بقولهم هناك اكراما لهم كما
اجرى احكامه على السنتهم فى الدنيا • للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة
هو عام فى المحسنين مطلق فى الحسنة فكل محسن لا بد له فى الدنيا من حسنة
جزاء كثيرا او قليلا ولو وصف الاحسان • لهم فيها ما يشاؤن عام مطرد
لا يقال لو شاؤا الظلم او الزنا لم يكن لهم فيها لانا نقول يصرفون عنه فلا
يشاؤنه لغناهم عنه بخير منه او لمجرد الصرف عنه • لو شاء الله ما عبدنا
من دونه من شئ الاية سبق القول على نظيرها فى الانعام • ولقد بعثنا
فى كل امة رسولا الاية عام اريد به الخاص اى فى كل امة من البشر ونحوهم
وربما زعم قوم انها مطردة فى امم الحيوان كالطيور والسباع والانعام
بناء على انهم عقلاء وفيه خلاف مشهور ويحتج له بنحو الا امم امثالكم
كل قد علم صلوته وتسبيحه • وان من شئ الا يسبح بحمده ونحو ذلك • فمنهم
من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة هو مثل فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة • ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل يحتج
به الجمهور على تقدير ان فاعل يضل هو الله عز وجل والمعتزلة على تقدير
ان فاعله راجع الى من لنسبة الضلال الى المكلف ويحمله الجمهور على ان
معناه يضل بالكسب او على تقدير التفويض على ما عرف وعلى تقدير يضل غير

ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
ثم بين سبب الكراهة بقوله
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا
خبالا الاية وكما اشار
اليه بقوله
عز وجل
صح

مسمى الفاعل يحتج به الفريقان لتردد فاعل الضلال بين الله عز وجل وغيره
كالشيطان نحو زينا لكل امة عملهم وزين لهم الشيطان زين للكافرين ونحوه
واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا فيه
اثبات البعث على منكريه وتعليله بامرين احدهما بيان ما يختلفون فيه والثانى
تكذيب الكفار فى دعاويهم الباطلة كانكار البعث ونحوه وقد دلت هذه
على ان كشف الحقايق المختلف فيها انما يكون فى الاخرة لان هذه الدار كما
انها دار تكليف لا جزا كذلك هى دار خلف لا كشف ولذلك خلقهم فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وشبهتهم فى انكار البعث ان الاجسام
اذا انحل تركيبها تلاشت وصارت عدما محضا ونفيا صرفا واعادة ما
ذلك شانه محال وجوابه لا نسلم انها اذا انحلت صارت عدما محضا بل
تنحل الى جواهر مفردة قارة الحقايق حافظة لمواد الاجسام والاعادة بجمع
تلك الجواهر وتاليفها ثانيا كما كانت اولا ومثاله عقد انقطع سلكه فتفرق
حبه فاعادته عقدا بجمعه ونظمه سلمنا انها تصير عدما محضا لكنها مع
ذلك يجوز اعادتها عن عدم كما جاز ابتداؤها عن عدم وتمام القول فى هذا
ياتى ان شاء الله عز وجل • انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون هذا بيان لوقوع البعث ومستند صحته وهو صلاحية القدرة
الازلية لفعل كل ممكن فان قيل لا نسلم ان اعادة المعدوم وبعث الموتى
ممكن حتى يدخل تحت عموم المقدورية قلنا بيان امكانه من وجهين احدهما
انه لا يلزم من فرض وقوعه محال لذاته الثانى ان كل حقيقة وماهية
من جسم وغيره فوجودها من حيث هو اما ممكن او ممتنع فان كان ممكنا
حصل المقصود وجاز ايجادها ثانيا كايجادها اولا وان كان ممتنعا
فامتناعه اما لذات تلك الماهية او لبعض لوازمها او لامر خارج عنها
فان كان لذاتها او للازمها لزم ان لا توجد ابتداء وانه باطل لانها قد
وجدت ابتداء فتعين ان امتناع وجودها لامر خارج عن حقيقتها
وعارض من عوارضها وذلك العارض يجوز انفكاكه عنها ومفارقته
لها فيزول امتناع وجودها لزوال سببه وحينئذ يبقى وجودها
جائزا وهو المطلوب او نقول يكون وجودها معلقا على امر ممكن وهو
انفكاك ذلك الامر العارض عنها والمعلق على الممكن ممكن فكل ماهية
اعادتها ممكنة وهو المطلوب ويورد على هذه الاية سؤال وهو ان الشئ
المراد كونه متى يقال له كن افى حال وجوده او فى حال عدمه ان كان الاول
فتكوينه تحصيل الحاصل وان كان الثانى فليس حينئذ شيئا حتى يقال

لكن والاية تضمنت ان الذى يقال له كن شئ والشئ فى اللغة الموجود وهو نقيض
المعدوم والجواب على راى المعتزلة سهل لان عندهم بين الموجود والمعدوم
واسطة تسمى الثابت هو لا موجود ولا معدوم فعلى هذا معنى الاية اذا اردنا
اخراج بعض هذه الافراد الثابتة الى الوجود قلنا له كن موجودا او كن خارجا
عن حال الثبوت الى الوجود فيخرج اما على رأى الجمهور النفاة لهذه الواسطة
فنقول ان للحقايق بالنسبة الينا وجودا خارجيا وذهنيا ولسانيا وبنانيا
اى بالكتابة بالبنان والوجود الذهنى صورة مطابقة للخارجى واذا عرف هذا
فنحن نثبت للحقايق بالنسبة الى الله عز وجل وجودا علميا على وزان وجودها
الذهنى بالنسبة الينا وحينئذ معنى الاية اذا اردنا ايجاد شئ من الموجودات
العلمية الى الخارج قلنا له كن فيكون فباعتبار وجوده فى العلم صح تسميته شيئا
وموجودا وباعتبار عدم وجوده فى الخارج صح ايجاده وقبوله لتاثير المؤثر •
وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم الاية هذا جواب من قال ابشرا منا واحدا
نتبعه او جواب من قال لولا انزل علينا الملائكة او لولا انزل عليه ملك
ونحوه وتقرير شبهتهم ان هذا رجل مثلنا فاختصاصه بالرسالة دوننا
ترجيح بلا مرجح فاجيبوا بانا قد ارسلنا قبله رسلا رجالا الى امهم السالفة
وقد سلمتم ذلك فان لزم المحال من ارسال محمد اليكم فيلزم من ارسال الرجال
الى من قبلكم وهذا واف فى ابطال شبهتهم اما بيان عدم لزوم الترجيح بلا
مرجح فقد سبق فى سورة ابرهيم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده
فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون اى عن الرسل المتقدمين هل كانوا رجالا
ام لا اسئلوا عنهم اهل الكتاب ان انكرتم او جهلتم ذلك فهذا الامر الخاص هو
سبب هذا الكلام ثم احتج العلماء بعموم لفظه على جواز تقليد العامى للعالم
وبمفهومه على ان العالم لا يقلد العالم وفى هذه اقوال ثالثها يقلده لنفسه لا
لغيره ورابعها يقلده ان ضاق الوقت ولم يجد الحكم فى حاصله واستدلالهم
بهذه الاية على هذا الحكم بناء على ان النص الوارد على سبب خاص يعتبر عموم
لفظه لا خصوص سببه خلافا لمالك فى ذلك وفيه عندهم تفصيل وهو ان
اللفظ ان استقل دون سببه اعتبر عمومه وان لم يستقل دونه اختص به
بالبينات والزبر هذا متعلق بارسلنا لا بتعلمون اى وما ارسلنا قبلك
الا رجالا بالبينات اى ارسلناهم بالبينات والزبر وليس معناه فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون البينات والزبر وانما نبهت على هذا لان
الشيخ ابا اسحق الشيرازى فى تعليقته فى اصول الفقه تاول الاية على هذا
وعلق الباء بتعلمون وليس الامر كذلك والوجه ما ذكرناه • وانزلنا اليك الذكر

اى

اى كما ارسلنا الرسل قبلك بالبينات والزبر ارسلناك بالقران وانزلناه اليك
لتبين للناس ما نزل اليهم وفى هذا مسائل الاولى ان فى الكتاب ما يحتاج الى
البيان والا لم يكن للتعليل المذكور وبيان الرسول عليه الصلوة والسلام
فائدة الثانية جواز التكلم بالمجمل لاستلزام الحاجة الى بيان ذلك الثالثة
ما نزل اليهم ان كانت ما نكرة موصوفة فالتقدير لتبين للناس شيئا او كلاما
نزل اليهم فلا عموم فيها وان كانت بمعنى الذى فهو عام اريد به الخاص وهو المجمل
الكتابى اذ فيه كثير مما هو بين بذاته لا يحتاج الى بيان الرابعة ان بيان النبى
صلى الله عليه وسلم للقران اذا وجد كان مقدما على غيره لانه المخصوص ببيان
الكتاب الخامسة وجوب العمل بخبر الواحد لان بيان النبى صلى الله عليه وسلم
للقران واجب القبول والتواتر فيه نادر فلو لم تقبل الاحاد لتعطل اكثر
البيان السادسة جواز بيان المتواتر بالاحاد بخلاف النسخ لانه رفع والبيان
كشف والاقوى يكشف بالاضعف ولا يرفع به السابعة للناس عام مخصوص
بمن ليس بمكلف اذ لا حاجة له الى البيان وبالكفار لان البيان فرع الكتاب
وهم بنازعون فى الاصل فلا يفيدهم البيان وانما يدعون اولا الى الايمان
بالاصل ثم يبين لهم الثامنة قوله عز وجل انزلنا اليك ونزل اليهم اى
انزلناه اليك مبلغا ونزل اليهم مكلفين به وهو صلى الله عليه وسلم من حيث
هو مكلف باحكام الكتاب داخل فى عموم الناس فى التكليف او تقديره انزلنا
اليك لتبلغه وتعمل به ونزل اليهم ليعملوا به • ولله يسجد ما فى السموات وما
فى الارض من دابة والملائكة ليس هذا من باب عطف الخاص على العام اذ
الملائكة ليسوا دواب وانما هو من باب لن يستنكف المسيح ان يكون
عبدا لله ولا الملائكة المقربون فى كون كل واحد من المعطوفين افضل مما
قبله • يخافون ربهم من فوقهم يحتج به مثبتوا جهة العلو حملا للفوقية
على المحسوسة خصوصا وقد اضيفت الى الملائكة الذين هم غالبا فى السماء
وفوقيتهم محسوسة وحملها الخصم على الفوقية المعقولة بالربوبية
والمالكية والقدرة والعظمة ونحوها • ويفعلون ما يؤمرون يحتج به
على عصمتهم اذ لا معنى للمعصوم الا المحفوظ من المعاصى وهؤلاء اذا فعلوا
ما يؤمرون لزم انهم لا يعصون لان الامر اما بفعل او كف عن فعل فيدخل
فى فعلهم ما يؤمرون فعل المامورات وترك المحظورات ولا شئ من المعصية
ينسب الى من كان كذلك • وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد
هذا نهى عن الشرك واثبات للتوحيد يتضمن الامر به • وله ما فى السموات
والارض اشارة الى برهان التوحيد السابق اثباته وتقريره ان كل ما يدعى

الهاً مع الله عز وجل مملوك له وكل مملوك له ليس باله معه فكل ما يدعى الهاً
معه ليس في الحقيقة الهاً معه بيان الاولى بالاية اذا تضمنت ان له ما في
السموات والارض وما كان له فهو مملوك له بيان الثانية ان الاله مالك
والمملوك من حيث هو مملوك لا يكون مالكا فالاله ليس بمملوك فالمملوك
من حيث هو لا يكون الهاً وان شئت قلت لو كان مع الله اله غيره لكان
مملوكا له واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الشرطية ان ذلك الغير مما
في السموات والارض وكل ما في السموات والارض مملوك له فذلك الغير مملوك
له بيان انتفاء اللازم استحالة اجتماع المملوكية مع الالهية بما سبق
ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا الاية هذا امر تهديد مثل اعملوا ما شئتم
ويجعلون لله البنات هذا حكاية مذهب الكفار زعموا ان الملائكة بنات
الله لانهم اشخاص شريفة ولا بد لهم ان يصدروا بالولادة من غيرهم ولا
اشرف من الله يصدرون بالولادة عنه ثم هم ليسوا بذكور فكانوا اناثا
بنات الله وهذا تلفيق بحسب عقولهم وما الفوه والملائكة صادرون
عن الله عز وجل بالخلق والاختراع لا بالولادة ثم رد الله عليهم بوجهين
احدهما التنزيه الحقيقي العقلي فقال عز وجل سبحانه اى تنزه عن اتخاذ
الولد لانه يستدعي ولادة تستدعي زوجة وافتقارا الى الوقاع المستلزم
للجسمية وكل ذلك ممتنع في حق الله عز وجل الوجه الثاني التقريع العرفي
بقوله عز وجل ولهم ما يشتهون واذا بشر احدهم الاية اى انهم يختارون
لانفسهم البنين الذين هم اشرف واجمل ويعتقدون لربهم البنات اللاتي
هن اخس وانقص حتى ان احدهم اذا بشر ان قد ولدت له بنت اسود وجهه
من الكآبة والحزن يتوارى من اصحابه حياء وخجلا وظنا ان قد لحقه عار
عظيم ثم يتردد رأيه بين ان يستبقي تلك البنت على هوان وعار يلحقه منها
او يدفنها في التراب حية وهي الموؤدة كشفا للعار عنه ومع هذا كله
يختارون لربهم نقايص البنات ويستأثرون عليه باختيار كمال البنين
وقد كان يجب ان لم يكن بد من سوء القالة وقبح المقالة ان يختاروا له افضل
القبيلين لكن الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ويجعلون لله
ما يكرهون فزين لهم الشيطان اعمالهم بالوسواس ومساعدة القدر
فهو وليهم اليوم يحتمل انه وليهم من حين ما تواحيث حلوا دار البوار
باتباعه فيصح انه كان وليهم يوم نزلت هذه الاية ويحتمل ان هذا الكلام
قيل في الازل على جهة الحكاية كما يقال يوم القيمة اى زين لهم الشيطان
اعمالهم حتى انه ليقال يوم القيمة هو وليهم اليوم تتخذون منه سكرا ورزقا

حسنا

حسنا منسوخ بالنصوص في تحريم المسكر واوحى ربك الى النحل اى الهمه والوحي
اما بالهام او ارسال او رؤيا ونحوه والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
الاية شاهد على التوحيد وتقريره ان الله عز وجل فضل السادة على العبيد
في الرزق ثم ان السادة لا يردون من فضل رزقهم على عبيدهم بحيث يشاركونهم
ويساوونهم فيه والاصنام وسائر الالهة التي يدعونها مع الله عز وجل
عبيد له ومملوكون فلا ينبغي لكم ان تشركوهم في عبادته التي اختص بها كما لا
تشركون عبيدكم في فضل رزقكم وهذا دليل قياسي في التوحيد فيدل على
جواز استعمال القياس في الفروع بطريق اولى خلافا للظاهرية ويعبدون
من دون الله ما لا يملك لهم رزقا الاية دليل اخر على التوحيد وتقريره ان
الاله هو الرازق والهتكم لا شيء منها برازق فلا شيء من الهتكم باله وهو
واضح ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا الاية ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء الاية دليل اخر على التوحيد وتقريره ان
الله عز وجل غني له ملك السموات والارض والهتكم عبيد فقرا فلا يساوونه
في رتبة الالهية ولا يستحقون معه صفة المعبودية كما لا يستوي العبد
الفقير منكم والموسر الذي ينفق من يساره سرا وجهرا ويحتج بهذه على
ان العبد لا يملك بالتمليك لان الفقر جعل وصفا له لازما في دليل التوحيد
فلا يجوز زواله كما لا يزول التوحيد وضرب الله مثلا رجلين احدهما
ابكم لا يقدر على شيء الاية دليل اخر على التوحيد وتقريره ان الله عز
وجل غني قادر كافل للخلق آمر ناه فلا تساويه اصنامكم العادمة
لهذه الصفات كما لا يستوي رجلان احدهما جامع لهذه الصفات واخر
عادمها والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا الاية يذكرها
بعضهم في اوايل المنطق فيقول ان الانسان في مبدء الفطرة لا يعلم شيئا
ثم انه يدرك المحسوسات بحواسه فيتنبه لمشاركات بينها ومباينات
فيستنتج منها تصورات وتصديقات تحصل علوما عقلية ومطالب نظرية
الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله هذا عند الجمهور
على معنى انه خلق لها آلة تطير بها وتستمسك وتنهض بها وتنزل كما خلق
للدواب قوايم تمشي عليها وعند الاتحادية انما امسكها لحلوله وسريانه
بذاته فيها كما مر من حكاية مذهبهم ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن
يضل من يشاء ويهدي من يشاء يحتج بها الجمهور كما سبق واذا بدلنا
اية مكان اية يحتج بها على النسخ ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر
والاشارة الى سلمان الفارسي كانت الكفار يقولون انه يعلم محمدا اخبار الفرس

وقصص الاولين فاجيبوا بان لسان الذى اشرتم اليه اعجمى ولسان القران عربى
فكيف يكون تعليم البشر وقد اورد على هذا سؤال وهو ان يكون البشر المشار
اليه يعلمه بلسانه وهو يلخصه بعبارته وفصاحته وحينئذ لا يقدح اختلاف
اللسانين فى تعليم البشر له ويجاب عن هذا بان البشر المشار اليه ان كان
هو سلمان فهو انما اسلم بعد الهجرة بالمدينة بعد استقرار الاسلام وظهور
المعجزات وذلك لا يقدح فيما ثبت ولو قدر ان سلمان كان يحكى له بعض ايام
الفرس وقصصها على جهة التعريف بحالهم فلا يقدح فى نبوة قد تقررت ومن
اين لهم انه كان ينقل ما يسمعه من سلمان قرانا ولو كان ذلك حقا لعورض
ثم ظهرت معارضته وقد كان النضر بن الحرث يتعاطى ان يعارض القران بما
كان عنده من احاديث الفرس مثل بهرام واسفنديار ورستم ونحوهم فعجز
وقصر وان كان المشار اليه غير سلمان فهو اما عربى كرحمن اليمامة الذى زعموه
او عجمى فالاول باطل اذ لو صح ذلك لكان هذا العربى يدعى الامر لنفسه وهو
اولى بالعلم الذى عنده يجعله دليلا على نبوته وما كان ليوثر بذلك على
نفسه احدا والثانى باطل والا فقد كان بينهما ترجمان فصاروا فى القضية
ثلاثة وكل حديث جاوز اثنين شايع فكان يجب ان يشيع ذلك ويشتهر
ويتعين فاعله كما اشتهر امر مسيلمة الكذاب والاسود العنسى وسجاح وغيرهم
من الكذابين والذى يظهر لى فى سبب هذه الشبهة انها فتنة فتنهم الله عز
وجل بها وان بعض كفار مكة او غيرهم كشف له حتى رأى جبريل يوحى الى
النبى صلى الله عليه وسلم على صورة بشر دحية الكلبى او غيره فقالوا انما يعلمه
بشر واشاروا الى شخص كان جبريل على صورته • ان الذين لا يؤمنون
بايات الله لا يهديهم الله يحتج بها الجمهور على انه عز وجل يملك منع الهداية
فلا يهتدى احد الا بارادته واجاب المعتزلة بانه جعل منع هدايتهم عقوبة
على كفرهم باياته فذلك الكفر منهم قلنا نعم هو منهم بكسبهم وخلق الله عز
وجل اياه فيهم واذا ملك سلب هدايتهم عقوبة ملكه ابتداء ولو كان لهم
جهة خلق الكفر لكان لهم جهة خلق الهداية لما منعهم اياها وحينئذ كانوا
غالبين لله عز وجل وهو محال • من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان يحتج بها الشيعة على جواز التقية كما سبق تقريره
فى ال عمران واختلف فيمن اكره على اظهار الكفر بالقتل ايما افضل له اعزاز
الدين بالامتناع والصبر على القتل او حفظ نفسه بالاجابة مع اعتقاد
الايمان فيه قولان ويحتمل ان الافضل فعل الاثقل على نفسه ورجح بعضهم
حفظ النفس استبقاء للحقوق الالهية التكليفية فيها ولقوله صلى الله عليه وسلم

لعمار ان عادوا فعد مع قوله له ولمن معه صبرا فان موعدكم الجنة فلو كان
الامتناع افضل لاختاره لهم لانه اسرع لهم الى الجنة • اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم الاية يحتج بها الجمهور كما سبق اول البقرة
يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها ان قيل هذا يوجب ان يكون لكل
نفس نفس فيلزم التسلسل قيل ليس كذلك بل النفس لفظ مشترك
بين الهيكل الجسمانى ذى الروح والجوهر البسيط المستوكر له المسمى نفسا
فالهيكل نفس تجادل عن الجوهر الذى هو نفس وتجادلها محاجتها عن نفسها
عما ترجو ان يخلصها • واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون اى توحدون
بالعبادة وهى تدل على ان شكر النعمة من التوحيد لانه يضيف النعمة الى الله
عز وجل وحده كما توجه العبادة اليه وحده • وهداه الى صراط مستقيم
لعله اشارة الى هدايته للنظر والاستدلال بافول الكواكب على وجود
الصانع ثم الى طمانينة القلب برأى العيان وحينئذ فيه اشارة الى انه طريق
النظر والاستدلال صراط مستقيم وانه يرجى ايصاله الى مقام العيان لان
النفس اذا استعدت لقبول العيان بالعلوم النظرية صارت كسراج
فيه ذبالة مرواة بالزيت فاذا اشرقت عليها انوار المعرفة اوقدتها فعادت
كمشكاة فيها مصباح • ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم الاية يحتج
بها من رأى انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة غير متعبد بشريعة احد
اذ لو تعبد بشريعة احد لكان اولى ما تعبد به شريعة ابرهيم عليه السلام
لانها اختيرت له بعد النبوة ثم لو كان متعبدا بها قبل النبوة لكان
مستصحبا لها الى ما بعدها فلم يحتج الى تجديد الامر باتباعها وقد اختلف
فى هذه فقيل لم يكن متعبدا بشريعة احد لئلا يكون تبعا لغيره وقيل
كان على ملة ابرهيم وقيل موسى وقيل عيسى وقيل كان يتعبد بما يراه وهو
معصوم فيه على جهة التفويض على مذهب موسى بن عمران الاصولى كما
سبق • انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه اختلف قوم فى بقاء تحريم
السبت على اليهود وفيه قولان للعلماء احدهما هو باق لاعتقادهم له
واعترافهم وتدينهم به مواخذة لهم باقرارهم والثانى ليس بباق لثبوت
نسخه بشريعتى المسيح ومحمد عليهما السلام فلو استباحه يهودى اتجه تعزيره
وتاديبه على الاول لانتهاكه حرمة يعتقدها لله عز وجل دون الثانى
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن
يحتج بها المنطقيون على صحة علمهم ووجوب استعماله فى الدعاء الى الله
عز وجل لاقامة الحجة وكشف الشبهة قالوا لان المنطق ليس الا علما يعرف

فيه احوال الاقيسة النظرية قوة وضعفا وصحة وفسادا ليتوصل بها الى تحقيق
الحق وابطال الباطل وجملة الاقيسة المبحوث عنها فى المنطق خمسة البرهانى
والاقناعى والجدلى والسوفسطاى والشعرى والثلاثة الاول هى المعول عليها فى
المطالب العلمية فالبرهان لادراك اليقين ويصلح لمن ارتاض بالحكمة او كانت
له فطرة جيدة يدرك بها والاقناع للعامة القاصرين عن رتبة البرهان
والجدل لمن يقصد المغالبة او المغالطة فى الحق فيلقى به ليكف عاديته واشير
فى الاية الى هذه الثلاثة وسمى البرهان حكمة والاقناع الخطابى موعظة واشار
الى الجدلى بقوله وجادلهم اما السوفسطاى فتشكيك فى الحقايق وانما يعرف
ليجتنب وليبطل ان شكك به والشعرى تخييل يؤثر قبضا وبسطا فى النفس
يخدع به الناس عن اموالهم فلا يستعملان فى غير ذلك فلم يبق الا الثلاثة
الاول المشار اليها فى الاية وهى المقصود من علم المنطق وانما قلنا ان
استعماله فى الدعا الى الحق واجب لانه امر بالدعاء اليه والامر للوجوب
ولان المنطق للمعانى كالنحو للالفاظ فبدونه لا تتحرر الحجج ومالم تتحرر
الحجج لا يتضح الحق فلذلك قلنا ان استعماله واجب وعلى المنطق شكوك قد
ذكرت غيرها هنا والتنبيه من الاية على معنى ما ذكرناه ذكره الامام فخر
الدين فى اول شرح الاشارات • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الاية
يستدل به على انه هو خالق الاضلال والهدى لقوله الا يعلم من خلق فلما علم
بمن ضل دل على انه خلق ما به ضل ان الله مع الذين اتقوا معية اعانة وعناية
ونصرة ورعاية القول فى سورة سبحان الذى اسرى بعبده الاية فيه اثبات
الاسرا ويتبعه المعراج لاتصاله به وقد انكره بعض الفلاسفة والمعتزلة بناء
على ان الجسم الثقيل الكثيف الهابط لا يرتقى الى العالم اللطيف وانما كان مناما
بدليل قوله فاستيقظت فاذا انا فى بيت ام هانى ونحوه مما يدل على انه كان
مناما واعلم ان هذا مثل فلسفة ابليس فى قوله خلقتنى من نار وخلقته
من طين فان صعود الجسم الارضى الى العالم الروحانى السماوى ممكن لذاته
وكل ممكن مقدور والفاعل عندنا مختار يفعل ما يشاء ويختار فلا يبقى لامتناع
ذلك وجه وتوجيهه على راى المتكلمين بان يخلق الله عز وجل فى الجسم الكثيف
قوة جاذبة له الى فوق او خفة بحيث يحمله اللطيف او فى الفضا اللطيف
كثافة بحيث يحمل الكثيف وهذا الغمام والمطر والبرد والصواعق وساير الاثار
العلوية كثيفة او كثير منها ويحملها الفضاء اللطيف واما المنام فقد لعمرى
كان مناما مرة توطئة لليقظة ثم كان يقظة والاحاديث الصحيحة دلت عليهما
جميعا ولو لم يكن الا مناما لما انكرته قريش وبالاجماع انهم انكروه • وكل انسان

الاسرا

بلغ مقابلة

الزمناه

الزمناه طائره فى عنقه قيل هى صحيفة عمله تعلق فى عنقه فى قبره حتى يبعث بها
فيحاسب عليها وهى الكتاب الذى يخرج له يوم القيمة فيلقاه منشورا • من اهتدى
الاية يحتج بها المعتزلة لاسناد الهدى والضلال الى المكلف لا الى الرب عز
وجل واجيب بانه اسند اليه باعتبار الكسب وقد تكرر هذا والقاعدة الكلية
انه لما اضيف تارة الى الرب وتارة الى العبد حمل على الاول باعتبار الخلق وعلى
الثانى باعتبار الكسب والتفويض التقديرى عند اهل الجبر جمعا بين النصوص
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يحتج به الجمهور على ان لا حكم للعقل بايجاب
ولا حظر ولا تحسين ولا تقبيح ولا يقتضى شيئا من ذلك وتقريره انه لو كان
له حكم لتوجه التعذيب على من عصى بموجب حكمه قبل بعثة الرسل واللازم باطل
فالملزوم كذلك اما الملازمة فلانه لو كان له حكم لكان مخالفه عاصيا
قبل البعثة ولو كان مخالفه عاصيا لتوجه التعذيب عليه حينئذ واما انتفاء
اللازم فلهذه الاية اذ نفى التعذيب قبل البعثة وقد سبق القول فى هذا
وحكاية مذهب المعتزلة فيه فى سورة الاعراف • واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها ففسقوا فيها الاية ظاهرها متروك بالنص والاجماع على ان
الله عز وجل لا يامر بالفحشاء والفسق امر اقتضاء واستدعاء ولكن فى تاويلها
اقوال احدها امرناهم بالطاعة فعصوا ففسقوا فحق عليهم القول ولزمتهم الحجة
فعاقبناهم الثانى امرناهم كثرناهم ففسقوا والكثرة سبب الفساد يقال امر
بنو فلان اى كثروا وعظموا الثالث امرناهم جعلناهم يمورون فيها اى
يسعون ويجولون من مار يمور ففسقوا وهذا بخلق الدواعى والصوارف
فيهم لذلك الرابع امرناهم بلسان التكوين لا التكليف ففسقوا كما قلنا فى
قوله عز وجل وقيل اقعدوا مع القاعدين مع انفروا خفافا وثقالا وذلك
بخلق دواعى الفساد فيهم • من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد هذه قيدت بقيدين احدهما فى المراد وهو ما نشاء والثانى فى
المريد وهو لمن نريد وبذلك قيد مطلق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها
ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ونحوه وكذلك ومن اراد الاخرة وسعى
لها سعيها وهو مؤمن مقيد بقيدين السعى المناسب والايمان ولا يبعد ان
يفسر المحكم بمثل هذه المقيدات والمتشابه بما يقابلها من المطلقات وللاخرة
اكبر درجات واكبر تفضيلا ان قيل تفاوت الدرجات فى الاخرة مما يتاذى
به المفضول فيها عادة وذلك يعارض النص بان لا نصب فيها ولا حزن
ولا هم قلنا العادة ترتفع هناك ويرضى كل بما حصل له وثمرة التفاوت تحصل
فى نفس ادراك النعيم فادراك بعضهم اقوى ولذته اتم من بعض وهذا كما تفاوتوا

في الدنيا في المعقول ثم كل منهم راض بعقله وثمرة التفاوت فيها يظهر في الادراك
العقلي قوة وضعفا قوله عز وجل وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه اعلم
ان قضى تستعمل بمعنى امر وبمعنى حكم فالجمهور على انه هنا بمعنى امر اى امر بالتوحيد
واكرام الوالدين وعطف الوصية فيهما على الوصية بالتوحيد تعظيما لشانهما اذ
كان هو الخالق وهما سبب الخلق الكاسبان له وابن العربي صاحب الفصوص حمل
قضى ههنا على معنى حكم وجزم وقدر وحتم فلا جرم احتج بها على انه عز وجل عين
الوجود او سار بذاته في الوجود حتى في سائر المعبودات كود وسواع ويغوث
ويعوق ونسر ونار المجوس والنيرين والنجوم للصابئة واللات والعزى ونحوهما
للعرب وغير ذلك لانه عز وجل قضى اى حكم ان لا يعبد سواه وما قضاه لا يخالف
له فما عبد في الوجود الا هو وهذه الاشياء قد عبدت فوجب ان تكون هى
اياه وما ذلك الا لسريانه بذاته في العالم او كونه عين العالم ورد عليه بان
الغلط انما وقع من جهة اشتراك اللفظ وانما معنى قضى امر ولا يلزم من الامر
الطاعة فهو امرهم ان لا يعبدوا الا اياه فخالفوه وعبدوا سواه • فلا تقل
لهما اف هذا هو المثال المشهور في مفهوم الموافقة وهو ما استفيد من
غير محل النطق اقوى من المنطوق فالمنطوق هنا تحريم التأفيف والمفهوم
تحريم الضرب وهو اقوى من المنطوق بمعنى ان التحريم فيه اولى من تحريم التافيف
يدرك ذلك بالضرورة واختلف فيه اهو قياس ام لا فقال قوم هو قياس جلى
ونظمه ان ضرب الوالدين اذى لهما فكان حراما كالتأفيف لهما واولى وارکان
القياس موجودة الاصل والفرع والعلة والحكم وقال اخرون ليس بقياس انما
هو مدلول لفظى لتفاهم العرب له مع عدم معرفتهم بالقياس ولان ذلك
يفهمه من لا يتصور القياس ولا يخطر له ببال ويحتمل ان يقال المنطوق في
مثل هذا اعم او كالاعم من المفهوم فالنهى عنه من باب نفى الاعم المستلزم
نفى الاخص وهذا من باب الدلالة العقلية لا اللفظية • واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة هذا مجاز تشبيها للولد في ذلك بطائر خفض جناحه لافراخه
يظلهم به وكذا واخفض جناحك للمؤمنين ولما قال ابو تمام الطائى في قصيدته
المشهورة • لا تسقنى ماء الملام فاننى • صب قد استعذبت ماء بكائى •
انكرت عليه هذه الاستعارة ولم تستحسن منه فارسل اليه العتابى غلاما له
ومعه قارورة وقال قل له قد احتجنا الى شئ من ماء الملام فابعث به الينا فى
هذه القارورة فعلم ابو تمام انه منكر عليه متهكم مستهزئ به فقال للغلام
ارجع الى مولاك فقل له يرسل الى بريشة من جناح الذل اخرجه له بها فكان
فى ذلك مناظرة بالكناية شبيهة بمناظرة القاضى عبد الجبار وابى اسحق المذكورة

عند

عند قوله عز وجل ان الله لا يامر بالفحشاء وتوجيهها ان العتابى قال لابى تمام
ان الملام لا ماء له فكيف استجزت استعارته فقال له ابو تمام فان الذل لا
جناح له فكيف استجيز استعارته فى القران واعلم ان المواخذة على ابى تمام
ليست فى نفس الاستعارة وانما هى فى حسنها وتمامها وتطبيق المفصل بها وليست
استعارته فى ذلك كاستعارة جناح الذل وبينهما بون بعيد يدرك ذلك
حسا وعقلا وان شئت تحقق ذلك فتخيل الذل طائرا خفض جناحه وتخيل
الملام ماء فى وعاء تجد تخيل الاول اسرع والنفس اليه ابدر واستقصاء الكلام
فى هذا غير ههنا • ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الاية شاهد على مدح
التوسط وذم الانحراف والتطرف • ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
الاية وكيفية ذلك بتقدير الاسباب المفيدة للرزق ومنعها وهى بيد الله
عز وجل وذلك ظاهر وعلل ذلك بما تضمنه قوله عز وجل انه كان بعباده خبيرا
بصيرا وهو ان فيهم من لا يصلحه الا بسط الرزق وفيهم عكس ذلك فهو يراعى
بذلك مصلحة من يشاء منهم تفضلا منه من حيث لا يعلمون ولا يشك عاقل
ان قارون لو كان فقيرا لكان اقرب الى صلاحه وان السارق وقاطع الطريق
لاضطرار الفقر له الى ذلك لو كان موسرا لكان اقرب الى صلاحه • ولا تقتلوا
اولادكم خشية املاق مفهوم خرج مخرج الغالب فلا يعتبر • ولا تقف ما
ليس لك به علم احتج به من راى الظن نوع علم لانه صلى الله عليه وسلم نهى
عن اتباع غير العلم ثم انه كان يحكم بالظن المستفاد من البينة واليمين وخبر
الواحد ونحوه ولولا ان ذلك نوع علم لكان مرتكبا للنهى وانه غير جائز منه
وجوابه انه سمى الظن علما للرجحان المشترك بينه وبين العلم كما سبق فى
وما شهدنا الا بما علمنا واحتج بهذا ايضا من منع العمل بخبر الواحد وهم
الشيعة ومن تابعهم لانه انما يفيد الظن لا العلم وقد نهى عن اتباع غير العلم
وذلك يقتضى النهى عن العمل بخبر الواحد واجيب بان هذا عام خص فى
خبر الواحد بادلة كثيرة منها ما سبق فى لتبين للناس ما نزل اليهم فلولا نفر
من كل فرقة منهم طائفة وبالاجماع على قبول خبر المفتى والشاهد والحاكم
ثبت عندى ونحو ذلك • ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة يعنى الاداب
المتضمنة للطاعة واجتناب المعصية وهذا التفسير اما داخل فيما سبق فى
تعريفها عند قوله عز وجل يؤتى الحكمة من يشاء • ولا تجعل مع الله الها اخر
نهى عن الشرك وامر بالتوحيد وظاهره يقتضى ما سبق من ان عصمة الانبياء
عليهم السلام من وقوع الشرك لا من جوازه خصوصا على راى من يقول ان
النهى عن الشئ يقتضى صحة وقوعه قوله عز وجل افاصفاكم ربكم بالبنين

واتخذ من الملائكة اناثا الاية الكلام فيه كما فى ويجعلون لله البنات ووجه تعظيم
قولهم فى القبح انهم اضافوا الى الله عز وجل ما هو منزه عنه ويستحيل عليه واستنادهم
عليه بالاجماع على تقدير جواز ذلك عليه • قل لو كان معه الهة كما تقولون اذا
لابتغوا الى ذى العرش سبيلا هذا من ادلة التوحيد وتقريره من وجهين
احدهما لو كان معه اله غيره لطلب ذلك الغير سبيلا الى مغالبة ذى العرش
على الملك وانفراده بالالهية دونه واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان
الملازمة ان العادة اطردت بان المشتركين فى الملك يحاول كل واحد منهما
المكر بصاحبه او مغالبته على الخراجة من الملك وانفراده به دونه واطراد
العادة حجة ولذلك كان انخراقها للانبياء معجزا بيان بطلان اللازم
ان كل من ادعيتموه الها مع الله تعالى كالاصنام ونحوها اسير فى قبضة
قدرته لا يستطيع السبيل الى الخروج عن عبوديته فضلا عن ابتغاء السبيل
الى مغالبته الوجه الثانى لو كان معه غيره لطلب ذلك الغير السبيل الى
الوصول الى رتبة ذى العرش او الى الشفاعة اليه فيما يزيد على العادة فى
بلوغ النظير رتبة نظيره والشفاعة اليه فى بعض اموره واللازم باطل
والمعول عليه هو الوجه الاول • وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا
تفقهون تسبيحهم فيه قولان احدهما انه عام اريد به الخاص وهم ذوو
الحيوة المتأتى منهم التسبيح وعلى هذا يتمسك به الفلاسفة فى ان الافلاك
حية ناطقة لانها مسبحة بهذا النص وكل مسبح حى ناطق فالافلاك حية
ناطقة وجوابه يمنع كونها مسبحة على هذا التقدير وينتقض عليهم
بالارض فانها مسبحة بهذا النص وليست حية باتفاق الثانى انه عام مطرد
فى الحى وغيره كالجمادات لكن تسبيح كل شئ بحسبه فالحى بالنطق والجماد اما
بظهور اثار القدرة فيه والتسخير له قسرا او بخلق حيوة فيه واصوات
تسبح بها لا يعلمها ويدركها الا خالقها ومن اطلعه عليها وقد اخبرنى الثقة
انه كان نائما فى بستان فاستيقظ ليلا فسمع النخيل والاشجار وجدران
البستان كدوى النحل بالتسبيح واخبرنى الثقة عن الثقة فيما احسب
انه مر فى ارض مزروعة حنطة وهو يسبح فسمع السنبل جميعه يسبح وفى
تسبيح الجبال مع داود عليه السلام غنية عن ذلك كله وعلى هذا فربما
احتج به الاتحادية على انه سار بذاته فى كل شئ وانه يسبح نفسه منها وجوابه
ان ذلك يقتضى اتحاده بها او حلوله فيها وهو محال على ما تبرهن فى الكلام
والحكمة ويحتج بلكن لا تفقهون ونحوه على ان الفقه لغة الفهم وقد قيل
هو العلم كما مر فى مقدمة الكتاب • واذا قرات القران جعلنا بينك وبين

الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا قيل ساترا فلا يرونك ليؤذوك اذا
ارادوا وقيل مستورا عن اعين الناظرين وهو اما خلق الصوارف فى قلوبهم
عنك او ملائكة يسترونك عنهم كما ستره ملك عن ام جميل امراة ابى لهب
حين جاءته وهو فى المسجد لتؤذيه • وجعلنا على قلوبهم اكنة الاية هذه
الاكنة والوقر فى اذانهم اما حسية او عقلية بخلق الصوارف عن اتباع
القران كما مر فى ختم الله على قلوبهم • وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا الاية
تضمنت انكارهم للبعث بشبهتهم السابقة فى سورة النحل • فسيقولون
من يعيدنا قل الذى فطركم اول مرة هذا جوابهم عن انكار البعث باثباته
والاستدلال عليه بقياس الاعادة على الابتداء اول مرة بجامع الامكان والقدرة
على كل ممكن فيهما • قل عسى ان يكون قريبا ليس فيه تحديد لوقت قيام الساعة
اذ القرب امر اضافى فالف سنة قريب بالاضافة الى عشرة الاف سنة
وبعيد بالنسبة الى مائة الف سنة ومائة الف سنة قريب بالاضافة الى الف
الف سنة بعيد بالنسبة الى عشرة الاف الف • يوم يدعوكم فتستجيبون
بحمده اعلم ان الاجساد للارواح كالثياب للاجساد وكما ان جماعة عراة
اذا صاح بهم صايح بادر كل منهم الى ثوبه فلبسه ثم اجاب الصايح كذلك
الموتى تتجرد ارواحهم ثم تبلى اجسادهم فاذا اريد بعثهم اعيدت الاجساد
كما كانت وقد دللنا على امكانه ووقوعه ثم بادر كل روح الى جسده فلبسه ثم
اجاب داعى البعث وكما خلق الله عز وجل الجسم بالتطوير والتصوير من
نطفة ثم علقة ثم مضغة الى اخرها فهو قادر على اعادته بدون ذلك
كما انه خلق بنى ادم بالتطوير ومن قبلهم خلق ادم بدونه فالقدر المشترك
فى ذلك كله وغيره هو القدرة التامة وما زاد فهو كالالات لا ينبغى ان
يوقف معه فهذه حقيقة البعث ان شاء الله عز وجل • ربكم اعلم بكم
ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم الاية موردة لزناد الجبرية حيث قالوا
انه عز وجل علم انه لو فوض الى العاصى عمله لكان معصية فجبر على ما لو
فوض اليه لفعله كما تقرر فى المقدمة وبيانه من الاية ان المعنى الظاهر منها
ربكم اعلم بكم لو فوض اليكم خلق افعالكم ماذا كان يكون فهو يرحم ويعذب
بحسب ذلك العلم • ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية دلت على ان
بعضهم افضل من بعض فى الحقيقة واما نحن فنهينا عن التفضيل بينهم
لما عرف من ايهام ذلك غضا من المفضول فقد جاء فى الحديث لا تفاضلوا
بين الانبيا • قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا
تحويلا هو من ادلة التوحيد ونفى الشرك وقد سبق نظيره فى غير موضع • اولئك

الذين يدعون الاية معناه ان الهتكم التى تدعونها شركاء عبيد لله عز وجل مثلكم
يطلبون القرب اليه ويرجونه ويخافونه ولا شئ ممن هو كذلك بالاله • ويرجون
رحمته ويخافون عذابه اعلم ان بعض علماء الظاهر ينكر على بعض اهل العمل
قوله لست اعبد الله عز وجل رجاء جنته ولا خوفا من ناره والتحقيق ان الجزم
فى هذا باحد الطرفين اعنى الجواز والمنع مطلقا خطأ بل الحق التفصيل وهو
ان من قال هذا القول اظهارا للاستغناء عن فضل الله ورحمته وجراءة
عليه فهو مخطى كافر ومن قاله لاعتقاده ان الله عز وجل اهل للعبادة لذاته
حتى لو لم يكن هناك رحمة ولا عذاب ولا جنة ولا نار لكان اهلا ان يعبد فهو
محقق عارف وتحقيق ذلك ان للحق عز وجل صفتى جلال وجمال فلو انتفى
الخوف من جهة صفة جلاله لوجبت عبادته لما هو عليه من الكمال من صفة
جماله • وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون الاية تضمنت
الجواب عن استعجال الكفار الايات فى اول الامر وقولهم لولا انزل عليه اية
لوما تاتينا بالملائكة ونحوه وتقريره انه لم يمنعنا من تعجيل الايات الا
الابقاء عليكم اذ جرت عادتنا ان من كذب باياتنا اهلكناه كما كذب بها
الاولون فاهلكناهم فاخرناها عنكم مدة لعلكم تراجعون الحق فلما اصروا
على كفرهم جاءتهم الايات كانشقاق القمر وامساك المطر وتسليم الحجر والشجر
ونحوها فلزمهم بها الحجة ثم اهلكوا سنة الله التى قد خلت من قبل • وما
نرسل بالايات الا تخويفا يحتج به من زعم ان لا عذاب فى الاخرة وبقوله
عز وجل ذلك يخوف الله به عباده قالوا لان هذه الاية دلت على ان ما ثم الا
التخويف اما ايقاع ما وقع به التخويف فلا وجوابه ان هذا الحصر ممنوع بل
هناك تخويف وهو لا ينافى وقوع ما خوف به وقد صرحت به النصوص
فوجب القول به واحتجوا بان العقاب اما للطايع وهو غير مناسب او للعاصى
وهو اما لا لفائدة وهو عبث او لفائدة وهى اما لله عز وجل وهو غنى عما
سواه او للمكلف فهى اما فى الدنيا وقد انقطعت فصارت عدما او فى الاخرة
وهو باطل لان العقاب ضرر محض مناف للفائدة فثبت ان العقاب باطل
لبطلان جميع اقسامه واحواله وجوابه من وجوه احدها ان هذا مخالف
للنصوص القاطعة واجماع العلماء فلا يلتفت اليه ولا يعارض القاطع الثانى
ان العقاب لفائدة وحكمة استاثر الله عز وجل بها ولا نسلم ان العقاب
ينافى الفائدة كما فى تاديب الصبى ونحوه الثالث ان العظمة الالهية لذاتها
تقتضى العقاب على المعصية الرابع ان ما ذكرتموه منتقض بالام الدنيا
ومصائبها ومحنها هى ضرب من العذاب وهى اما للطايع او للعاصى الى اخر

ما ذكرتم فيلزم ان تكون منتفية وهو باطل لا يقال محن الدنيا تعوض عنها
بخلاف عقاب الاخرة لانا نقول العوض عندنا غير لازم بل لله عز وجل ان يولم
ويهلك ويمتحن بما شاء من غير تعويض وحينئذ جوابكم عن بلاء الدنيا هو
جوابنا عن عذاب الاخرة • وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس يحتج
به الجمهور على ان الله عز وجل يريد ويقصد فتنة بعض الناس واضلاله
وينصب لهم شراك ذلك وهذه الرؤيا هى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم
شجرة الزقوم فى النار فاخبر بها الكفار فكذبوا وقالوا النار تاكل الشجر
فلا يكون فيها شجر وهو غلط منهم لجواز ان يخلق فى النار ضعف عن اكل
الشجرة او فى الشجرة قوة على الثبات فى النار وهذا السمندل طائر يعيش فى
النار فالشجرة اولى • والشجرة الملعونة فى القران هى عند الجمهور شجرة الزقوم
كما ثبت فى الحديث وعند الشيعة هى شجرة بنى امية لما صدر عنهم من قطع
ارحام بنى عبد المطلب وقاطع الرحم ملعون بالنص والاجماع ولما ورد فى
السنة ان النبى صلى الله عليه وسلم توفى وهو غير راض عن ثقيف وبنى حنيفة
وبنى امية والاشبه الاول لان الشجرة فيه على حقيقتها وهى على الثانى مجاز
والحقيقة اولى • وشاركهم فى الاموال قيل بالزنا • والاولاد قيل بالحنث
فى طلاق الزوجات وقيل بمشاركة الرجل فى وطى امرأته اذا لم يسم عند الجماع
روى عن ابن عباس ان الرجل اذا جامع ولم يسم قعد الشيطان على فخذه ينكح
معه ويقوى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لو ان احدهم اذا اتى اهله قال
بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضى بينهما
ولد لم يضره الشيطان حديث صحيح ومفهومه انه اذا لم يسم فقضى بينهما
ولد ضره الشيطان ولا ضرر ابلغ من ان يشاركه فيه • ان عبادى ليس لك
عليهم سلطان اى عبادى المخلصين الخواص عندى المختصين بعنايتى
ورعايتى لا سلطان لك عليهم وحينئذ ادعت الشيعة ان من ابغض عليا
فهو ولد زنا وهو ابن الشيطان لان عليا لا يبغضه الا منافق بالنص الصحيح
والمنافق ليس من عباد الله الخواص المنفى عنهم سلطان الشيطان فهو من
العباد المبعدين عن الله المستولى عليهم سلطان الشيطان فالمنافق داخل
تحت سلطان الشيطان ومن سلطان الشيطان عليه مشاركته لابيه فيه
كما سبق فمبغض على يشارك الشيطان فيه فهو ولد زنا وابن الشيطان ثم
اكدوا ذلك بما ذكره القرطبى فى تفسيره من حديث الاعمش عن ابى وايل عن
عبد الله بن مسعود قال بينا على بن ابى طالب يمشى فى بعض سكك المدينة
عرض له ابليس فهم على بقتله ليريح الناس منه فقال له ابليس مهلا ابا الحسن

ما هذا جزائي منك فقال واي جزاء لك عندي يا ملعون قال والله ما ابغضك
احد الا وقد شركت اباه في امه وهذا من الشيعة تعريض بالخوارج والنواصب
واجاب الجمهور عن هذا بان قالوا نحن نحب عليا ولا نبغضه فلا يلحقنا مما
قررتموه معرة نعم انتم اولى بما ذكرتم لانكم ترون اباحة المتعة وهي زنا
واكثركم او كثير منكم مولود منها ٠ واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون
الا اياه هذا من ادلة التوحيد كما سبق في اياه تدعون ونحوه ٠ ام امنتم ان
يعيدكم فيه تارة اخرى اي في البحر وهذا مما يحتج به على ان كسب الانسان مخلوق
لله عز وجل والانسان مجبور لان الله عز وجل نسب اعادتهم الى البحر اليه ع
شاؤا ام ابوا وذلك انما يكون بما يجبرهم به على ذلك من خلق الدواعي
والصوارف فان الانسان يرى من هول البحر ما يرعجه جدا حتى يعزم وربما
حلف الايمان المغلظة انه لا يعاود ركوبه ثم يكذبه الله عز وجل ويزعجه ويضطره
الى ركوبه خاسئا مخشوشا بخشاش القدر كالجمل الذلول لا يمكنه ان يمتنع وهو
دليل على ما ذكرناه ٠٠ ولقد كرمنا بني ادم الاية يحتج بها من فضل الملائكة
على بني ادم لانهم انما فضلوا على كثير من المخلوقات لا على جميعها والاجماع
على تفضيلهم على من عدا الملائكة فدل هذا على انهم لم يفضلوا على الملئكة
ثم اذا انضم الى هذا الحديث الصحيح ومن ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير
منهم تم الاستدلال على ان الملائكة افضل من بني ادم ٠ ولولا ان ثبتناك
لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا ههنا مسائل الاولى ان العصمة تثبت وصرف
عن المعصية بما يخلق في النفس من شدة الخوف وغيره من الاسباب بدليل
ولولا ان ثبتناك والا تصرف عني كيدهن وليست العصمة امتناع وقوع
المعصية عقلا والا لما ظهرت فضيلة التقوى ابدا ولتعذر ابتلاء احد
بالمعصية اذ الممتنع عقلا لا يدخل تحت المقدورية الثانية ان عصمة
الانبياء انما هي من وقوع المعصية والكفر لا من جواز ذلك لان الله عز وجل
اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم انه هو الذي ثبته عن الركون الى الكفار بالافتراء
على الله بغير ما انزل وانه لو لم يثبته لركن اليهم ثم لاصابه العذاب المضاعف
وذلك قاطع فيما ذكرنا الثالثة تفاوت الناس في المعصية بحسب مراتبهم
بحيث يستكثر من بعضهم قليلها لان الله عز وجل اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم
انه لو ركن اليهم شيئا قليلا لاذاقه عذابا مضاعفا ولقائل ان يقول ان ذلك
الركون القليل لو وقع لكان كفرا عظيما اذ هو افتراء على الله عز وجل والكفر
العظيم لا يستقل منه شئ قوله عز وجل ٠ ويسئلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي يحتج به من يرى قدم الروح وقرروه بان الروح من امر الله وامر الله

قديم فالروح قديم اما الاولى فلصريح هذه الاية واما الثانية فلما سبق في قوله
عز وجل الا له الخلق والامر واجيب عنه بان الامر مشترك بين الكلام والفعل
والخلق وغيرها فهو مجمل ويكفي ذلك في سقوط الاستدلال به ثم انا نقول
الروح من امر ربي اي من خلقه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم خلق الله الارواح
قبل الاجساد بالفي عام وكانت روح عيسى عليه السلام في تلك الارواح وقوله
صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف والجنود المجندة ليست قديمة ولانه قد سبق الدليل على جسمية الروح
ولا شئ من الجسم بقديم ولانها لو كانت قديمة لزم القول بالحلول او الاتحاد
وتعدد القديم وكل ذلك محال وانما قيل الروح من امر ربي هكذا مجملا لان
اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح سؤال تعجيز وتغليط اذ كان
الروح يقال بالاشتراك على روح الانسان وجبريل وملك اخر يقال له الروح
وصنف من الملائكة والقران وعيسى بن مريم كل واحد من هذه الستة يسمى
روحا فقصد اليهود ان يسألوه فباي مسمى اجابهم قالوا ليس هو الذي
قلت فجاءهم الجواب مجملا كما سألوا مجملا قل الروح من امر ربي وامر ربي يصدق
على كل واحد من مسميات الروح فكان هذا الاجمال كيدا قوبل به كيدهم قوله
عز وجل ٠ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتون
بمثله هذه اعظم ايات التحدي بالقران لان بعض هذا مما يوفره واعي الخصوم
على طلب الاتيان بمثله فلو كان ذلك في وسعهم لفعلوه بالضرورة عادة
لكنهم لم يفعلوا ولم يأتوا بمثله ولا بعشر سور مثله ولا بسورة مثله فدل
على عجزهم عن معارضته مع كثرتهم وتمكنهم في الفصاحة والبيان وذلك
يقتضي كونه معجزا اذ لا معنى للمعجز الا امر ممكن خارق للعادة مقرون بالتحدي
خال عن المعارض وهذه الصفات موجودة في القران فكان معجزا مع ان
المتحدى به ههنا هم الجن والانس وكل ما عجز عنه الجن والانس معجز بالطرد
في معجزات الانبياء وبالعكس في غيرها اذ كل امر غريب ليس بمعجز فان مجموع
الجن والانس لا يعجزون عن مثله ثم ان لليهود والنصارى وغيرهم من
الخصوم شكوكا على اعجاز القران ايرادها يطول وقد افرد في ذلك كتب
وههنا مسئلتان احداهما ان تحدي الجن والانس به يدل على دخولهم تحت
دعوته وانه صلى الله عليه وسلم مرسل الى الجن والانس اذ لو لم تنتظمهم دعوته
لما تحداهم بكتابه كما لم يتحد به الملائكة والشياطين والبهائم ولان العجز
عن معارضة المعجز كالنكول عن اليمين وذلك مستلزم لحكم الدعوى
الثانية احتج بالاية من راى خلق القران لانها تضمنت اثبات مثل للقران

حيث طولبوا بالاتيان بمثله واخبروا بالعجز عن مثله وكل ما له مثل فهو مخلوق
وسئل بعضهم ما الدليل على خلق القران فقال قدرة الله على مثله ومعناه ان
الله عز وجل ان لم يقدر على مثل القران لزم التعجيز وان قدر على مثله لزم انه
مخلوق والاول محال فالثانى حق ولان القران معجز نبوى وكل معجز نبوى
مخلوق اما الاولى فاجماعية واما الثانية فاستقرائية لاستقراء التام
اذ معجزات الانبياء عليهم السلام كلها مخلوقة كالعصى واليد البيضاء واحياء
الموتى والناقة وغيرها وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبى يتوقع له معجز
قديم ينخرم به هذا الاستقراء فوجب العمل بمقتضاه واحتج القايلون بقدم
القران بان جميع معجزات الانبياء لم يتحد بها الجن مع الانس الا القران وانما
ذلك لكونه قديما وبقوله صلى الله عليه وسلم ما من نبى من الانبياء الا وقد اوتى
ما امن على مثله البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا وانما اشار بذلك الى
الفرق بين معجزه ومعجز غيره بالقدم والحدوث ولان القران معجز باقى
وغيره من المعجزات فان لم يبق الا ذكره فدل على قدم القران وحدوث غيره
وقد سبق فى هذا المعنى كلام من الطرفين • قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا
رسولا اى ليس امر الايات التى اقترحتموها الى انما على البلاغ وما كان لرسول
ان ياتى باية الا باذن الله • قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين
الاية اى لم تستغربون ان يبعث الله اليكم بشرا رسولا فان الحكمة لا تقتضى
الا ذلك ان يرسل البشر الى مثله اما ارسال الملك الى البشر فيبطل حكمة الارسال
اذ يصير الايمان برؤية الملك اضطراديا والحكمة تقتضى الايمان الاختيارى حتى
لو كان فى الارض ملائكة ساكنون مقيمون فيها لارسلنا اليهم ملكا من جنسهم
اذ الحكمة لا تنافى ذلك لان ايمان الملائكة بملك منهم لا يصير اضطراريا يخل
بحكمة الارسال اذ نسبتهم اليه نسبة البشر الى الرسول البشرى ودلت الاية على ان
الارض ليس فيها ملائكة يمشون مطمئنين اى قاطنين بها كالانس وعلى ان
فيها ملائكة يمشون لكن لا مطمئنين قاطنين وشواهده كثيرة • ومن يهد
الله فهو المهتدى الاية يحتج بها الجمهور على رأيهم فى القدر وهو صريح فى انه
يضل بعض الخلق ثم يحشرهم يوم القيمة الى جهنم مع انه فى ذلك ليس بظالم
لهم فدل على ما قلناه من انه عاملهم على ما علم منهم على تقدير التفويض اليهم
وقد حكى ابن خميس فى كتاب مناقب الابرار فى ترجمة الجنيد قال ناظرت قدريا
فاشتد بينى وبينه الكلام وقام مصرا على رأيه فلما كان الليل رايت انسانا
يقول لى يا منكر هؤلاء القدرية ان الله عز وجل علم من عصاة خلقه انه لو
فوض اليهم لعصوه فجبرهم على وفق الواقع منهم لو فوض اليهم ثم عاقبهم على

تقديره

تقدير ذلك او كلاما هذا معناه بعينه وهذا هو سر القدر الذى قررناه فى
المقدمة وكنت اظن ان احدا لم يسبقنى اليه حتى رايت حكاية الجنيد هذه
ائنا لمبعوثون خلقا جديدا هذا انكار منهم للبعث واستبعاد او احالة له
اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم الاية
دليل جواز البعث وتقريره ان خلق السموات والارض اعظم من اعادتكم
وبعثكم فالقادر على ذلك قادر على بعثكم بطريق اولى وانما قلنا ذلك لان خلق
السموات والارض اعظم من ابتداء خلقكم وابتداء خلقكم اعظم من اعادتكم
ينتج خلق السموات والارض اعظم من اعادتكم بيان الاولى قوله تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس بيان الثانية قوله عز وجل وهو الذى
يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وان شئت فاعكس واستدل بالاهون
فقل اعادتكم اهون من ابتدائكم وابتداؤكم اهون من خلق السموات والارض
فاعادتكم اهون من خلق السموات والارض والاهون من الاهون اهون فالقادر
على الاعظم الاصعب يكون على الايسر الاهون اقدر بالضرورة • وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه يحتج به على تحتم الاجل المضروب لا زيادة ولا نقص كما سبق •
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات قيل هى العصا واليد البيضاء والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم وانفلاق البحر • فقال له فرعون انى لاظنك
يا موسى مسحورا اى يخيل اليك اشيا لا حقايق لها تظنها ايات ويحتمل
ان مراده انى لاظنك ساحرا ويصير هذا كما فى حجابا مستورا هل هو فاعل
او على اصله مفعول • قال لقد علمت ضم التاء وفتحها يتخرج على القولين
فى مسحورا ان اريد به المفعول فالمناسب له ضم التاء اى لقد علمت انا
ان هذه ايات حق من حق وما انا بمسحور وان اريد به الفاعل ناسبه فتح
التاء اى لقد علمت يا فرعون انها ايات حق وانى غير ساحر ولكنك
معاند مثبور سيحل بك الثبور وهو الهلاك • قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى يحتج به على ان الاسم غير المسمى كما
مر وعلى تسمية الصفات كالرحمن اسماء اما مجازا لغويا او حقيقة
اصطلاحية كما سبق تقريره فى اخر الاعراف • وابتغ بين ذلك سبيلا
هو من ادلة التوسط بين الطرفين وذم الانحراف الى احدهما وقد سبق اخر
وهو ولا تبسطها كل البسط وبقى اخر فى الفرقان لم يسرفوا ولم يقتروا • وقل
الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الاية فيه نفى الولد والشريك والولى من الذل
اى الناصر ويجيب به الجمهور عن قوله صلى الله عليه وسلم فى على انه منى
وانا منه وهو ولى كل مومن بعدى اى ناصر كل مؤمن وكذلك يقولون

الكهف

فى قوله من كنت مولاه فعلى مولاه وهو بعيد من السياق والظاهر القول
فى سورة الكهف الذى انزل على عبده الكتاب يحتج به على انه منزل غير مخلوق
وقد سبق • ولم يجعل له عوجا وكذلك قرانا عربيا غير ذى عوج قيل ليس بمخلوق
واجيب بان المراد انه مستقيم الطريقة لا ضلال فيه ولا اعوجاج عن الحق
وما ادعيتموه من عدم الخلق ليس نصا فى الاية ولا ظاهرا ولا تفسيرا لها
عمن يعتد به متواترا • لينذر باسا شديدا فيه تعليل الافعال الالهية كما
سبق • ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات هذا ادل على تغاير
الايمان والعمل الصالح من ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لان صفة
المومنين ههنا بعمل الصالحات مستقلة وهناك صلة معطوفة على
صلة فلا استقلال لها • كبرت كلمة تخرج من افواههم تعظيم للقول باتخاذ
الولد وتكذيب لهم فيه • لنبلوهم ايهم احسن عملا تعليل للفعل الالهى بحكمة
الابتلاء • فقالوا ربنا رب السموات والارض هذا استدلال بالنظر على وجود
الصانع لان السموات والارض خلقان عظيمان فى العقل يلزمهما وجود مؤثر
فينتقل العقل منهما اليه انتقالا من الملزوم الى اللازم وهو ضرورى وقد
سبق تقريره غير موضع • لن ندعوا من دونه الها هذا توحيد ودليله
قولهم • هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين
وتقريره ان السموات والارض دليل على اله قديم كامل وغيره مما اتخذ
الهة لا دليل عليه وما لا دليل عليه لا يثبت اذ عدم الدليل على الشئ كدليل
عدم الشئ كما ان عدم البينة كبينة العدم فكان اهل الكهف تمسكوا على
نفى الاله الثانى باستصحاب الحال وراوه كافيا فكانهم قالوا قد ثبت
لنا بدلالة السموات والارض على صانعهما اله فمن ادعى ثانيا فصاعدا فعليه
الدليل ويحتمل انهم اشاروا بذلك الى طريقة المتكلمين فى نفى ما سوى الله
عز وجل الها وتقريرها ان الاله من حيث هو اله قد ثبت وهو يصدق بواحد
فاثبات الثانى ليس اولى من ثالث ورابع الى ما لا نهاية له وحينئذ اثبات
ما فوق الاله واحد من هذه الاعداد والمقادير ترجيح بلا مرجح وانه محال
ولعلهم الى هذا اشاروا بقولهم لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا
شططا اى بعيدا محالا للزوم الترجيح بلا مرجح منه • من يهدى الله فهو
المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا يحتج به الجمهور على مذهبهم
وهو صريح فيه • وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة
لا ريب فيها جعل ايقاظهم من نومهم الطويل دليلا على البعث عن الموت
لان النوم اخو الموت بجامع تعطل الحس غير ان الموت نوم ثقيل والنوم موت

خفيف

خفيف ومن ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وحكى
عن المسيح انه كان يقول يا بنى اسرائيل كما تنامون تموتون وكما تستيقظون
تبعثون كل ذلك اشارة الى تقارب النوم والموت ولهذا سئل النبى صلى الله عليه وسلم
اَفى الجنة نوم قال لا لان النوم اخو الموت وفى الاثر عجبت لمن ينكر البعث وهو كل
يوم يموت ثم يبعث فاما قول ابى الطيب •

• تمتع فى حيوتك من رقاد • ولا ترجو كرى تحت الرجام •
• فان لثالث الحالين معنى • سوى حال انتباهك والمنام •

فاشار الى ان للانسان ثلاثة احوال حال يقظة وموت ونوم فاليقظة والموت
طرفان اذ اليقظة عبارة عن حال تعلق النفس بالبدن مستعملة للحواس والموت
عبارة عن حال انقطاع تعلق النفس بالبدن انقطاعا كليا من كل وجه
ويلزم ذلك تعطل الحواس لعدم تعلق النفس المستعملة لها واما النوم فواسطة
بينهما لان النفس لا ينقطع تعلقها بالبدن فيه مطلقا بل من وجه وهو انها
تغتنم ركود الحواس بالنوم فتتوجه الى عالم الغيب لاقتناص العلوم الغيبية
مع التفاتها الى الجسد وعزمها على معاودته اذا اقضت اربها من عالمها
فصار لثالث الحالين وهو الموت الذى هو ثالث لحالتى النوم واليقظة معنى
يخالف معنى النوم واليقظة فالنوم اشبه الموت بجامع التفاتها الى عالمها
ومفارقته واشبه الحيوة من جهة تعلق همتها بالجسد وان شئت قلت اليقظة
بقاء الحس والحركة والموت تعطلهما جميعا والنوم تعطل الحس دون الحركة
اذ هو يتحرك متقلبا من جنب الى جنب فبتعطل الحس اشبه الموت وببقاء
الحركة اشبه اليقظة والسر فى ذلك غريب عجيب ومن ثم كان من ايات الله
عز وجل اذ يقول ومن اياته منامكم بالليل والنهار • ولا تقولن لشئ انى
فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله هذا ضرب من التوحيد لان من علم ان لا
تصرف له فى نفسه وان التصرف لله عز وجل فيه وفى غيره من العالم على
الاطلاق وانه مصرف تحت مشيته لا يستطيع حركة ولا سكونا الا باذنه
وارادته كان فى ذروة من التوحيد وعكسه من اعتقد انه يفعل ما اختار
من غير توقف على ارادة القادر المختار فذلك من المشركين الكفار اما
حقيقة كعبدة الاوثان او مجازا كالقدرية المحادين للرحمن ومن ثم قال
الفقهاء اذا حلف على يمين فقال ان شاء الله فان شاء فعل وان شاء ترك
ولا حنث عليه لانه اعطى المشية حقها من الادب بخلاف ما اذا لم يستثن
فانه تالى فاكذب ثم بالكفارة عوقب وقد عود بعض الناس انه اذا قال
افعل كذا ان شاء الله عز وجل وفق لفعله غالبا والا فلا • ولا تطع من

اعفلنا قلبه عن ذكرنا يحتج به الجمهور في ان الله عز وجل هو الذي يغفل من شاء
عن ذكره ويضله وينسيه ونحو ذلك وتاوله المعتزلة على معنى اصبناه غافلا
على ما عرف من تاويلهم • وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
يحتج به المعتزلة على ان العبد مختار تام الاختيار لانه خيره بين الايمان و
والكفر وعلق ذلك بمشيته فلو لم يكن والحالة هذه مختارا لكان ذلك تكليف
ما لا يطاق اذ حاصله انه يتوعده توعد مختار ويسخره تسخير مجبر مكره
والجمهور تاولوا هذا على انه امر تهديد نحو اعملوا ما شئتم والالزام باق عليهم
اذ لو لم يكن مختارا لما تهدده وليس لهم الا الرجوع الى اصلهم من انه مختار من
حيث الكسب مجبر من حيث خلق الفعل فيه على وجه لا يمكنه التخلص منه
او على تفويض الجبرية وهو ان هذا التخيير على تقدير ذلك التفويض اي لو فوض
اليه التفويض التام حتى كان مختارا بالحقيقة لكان منه ما وقع بالجبر من
خير او شر وايمان او كفر • انا لا نضيع اجر من احسن عملا يحتج به المعتزلة
في ان ثواب الاعمال اجر عليها للنص على ذلك ويلزم ان تكون اعمالهم اثرا
لهم يعاوضون عنها بالاجر والا لكان العوض والمعوض عنه من جهة واحدة
وانه محال وقد سبق هذا وجوابه من جهة الجمهور وان الاجر تفضل من الله
عز وجل على كسبهم وتسميته اجرا لا نضيع مجازا • وما اظن الساعة قائمة
هذا انكار للبعث قال له صاحبه وهو يحاوره اي يجادله فيه مشروعية
الجدال لاقامة الحق وازالة الضلال وجوبا او ندبا على حسب الحال اكفرت
اشارة الى ان انكار البعث كفر • بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم
سواك رجلا استدلال على جواز البعث بالقياس على الابتداء كما بداكم
تعودون • لكنا هو الله ربي اي لكن انا فاختصر وادغم حتى قيل لكنا هو
الله ربي توحيد • ولا اشرك بربي احدا نفي للشرك وقد سبق دليلهما ويأتي
منه اشيا ان شاء الله عز وجل • ما شاء الله لا قوة الا بالله توحيد في المشية
والقوة • ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا هذا ندم على الشرك وقع من هذا
الشخص المعين وفيه اشارة الى ان كل مشرك سيندم في الاخرة اذا حرم الجنة
ودخل النار وهم جديرون بذلك فنسأل الله عز وجل الثبات والعصمة والدخول
في كنف الرحمة ويقال ان هذين الرجلين المتحاورين هما المذكوران في الصافات
القايل احدهما للاخر تالله ان كدت لتردين • ويوم نسير الجبال الاية هذا
من مقدمات الساعة وهو ممكن غير انه بعيد في قوة البشر وان اردت تقريبه
فانظر الى الغمام المطبق للفضا كيف يسير وهو كالجبال او قريب منها وحشرناهم
الايتين اخبار بالحشر والعرض على الله عز وجل واجب الوقوع اذ كان خبر معصوم

من الكذب • ووضع الكتاب الاية فيه الحساب والمقابلة بصحايف الاعمال
اخذا باليمين والشمال • لا يغادر صغيرة ولا كبيرة قيل هما التبسم والضحك
وقيل الذنب الصغير كالكذبة والكبير كالقذف • ووجدوا ما عملوا حاضرا اي
تحريره وضبطه • ولا يظلم ربك احدا يحتج به المعتزلة وحجتهم منه وجوابها
معروف كما سبق وهذه جملة من احكام اليوم الاخر يجب تسليمها والايمان بها لانها
ممكن اخبر به الصادق وكل ما كان كذلك فهو واجب الوقوع فيجب الايمان به
الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه اختلف فيه فقيل كان من طائفة
من الملائكة يسمون الجن كما ان فيهم طائفة يسمون الروح وقيل هو من الجن
المعروفين المخلوقين من نار وهو اشبه لوجوه احدها قوله خلقتني من نار
مع قوله عز وجل والجان خلقناه من قبل من نار السموم وخلق الجان من
مارج من نار مع قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور وهذا
يقتضي انه من الجن الناريين لا من الملائكة النوريين الثاني ان ابليس
له ذرية بدليل افتتخذونه وذريته والملائكة لا ذرية لهم فابليس ليس
من الملائكة والقول بانه منهم لكنه لما ابلس تجدد له النسل ضعيف
الثالث ان قوله عز وجل كان من الجن ففسق شبيه بالتعليل لفسقه بكونه
من الجن من باب اقتران الحكم بالوصف المناسب وهو يقتضي ان الفسق غالب
على الجن او كثير جدا حتى كانهم علة مناسبة لوجوده وليس احد من الملائكة
كذلك الرابع قول الملائكة سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن يقتضي ان الجن غير جنس الملائكة والا لكانوا قد احالوا بالذنب
على انفسهم وهو خلف من الاعتذار الخامس ان الجن عند اطلاقهم يبادر الذهن
الى غير الملائكة وهم الجن الناريون وهو دليل الحقيقة المرادة • فظنوا انهم
مواقعوها اي علموا وتيقنوا وهو من استعمال الظن في موضع اليقين بقرينة
وكان الانسان اكثر شيء جدلا هذا ذم للجدل لا مطلقا بل اذا عاند الحق لان
الكافر ضربت له امثال الحق ونظمت له براهين الصدق فعاند وجادل
بالباطل ليدحض به الحق يجادلونك في الحق بعد ما تبين • انا جعلنا على
قلوبهم اكنة الاية سبق نظيرها في سبحان • وان تدعهم الى الهدى فلن
يهتدوا اذا ابدا لما صرفوا به عن اتباع الحق مما خلق في قلوبهم من دواعي
الضلال والصوارف عن الهدى • واتخذ سبيله في البحر عجبا يعني الحوت
قال ذلك ما كنا نبغ يستدل به على كون العلة الشرعية عدمية بطريق اولى
اذ كان ذهاب الحوت وانعدامه من حيث فقده علامة على وجود الخضر
الذي طلباه • وعلمناه من لدنا علما اي من عندنا وهذا هو متعلق الصوفية

واهل السلوك فى اثبات العلم اللدنى نسبة الى لدنا وهو الهام المعرفة بالحقايق
الغيبية وغيرها ثم ان العلم اللدنى اذا تقدمه استعداد بالعلوم النظرية اقوى
مما اذا ورد على النفس غير مستعدة والخضر عليه السلام كان قد تقدم له استعداد
بذلك على ما حكى فى قصته ومبدا امره فلهذا كان علمه اللدنى عالى الطبقة بحيث
صلح به ان يكون معلما لموسى الكليم عليه السلام فان قيل سائر علوم الناس من لدن
الله عز وجل وعنده فما وجه تخصيص بعض العلوم باللدنى قلنا اللدنية والعندية
متفاوتة فى مراتب الخصوص فهذا العلم اللدنى خاص الا ترى ان السلطان يعطى
جنده وحاشيته ورعيته ويخلع عليهم على مراتبهم من الصوف الى ثياب الذهب
والجميع من عنده وخزانته فكذلك ههنا • هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت
رشدا فيه استحباب طلب العلم حتى للعالم زيادة على ما عنده والسفر فى طلبه
وسؤال المشايخ الصحبة لذلك اقتداء بموسى عليه السلام • قال انك لن تستطيع
معى صبرا الايتين فيه جواز الاعراض عن صحبة المريد والتلميذ اذا علم ان
الطريق صعب عليه وطى الاسرار عنه لذلك والاقتصار به على ما يطيق من ذلك
الطريق اقتداء بالخضر وهو من سياسة المشايخ والعلماء للمريدين والطلبة
وفى الاثر حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله • قال ستجدنى
ان شاء الله صابرا فيه استحباب تعليق الامور المطلوبة والاراجى ونحوها بالمشية
احترازا من التالى المكذب اقتداء بموسى عليه السلام وبما سبق فى اوائل السورة
فان قيل موسى علق صبره على المشية ولم يصبر وسليمان ترك التعليق فى رجا
حصول الاولاد للجهاد فلم يحصلوا فقد استوى التعليق وعدمه فما فائدته
اذا وجوابه ان التعليق بالمشية ليس موجبا لحصول المطلوب كيف وان مقتضاه
الترديد بين ان يشاء الله فيفعل او لا يشاء فلا يفعل وانما فائدته ان الانسان
اذا تادب مع الله عز وجل بتعليق الامور بمشيته وتقييدها بارادته كان
اجدر بحصول مراده وامنيته على انا لا نسلم ان موسى لم يحصل له ما علق
على المشية فانه كان نبيا ذا كتاب وشريعة وهو امام عدل وحق يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر وانه لما راى الخضر قد خرق سفينة قوم مساكين وقتل غلاما
لم يبلغ الحلم اخذ برجل الخضر ليلقيه فى البحر فيقتله بالغلام فلولا ان الله
عز وجل ثبته وصبره لكان قد امضى ما هم به من قتل الخضر كما قتل القبطى
بوكزه فالصبر المهم قد حصل وافاد تعليقه بالمشية ولعله لولا ذلك لم يصبر
ولكان قد قتل الخضر • قال فان اتبعتنى فلا تسالنى عن شئ حتى احدث لك
منه ذكرا فيه استحباب تاديب المشايخ للمريدين بالوصايا الحسنة من ترك
الاعتراض ونحوه والتزام المريد ذلك اذا وثق بحسن طريق الشيخ وسلوكه لمقتضى

وصية الخضر وفيه وفيما بعده جواز الاعتراض على المشايخ فيما يخالف ظاهر الشرع
ممن له ذلك من اولى الامر العام اقتداء بموسى وان فاعل ما يخالف ظاهر الشرع
اذا ادعى ان ذلك جائز فى العلم الباطن ونحوه لا يسمع منه الا بدليل شرعى قاطع
كالنص على الخضر • قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا فيه تقريع المريد وتذكيره
بما يقوى همته على الصبر على صعوبة السلوك لان ذلك اجدر بالوصول • قال
لا تواخذنى بما نسيت فيه ان الناسى معذور وانه ينبغى مسامحته اذ هو غير
منتهك للحرمة ومن ثم ورد شرعنا بالعفو عنه وانه غير مكلف • قال اقتلت
نفسا زكية بغير نفس اشارة من موسى الى ما كان عنده فى التورية ان النفس
بالنفس والى قوله عز وجل من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا
بغير نفس وان موسى كان يتبع نصوص كتابه عاملا بها • قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا هذا تعريض من موسى بالاعتراض والانكار اذ كان قد التزم له تركه
وان لا يصاحبه ان عاوده • قال هذا فراق بينى وبينك وذلك فيه ترتيب
احكام التصريح على التعريض اذا فهم معناه بقرينة لان الخضر رتب على تعريض
موسى بالانكار من مفارقته ما كان التزمه له بالتصريح به • سانبئك بتاويل ما لم
تستطع عليه صبرا فيه استحباب التبرى من التهم واقامة الاعذار بكشف
الاسرار • وكان وراءهم ملك قيل كان خلفهم يطلبهم وقيل قدامهم مرصدا
لهم ووراء مشترك بينهما لانه مشتق من المواراة وكلا الجهتين يحصل ذلك
منه • ونفخ فى الصور فيه اثباته وقد سبق فى الانعام • الذين كانت اعينهم فى
غطاء عن ذكرى فيه وجوب النظر والاستدلال لانه ذمهم على تركه بما خلقه فيهم
من الصارف عنه اذ معناه كانت اعين رؤسهم وقلوبهم معرضة عن النظر
فى ملكوتى ليذكروا بذلك وجودى وجبروتى او لم ينظروا فى ملكوت السموات
والارض ولا يجوز حمل الذكر على اللسانى لانه ليس بالاعين • وكانوا لا يستطيعون
سمعا مثل ما كانوا يستطيعون السمع • افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادى من دونى اولياء اى واسكت عنهم ولا اعاقبهم هذا لا يكون وفيه
تعظيم الشرك قبحا والتوحيد حسنا وهو مثل ان الله لا يغفر ان يشرك به
كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيه اثبات الجنة والمعاد والنعيم الجسمانيين
كما مر • قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى الاية يستدل بها من راى قدم القران
لانها اقتضت ان كلماته عز وجل لا تفنى ولا تنفد وما كان كذلك فهو قديم
واعترض عليه بنعيم اهل الجنة وعذاب اهل النار فانهما لا ينفدان وهما حادثان
وربما فرق بان نعيم الجنة لا ينفد من طرف لا يزال وهو الابد والكلمات لا
تنفد من الطرفين لا تزال ولم تزل وهو الازل وهذا الفرق عين محل النزاع

قل انما انا بشر مثلكم هذا حصر له فى البشرية باعتبار من نازعه فى النبوة وساله
الايات عنادًا ونحوهم واما باعتبار نفسه من حيث هو فلا ينحصر فى وصف البشرية
اذ له صفات اخر ككونه جسمًا حيًا متحركا بشيرًا نذيرًا نبيًا رسولا وغير ذلك و
الحصر يأتى على ضربين مطلقا باعتبار جميع الجهات ومقيدا باعتبار بعضها
كما فى هذه الاية وهذه من مسائل المفهوم الحصرى • انما الهكم اله واحد اثبات
للتوحيد • فمن كان يرجو لقاء ربه يحتج به على الرؤية كما سبق القول
فى سورة مريم فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من ال يعقوب
اعترضت به الشيعة على الحديث الصحيح المشهور ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة قالوا لان زكريا نبى وقد سال
ان يوهب له وارث فوهب له يحيى فورثه وهو يقتضى ان الانبياء يورثون
فيكون الحديث المذكور متروكا لوجوه احدها انه خبر واحد وهو عندهم
غير معتبر الثانى انه على خلاف نص القران القاطع فلا يقبل الثالث ان
العباس وعليًا وفاطمة كذبوا ابا بكر فى روايته اياه كما ثبت فى الصحيحين الرابع
انه متناقض فى نفسه لانه ثبت فى الصحيح ان عليًا والعباس سمعاه من النبى
صلى الله عليه وسلم ثم انهما مع ذلك جاآ يطلبان الارث من ابى بكر ولو كانا
سمعاه لما طلباه من ابى بكر ثم من عمر بعده اذ كان معنى ذلك منهما حينئذ
اعطونا ارث من لا يورث وهو خلف من القول لا ينسب الى رعاة الابل
فضلا عن العباس وعلى فى علمهما وفضلهما وسوددهما واجاب الجمهور
عن الاول بان خبر الواحد عندنا حجة وعن الثانى بان زكريا انما ورث
العلم لا المال فلا يكون الخبر مخالفا للنص وعن الثالث لا نسلم انهم كذبوا
ابا بكر رضى الله عنه سلمناه لكنهم نازعوه اولا لعدم علمهم بالخبر فلما اثبته
لهم بكثرة من رواه من الصحابة كعمر وعثمان وطلحة وسعد وعبد الرحمن وابى
هريرة وعائشة رضوان الله عليهم قبلوه وسلموا له وعن الرابع بانهما نسيا الرواية
فلما تذاكرا تركا المطالبة وحينئذ لا تناقض ويشكل على هذا انه لو
كان كذلك لما كررت فاطمة مطالبة ابى بكر مرارًا ولما طلبه العباس وعلى من
عمر بعد ابى بكر ثم لما منعهما واحتج عليهما بالحديث راياه كاذبا اثما كما رواه مسلم
من حديث مالك بن اوس بن الحدثان البصرى • انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
يحتج به من رأى الاسم المسمى مع قوله بعد يا يحيى فنادى الاسم فدل على انه
المسمى ولا حجة فيه كما سبق ومعناه يا ايها الشخص المسمى يحيى ونحوه
وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا يحتج به من رأى المعدوم ليس بشئ لانه
اخبر ان زكريا قبل وجوده لم يك شيئا وهو حينئذ معدوم فلو كان المعدوم

مريم

شيئا لما صح هذا الخبر واجاب المعتزلة بان معناه لم يك شيئا مذكورا كما صرح به
فى موضع اخر فالمنفى هو المذكورية لا الشيئية وبعض المعتزلة لم يقتصر على ان
المعدوم شئ بل زعم انه ذات وجوهر وعرض وكانهم زعموا ذلك من قبل ان
صدور الموجودات عن عدم محض لا يعقل فاثبتوا فى العدم شيئا يكون مادة
للموجودات وتخيلوا ان المعدومات فى بحر العدم كالجواهر فى قعر البحر مستقررة
فى ذواتها وان غابت عن الحس وهى نزعة فلسفية تلقوها عن الفلاسفة فى
اثباتهم قدم الهيولى وهى المادة الامكانية ولو كان المعدوم شيئا لكان الموجود
لا شئ او لاستوى الموجود والمعدوم فى الشيئية وانه محال • قال رب اجعل
لى اية اى على وجود الولد • قال ايتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا
هذه علامة عدمية وهى نفى الكلام على امر وجودى وهو وجود الولد فيحتج
به على جعل علة الحكم الشرعى امرًا عدميا على الاصح فيه لان علل الشرع امارات
ومعرفات لا موجبات ومؤثرات • فارسلنا اليها روحنا قيل هو جبريل وقيل
روح القدس الذى ايد به عيسى دخل بطنها فتكون منه المسيح وبذلك ضلت
النصارى حيث اشتبه عليهم الملك بالاله واضافة الروح الى الله عز وجل
اضافة تشريف كما سبق • قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا العادة
اطردت ان مثل هذا لا يتكلم • قال انى عبد الله اعتراف بالعبودية خلافا
للنصارى وربما موهوا بانه عبد بناسوته دون لاهوته كما سبق من قولهم وهو
محال • اتانى الكتاب وجعلنى نبيا رد على اليهود حيث انكروا نبوته • وبرا بوالدتى
ولم يقل بوالدى كما قال يحيى تبرية وتنزيها لمريم عما رميت به من السوء وكان
كلامه هذا معجزا خارقا للعادة امن به من امن وكفر به من كفر • ما كان لله
ان يتخذ من ولد سبحانه اى يمتنع ذلك ويستحيل عليه لما مر • اذا قضى امرًا
فانما يقول له كن فيكون اشارة الى ان عيسى مخلوق له لا ولد وفى هذا اشارة
الى ان الولادة تنافى الخالقية بحيث ان الوالد لا يخلق الولد لانه نفى الولدية
واثبت الخالقية فلو جاز اجتماعهما لما قامت الحجة لاحتمال انه ولده وخلقه
وان الله ربى وربكم هذا حكاية قول المسيح وهو تصريح منه بالعبودية وللربوبية
كما سبق • هذا صراط مستقيم يعنى طريق التوحيد • يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر يحتج به على اثبات السمع والبصر لله عز وجل لانه انكر على ابيه عبادة
من لا يسمع ولا يبصر وعرض له بعبادة من يسمع ويبصر وهو الله عز وجل
وليعلم ان المثبت لله عز وجل صفتا السمع والبصر وانه سميع بصير يسمع
ويبصر لا اثبات الجارحة كالعين والاذن والانسان انما يسمع ويبصر بقوة
السمع والبصر لا بالاذن والعين بل هما محل لتلك القوة فنظير تلك القوة فى

حق الله عز وجل تسميها صفة له وهي مجردة من غير جارحة • يا ابت اني قد
جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني فيه جواز بل وجوب تقليد العامي للعالم
الثقة الامين • يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان
وليا جعل مس العذاب سببا لاتباع الشيطان والمراد ان سبق العلم باستحقاق
العذاب موجب للضلال الذي يستحق به العذاب فعلى هذا اذا قيل عصى
فعذب يقال بل عذب فعصى كما سبق من قول القائل وقع فلان فمات فقيل
بل مات فوقع ولعلك تنكر ان تعلق العلم بشئ موجب له فقد سبق ان الارادة
والقدرة لا تتعلقان الا بما يتعلق به العلم ومجموع هذه التعلقات موجبة
لوقوع متعلقها • قال سلام عليك ساستغفر لك ربي هذا وعد بالاستغفار
وفي به في قوله واغفر لابي انه كان من الضالين فلما اصر ابوه وتبين ابرهيم
انه عدو لله تبرأ منه كما سبق • ووهبنا له من رحمتنا اخاه هرون نبيا
وسماه في موضع اخر وزيرا وفي موضع رسولا وكان جامعا للصفات الثلاث
ولكن موسى كان في الدعوة اشهر منه • اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
هل يجوز ان يكون هذا تفسير المنعم عليهم من النبيين في سورة النساء في
قوله عز وجل ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من
النبيين ام هؤلاء اعم والاكثر لتناولهم جميع النبيين والذين في سورة
مريم جماعة منهم فيه نظر • جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب اشارة
الى ان النافع هو الايمان بالغيب اذ العيان لا يكابر الا تراه يقول عباده وهو
وصف مدح اقترن بالايمان بالغيب اللازم من وعده بالجنات وتصديقهم
له وهو يقتضي تعليل مدحهم بايمانهم الغيبي • لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما
استثناء منقطع اذ السلام ليس من جنس اللغو والاستثناء احد المخصصات
للعموم وهو متصل ومنقطع فالمتصل ما كان من الجنس والمنقطع خلافه
هذا المتداول وله تفسير اخر ياتي ان شاء الله عز وجل ذكره في اخر الدخان •
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يحتج به من راى ان في الجنة ليلا ونهارا
ومن انكره احتج بقوله عز وجل لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي ولا قمرا
وهما المصححان لوجود الليل والنهار فاذا انتفيا انتفيا لانتفاء الشئ بانتفاء
علته وتاول هذه على معنى ان رزقهم ياتيهم عند حاجتهم اليه في وقت هو
نظير البكرة والعشي في الدنيا • له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك يحتج
به الجمهور على اثبات زمن الحال اذ هو المراد بما بين ذلك وبقول الشاعر
• واعلم ما في اليوم والامس قبله • ولكنني عن علم ما في غد عمي •
خلافا للفلاسفة فانهم قالوا الزمان اما منقض وهو الماضي او غير منقض

بلغ مقابلة

وهو

وهو المستقبل وقالوا ايضا الزمن اما منتظر وهو المستقبل او لا وهو الماضي
ورد بان غير المنتظر اما حاضر وهو الحال او منقض وهو الماضي وحجتهم
المعتمدة ان الزمان حقيقة سيالة لا تستقر فكلما ادعيتموه حالا ورد عليه التقسيم
الى ماض ومستقبل وحال ويلزم منه تسلسل الاحوال وانقسام الحال الى الماضي
والمستقبل وانه محال والمسئلة مبنية على الجوهر الفرد من اثبته اثبت الحال
ومن لا فلا ومن حجج النحاة ان العرب وضعت لفعل الحال صيغة كما وضعت
لطرفيه ونصت على الحال بالآن كما اخلصت المستقبل بالسين وسوف وزعم
بعضهم ان يفعل مشترك بين الحال والمستقبل وكل ذلك يدل على انهم تصوروا
الحال وعقلوا امكانه بالضرورة حتى وضعوا له واجيب بان ذلك الحال تقريبا
لا تحقيقا واحتج مثبتو الحال بان منكر الحال حال انكاره اما ان يكون في
زمن ماض او مستقبل وهو محال والا لزم عدمه بعدم الماضي او انه لم يوجد بعد
تبعا للمستقبل فتعين انه في زمن بينهما وهو الحال وهذه قوية لا مخلص للفلاسفة
منها • ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا هذا انكار للبعث وجوابه
اولا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا اي كما ابتدأناه عن عدم
نوجده ولو عن عدم وهو قياس الاعادة على الابتداء • وان منكم الا واردها
يعني النار يمر الناس على الصراط وهو كالجسر مقنطر عليها فالمتقي ناج وغيره
هاو فيها • قل من كان في الضلالة الاية يحتج بها المعتزلة اذ نسب الكون
في الضلالة الى الضال ويجاب بان الكون فيها اعم من ان يكون بفعله او بخلق
الله عز وجل وجبره اياه والعام لا يدل على الخاص وكذا الجواب عن قوله عز وجل
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ثم يحتج به من راى الايمان يقبل الزيادة والنقصان
لان الهدى هو الايمان • اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا استدلال بالسبر
والتقسيم كما مر في آلله اذن لكم ام على الله تفترون • وما ينبغي للرحمن ان
يتخذ ولدا هذا وما قبله وبعده دل على استحالة الولد لله عز وجل ومنافاة
الولدية للملكية واستعظام هذا القول جدا وقد سبق جميع ذلك القول
في سورة طه الرحمن على العرش استوى سبق القول فيه • له الاسماء الحسنى طه
سبق ايضا • ان الساعة اتية اكاد اخفيها اي عن نفسي فكيف اظهرها
للخلق وهو معنى علمها عند ربي وعنده علم الساعة • وما تلك بيمينك يا موسى
سؤال تأنيس • قال هي عصاي هذا جواب السؤال وباقي كلامه زائد على الجواب
المطابق استيناسا من موسى ويستدل به على الجواب باكثر مما سئل عنه لفائدة
اما الاستيناس كما ها هنا او زيادة فائدة وتمهيد قاعدة كقوله صلى الله
عليه وسلم حين سئل عن البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته • فالقيها فاذا هي

حية تسعى لا يتين هذا من المعجزات النبوية وتوجيهه عند المتكلمين انه يخلق الحيوة فيها اذا شاء ويسلبها عنها اذا شاء وزعم بعضهم ان العصا كانت من آس الجنة وفيها حيوة كامنة فاذا اريد انقلابها حية ظهرت الحيوة وكمنت الجمادية واذا اريد عودها عصا انعكس ذلك وهو بعيد ولعله ماخوذ من قول اصحاب الكمون عند الاستدلال على حدوث الاعراض والفلاسفة ينكرون قلب العصى حية وصرح لى بعضهم بذلك وجعل يتعجب من تصديقى به • واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى احتجت به الشيعة على ان عليًا هو الامام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرروه بان هذا النص اقتضى ان هرون شريك موسى فى امره والحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم لعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى اقتضى اثبات المنازل الهرونية من موسى لعلى من محمد صلى الله عليه وسلم الا النبوة ومن منازل هرون الشركة فى امر موسى فاقتضى مشاركة على لمحمد فى امره ثم النبى صلى الله عليه وسلم كانت له النبوة والامامة وقد استثنى النبوة عن مشاركة على فيها فوجب ان يكون شريكه فى الامامة لكن قام الدليل وانعقد الاجماع على انه لم يكن شريكه فيها حال حيوته فوجب ان يبقى مقتضى الحديث فيها بعد وفاته لزوال المانع ثم اكد وذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان عليًا منى وانا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى رواه احمد فى المسند من حديث عمران بن حصين وفى كتاب فضايل على من حديث بريدة بن الحصيب وهو وليكم بعدى • الذى اعطى كل شئ خلقه اى خلقته وبنيته • ثم هدى اما بعقل كالعقلاء او بالهام كغيرهم كالنحل فى بناء بيوتها والعنكبوت فى نسجه وغيرهما • قال فما بال القرون الاولى هذا اشارة من فرعون الى انكار البعث والقول بالدهر فاجابه موسى باثبات البعث بقوله • علمها عند ربى اى يعلم تلك القرون علم ضبط اذا جاء وقت اعادتها اعادها وبدليل البعث وهو قوله • وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجًا من نبات شتى اى يخرجهم من الارض كما يخرج منها النبات وهو الدليل العام على البعث فى القران وقد سبق وسيأتى ان شاء الله عز وجل فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى يحتج به من يرى السحر خيالا لا حقيقة له لقوله يخيل اليه والمشهور ان له حقيقة فى الخارج لانه يقتل ولا شئ مما يقتل بخيال او لا حقيقة له وقد اوجب جماعة من اهل العلم منهم الشافعى واحمد القصاص فى القتل بالسحر عمدًا ولولا ان له حقيقة لما فعلوا وقد يقال ان الخيال والوهم قد يغلبان فيقتلان ولا حقيقة لهما خارجية ويجاب بان القتل اثر وجودى خارجى والاثر الوجودى استحال ان يكون

مؤثره عدميًا لاستحالة تاثير العدم فى الوجود • فاوجس فى نفسه خيفة موسى قيل خاف ان يفتتن الناظرون بذلك السحر ويلتبس الامر عليهم فلا يتبين الحق ولا يتمحض وقيل لما اراد السحرة الالقاء سمع موسى هاتفا يقول القوا يا اولياء الله فخاف ان يكون ممكورًا به وان العناية بخصمه دونه وانما سموا اولياء الله باعتبار مآل حالهم كما وقع • ولا يفلح الساحر حيث اتى خبر بحكم عام بعدم فلاحه فى الدنيا والاخرة ما لم يتب ومن ثم كان الساحر شبيهًا بالشيطان خاسئا مذمومًا مدحورًا قبيح السمعة سيئ الحالة والقالة • ولاصلبنكم فى جذوع النخل قيل اى على جذوع النخل وقيل هى ظرفية على اصلها التمكن المصلوب على الجذع تمكن المظروف على الظرف • فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسًا هو من معجزاته ضرب البحر بعصاه فامتنع فاوحى اليه ان اكنه فكناه وقال انفلق ابا خالد وهى كنية البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهرت ارض البحر يابسة ويقال انها ارض لم تر الشمس الا مرة واحدة وهى هذه • فغشيهم من اليم ما غشيهم هذه من الاشارات وجوامع الكلم • واضل فرعون قومه بالكسب والتسبب عند الجمهور وبخلق الضلال عند المعتزلة • وما هدى يحتمل انه تاكيد لمعنى اضلهم ويحتمل ان اضل لما كان فى سياق الاثبات كان مطلقا لا عموم له يصدق بمرة واحدة بين ارادة العموم منه بعموم لازمه وهو سلب الهداية اذ الضلال يلزمه عدم الهدى • وعجلت اليك رب لترضى يستفاد منه ان الامر للفور لان موسى كان مأمورًا بالسعى لميقات ربه ثم انه علل عجلته برضى ربه وجعلها سببًا له واذا كانت الفورية فى امتثال الامر سببًا للرضى كان التراخى سببا للغضب عملا بموجب قياس العكس وغضب الله عز وجل واجب الاجتناب ورضاه واجب التحصيل وسببه فورية الامتثال وسبب الواجب واجب ففورية الامتثال واجبة وهو المطلوب • قال فانا قد فتنا قومك من بعدك يحتج به الجمهور لاضافة الله عز وجل فتنتهم الى نفسه وربما اجيب بان الفتنة ههنا الاختبار لا الضلال اختبرهم فلم يثبتوا على محك الامتحان • واضلهم السامرى يحتج به المعتزلة لاضافة الضلال الى السامرى ويجاب عنه بانه اضيف اليه باعتبار التسبب والكسب وقد سبق فى الاعراف ان موسى قال يا رب هذا السامرى صاغ العجل فمن انطقه قال انا قال فما فتن قومى الا انت ان هى الا فتنتك قال احسنت يا حكيم الحكماء • فاخرج لهم عجلا جسدًا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى يحتج به الاتحادية لان العجل كان جمادًا او انما تحرك وخار لظهور الحق فيه واتحاده مظهرًا له كالصورة التى يظهر فيها للناس يوم القيمة ويؤكد ذلك ان جمعًا كثيرًا من بنى اسرائيل ادركوا بفطرهم

ان هذا هو الاله وهم كانوا اهل التحقيق والمعرفة منهم واجيب بان قبل هذا وبعده
ما يقطع ببطلانه وهو قوله عز وجل انا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم
السامرى فجعل ذلك فتنة وضلالا وهو قول هرون لهم • انما فتنتم به وان ربكم
الرحمن وانتظم الدليل هكذا الرحمن ربكم والعجل ليس بربكم ينتج ان الرحمن ليس
هو العجل وان العجل ليس هو الرحمن ولو صح ما زعمه الاتحادية لكان عبدة العجل
المتوعدون بالغضب والذلة اعرف بالله عز وجل من موسى وهرون وانه محال
افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا يستدل به الصوفية
على ان الله عز وجل متكلم بحرف وصوت لانه دل من باب قياس العكس على ان الله
عز وجل متصف بانه يرجع اليهم القول لو شا وحقيقة ذلك المتعارفة المتبادر
اليها الفهم هو القول بحرف وصوت واجاب الخصم بان حاصل هذا انه استدلال
بالمفهوم وهو ضعيف وانما سلب النطق والكلام عن العجل وذلك لا يقتضى اثباته
لله عز وجل الا بطريق المفهوم ودل على التوحيد بنفى الضر والنفع عن غير الله
عز وجل ونظمه هكذا الاله يملك الضر والنفع والعجل وغيره لا يملك الضر والنفع
فالاله ليس هو العجل فالعجل ليس هو الاله • فاتبعونى واطيعوا امرى فيه ان
الطاعة موافقة الامر • افعصيت امرى يفيد ان المعصية مخالفة الامر
لا الارادة خلافا لما يحكى عن المعتزلة وفيه ايضا ان الامر على الوجوب
والفور اما الاول فلعقاب موسى هرون بالاخذ بلحيته وراسه على مخالفة
امره واما الثانى فلقوله ما منعك اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعنى واذ وقتيه
اى ما منعك حين او وقت ضلالهم من اتباعى لتخبرنى او من سلوك طريقى
فيهم بالردع والمنع والجهاد فعاقبه على تاخير اتباعه عن وقت ضلالهم واخبر
انه بذلك عصى امره • انى خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب
قولى فيه جواز التصرف فى الاحكام والسياسات بحسب رعاية المصالح لان
هرون حصل اعلى المصلحتين عنده وهو جمع بنى اسرائيل وتاليفهم ودفع
اعظم المفسدتين وهو التفريق بينهم وان استلزم ذلك مخالفة امر وارتكاب
نهى وان المتصرف بحسب المصلحة مؤديا للنصيحة معذور واشار هرون بقوله
ولم ترقب قولى الى قول موسى له اخلفنى فى قومى واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
وللشيعة ههنا كلام وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل عليا منه منزلة
هرون من موسى وعلى هو الامام الحق بعده صلى الله عليه وسلم ومقتضى استخلافه
ان يسوس الامة بالاصلح فالاصلح وان يجمعها ولا يفرقها فلما خرج عليه وغدر
به راى الاصلح جمع الكلمة وعدم الفرقة فلذلك لم يجاهدهم معتذرا الى النبى
صلى الله عليه وسلم اذا لقيه يوم القيمة ما اعتذر به هرون الى موسى وهو قوله

انى خشيت ان تقول فرقت بين الامة ولم ترقب مقتضى استخلافى لك من اعتبار
السياسة بالاصلح فالاصلح ويجاب عن هذا بان هذا القياس لا يصح لان موسى
كان منتظرا العودة فاخر هرون الجهاد والانكار حتى يعود فيرى رايه ومحمد
عليه الصلاة والسلام غير منتظر العودة الى الدنيا فقد كان الواجب على على ان
كان هو الامام الحق كما زعمتم ان يجاهد بمن اطاعه وان قل من عصاه وان
كثروا ان كانوا كفارا او بغاة كما قاتل الخوارج واصحاب صفين والجمل والا
لكان تاركا لواجب الجهاد وههنا بحث من الطرفين يطول • قال فما خطبك
يا سامرى قال بصرت بما لم يبصروا به الاية فيه ان الاطلاع على اسرار القدرة
والكشف عن غرائب الحكمة يختص به قوم دون قوم وان الاختصاص بذلك قد
يكون معجزا وكرامة لنبى او ولى وقد يكون فتنة واستدراجا كما فى السامرى
وبلعام الذى قال فيه تعالى واتل عليهم نبأ الذى اتيناه اياتنا فانسلخ منها
فلا ينبغى لاحد ان يغتر بما كوشف به من الاسرار والحقايق لما ذكرنا بل
ينظر فى حال نفسه فان كان موافقا للشرع رجا خيرا وخشى المكر الخفى وسوء
العاقبة وان كان مخالفا للشرع فليحذر وليرتدع وليعلم انه ممكور به ثم لا
ييأس من اللطف والتدارك فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
والذى بصر به السامرى هو ان جبريل عليه السلام كان يوم غرق فرعون وقومه
على حجرة تسمى الحيوة مهما وطئت شيا تحرك حيا تحت حافرها فالهم ان تراب
حافرها يفيد الجمادات حيوة فلما صاغ العجل وقد كان اخذ من ذلك التراب
شيا القاه عليه فتحرك وخار وصار عجلا جسدا له خوار فذلك معنى قوله
فقبضت قبضة من اثر الرسول اى من اثر حافر فرس الرسول • فنبذتها
اى على العجل لما صغته • وكذلك سولت لى نفسى اى الهمت وخطر لى فكان
ذلك التراب اكسير الحيوة كاكسير الذهب ويحتج بهذا اصحاب الكيميا لان
الجماد اذا جاز ان ينتقل الى الحيوان بجوهر يضاف اليه فانتقاله الى رتبة
اخرى من رتب الجماد بجوهر يضاف اليه اولى بالجواز • وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه الاية انما سمى العجل الها باعتبار اعتقاد
السامرى وتهكما به واحرقه ونسفه فى البحر تحقيقا لما سبق من انه لا يملك
ضرا ولا نفعا لنفسه فكيف لغيره ويلزم ذلك انه ليس باله لما مر • وقد
اتيناك من لدنا ذكرا اى كتابا وقرانا • من اعرض عنه الاية فيه ايجاب
الايمان بالقران واتباعه بدليل الوعيد على الاعراض عنه وفيه وفيما بعده
اثبات القيمة والصور والحشر ونحوه من احكام اليوم الاخر • وكذلك انزلناه
قرانا عربيا يحتج به من راى ان لا معرب فى القران وهو ما اصله اعجمى ثم عرب

ولا لما كان جميع القران عربيًا وهو خلاف ظاهر الاية واجيب بان الاية عام
مخصوص بما ثبت تعريبه كالسجيل والقسطاس والمشكاة ونحوه او عام اريد
به الخاص وهو اكثره اى وكذلك جعلنا اكثر القران عربيًا اولان المعرب فيه استولى
عليه لسان العرب فصار عربيًا حقيقة او حكما كما ان ابليس وان كان من الجن
غلب عليه حكم الملائكة حتى تناوله امرهم بالسجود لادم والشئ قد ينتقل عن
حكمه الاصلى بالغلبة الطارية عليه • وقل رب زدنى علما دليل على شرف العلم
وانه انما يحصل بتعليم الله عز وجل كشفا او الهاما او توقيفا لاسباب التعلم
وهذا من خواص العلم على المال ان العلم تحمد الزيادة منه والمال تكره الزيادة
منه • ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى اى ترك العهد وقيل هو نسيان حقيقى
ورد بانه لو كان كذلك لما عصى ولا عوقب لرفع حكم النسيان فى موجب العدل
ولم نجد له عزما اى على رعاية العهد وحفظه كقوله وما وجدنا لاكثرهم من
عهد • فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اشارة الى تحمل الرجل مؤنة المرأة
لتخصيصه بالشقاء دونها ولم يقل فتشقيا وهذا شبيه بدلالة المفهوم
وهو اختصاص الشئ بالحكم لتخصيصه بالذكر • ان لك ان لا تجوع فيها
ولا تعرى قرن بينهما لان الجوع عرى الباطن وخلوه كما ان عدم الثياب عرى
الظاهر • وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى لان الضحا هو البروز للشمس ظما الظاهر
والظما ضحا الباطن بجامع لحوق الحرارة لهما • وعصى ادم ربه فغوى يحتج به
من راى ان الانبياء غير معصومين من الكبائر لان هذه كانت كبيرة من ادم
ولذلك سميت غيا وهو الضلال وعوقب عليها بالاخراج من الجنة واجيب
بان ادم لم يكن حينئذ نبيا فهو فى ذلك كبنى يعقوب فيما فعلوا وحينئذ
لاية خارجة عن محل النزاع • ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا
يحتج به على عذاب القبر وتقريره ان للانسان ثلاثة احوال معاشه فى
الدنيا ومعاده يوم الحشر وما بينهما وهو البرزخ فى القبر وليس المراد
بالمعيشة الضنك المعاش فى الدنيا لئلا يخالف الخبر المخبر اذ اكثر المعرضين
عن الايمان والذكر فى اوسع معيشة ولا معادة يوم الحشر لتعقيب المعيشة
الضنك به وهو دليل التغاير فتعين ان المراد ما بينهما وهو حاله فى القبر
وسماها معيشة لانه لا يدرك عذاب القبر الا وهو حى فهو يعيش عيشا نكدا
فيه • قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اى فتركتها واعرضت عن الايمان بها
هذا معناه لان الكلام فيمن اعرض عن الذكر المقابل لمن اتبع الهدى وقد يستدل
به على تحريم ترك القران ووجوب دراسته وحفظه ولعمرى انه واجب غير انه
ليس مراد الاية الا ان تحمل على حقيقتها فى النسيان ومجازها فى الترك والاعراض

عن

عن الايمان فيصح وفيه من الخلاف ما ذكر فى او لامستم النساء • الى ما متعنا به
ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه فيه تعليل تمتيعهم بفتنتهم
وهو تعليل للفعل الالهى واضافة الفتن الى الله عز وجل وقد سبق • وقالوا
لولا يأتينا باية من ربه اولم تاتهم بينة ما فى الصحف الاولى يعنى ان ذكر
محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة انه نبى اية واضحة على نبوته كافية
يعلمها اهل الكتاب فيلزمهم بها الحجة ويخبرون بها المشركين فيحصل
لهم العلم بذلك فيلزمهم الحجة ايضا لكن اهل الكتاب عاندوا وكتموا فلهذا
كانوا اشد جرما واعظم دركا • ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله هو نظير
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ونظيرها فى القصص القول

الانبياء

فى سورة الانبياء اقترب للناس حسابهم هو كقوله عسى ان يكون قريبا
فى انه لا تحديد ولا تقدير فيه لمدة الساعة بل هو تقريب اضافى • ما ياتيهم من
ذكر من ربهم محدث يحتج به من رأى خلق القران لان الذكر ههنا هو القران
بدليل الا استمعوه وقد وصفه بالحدوث واجيب بانا لا نسلم ان الذكر هو
القران بل هو الرسول بدليل هل هذا الا بشر مثلكم قد انزل الله اليكم ذكرا
رسولا واستمعوه اى سمعوه او استمعوا اليه يقال سمعت زيدا واستمعت اليه
سلمنا انه القران لكن لا نسلم انه وصفه بحدوث الوجود بل بحدوث النزول
فهو محدث النزول قديم الوجود وقد سبق فيه كلام من الطرفين • ما امنت
قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون اى انا نريد هلاكهم فلا يؤمنون
كما لم يؤمن قبلهم الامم الهالكة وهذا حكم منه بانهم لا يؤمنون وما ذاك
الا لما يعلم ان سيخلقه فيهم من الصوارف عن الايمان ويحتج به الجبرية كما
عرف من مذهبهم واستدلالهم • وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم هذا
جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم اى فارساله اليكم دون العكس ترجيح
بلا مرجح وقد سبق القول فيه • وله من فى السموات والارض ومن عنده يحتج
بظاهره من يرى ان الله عز وجل ليس فى السموات ولا فى الارض والا لكان
ومن عنده تكرارا ويجاب بانه من باب عطف الخاص على العام او يريد ومن
عنده فى الملاء الاعلى بين يدى العرش وذلك فوق السموات لا فيها ولا فى الارض
والاشارة بمن عنده الى الملائكة المقربين • يسبحون الليل والنهار لا يفترون
يقتضى انهم لا ينامون لاستغراق التسبيح زمانهم ويقتضى انهم زمانيون
اى يعمهم حقيقة الزمان اذ جعل الليل والنهار ظرفا لتسبيحهم وانهم
معصومون اذ من لا يفتر عن الطاعة متى يتفرغ للمعصية قوله عز وجل •
ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اى يبعثون الموتى وهو استدلال

على نفي الشريك بان الاله الحق هو الذى ينشر الموتى وسائر ما اتخذ الها لا ينشر
الموتى فالاله الحق ليس هو سائر ما اتخذ الها فما اتخذ الها ليس هو الاله الحق
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا هذا هو الدليل المشهور على التوحيد ويسمى
دليل التمانع وتقريره من وجهين احدهما لو كان مع الله اله غيره لفسد
العالم واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة انه لو كان معه غيره
فليفرض انهما اختلفا فى الارادة بان اراد احدهما تحريك جسم او احياءه والاخر
تسكينه او اماتته فان تم مرادهما اجتمع النقيضان او انتفى مرادهما ارتفع
النقيضان او تم مراد احدهما فهو الاله الحق دون العاجز فالاله الحق واحد
فان قيل فرض اختلافهما محال والمحال جاز ان يلزمه المحال ونحن انما
نثبتهما قديمين حكيمين لا يختلفان ولا يتناقضان ولا تتعلق ارادة احدهما
بنقيض ولا ضد ما يتعلق به ارادة الاخر فلا يلزم ما ذكرتم من المحال قلنا
ان كان اتفاقهما فى الارادة على جهة المصانعة من كل منهما لصاحبه واتقاء
الخلاف والمنافرة له فهما عاجزان اذ هذا شان المصانع المدارى وان كان
اتفاقهما لقدم ارادتهما بحيث لا تتعلق ارادة احدهما بغير ما تتعلق به ارادة
الاخر لزم اذا تعلقت ارادتهما بتحريك جسم فى وقت بعينه ان تتعلق قدرتهما
ايضا بتحريكه لئلا تتناقض الارادة والقدرة فى متعلقهما وهو محال
وحينئذ يلزم توارد القدرتين القديمتين على مقدور واحد والعلتان
المستقلتان على معلول واحد وانه محال وانما قلنا ان توارد مؤثرين
مستقلين على اثر واحد محال لان وجوده بكل واحد منهما يقتضى استغناءه
عن الاخر فلو وجد بهما جميعا لاستغنى عنهما جميعا فيكون موجودا بكل
واحدة منهما غير موجود بواحد منهما وانه محال الوجه الثانى انه لو كان ثم
الهان لكانا مشتركين فى خلق العالم وللزم العالم طاعتهما فلو امر احدهما
بشئ ونهى الاخر عنه لم تتصور طاعتهما من الجميع وان اطاع كل واحد بعض
العالم دون بعض اوشك ان يعاقب من عصاه واطاع الاخر واوشك الاخر
ان يدافع عمن اطاعه فيقع الحرب بينهما كسلطانين كل منهما يدافع عن رعيته
وذلك يفضى الى فساد العالم لاختلافهما كما تفسد الرعية عند اختلاف ملوكها
واللازم باطل بما نراه من انتظام العالم وهذا تقرير الشيخ محيى الدين بن
العربى فى بعض كتبه المختصرة اما الفلاسفة فاحتجوا على التوحيد بانه لو
كان فى الوجود الهان لكانا قديمين ولو كانا قديمين لاشتركا فى وجوب الوجود
وامتاز كل منهما بعين ماهيته وبعينه وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيلزم
ان يكون كل منهما مركبا مما به الاشتراك والامتياز وهما الوجوب والتعين فيلزم

ان يكون القديم الواجب مركبا وانه محال واعترض عليه بجواز ان يكون تعينهما امرا
عدميا وهو كون عين كل واحد منهما ليست غيرها والعدم لا يتركب مع الوجود فلا
يلزم التركيب المنافى للوجوب وهو سؤال قوى على دليلهم فتبين ان الطريقة
الجيدة الثابتة على محك النظر هى طريقة القران • لا يسال عما يفعل وهم
يسئلون اى هو تام الحكمة والتصرف فى خلقه فلا يعترض عليه وهذه عمدة
الجمهور فى القدر واليها يرجعون ويسمونها اية الدبوس وعند النظر فيما
قررناه من سر القدر يتبين ان الامر واضح بالمعقول لا بالدبوس • ام اتخذوا
من دونه الهة قل هاتوا برهانكم اى طالبهم بالدليل على الهية الهتهم
فسيعجزون عن اقامته ثم قال • هذا ذكر من معى وذكر من قبلى اى احتج عليهم
باجماع الانبياء المتقدمين على التوحيد وهو كقوله عز وجل • واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وتقريره ان التوحيد
مجمع عليه بين الرسل وكل مجمع عليه بين الرسل فهو حق فالتوحيد حق بيان
الاولى قوله عز وجل بعد وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا
اله الا انا فاعبدون بيان الثانية ان الانبياء معصومون جماعة وفرادى
فلا يقولون الا صدقا ولا يعتقدون الا حقا • وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعنى
قولهم الملائكة بنات الله • سبحانه بل عباد اى هم عباد مكرمون فعباد
رد على من تالههم ومكرمون رد على من تنقصهم كاليهود حين استعدوا
جبريل • لا يسبقونه بالقول رد على من زعم ان لهم تصرفا فى العالم بالاستقلال
فبين انهم لا يفعلون شيئا الا باذنه عز وجل وفيه من الادب ان العبد
والتلميذ والرعية والولد وكل ذى رتبة دنيا لا يسابق من فوقه بالقول
بل يكون تبعا له فى كلامه • وهم بامره يعملون رد على من قدح فى عصمتهم
بمخالفة ونحوها • يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وبعدهم
اشارة الى ان لوجودهم ابتداء وانتهاء ردا على من اعتقد قدمهم وانهم
ازليون ابديون • ولا يشفعون الا لمن ارتضى فيه اثبات الشفاعة لبعض
الناس وان الملائكة تشفع لهم باذن الله عز وجل • وهم من خشيته مشفقون
اشارة الى ادبهم وكمال خشيتهم التى هى سبب عصمتهم اذ العصمة هى اجتناب
المعصية لكمال المعرفة وكمال المعرفة توجب الخشية انما يخشى الله من عباده
العلماء • ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم الاية يحتمل
وجوها احدها ان على تقدير ان يقول ذلك منهم قائل نعذبه اشارة الى
تعظيم الشرك قبحا وانه عز وجل لا يحابى فيه احدا حتى اكرم الخلق عنده وان
كان ذلك لا يقع منهم لعصمتهم لكنه مفروض الثانى ان ذلك اشارة الى ابليس

على القول بانه من الملائكة وانه هم فى نفسه بالمنازعة بالالهية نجوزى
بالخزى واللعنة الثالث التنبيه على ان هذا القول جائز الوقوع منهم اشارة
الى ان عصمتهم من وقوع المعصية والكفر لا من جوازهما كما سبق فى الانبياء قوله
عز وجل • اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
الى كل فى فلك يسبحون ايات عظيمة تدل على الصانع وقدرته وعظمته
ووحدانيته تنبيها للكفار على النظر والاستدلال او تقريعا لهم على
ترك ذلك وتقريره ان هذه ايات واثار عظيمة تدل على مؤثر عظيم كامل
ومن عظمته وكماله ان لا يكون معه شريك اذ الوحدانية كمال والشرك نقص
بالضرورة اذ ما يكون للواحد وحده يكون له مع الشريك نصفه وقوله كل
فى فلك هو مما يقرا بالانعكاس مثل ساكب كاس وهو من محاسن انواع البديع
ونبلوكم بالشر والخير فتنة يحتج به الجمهور فى ان الشر والخير من عند الله
عز وجل عدلا وفضلا • ونضع الموازين القسط ليوم القيمة تمسك الجمهور
بلفظ الموازين فى اثبات الميزان والوزن حقيقة وتاوله المعتزلة على
اقامة العدل لانه ابدل القسط من الموازين والمقصود فى الجملة هو البدل
لا المبدل منه كانه قال ونضع القسط اى العدل • قالوا وجدنا اباءنا لها
عابدين قال لقد كنتم انتم واباؤكم فى ضلال مبين فيه ذم التقليد وبطلانه
خصوصا اذا قابله النظرى القاطع ونحوه • بل ربكم رب السموات والارض
الذى فطرهن هذا استدلال من ابرهيم عليه السلام عليهم او تنبيه لهم على
الاستدلال بالاثر على المؤثر وهو السموات والارض على صانعهما كما عرف
غير موضع وفطرهن انشاهن • قال بل فعله كبيرهم هذا الاية هذه احدى
الكذبات المنسوبة اليه فى الحديث الصحيح والاخريان قوله انى سقيم وقوله
لسارة هى اختى والتحقيق ان هذه معاريض وانما سماها النبى صلى الله عليه وسلم
كذبات مجازا وتعظيما لشان ابرهيم عليه السلام بحيث ان مثله يسمى تعريضه
كذبا لارتفاعه عن شبهه بقولهم حسنات الابرار سيئات المقربين •
قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم استدلال
على نفى الهية الاصنام بعدم ضرها ونفعها وقد سبق مرارا • قلنا يا
نار كونى بردا وسلاما على ابرهيم سلبها قوتها المحرقة ثم لو لم يقل وسلاما
على ابرهيم لاهلكته ببردها لمبالغتها فى امتثال امر ربها • ففهمناها
سليمان وكلا اتينا حكما وعلما احتج بها من يرى ان كل مجتهد مصيب
وغيره اما الاول فلانه اثنى عليهما بالعلم واما الثانى فلانه خص سليمان
بالتفهيم ولو كان داود مع ذلك مصيبا لما كان لتخصيص سليمان بالتفهيم

معنى وصورة المسئلة ان غنما لقوم وقعت ليلا فى كرم قوم فرعته فقضى
داود بالغنم لصاحب الكرم وقضى سليمان بان تسلم الغنم الى صاحب الكرم
ينتفع بصوفها ولبنها ويعمل صاحب الغنم فى اصلاح الكرم حتى يعود كما
كان يوم رعته ولا شك ان هذا اقرب الى التحقيق والعدل لان الغنم اتلفت
فرع الكرم وهو ورقه واغصانه ونحو ذلك فاذا اخذ من فروعها صوفا
ولبنا ما يقابل ما اتلفت حتى يعاد الكرم الى حاله يوم اتلفته كان مناسبا
اما اخذ الغنم اصلا وراسا بالكرم مع احتمال تفاوتهما فى القيمة ففيه ما
لا يخفى والثنا عليهما بالعلم لا يدل على اصابة داود لانه لم يقل وكلا اتينا
حكما وعلما فى هذه الواقعة وانما المراد اصاب سليمان وقد كان داود عالما
ولا يقتضى ذلك اصابته فى هذا الحكم بعينه ثم ان قولهم كل مجتهد مصيب ليس
معناه ان قول المجتهدين المختلفين مطابق لما فى نفس الامر والا لكان الشئ
المختلف فى تحريمه حلالا حراما فى نفس الامر وانه محال وانما المراد اصابتهما فى
ظاهر الاجتهاد بحيث يخرجان عن العهدة مع ان للمصيب اجر الاصابة وفضلها
والمخطى حظه فى انه لا ياثم على خطاه وان اجر على اجتهاده وقد استدل
بعضهم على ان ليس كل مجتهد مصيبا بان القايل ليس كل مجتهد مصيبا اما
مصيب او مخطى فان كان مصيبا صح انه ليس كل مجتهد مصيبا لمطابقة خبره
مخبره وحكمه الواقع وان كان مخطئا فقد اختلت كلية دعواه به نفسه فليس
كل مجتهد مصيبا • وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير قد سبق ان كل شئ
يسبح بحمد ربه وان خلق التسبيح فى الجبال ممكن اما باظهار حياة كامنة
فيها او بخلق حيوة لم تكن • واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين
يحتج به على ان الذبيح هو اسمعيل لانه حكى عن الذبيح انه قال عند ارادة
ذبحه ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ثم وصفه ههنا بالصبر الموصوف
به هناك فكان ظاهرا فى ان الصابر هنا هو الصابر هناك • وذا النون اذ
ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه حمله بعضهم على ظاهره فى نفى القدرة
وتاوله الاكثرون على معنى لن نضيق عليه من قوله عز وجل ومن قدر عليه
رزقه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق تنزيها لنبى الله يونس عن
ان يعتقد نفى قدرة الله عز وجل عن شئ وهو اليق بحال الانبياء بل المتعين
فى حقهم اذ لا يجوز ان يكون نبيا من يجهل صفات ربه وما يجوز عليه وما
يمتنع فاما ذلك النباش الذى قال لبنيه اذا مت فاحرقونى وذرونى
فى البحر فان الله ان قدر على عذبنى ثم ان الله عز وجل غفر له فانه عذره لجهله
مع ان ذلك منه ايضا قد تاوله بعض الناس • انهم كانوا يسارعون فى الخيرات

يعني الانبياء المذكورين في السورة على فضله عليهم بطاعتهم ومسارعتهم في
الخيرات ودعائهم وخشوعهم ويحتج به من يرى النبوة مكتسبة بالاستعداد
بالعمل الصالح ونحوه والمشهور انها تخصيص من الله عز وجل دائر مع مشيته
لا غير لقوله عز وجل ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده والاشبه ان
النبوة نعمة مرتبة على طاعة وتزكية اقتضاها التوفيق والانجاز ان ينالها
الشيطان وانه بعيد • انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية
لما نزلت قال عبد الله بن الزبعرى يا محمد فقد عبدت الملائكة والمسيح
افتراهم حصب جهنم فيقال انه نزل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية مخصصة
للعموم المذكور ويقال انه صلى الله عليه وسلم قال لابن الزبعرى ما اجهلك
بلسان قومك انما قال الله عز وجل وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون يعني
ان ما لما لا يعقل فلا يتناول العقلاء كالملائكة والمسيح وهذا احسن الجوابين
ولعلهما اجتمعا بمنع ورود السؤال ثم تسليمه وتخصيص العموم • لو كان هؤلاء
الهة ما وردوها اي ان الاله لا يرد النار وهؤلاء المتخذون من دون الله
يردون النار فالاله ليس هو هؤلاء فهؤلاء ليسوا الهة • لهم فيها زفير الاية
ان كانت عامة في كل ما عبد من دون الله عز وجل جمادا وغيره فهذا يقتضي
ان الجماد يخلق فيه حيوة يصح بها منه الزفير في جهنم والاشبه ان يختص ذلك
بالاحياء من الالهة • كما بدانا اول خلق نعيده استدلال على الاعادة بالقياس
على الابتداء • وما ارسلناك الا رحمة للعالمين تصريح برسالة محمد صلى الله
عليه وسلم واثباتها بالبرهان في اخر الفتح ان شاء الله عز وجل القول
في سورة الحج ان زلزلة الساعة شيء عظيم يحتج بها المعتزلة في ان المعدوم الحج
شيء لانه سمى الساعة شيئا وهي معدومة لم توجد بعد واجيب بانه انما سماها
شيئا على تقدير وجودها ولتحقق وجودها في علمه فنزل المتحتم الوجود منزلة
الموجود • وترى الناس سكارى وما هم بسكارى نفي السكر حقيقة واثباته
مجازا فلا تعارض • ومن الناس من يجادل في الله بغير علم منطوقه ذم الجدل
بغير علم ومفهومه جواز الجدل حتى في الله عز وجل بعلم • انه من تولاه فانه
يضله يعني الشيطان يضل وليه بالوسوسة والضلال مخلوق لله عز وجل
يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية استدل على جواز البعث بدليلين
احدهما القياس على ابتداء الخلق من نطفة ثم من مضغة ثم علقة والجامع
بينهما الامكان والمقدورية ولا اثر للفرق بان ابتداء الخلق على طريق التنقل
في الاطوار لا تناقضه بادم وحوا لم ينتقلا في الاطوار ولامكان التزام مثل
ذلك في الاعادة بان يمطر الموتى ويجعل في الارض قوة مربية كما في الرحم وينتقلوا

في

في الاطوار ثم تنشق الارض عنهم الدليل الثاني وترى الارض هامدة وهو قياس
اخراج الموتى احياء من الارض على اخراج الزرع من الارض والجامع الامكان
والمقدورية ووجه الشبه ان اجزاء الموتى تتفرق في الارض كالحب فيها
ثم تجمع الاجزاء ويخرج بشرا كما نبت الحب ويخرج زرعا وقد سبق وقوله
عز وجل • وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت ظاهر في ان
اخراج الموتى يكون بمطر يمطرونه كما حكي ان السماء تمطر مطرا كمني الرجال
اربعين يوما فتخرج به الموتى نباتا ولما ذكر هذين القياسين قال • ذلك بان
الله هو الحق وانه يحيي الموتى هذا هو النتيجة اي كما بدا الخلق واحيى الارض
يحيي الموتى ثم احال بذلك على القدرة التامة فقال • وانه على كل شيء قدير
وان الساعة اتية لا ريب فيها اثبات للقيمة لمحاسبة الناس والعدل فيهم
وان الله يبعث من في القبور تاكيد لما تقدم من انه يحيي الموتى • ذلك بما
قدمت يداك اي بما كسبت • وان الله ليس بظلام للعبيد اما على راي العدلية
فظاهر واما على راي الجمهور فاما باعتبار كسبهم او على تقدير ان لو فوض
اليهم لعصوا • يدعوا من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه استدلال على عدم
الالهية بعدم النفع والضر وبقياس العكس ان من ملك النفع والضر مستقلا
فهو الاله • يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه لان الصنم يحتاج الى خدمة في
الدنيا على ما التزمه له الكفار وهو سبب العذاب في الاخرة فصار ضره
محققا ونفعه معدوما • الم تر ان الله يسجد له من في السموات الاية
تضمنت سجود الجمادات كالجبال والنبات كالشجر والحيوان كالدواب
والعقلاء كالناس ومن في السماء والارض والعلويات كالشمس والقمر
والنجوم ومن في السموات والسفليات كمن في الارض والجبال ونحوها
وللسجود مسميان احدهما لغوي وهو الذل كقول الشاعر • ترى الاكم فيها سجدا
للحوافر • يعني ان الجبال الصغار تذل لحوافر الخيل حين تصعدها والثاني
شرعي وهو وضع الجبهة على الارض تقربا الى الله عز وجل وعبادة له والمشهور
ان سجود العقلاء بالمعنى الشرعي لتصوره منهم وسجود غيرهم بالمعنى اللغوي
لظهور الذل والتسخير والانقياد للقدرة لتصوره منها دون الشرعي ثم
يحتج بالاية من اجاز استعمال اللفظ المشترك في مفهوميه جميعا معا
لان قوله عز وجل يسجد هو بالنسبة الى العقلاء شرعي والى غيرهم لغوي
وقد استعمل في مفهوميه معا وكذلك ان الله وملائكته يصلون على
النبي اذ الصلوة من الله عز وجل الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقد
اريدا من لفظ يصلون واجاب المانع لذلك بان التقدير تكرار الفعل

مطلب للسجود مسميان

اى الم تران الله يسجد له من فى السموات والارض ويسجد له الشمس والقمر والنجوم
ويسجد له الجبال وكذلك باقيها وكذا ان الله يصلى على النبى وملائكته يصلون
على النبى. هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى على وحمزة وعبيدة
حين بارزوا يوم بدر عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة قال على انا
اول من يجثو للخصومة بين يدى ربى ثم تلا هذه الاية وتعلقت به الشيعة
فقالوا كان على يوم بدر اول مبارز وابو بكر فى العريش مع النبى صلى الله عليه وسلم
فعلى اعظم جهادا فليكن افضل من ابى بكر لقوله عز وجل وفضل الله
المجاهدين على القاعدين واجيب بانه يلزمكم مثله فى النبى صلى الله عليه وسلم
وان عليا افضل منه وانه محال فان قيل النبى صلى الله عليه وسلم كالامام
شانه ان يقاتل بين يديه قيل وابو بكر كالوزير شانه ان يكون مع الامام. وهدوا
الى الطيب من القول هو قولهم فى فاطر الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الاية
وهو الكلم الطيب المذكور فى اليه يصعد الكلم الطيب او منه فينبغى المحافظة
على الحمد خصوصا عند اندفاع البلاء وتجدد النعماء. ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيرا احتج بعض النصارى من هذه بوجهين احدهما انه قدم ذكر الصوامع
والبيع وهى من شعائر النصارى على المساجد التى هى من شعائر المسلمين وذلك
يقتضى ان النصارى ودينهم افضل الثانى انه وصف الصوامع والبيع بذكر
الله فيها كثيرا كالمساجد على جهة المدح وهو يقتضى مدح النصارى وصحة
عباداتهم واذكارهم والا لما مدحت والجواب عن الاول ان العطف بالواو
وهى لا تفيد الترتيب ثم يلزمهم من قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى ان تكون هذه الطوائف الثلاث افضل
من النصارى لتقديمها عليهم وعن الثانى ان يذكر فيها اسم الله كثيرا عائد
الى المساجد لانها الاقرب دون غيرها سلمنا رجوعه الى الجميع لكنه محمول على
بيع المؤمنين من النصارى قبل الاسلام مثل بحيرا الراهب واشباهه ممن
قبل وصية المسيح فى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالنية. فانها لا تعمى
الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور راى بخلق الصوارف عن
النظر والاعتبار. وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى
القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله اياته
الايتين فيه مسائل الاولى الفرق بين الرسول والنبى والا لم يكن لعطف
احدهما على الاخر معنى وليس عطف خاص على عام بل بالعكس ثم قيل الفرق
بينهما ان الرسول من له شريعة وكتاب وقيل هو من يوحى اليه يقظة بخلاف

تنبيه على الفرق بين الرسول والنبى

النبى

النبى فيهما الثانية جواز النسخ وقد سبق ولقايل ان يقول المنسوخ هنا ما يلقيه
الشيطان فلا يدل على نسخ كلام الرحمن الثالثة جواز فتنة بعض الناس واستدراجهم
الى الضلال بتقدير الاسباب الموجبة لذلك لانه عز وجل علل القاء الشيطان فى
امنية النبى ونسخ ذلك بفتنة الذين فى قلوبهم مرض وهو كقوله عز وجل وكذلك
فتنا بعضهم ببعض ليقولوا الاية كما ذكر فى الانعام. وهو الذى احياكم ثم
يميتكم ثم يحييكم فيه اثبات البعث ونظايره عديدة. وان جادلوك فقل الله
اعلم بما تعملون الاية لم يومر ههنا بمجادلتهم لعنادهم وشغبهم وكذلك ينبغى
ترك جدال كل مشاغب ما لم يلزم من تركه مفسدة. ضرب مثل فاستمعوا له
فيه الجدال والمناظرة بضرب الامثال وهى بالحقيقة اقيسة جلية اذ قوله
عز وجل. ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه اشارة الى عجز الالهة وانها
لا تخلق فنظمه اذا هكذا الالهة التى تدعونها عاجزة لا تخلق شيئا والله عز
وجل قادر يخلق ما يشاء فالالهة ليست هى الله عز وجل وهو قياس فى الشكل الثانى
الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس هذا جواب من يقدح فى الرسل
بقوله ابشرا منا فليس اولى بالرسالة منا اذ يلزم الترجيح بلا مرجح وجوابه
ان ارسال الرسل من الناس والملائكة مستند الى اختيار الله عز وجل فهو المرجح
فلا يلزم ما ذكرتم وربما استدل بهذه من راى تفضيل الملائكة رسلا وامما
على غيرهم لتقديمهم فى الذكر وفيه ما عرف. اركعوا واسجدوا خاص واعبدوا
ربكم اعم منه. وافعلوا الخير اعم منه فهو من باب عطف الاعم على الاخص
وقد سبق القول فى سورة المؤمنين قوله عز وجل خاشعون ومعرضون
وفاعلون وحافظون يحتج به المعتزلة فى اضافة الافعال الى الناس وجوابه
ان ذلك من جهة الكسب او كونهم محلها كما يقال تدحرج الحجر وتحرك الشجر والمحرك
له غيره. الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم الايتين يحتج به الجمهور على
تحريم المتعة لان ذات المتعة لا ملك يمين باجماع ولا هى زوجة لعدم
التوارث بينهما فتكون داخلة فى حد العدوان واجاب القايلون بالمتعة
بان فمن ابتغى وراء ذلك عام خص بالمتعة بما سبق من دليلها كما خص
واحل لكم ما وراء ذلكم بتحريم نكاح الاخت والعمة ونحوهما والاستدلال
بعدم الارث منقوض بالزوجة الذمية لا ترث مع انها زوجة باجماع ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الانسان ههنا
مطلق بالاستخدام على ادم وذريته فادم خلق من سلالة من طين
وذريته جعلوا نطفة فى قرار مكين فتبارك الله احسن الخالقين يحتج

جهـ

المؤمنون

بم القدرية لانه اثبت خالقين هو احسنهم ولا خالق للاعيان سواه فتعين ان
الخالقين للافعال وهم الناس يخلقون افعالهم واجيب بان هذا خرج على
اعتقاد الخصم المعتقد ان ثم خالقين او على جهة التنزل اى على تسليم ان
هناك خالقين فالله عز وجل هو احسنهم واحكمهم فيجب ترجيحه بذلك
فيتعين للعبادة دون غيره • ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيمة
تبعثون فيه اثبات البعث ويقال ههنا لم اكد الموت مع الاجماع عليه
دون البعث مع الاختلاف فيه وقد كان العكس انسب واجيب بوجوه احدها
ان تبعثون فعل وميتون اسم فاعل ودلالته على المصدر الذى هو الموت
بواسطة الفعل فاحتاج الى تقويته بلام التاكيد بخلاف تبعثون فان
قوة دلالته بنفسه على البعث اغناه عن التاكيد الوجه الثانى ان هذا
الكلام مع من ينكر الموت كالتناسخية القائلين بانتقال الروح من
حيوان الى غيره فاحتيج الى تاكيد وقوعه فى اخبارهم به الوجه الثالث
ان ترك تاكيد البعث اشارة الى انه لقوته فى نفسه كالمجمع عليه الغنى
عن التاكيد الوجه الرابع ان المخاطب بالبعث اما مصدق للرسول المخبر
به فلا حاجة له الى التاكيد او مكذب له فلا يفيد معه التاكيد فسقط التاكيد
لسقوط فائدته فى هذا المكان • ماهذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم
ولو شاء الله لانزل ملائكة هذا قدح فى النبوة بلزوم الترجيح من غير مرجح
وقد سبق جوابه فى غير موضع • فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
استشهد به ابو عبد الله بن حامد على ان الاستواء على العرش استقرار
كاستواء راكب الفلك عليها وقد رد عليه ذلك لاستلزامه التجسيم • وقل رب
انزلنى منزلا مباركا الاية فانزل الله عز وجل نوحا ارض الجزيرة وهى الموصل
وما حولها فصارت البلاد المنصوص على بركتها ارض مصر لما مر فى الاعراف
وما حول المسجد الاقصى لما ذكر فى سبحان وارض الجزيرة لهذه الاية وهى
تعد من مناقب الجزيرة واخبرنى بعض المشايخ الصلحا انه صعد الى جبل
الجودى فوجد مسمارا كبيرا من مسامير سفينة نوح وهو اذا فرك تناثرت
اجزاؤه لاستيلاء البلى عليه لطول العهد واستمرار الدهر وانه جعل فى صندوق
لاجل البركة فلم يزل عنده حتى فقد فى غزاة قازان للشام عام سبعمائة اونحوه
للهجرة المحمدية صلوات الله على من نسبت اليه • ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت
ونحيى وما نحن بمبعوثين قد سبقت شبهة منكرى البعث وجوابها فى النحل
وهى قولهم ههنا • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا
نحن واباؤنا هذا من قبل قوله عز وجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه

من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض هذا من براهين
التوحيد المشهورة وتقريره لو كان مع الله اله اخر لكان كل منهما خالقا لبعض
العالم ثم لانحاز كل منهما بما خلق ثم طلب العلو على صاحبه ويلزم الاختلاف
المستلزم لفساد العالم وانه محال كما مر لا يقال لا نسلم انه يلزم ان كلا منهما
يكون خالقا لبعض العالم بل كلاهما خالق لجميع العالم لانا نقول يلزم توارد
العلتين المستقلتين على معلول واحد وانه محال • فاذا نفخ فى الصور الايات
تضمنت نفخ الصور ووزن الاعمال وعذاب النار وتقريع اهلها • الم تكن اياتى
تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون يحتج به المعتزلة لاضافة التكذيب اليهم
قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا يحتج به الجبرية ونحوهم اذ معناه غلبتنا
اقدارك وما خلقته فينا من دواعى الكفر والصوارف عن الايمان فلم نستطيع
هداية فضللنا • افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون فتعالى
الله الملك الحق اى عن العبث وكل نقص والعبث هو الفعل الخالى عن غاية معتبرة
عقلا او شرعا ومثل هذا العالم لا يكون غايته مجرد وجوده ثم عدمه بالكلية لان
مثل هذه الغاية يقصر عن مثل هذا الفعل العظيم فاذا للعالم غاية عظمى
اعظم من مجرد وجوده وما ذاك الا اعادته ثم اظهار اسرار الوجود فيه وقد
قرر هذا المعنى بوجهين احدهما ان العالم ما بين مطيع يناسبه الثواب وعاص
يناسبه العقاب وهذه الدار لا تصلح لثواب المطيع ولا لعقاب العاصى اذ
لذاتها التى ارتبطت بها عقول الناس انما هى دفع الام لا لذات فى الحقيقة
كالاكل والشرب والنكاح انما هى دفع الم الجوع والعطش والشبق وحينئذ يجب
عقلا ان يكون للناس دار ينالون فيها ثواب طاعاتهم وينالهم عقاب
معاصيهم لذات والام حقيقة وهى الدار الاخرة واليه الاشارة بقوله عز
وجل وانما توفون اجوركم يوم القيمة الوجه الثانى ان فى الناس ظالما
ومظلوما والظالم يناسبه العقاب على ظلمه عقلا ثم نرى كثيرا من الظالمين
يخرج من الدنيا سالما موفرا لم تصبه قارعة ولم ترزاه رزية فدل على ان
هناك دارا يستوفى منه جزاء ظلمه واليه الاشارة بما حكى عن ابن عباس
انه راى جنازة فقال من هذا قيل فلان لرجل ظالم لم يصب فى حيوته بمكروه
فقال ابن عباس الله اكبر اشهد ان للناس معادا يوخذ فيه للمظلوم من الظالم
او كما قال • ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به الاية ليس المراد ان ثم
الها اخر عليه برهان بل المراد ان اثبات اله اخر لا برهان عليه فمن ادعاه
والحالة هذه فهو كافر تقليدا او عنادا وحسابه عند ربه عز وجل ثم انه
لا يفلح القول فى سورة النور الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد النور

منهما عام خص بالمكره ومن ليس بمكلف ونحوهم. فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا
تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا هذا استثنا
تقدمه جمل يصلح لرجوعه اليها وفيه وفى نظايره اقوال احدها يرجع الى الجميع
الا المانع وهو مذهب الشافعى واحمد والثانى يختص بالاخيرة فقط لقربها
وحصول المقصود وهو تعليق الاستثنا بها وهو قول ابى حنيفة والثالث
ان رجوعه الى الجميع والى الاخيرة وقد استعمل فهو مشترك بين الامرين فالتوقف
على مرجح واجب وهو قول القاضى ابى بكر والرابع الوقف لتردد الحال بينهما
وهو قول الشريف المرتضى من الشيعة فهو وقف تردد وما قبله اشتراكى وعلى
هذا فاتفقوا فى هذه الاية على ان القاذف اذا تاب لا يسقط الجلد عنه لانه حق
ادمى كالدين وعلى ان فسقه يزول واختلفوا فى قبول شهادته فقبلها الشافعى
واحمد ردا للحكم الاستثنا اليها لصلاحيته لذلك من غير مانع بخلاف الجلد
اذ كونه حق ادمى مانع من السقوط ولم يقبلها ابو حنيفة لاختصاص الاستثنا
بزوال الفسق فلم يتعد الى قبول الشهادة ووجهوه بان استمرار رد شهادته
عقوبة على جنايته فلم يرتفع كالجلد ولا يلزم من زوال الفسق قبول الشهادة
لانها قد ترد لمانع كشهادة الوالد لولده وعكسه والرجل على عدوه ونحوه
ردت شهادتهم للمانع الخاص مع ثبوت العدالة فحاصله ان قبول الشهادة
هل يلحق بالجلد فى استمراره او بالفسق فى زواله وهو اشبه لان الظاهر ان
المراد بهما شئ واحد وانما عبر تارة باللازم وهو رد الشهادة وتارة بالملزوم
وهو الفسق تعظيما للقضية وتقبيحا لها كما يقال الذى يسرق فاقم عليه حده
واقطعه ونكل به واحرمه الانتفاع بجارحته وكف عاديته عن الناس والكل
واحد. ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا اى لاتبعتم
الشيطان وخطواته فلم يزك منكم احد فاقتضى ان العصمة من الشيطان
بفضله والوصمة بوسواس الشيطان ومكايده بقدر الله عز وجل وعدله
ويحتج به الجمهور. ولكن الله يزكى من يشاء يؤكد ذلك لاختصاص التزكية بمن
شاء. ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الاية احتج بها الجمهور على فضل
ابى بكر لانها نزلت فيه اذ ترك الانفاق على مسطح وقد وصف فيها بانه من
اولى الفضل واجابت الشيعة لعنهم الله بان المراد فضل المال وكثرته بدليل
اقترانه بالسعة لا الفضل الذى هو الكمال وضد النقص لكن يحتج بها الجمهور
من موضع اخر وهو قوله عز وجل الا تحبون ان يغفر الله لكم وهو يدل على
انه مغفور له. والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن
مما يقولون لهم مغفرة هذا مع قوله فى اول القصة ان الذين جاؤا

بالافك عصبة منكم وما بينهما يحتج به الجمهور على براءة عائشة رضوان الله عليها
مما رميت به والاحاديث الصحيحة دلت على ذلك حتى قال بعض الحنفية بكفر من
قذف عائشة لمخالفته القاطع دون غيرها. وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
فيه مسئلتان احدهما وجوب التوبة على كل مؤمن لانها مامور بها والامر للوجوب
ولان المؤمن لكونه غير معصوم لا يخلو من ذنب يوجب التوبة كيف وان اكثر
احواله ذنوب الا من وفق الثانية احتج بها من راى التوبة من الاعمال الصالحة
وزعم ان ذلك شان الابرار والمقربين وتقرير حجته ان المخاطب بالتوبة
هم المؤمنون ولا تتجه توبة المؤمن الا من العمل الصالح وهذا ضعيف انما
يصح لو كان المؤمن معصوما من المعاصى اما وهو غير معصوم فتتجه توبته
من معاصى تقع منه نعم لو احتج بان الافات المفسدة للاعمال كالريا
والعجب ونحوهما خفية عن المؤمن غالبة عليه جدا فالظاهر ان عمله لا يسلم
منها ثم ان القسمة العقلية تقتضى ان العمل اما ان يقطع بسلامته من
المفسدات او بفساده بها او يتردد فيه بين الامرين والعلم بسلامة العمل
عزيز نادر او متعذر فى العادة فصار الغالب فى العمل اما القطع بفساده
او التردد فيه فوجب الاستغفار والتوبة منه بناء على الغالب لان الطاعة
اذا فسدت صارت معصية كالعصير اذا فسد صار خمرا وصار الجهل
بسلامة العمل كالقطع بفساده فتجب التوبة كما قيل فى باب الربا الجهل بالتساوى
كالعلم بالتفاضل فتجب اجتناب المعاملة فيه لكان هذا تقريرا جيدا غير
خارج عن قواعد الشرع والنظر وهذا المذهب يعزى الى المحققين من اهل
الطريق ويرجع الى ان حسنات الابرار سيئات المقربين فالعارف المقرب
يرى الحسنات بالاضافة الى غيره سيئات بالاضافة اليه فيتوب منها
واحتج الاخرون بان التوبة هى الندم على الفعل والعزم على تركه والطاعات
لا يجوز الندم على فعلها ولا العزم على تركها فالتوبة منها لا تجوز والجواب
ان هذا خارج عن محل النزاع لان الطاعة التى يقطع بصحتها وسلامتها من
مفسد لا تجب التوبة منها وانما تجب التوبة من الطاعة لا من حيث هى طاعة
بل من حيث اشتملت غالبا على معصية كالريا ونحوه من المفسدات وهذا كمن
اشترى دراهم او سلعة مغشوشة وجب له ردها على صاحبها لا من حيث
هى فضة بل من حيث هى مغشوشة فينبغى للانسان ان يتوب بهذا الاعتبار
من جميع افعاله احتياطا ولا يعول منها على شئ ولا يلقى الله عز وجل الا فقيرا
الى رحمته غير ملتفت الى غيرها اما توبته من المعاصى فلقبحها واما من
الطاعات فلعدم القطع بسلامتها لغلبة المفسدات الخفية والظاهرة

عليها ولا يلتفت الى انكار الظاهرتين لهذا فانه مقام نظرى لم يصلوا اليه فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا وانوهم هذا عطف واجب على مندوب اذ الكتابة تذب والايتا
فيها واجب • ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا يحتج به من لم ير
المفهوم حجة لان مفهوم هذا ان لم يردن تحصنا فاكرهوهن على البغاء وليس
الحكم كذلك واجيب بان هذا المفهوم لا يتصور فبطلانه لعدم تصوره لا لان
المفهوم ليس بحجة وبيانه ان الاكراه انما يكون على خلاف الارادة والاختيار
فالامة اذا ارادت التحصن صح اكراهها على الزنا اما اذا لم ترد التحصن وارادت
الزنا فلا يصح اكراهها عليه لان الاكراه حينئذ على وفق مرادها فهو تحصيل
الحاصل وهذا كما اذا امتنع الانسان من دخول الدار صح ان يدفع فى قفاه
او يلبب ويجر ليدخلها اما اذا دخلها مختارا فلا يصح ذلك وكان تحصيل الحاصل •
والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية فيه ان الكفر لا يزكو معه عمل
ولا ينفع معه حسنة واخذ بقياس عكسه قوم فقالوا الايمان لا يضر معه
سيئة فارجأوا العمل وابطلوا الوعيد عن العصاة وهم المرجية وليس
كذلك • الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات كل قد
علم صلوته وتسبيحه هو من باب وان من شئ الا يسبح بحمده واحتج به من
قال بان من اعتق طائرا زال ملكه عنه لانه مصل مسبح بهذا النص فصح عتقه
كالادمى ويعترض عليه بان الصلوة والتسبيح ليست متحدة فيهما بالحقيقة
فلم يتحد جامع القياس فلا يصح • يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اختلف
فى كاد فقيل هى كسائر الافعال نفيها نفى واثباتها اثبات وقيل عكسه نفيها
اثبات واثباتها نفى فكاد زيد يقوم معناه ما قام ولم يكد زيد يقوم معناه
قام والصحيح الاول لان كاد معناها مقاربة الفعل فاذا دخل عليها النفى
انتفت مقاربة الفعل فانتفاء نفس الفعل اولى الا بدليل يثبته وفى الاثبات
يثبت مقاربة الفعل ويبقى نفس الفعل على استصحاب النفى الا بدليل يثبته
فقولنا كاد زيد يقوم اى قارب القيام اما كونه قام فالاصل عدمه الا ان
يثبت بدليل وقولنا ما كاد زيد يقوم اى ما قارب القيام فانتفاء القيام
نفسه اولى الا ان يثبت بدليل فههنا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار
اثبات لمقاربة ذهاب البصر فنفس ذهابه على اصل العدم ولا دليل عليه
يثبته اما اذا اخرج يده لم يكد يراها فمعناه لم يقارب رؤيتها فانتفاء
رؤيتها اولى لكن ثبت رؤيتها بدليل العادة ان اليد لقربها ترى على
كل حال فهذه قاعدة كاد وحاصلها ان كاد لمقاربة الفعل وهو من لوازم
الفعل وانتفاء اللازم يوجب انتفاء الملزوم وثبوته لا يقتضى ثبوته الا الدليل

بلغ مقابلة

منفصل

منفصل فيهما وقد تبين ذلك وهذه القاعدة مطردة فى كاد حيث وقعت وعليها
يتخرج قول ذى الرمة • اذا غير النأى المحبين لم يكد • رسيس الهوى من حب مية يبرح
اى لم يقارب البراح واذا انتفت مقاربة البراح فانتفاء نفس البراح الذى هو
ملزوم مقاربته المنفية اولى وبهذا يتبين خطأ ابن شبرمة فى اعتراضه على
ذى الرمة حيث قال له اراه قد برح وخطأ ذى الرمة حيث رجع الى ابن شبرمة
وغيره يكد اجد كما استدرك عليهما البحترى والاشبه ان الوهم انما هو من ابن
شبرمة وحده فاما ذو الرمة فانما رجع اليه لانه لما راى المكان موضع وهم
يهم فيه مثل ابن شبرمة مع فضله واد به اراد دفع الاستدراك عن كلامه والوهم
فيه بالكلية وتخلصه عن شوائب الاستدراكات والاوهام هذا عذر ذى الرمة
والله خلق كل دابة من ماء عام واعترض عليه بعض النصارى بان العقرب
ونحوها من الحشرات مخلوقة من التراب لا من الماء وجوابه من وجوه احدها
منع ان التراب المحض يتكون منه حيوان اصلا الثانى انه ليس المراد بتكوين
الدواب من الماء البسيط الذى هو احد العناصر الاربعة بل من الماء المسيل من
الابوين وهو النطفة والعقارب تتناسل كغيرها الثالث ان المراد بخلقها
من ماء ان بدنها لا يتقوم الا برطوبة مائية وهذا لازم فى كل حيوان الرابع
هب ان ما ذكرته صحيح لا جواب عنه فيكون الكلام عاما مخصوصا بالعقرب
ونحوها وعاما اريد به الخاص وذلك لا يعد تعارضا ولا تناقضا ولا خلفا
من القول ولا يقدح فى القران ولا فى غيره من الكلام بوجه واما تناقض
انجيلهم فقد قررنا منه شيئا كثيرا فى كتاب مستقل • لقد انزلنا ايات مبينات
والله يهدى من يشاء الاية يحتج به الجمهور فى تعليق الهداية بالمشية وجودا
وعدما واما الايات فالمقصود بها اقامة الحجة بالكشف عن طريق المحجة
لا غير اما انها تهدى الهداية المخلصة فلا وانما هى مرشدة • فان تولوا فانما
عليه ما حمل وعليكم ما حملتم هذا وعيدى محكم نحو لى عملى ولكم عملكم وليس
بمنسوخ • وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى
الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية يحتج بها الجمهور على صحة خلافة
الاشياخ الثلاثة قبل على وتقريره ان الله عز وجل وعد مؤمنى هذه
الامة بالاستخلاف فى الارض وتمكين الدين وتبديل خوفهم بالامن ووعد
الله عز وجل واقع لا محالة ثم لا يخلو ان يكون المراد بالذين امنوا المستخلفين
فى الارض عليا وحده او عموم مؤمنى الامة او عموم خلفائها والاشياخ الثلثة
على الخصوص وليس المراد عليا وحده لان الوعد للذين امنوا وعلى وحده
ليس جمعا ولا يصح التعبير عنه بلفظ الجمع الا مجازا من باب العام اريد به الخاص

وقع الحجة على صحة خلافة الاشياخ الثلاثة قبل على رضوان الله تعالى عنهم

ولاضرورة اليه سلمناه انه المراد لكن لاية تضمنت ان استخلافهم كاستخلاف من
قبله والذين قبل الاشياخ الثلاثة فيلزم صحة استخلافهم تحقيقا للتشبيه ولا
لزم بطلان استخلافه تبعًا لبطلان استخلافهم تحقيقا للتشبيه ايضا
وانه باطل ولايجوز ان يكون المراد عموم مؤمنى الامة ان لم يستخلف كل واحد باتفاق صح
واحد منهم ولاحاجة الى ذلك اذ الخلفاء رعاة وواحد من كل عصر يكفى فتعين
ان المراد اما الاشياخ الثلاثة على الخصوص فيحصل المقصود او عموم خلفاء
الامة فيحصل ايضا لاندراج الاشياخ الثلاثة تحت عموم الخلفاء. هذا احسن ما
قرر به الدليل من هذه الاية واعترضت الشيعة ابعدهم الله بان قالوا لانسلم
ان الاستخلاف هٰهنا من الخلافة التى هى الامامة والسلطنة وانما هو من
الخلف المقابل للسلف وقولهم خلف فلان فلانا على زوجته اوماله ونحوه
وحينئذ لادلالة فى الاية على ما ذكرتم اصلا ويكون الخطاب لجميع الامة انهم
يخلفون من بعدهم من الامم فى الارض كما قال عز وجل ثم جعلناكم خلائف
فى الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون وقد انجز الله وعده بان جعل هذه
الامة خلفاء فى الارض عمن قبلها من الامم ولا تعرض فى ذلك للخلافة والامرة
اصلا سلمنا ذلك لكن الموعود باستخلافه هو المهدى عند نزول عيسى يمكن
الله له الدين بعد اضطرابه بالدجال ويبدل به الخوف امنًا والجور عدلا اما
فى اول الاسلام فتمكين الدين وتبديل الخوف حصل بالنبى صلى الله عليه وسلم
لا بغيره سلمنا ان المراد الخلفاء الثلاثة بخصوصهم لكن الاستخلاف
والوعد به لا يقتضى ان يكون حقا لان الله عز وجل قد استخلف فى ارضه
من عباده محقا ومبطلا ويعد الانسان بخير بالنسبة اليه ثم قد يكون
ذلك الخير شرا فى نفس الامر كما يعد ملكا بفتح مدينة يقتل فيها ويسبى
فذلك خير بالنسبة الى الملك شر فى نفس الامر فكذلك خلافة هؤلاء جاز
ان تكون من هذا القبيل هذا هو الكلام على هذه الاية من الطرفين فى هذا
المعنى والعموم فيها اقوى فلا تدل على خصوصية الامر المتنازع فيه الادلالة
لطيفة كما قررناه. فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم يحتج به على ان مقتضى الامر المطلق الوجوب لانه
عز وجل توعد المخالفين لامر النبى صلى الله عليه وسلم بالفتنة والعذاب
والوعيد انما يكون على ترك واجب او فعل محرم وذلك يقتضى ان مخالفة
امره صلى الله عليه وسلم حرام فامتثال امره واجب وهو المطلوب وتلخيص
الدليل ان مخالفة امره متوعد عليها وكل متوعد عليه حرام فمخالفة امره حرام
فامتثاله واجب القول فى سورة الفرقان تبارك الذى نزل الفرقان الفرقان

على

على عبده يحتج به على انه منزل غير مخلوق كما سبق. ليكون للعالمين نذيرا يحتج به
على عموم الدعوة فى العالمين ثم تخص منه الملائكة والبهائم ونحوهم ممن خرج
عن عمومها بدليله. ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك فيه نفى الولد
والشريك وقد سبق. وخلق كل شئ فقدره تقديرا يحتج بعمومه على خلقه عز
وجل لافعال المخلوقين خيرًا وشرًا والمعتزلة خصوا عمومه بدليلهم العدلى
كما زعموا وقد سبق القول فيه وخلق الشئ اختراعه وابداعه واخراجه من
العدم الى الوجود وتقديره جعله على قدر الحاجة ووفق الحكمة زمانا ومكانا
وهيئة وشكلا ونحو ذلك. واتخذوا من دونه الهة لايخلقون شيئا وهم
يخلقون الاية استدلال على نفى الهيتهم بمخلوقيتهم وعدم خالقيتهم
وانهم لايملكون نفعًا ولاضرًا وقد سبق تقريره. وقال الذين كفروا ان
هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فيه اعتراف منهم باعجاز القران
لانهم يعترفون بان النبى صلى الله عليه وسلم افصحهم او من افصحهم ثم مع ذلك
اعتقدوا انه لم يستقل بالقران حتى اعانه عليه قوم اخرون فاقتضى انهم
كانوا يرونه معجزا للفصيح الواحد فاذا ادعوا انه استعان عليه بقوم اخرين
قيل لهم فاستعينوا انتم على معارضته بمثله بقوم اخرين وقد اطلقتم
فى الجن والانس تستعينون بهم فاذا عجزتم دل على انه معجز على الاطلاق باعترافكم
وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى فى الاسواق جوابه وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون فى الاسواق. لولا
انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا جوابه يوم يرون الملائكة لابشرى وكان
هؤلاء قاسوا قياسًا فاسدا فراوا ان رسول الملك من ملوك الارض اذا ورد
بلد رسالته يحتجب حشمه فلا يرى اكلا ولا فى سوق فقالوا رسول الله اولى
بذلك لان الله عز وجل اعظم الملوك وهذا شبيه بقول القائلين ان الله
عز وجل اكرم من ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فكان هذا القياس
الفاسد فتنة للفريقين ضربوا بسببه الامثال فضلوا فلا يستطيعون
سبيلا اى لا يستطيعون طريقا الى الهدى لان طريق الهدى اتباع الرسول
وقد سد عليهم بما خلق فى نفوسهم من القياس الفاسد المانع من اتباعه
ويحتج الجمهور بلا يستطيعون سبيلا كما ذكرنا. ويوم يحشرهم وما يعبدون
من دون الله فيقول ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل الاية
الى قولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر انظر الى هؤلاء المتخذين
الهة كيف انهم لما فهموا سر القدر عدلوا عن القسمين فلم يقولوا نحن
اضللناهم ولا قالوا هم ضلوا السبيل بل حكوا عين ما وقع وهو ان الله

عزوجل استدرجهم بالنعم والتمتع وما يتبع ذلك من خلق الدواعي والصوارف
حتى شغلهم عن الذكر فنسوه وهذا هو مستند الجبرية فان استدراجهم المذكور
ان كان موجباً للنسيان الذكر حصل المقصود وان لم يكن موجبا فلا اقل من
ان يضاف الى الله عزوجل بقدر ما وجد منه من الاستدراج والشغل عنه اللهم
الا ان يقول القدري انه انما متعهم تفضلاً عليهم لا ليشغلهم عن الذكر وانما هم
الذين اشتغلوا بنعمته عن ذكره فلذلك لزمتهم الحجة بدليل فلما نسوا ما ذكروا
به فتحنا عليهم ابواب كل شئ الاية والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون فلعمري لقد قال مقالا غير انا نرجع الى اصل المسئلة فنقول نسيانهم
للذكر اما ان يكون مراد الوجود منهم او مراد العدم او لا مراد الوجود ولا مراد
العدم فان كان مراد الوجود حصل المقصود لما تقرر من ان القدرة لا
تتعلق الا بما يتعلق به الارادة فاذا كان مراداً منهم كان مقدوراً عليهم
والمقدور واجب الوقوع وان كان مراد العدم لزم ان يكون وجوده منهم
مراغما للارادة والعلم والقدرة الازلية لاستحالة تعلق الجميع الا بمتعلق
واحد لئلا تتنافى الصفات القديمة او الذات او الاحوال فى متعلقاتها
وهو محال وحينئذ يلزم غلبة الحادث للقديم وهو باطل وان كان لا مراد
الوجود ولا مراد العدم لزم خلو بعض الموجودات عن تعلق الارادة والعلم
والقدرة به لاستحالة تعلق بعضها بما لا يتعلق به البعض وانه محال • فقد
كذبوكم بما تقولون يحتج به القدرية ووجهه ان الله عزوجل قسم فى سؤال
الالهة تقسيماً حاصراً فقال ءانتم اضللتم هؤلاء ام هم ضلوا قالوا اما اضللناهم
فتعين انهم هم ضلوا فلذلك اكذبهم فى دعواهم ان هؤلاء المعبودين من
دون الله اضلونا وحينئذ يلزم نسبة ضلالهم الى انفسهم والجواب انا
لا نسلم ان المراد بقوله عزوجل ءانتم اضللتم هؤلاء ام هم ضلوا الحصر بل
المراد تكذيب الكفار فى ان معبوديهم اضلوهم وهو حاصل بتنصل المعبودين
عن ذلك والقسمة تقتضى ان الذى اضلهم اما معبودوهم او انفسهم او الله
عزوجل مستقلا باضلالهم كما تقول الجبرية او مشاركا فيه كما تقول الكسبية
وحينئذ لا يتعين ما ذكرتموه من انهم هم ضلوا بانفسهم فان قيل فعلى كل
حال لم تقم لهم حجة ولا اقيم لهم عذر ولو صح ما ذكرتم لاحتجوا به والتمسوا
العذر ولا غنى عنهم شيئا وجوابه ان هذا لا يلزم لان الكسبي يقول قامت
الحجة عليهم بكسبهم والجبري يقول قامت الحجة عليهم بموجب علمه ان لو
فوض اليهم خلق افعالهم لكانوا كفاراً عصاة • وجعلنا بعضكم لبعض
فتنة تصريح بالتسبب الى ايقاع الفتنة والضلال ومعناه جعلنا المرسلين

يأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق ليفتتن بهم الكفار ليقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فيحملهم الفتون فيكفرون فيعذبهم وهذه مقدمات صحيحة يستلزم
بعضها بعضا مستندا ذلك الى ما فطرهم عليه من الكبر وخلق فيهم من صوارف
الايمان ودواعي الكفر • وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً سبق
معناه فى سورة النور عند سراب بقيعة • ويوم تشقق السماء بالغمام الاية فيه
دليل على ان السماء والافلاك تقبل الخرق والالتيام خلافا للفلاسفة وحجتهم
ان حركة الفلك مستديرة والخرق والالتيام انما يكون بحركة مستقيمة واجتماعهما عه
فى موضوع واحد محال ولان الفلك هو المحدد للجهات فلو قبل الخرق والالتيام
لكان ذلك بحركة قطعا وتلك الحركة لا بد وان تكون الى جهة ولا جهة وراء محدد
الجهات والجواب عن الاول انه مبنى على ان الصانع فاعل بالطبع وان العلويات
لا تقبل الزوال وذلك ممنوع بل الصانع فاعل بالاختيار فهو باختياره يسلب
الفلك حركة المستديرة ويحركه بالمستقيمة فيقبل الخرق وعن الثانى بانه مبنى
على ان الجهة امر ثبوتى متقرر لا تتجاوزه حركة وهو ممنوع بل هى امر اعتبارى
او اضافى فلا يلزم فيها ما ذكرتم ولان العلويات اجسام وكل جسم يقبل
الخرق والالتيام • ياليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلنى عن الذكر اى
بالكسب والتسبب عند الجمهور وبالخلق عند القدرى • وقال الذين كفروا
لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة الاية تضمنت شبهة على الرسالة وجوابها
اما الشبهة فتقريرها لو كان هذا الرسول صادقا لنزل عليه القران جملة واحدة
كتوراة موسى لكنه يخترعه من عنده شيئا فشيئا على حسب ما يريده ويرد عليه من
الحوادث وجوابه ليس كما ذكرتم بل لتنزيله مفرقا حكمة من وجوه احدها
تثبيت فؤاد الرسول صلى الله عليه وسلم باتصال نزول الوحى عليه والثانى ترتيله
فى التنزيل ليتادب بذلك فى التلاوة ورتل القران ترتيلا والثالث ان الكفار
متى اوردوا اشكالا او شبهة او اتوا بسؤال او مثل كان جوابهم بالمرصاد ناتيك
به وما ذكرتم من انه لو كان صادقا لجاء بالقران جملة واحدة منتقض طرداً
وعكساً فى الواقع او فى التقدير اذ رب من جاء بكتاب جملة وهو كاذب
كالمتنبئين بالباطل ورب من جاء بكتاب مفرقا وهو صادق فليس ما ذكرتموه
بلازم • ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يحتج
به الشيعة كما سبق فى طه واجعل لى وزيرا من اهلى • الم تر الى ربك كيف
مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا الاية هذه ارضية تابعة لاية سماوية نبه
الله عزوجل عليها لان حركة الظل وامتداده تابعة لحركة الشمس وغيرها من
النيرات ولما كانت حركة الشمس مثلا كان سكونه لو قدر لسكونها

وسكون الشمس في مجراها مقدور. ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
سبق نظيره اول السورة. وتوكل على الحي الذي لا يموت يدل على ان حيوته معنى
زائد لان الموت مفارقة الحيوة وقد اخبر انه حي لا يلحقه الموت الذي هو مفارقة
الحيوة فدل على ان له حيوة لا تفارق وفيه نظر. فاسئل به خبيرا اي عنه فيحتج به على
ان عن ينوب عنها الباء وان الحروف ينوب بعضها عن بعض ومنهم من يخرج
ما وقع من ذلك على قاعدة التضمين كانه ههنا ضمن اسال معنى اذكر به خبيرا
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية سبق نظيرها في مدح التوسط
في سبحان. والذين لا يدعون مع الله الها اخر الايتين تضمنتا قبول توبة
القاتل عدوانا وهي عند الجمهور ناسخة لاية النساء في من يقتل مؤمنا
متعمدا كما سبق هناك. قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم يقتضي ان لا حكمة
ولا مقصود لخلق الناس الا التوحيد والدعا بالوحدانية نحو وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقيل معناه ما نعبؤ بعذابكم لولا دعاؤكم
الهة سواه نحو ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وهو يقتضي ان
لا يعذب الا مشرك لكن دل دليل منفصل على تعذيب غير المشرك عذابا
منقطعا والله عز وجل اعلم بالصواب القول في سورة الشعراء

الشعراء

ان نشا ننزل عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين فيه
ان في قدرة الله عز وجل اضطرار خلقه الى الايمان بما يبهرهم به من الايات
لان العقل لا يستقر لعجايب القدرة فاذا غلبت عليه بهرته فاجاب
وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الاية سبق نظيرها في الانبياء. انا معكم
مستمعون يحتج به الاتحادية كما سبق. انا رسول رب العالمين وحد الرسول
باعتبار الجنس او الرسالة وانا رسولا ربك في طه لتعدد الشخص. قال فعلتها
اذا وانا من الضالين لا حجة فيه لنفاة عصمة الانبياء عليهم السلام لان هذا
كان قبل النبوة بدليل. ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني
من المرسلين قال فرعون وما رب العالمين ابان بهذا عن جهله اذ لم يفرق
بين من يعلم ومن لا يعلم حتى وضع ما في سؤاله موضع من ولما علم موسى
خطا فرعون في السؤال اجابه على مراده لا على لفظه فقال. رب السموات
والارض. قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون هذا امر تعجيز اي انتم عاجزون
عن معارضتي كيف ما فعلتم وحينئذ لا يرد قول من قال كيف امرهم بالقاء
عصيهم وهو منكر والامر بالمنكر حرام. قال كلا ان معي ربي سيهدين هي معية
بالعلم والعناية عند الجمهور وبالذات والحقيقة عند الاتحادية. ان اضرب
بعصاك البحر فانفلق اي فضربه فانفلق وهذا من دلالة الاقتضاء وهي التزامية

اذ انفلاقه يستلزم سببا وهو الضرب المامور به فان قيل كيف يتصور
انفلاق البحر وتماسك اجزاء الماء وهو بطبعه سيال قلنا هو ممكن وكل ممكن
مقدور وبيان امكانه ان طبع الماء مخلوق فالخالق له يقدر على اعدامه
فيتماسك او يخلق في الماء كثافة حجرية يستمسك بها كما يقلب الماء ملحا وقد
سبق وتبرهن ان العناصر الاربعة يجوز انقلاب بعضها الى بعض والماء احدها
فجاز انقلاب طبعه كما ينقلب بغلبة الارض اليابسة عليه فيصير طينا فان قيل
ما السبب في انفعال البحر وغيره لعصا موسى قلنا اما على راي المتكلمين فجعل
الله عز وجل استعمال موسى لها امارة على خوارق يخلقها عند ذلك فهي سبب
وامارة لا علة ومؤثر واما على راي الاتحادية فالله عز وجل بذاته ظهر فيها
وجعلها مظهرا له يتجلى منها المخلوقاته وهو عز وجل اذا تجلى لشيء خضع له
فلما تجلى للبحر من العصا خضع له فانفعل وانفلق كما انه لما تجلى للجبل اندك
ولموسى اخذه الصعق. قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
اشارة الى سلب الاصنام الالهية لنقصها فيقتضي بقياس العكس ان الاله
الحق كامل لا نقص فيه. قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون احتجوا
بالتقليد الباطل. فانهم عدو لي الا رب العالمين قيل استثناء منقطع
لان رب العالمين ليس من جنس ما يعبدون هم واباؤهم الاقدمون ويحتمل
اتصاله لان اباءهم الاقدمين يتناولهم الى ادم وكثير منهم كان يعبد رب
العالمين وهو داخل في عموم ما كانوا يعبدون فيكون اخراجه بالاستثناء
متصلا. الذي خلقني فهو يهدين يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل
مستقل بالهداية كاستقلاله بالخلق لاقترانهما في كلام ابرهيم ثم الضلال
يقابل الهدى فالمستقل بالهدى يستقل بالضلال. والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين يحتج به على وقوع الخطيئة من الانبياء لاعتراف ابرهيم
بها على نفسه. واغفر لابي هذا انجاز وعده اياه بالاستغفار في سورة مريم
حيث قال سأستغفر لك والمراد اهد ابي ليصير اهلا للمغفرة بدليل انه كان
من الضالين. فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون يعني
العابد والمعبود والشيطان المغوي بعبادته يكبكبون في النار لاشتراكهم
في كسب الشرك. وما اضلنا الا المجرمون يحتج به المعتزلة اذ حصروا
اضلالهم في المجرمين المسولين لهم واجاب الجمهور بانهم اضلوهم بالكسب
والتسبب. فما لنا من شافعين هذا في حق الكفار فلا حجة فيه للمعتزلة
على نفي الشفاعة على الاطلاق. امدكم بانعام وبنين الاية فيه اثبات النعمة
على الكفار وقد سبق نظيره في الاعراف. قال هذه ناقة لها شرب الاية

قيل خرجت هذه الناقة من الجبل تمخض عنها ثم انصدع فخرجت منه وذلك ممكن
كالدود يعيش في باطن الاحجار ويحتمل ان الجبل جعل فيه تخلخل ومسام يدخل
منه النسيم اليها ويخرج منه النفس ان قيل انها كانت هناك مدة وان قيل
اخترعها في الحال فلا حاجة الى التوجيه • وانه لتنزيل رب العالمين نزل
به الروح الامين يحتج به على انه منزل لا مخلوق وقد سبق • وانه لفي زبر الاولين
يعني ذكر القران والوعد بانزاله في الكتب القديمة فهو اية صدق النبي صلى الله
عليه وسلم بدليل • اولم يكن لهم اية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو لم يكن المراد
ما ذكرناه لما كان اية ولا قامت الحجة على الكفار بعلم علماء بني اسرائيل
لان مجرد كون معاني القران في التورية مثلا لا يكفي في الحجة على صدق الرسول
ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراه عليهم ما كانوا به مومنين هذا شبيه
بقوله عز وجل لا يومنون ولو جاءتهم كل اية ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
الاية لان اظهار هذا القران على لسان رجل اعجمي معجز ضروري ثم لو
كان كذلك لما امنوا لما يخلق في قلوبهم من الصوارف عن الايمان دل
على ذلك قوله عز وجل • كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يومنون به اي
سلكنا الشك فيه والتكذيب به في قلوبهم فلا يدعهم ذلك ان يومنوا انهم
عن السمع لمعزولون لحراسة الشهب للسماء • فلا تدع مع الله الها اخر الاية
يحتج بها على ما سبق في غير موضع من ان عصمة الانبياء انما هي من وقوع الكفر
لا من جوازه والا لما كان لهذا النهي والوعيد عليه فائدة • فان عصوك
فقل اني بريء مما تعملون وعيدي محكم مثل لي عملي ولكم عملكم القول
في سورة النمل الذين لا يومنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون
نسب تزيين الكفر اليه فيحتج به الجمهور واجاب المعتزلة بان ذلك جزاء
على عدم ايمانهم لا ابتداء وقد عرف وجوابه • فلما جاءها نودي ان بورك
من في النار ومن حولها احتج بها الاتحادية على ان الله عز وجل يظهر في
المظاهر لانه ههنا ظهر لموسى في النار ولذلك قال بورك من في النار ومن
حولها يجد نفسه التي في النار وبارك على موسى الذي هو حولها ولانه اخبر
ان في النار من يعبر عنه بمن في قوله بورك من في النار ولا نعلم قائلا
بانه كان فيها ملك ولا جان ولا انس فتعين انه هو الذي كان فيها والجمهور
عندهم ان هذا لو صح لكان اما على جهة الاتحاد او الحلول وكلاهما باطل
تبرهن بطلانه عندهم • اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم قيل هو
استثناء منقطع وقيل متصل فاحتج به من يرى جواز الظلم ونحوه من الانبيا
وورث سليمان داود احتج به الشيعة على ان الانبياء يورثون ليبطلوا الحديث

النمل

تف على احتجاج الشيعة
على توارث الانبيا
والرد عليهم
وهو نفيس

المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركنا صدقة
اخرجاه في الصحيحين وغيرهما وجه احتجاجهم منه قوله عز وجل في داود واتاه
الله الملك والحكمة ثم قال ههنا وورث سليمن داود فدل على ان الملك الذي
اوتيه داود هناك ورثه سليمن ههنا واذا ثبت ذلك كان الحديث المشهور
على خلاف نص القران فيكون مردودا واعترض الجمهور بوجهين احدهما
ان المراد وورث سليمن داود علمه وحكمته بدليل ان قبل ذلك ولقد اتينا
داود وسليمن علما وبعده وقال يعني سليمن يا ايها الناس علمنا منطق
الطير الوجه الثاني ان قوله عز وجل وورث سليمن مطلق لا عموم له
فيصدق بصورة تتادى بها وظيفته واجمعنا انه ورثه العلم فلم يبق
لارث المال ما يقتضيه من اللفظ فتسقط دعواه واجاب الشيعة عن
الاول بانا لا نسلم ان المراد ارث العلم لوجهين احدهما ان ارث العلم
مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة الثاني ان سليمن كان قد اوتي من العلم
اكثر من علم داود بدليل قوله عز وجل ففهمناها سليمن وكلا اتينا حكما
وعلما وكان سليمن يستدرك على داود قضاياه كما في قصة المراتين اللتين
اخذ الذئب ابن احداهما وغيرها فلم يكن له حاجة الى ارث علم داود واما
قوله عز وجل قبله ولقد اتينا داود وسليمن علما فحجة لنا لانه يقتضي
استغناء سليمن عن علم داود لكونه اوتي من العلم مثله وقوله وعلمنا
منطق الطير اما خاص بسليمن فيؤكد ما قلناه او عام فيه وفي داود وهو لا
يقتضي انه ورثه وعن الثاني بانا لا نسلم انه ورثه العلم وانما ورثه عندنا
الملك الذي اوتيه وبه تادت وظيفة اللفظ قالوا ومما يقدح في الحديث
ان اهل السير اتفقوا على ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا مياسير ذوي ثروة من ابل وغنم وكراع واثاث ثم ان بعضهم ورث
بعضا ولم ينقل قط ان احدا منهم قال تصدقوا بتركتي فاني لا اورث ولو
كان ذلك مشهورا لكان متواترا عن الانبياء كمعجزاتهم وقصد الشيعة
لعنهم الله بذلك تظليم الشيخين بمنع فاطمة ارثها من ابيها والعباس ارثه
من ابن اخيه صلى الله عليه وسلم اعتمادا على حديث هو على خلاف نص او ظاهر
القران وبين الطائفتين فيه بحث طويل قد سبق نبذة جيدة منه في اول
سورة مريم • واوتيت من كل شيء يحتج به وبقوله عز وجل تدمر كل شيء تخصيص
العموم بالحس لانه من المدرك حسا ان بلقيس هذه لم تؤت من ملكوت
السموات شيئا وكذلك الريح لم تدمر السموات والارض والجبال والاشبه ان
يجعل ذلك من باب العام اريد به الخاص وهو خصوص ما اوتيته هذه ودمرته

الريح • وزين لهم الشيطان اعمالهم اى بالوسوسة والله عز وجل زينها لهم خلقا اى
خلقها بما يخلق فيهم من دواعيها لقوله عز وجل كذلك زينا لكل امة عملهم • فناظرة
بم يرجع المرسلون قيل اى منتظرة ويستشهد به المعتزلة على ان ناظرة فى قوله عز
وجل وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة اى تنتظر نعم ربها لئلا
يلزمهم ثبوت الرؤية ويجاب بان قولها فناظرة معناه فرائية بم يرجع كما يقال
قد ارسلت الى فلان بكذا لانظر اى لارى ما يكون منه وهى رؤية عين او قلب
فيسقط استشهادهم • قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من
مقامك الى قول الاخر • انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فيه ان التصرف
بالقدرة اعظم من التصرف بلا اقدار لان تصرف العفريت لو وقع كان باقدار
الله عز وجل له عليه وتصرف الذى عنده علم من الكتاب كان بقدرة الله عز وجل
بواسطة اسمه الاعظم فلذلك كان اسرع واعظم • ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
فيه جواز وصف الله عز وجل بالمكر وهو بلوغ المقصود بطريق لطيف يخفى على الخصم
ثم ان المخلوق انما يستعمل المكر غالبا لعجزه عن بلوغ المقصود مجاهرة والله عز
وجل يفعله على طريق الحكمة واقامة الحجة ونحوه لا عجزا عن المجاهرة اذ لا يعجزه شئ
قوله عز وجل آلله خير اما يشركون ام من خلق السموات والارض الى قوله
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين تضمن ذلك نحو خمسة عشرة اية من ايات
الله عز وجل يحتج بها على وحدانيته ونفى الشريك له وانه الاله الحق لا غيره ونظم
الدليل هكذا ان الله عز وجل يفعل هذه الافعال وكل من فعل ذلك فهو الاله
الحق لا غيره فالله عز وجل هو الاله الحق لا غيره او يقال لا شئ من الهتكم تفعل
هذه الافعال والاله الحق يفعل هذه الافعال فلا شئ من الهتكم باله حق
قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله الاية انما كان كذلك لان
مدار علم الغيب على كمال القدرة والارادة والعلم وهذا الكمال مختص بالله
عز وجل فلذلك اختص بعلم الغيب وبيان ذلك ان الله عز وجل اذا اراد
ايقاع المطر مثلا بعد شهر وارادته تامة لا معارض لها يمنعها عن ايقاعه
بعد الشهر وقدرته على ذلك تامة لا عجز يلحقها وعلم انه لا ينسخ هذا الحكم ولا
يلحق فيه بدا علم قطعا وقوع المطر بعد شهر وهكذا علم الغيب فى سائر الصور
ولو كان مثل هذه الارادة والقدرة والعلم لاحد من الخلق لعلم الغيب قطعا
لكن ذلك فى المخلوق غير موجود وانما هو من خواص واجب الوجود سبحانه
وتعالى • وما يشعرون ايان يبعثون يعنى من فى السموات والارض لا يعلمون
متى البعث لانه عند قيام الساعة وقيام الساعة من مفاتيح الغيب الخفى
علمها عن الخلق • ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون هذا انكار منهم للبعث

وسبق نظيره فى المؤمنون ودليله فى النحل وتقريره يأتى بعد ان شاء الله عز وجل
ردف لكم يستدل به على زيادة اللام اذ تقديره ردفكم ويحتمل انه ضمن ردف
معنى بدا او غيره مما يتعدى باللام اى بدا او ظهر لكم ولا يحتاج الى حمله على
الزيادة لانها خلاف الاصل • وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ان قال
قائل قد وجهتم كيفية علمه الغيب فى الاشياء الخارجة فكيف توجيه علمه بذات
الصدور الباطنة قلنا قد اختلف فى توجيهه فالمتكلمون قالوا لان علمه
كامل وهو صفة قديمة قائمة بذاته عامة التعلق بالمعلومات الظاهرة والباطنة
الكلية والجزئية كما ان ارادته عامة التعلق بالمرادات وقدرته عامة التعلق
بالمقدورات والفلاسفة والمعتزلة لما كانوا يرون ان لا علم زائد على مفهوم
ذاته قالوا ان ذاته لما استغرقت الازل والابد وجودا كذلك استغرقت ما
بينهما من المعلومات علما وسع ربنا كل شئ علما وزعموا ان الفرق بينه وبين
غيره فى عموم العلم وخصوصه هو هذا وهو ان علمه بالاشياء بذاته فعم علمه
وعلم غيره بصفة زائدة على مفهوم ذاته فخص علمه بعض المعلومات دون
بعض وقد سبق الكلام معهم فى هذه المسئلة وزعم بعض الاوايل ان ارواح
الخلق تعرج اليه كل يوم وليلة حال النوم فتفضى اليه بما تكنه الصدور
وتأمرها بما يحرك به القلوب كما حكاه يحيى النبى وغيره من اهل الكتب الاثنى
عشر فى مرائيه واما الاتحادية فعندهم انه سار بذاته فى الخلق فلذلك يعلم
ما تكنه الصدور وتوسوس به النفوس واستدلوا بنحو ونحن اقرب اليه منكم
ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد وغيره مما سبق من حججهم فى سورة الانعام فهذا ما حضرنا الان
فى هذا الجواب والاقرب الى تنزيه الله عز وجل وادلة الشرع هو قول
المتكلمين وهو مذهب المسلمين • وما من غائبة فى السماء والارض الا فى
كتاب مبين اعلم ان علمه عز وجل سبق بالكائنات فى الازل ثم اثبتها فى
الكتاب المبين وهو اللوح المحفوظ على وفق علمه الذاتى او كما شاء فى انها
فى الواقع تقع على مطابقة ما سبق فى العلم الازلى والكتاب المبين • واذا وقع
القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم الاية هذه من غائبات
القران الواجب وقوعها ومن معجزات النبى صلى الله عليه وسلم واخباره
بالغائبات التى لا بد من وجودها يقال ان هذه الدابة عظيمة ارتفاعها
فى السماء ثلاثة ايام تسم المؤمن والكافر بصفتهما • حتى اذا جاءوا قال
اكذبتم باياتى ولم تحيطوا بها علما يحتج به الظاهرية فى العقايد ويقولون
ان الله عز وجل خاطبنا من صفات ذاته بما لا نحيط به فوجب علينا الايمان

مطلب
كيف توجيه علمه تعالى
بذات الصدور وهو عل
نفسه

بظاهره ويجاب عنه بان ذلك متشابه وقوله عزوجل ليس كمثله شئ محكم
فيجب رد المتشابه اليه واستعمال التنزيه عما لايليق بجلاله عزوجل. ومن
ضل فقل انما انا من المنذرين يحتج به القدرية لنسبة الضلال الى المكلف
ومقابلته بالانذار وقد عرف جوابه **القول فى سورة القصص**

القصص

فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا هذه لام العاقبة اى لتكون عاقبتهم
ذلك نحو لدوا للموت وابنوا للخراب. ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا
على قلبها اى ثبتناها عن الابداء بامر موسى وذلك لما الهمناها وخلقناه
فى قلبها من دواعى الكتمان والصوارف عن الاذاعة واستعارة الربط ههنا
من بديع الاستعارة تشبيها للقلب بوعاء ربط لحفظ ما فيه ويحتج الجمهور
بهذا لان الله عزوجل اذا كان له من التصرف فى القلوب ان يربط عليها و
ويطلقها كان له من التصرف فيها ان يهديها ويضلها. فرددناه الى امه كى
تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق فيه تعليل افعاله عزوجل بالحكم
والمقاصد. فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه احتج به الشيخ
شمس الدين الجزرى شارح المنهاج فى اصول الفقه على الشيخ تقى الدين بن
التيمية فيما قيل عنه انه قال لا يستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم
لان الاستغاثة بالله عزوجل من خصايصه وحقوقه الخاصة به فلا تكون
لغيره كالعبادة وتقرير الحجة المذكورة انه قال يجب ان ينظر فى حقيقة
الاستغاثة ما هى وهى الانتصار والاستصراخ ثم قد وجدنا هذا الاسرائيلى
استغاث بموسى واستنصره واستصرخه بنص هذه الايات وهى استغاثة مخلوق
بمخلوق وقد اقر موسى عليها الاسرائيلى واقر الله عزوجل موسى على ذلك ولم
ينكر محمد صلى الله عليه وسلم ذلك لما نزلت عليه هذه الايات فكان هذا اقرار
من الله عزوجل على استغاثة المخلوق بالمخلوق واذا جاز ان يستغاث بموسى
فبمحمد صلى الله عليه وسلم اولى لانه افضل باجماع ومما يحتج به على ذلك حديث
هاجر ام اسماعيل حيث التمست الماء لابنها فلم تجد فسمعت حسا فى بطن
الوادى فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث وهذا فى معنى الاستغاثة
منها بجبريل وقد اقرها على ذلك ولم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم عليها لما حكاه
عنها ولان اعتقاد التوحيد من لوازم الاسلام فاذا راينا مسلما يستغيث
بمخلوق علمنا قطعا انه غير مشرك لذلك المخلوق مع الله عزوجل وانما ذلك
منه طلب مساعدة او توجه الى الله عزوجل ببركة ذلك المخلوق واذا استصرخ
الناس فى موقف القيمة بالانبياء ليشفعوا لهم فى التخفيف عنهم جاز
استصراخهم بهم فى غيره ذلك المقام وقد صنف الشيخ ابو عبد الله بن النعمان

كتابا

كتابا سماه مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام واشتهر هذا الكتاب واجمع
اهل عصره على تلقيه منه بالقبول واجماع اهل كل عصر حجة فالمنكر لذلك
مخالف لهذا الاجماع فان قيل الاية المذكورة فى قصة موسى والاسرائيلى ليست
فى محل النزاع من وجهين احدهما ان موسى كان حينئذ حيا ونحن انما نمنع
من الاستغاثة بميت الثانى ان استغاثة صاحب موسى به كان فى امر يمكن
موسى فعله وهو اعانته على خصمه وهو امر معتاد ونحن انما نمنع من الاستغاثة
بالمخلوق فيما يختص فعله بالله عزوجل كالرحمة والمغفرة والرزق والحيوة
ونحو ذلك فلا يقال يا محمد اغفر لى او ارحمنى او ارزقنى او احينى او اعطنى
مالا او ولدا لان ذلك شرك باجماع واجيب عن الاول بان الاستغاثة اذا
جازت بالحى فبالميت المساوى فضلا عن الافضل اولى لانه اقرب الى الله
عزوجل من الحى لوجوه احدها انه فى دار الكرامة والجزاء والحى فى دار التكليف
الثانى ان الميت تجرد عن عالم الطبيعة القاطعة عن الوصول الى عالم الاخرة
والحى متلبس بها الثالث ان الشهداء فى حيوتهم محجوبون وبعد موتهم احياء
عند ربهم يرزقون وعن الثانى ان ما ذكرتموه امر مجمع عليه عند صغير
المسلمين فضلا عن كبيرهم ان المخلوق على الاطلاق لا يطلب منه ولا ينسب
اليه فعل ما اختصت القدرة الالهية به وقد راينا اغمار الناس وعامتهم
وابعدهم عن العلم والمعرفة يلوذون بحجرة النبى صلى الله عليه وسلم ولا يزيدون
على ان يسالوا الشفاعة والوسيلة يا رسول الله اشفع لنا يا الله ببركة
نبيك اغفر لنا فصار الكلام فى المسئلة المفروضة فضلا لا حاجة باحد
من المسلمين اليه واذا لم يكن بد من التعريف بهذا الحكم خشية ان يقع
فيه احد فليكن بعبارة لا توهم نقصا فى النبى صلى الله عليه وسلم ولا غضا من
منصبه مثل ان يقال ما استأثر الله عزوجل بالقدرة عليه فلا يطلب من
مخلوق على الاطلاق او نحو هذا ولا يتعرض للنبى صلى الله عليه وسلم بسلب الاستغاثة
عنه مطلقا ولا مقيدا ولا يذكر الا بالصلوة والسلام عليه والرواية عنه ونحو
ذلك هذا حاصل ما وقع فى هذه المسئلة سؤالا وجوابا ذكرته بمعناه و
وزيادات من عندى. قال هذا من عمل الشيطان يحتج به المعتزلة فى نسبة
خلق الافعال الى المخلوق لان موسى نسب قتله القبطى الى الشيطان بانه من
عمله واجيب بان معناه هذا من جنس عمل الشيطان او مما وسوس به وزينه
الشيطان ونحو ذلك والا فقتل القبطى مخلوق لموسى عندكم على الحقيقة
وعندنا لله عزوجل فلم يبق للشيطان الا التزيين والوسوسة ولموسى الا
الكسب عندنا. قال رب انى ظلمت نفسى اى بكسب القتل عندنا وبخلقه

عندهم • فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه فسّر الاستغاثة السابقة
بالاستنصار والاستصراخ فدل على انها مترادفة على معنى واحد كما سبق ذكره
فلما اتاها نودى من شاطئ الواد الايمن الاية يحتج بها الصوتية لان
المنادى ههنا هو الله عز وجل بنفسه بدليل • انى انا الله رب العالمين والنداء
لا يعقل الا بحرف وصوت واجاب الخصم باحتمال ان النداء بواسطة ملك
حاك لقوله انى انا الله او يكون موسى غاب عن حسه فادرك الندا بلا صوت ولا
حرف فى الخارج كما يدرك النايم الكلام كذلك ولو صح قول الصوتية للزم ان الله
عز وجل جسم فى ذاته او انه يتطور فى الاجسام اذا شاء ويتخذها مظهراً له على
راى الحلولية او الاتحادية وانه باطل لان الجسمية من لوازم الصوت قطعا
فذانك برهانان من ربك البرهان هو الحجة المركبة من مقدمتين قاطعتين
وعصى موسى ويده البيضا كذلك اذ يقال فى كل واحدة منهما هذا خارق للعادة
معجز يدل على صدق صاحبه فهذا معجز يدل على صدق موسى • واخى هرون هو
افصح منى لسانا هذا مما تناقض به الشيعة لعنهم الله حيث قالوا ان قوله
صلى الله عليه وسلم لعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى اثبت له المنازل
الهارونية فيقال لهم فيجب ان يكون على افصح منه كما كان هرون افصح من
موسى فان التزموا ذلك فهو خلاف الاجماع وخلاف قوله صلى الله عليه وسلم
انا افصح من نطق بالضاد وان لم يلتزموه انتقضت دعواهم اللهم الا ان
يمنعوا كون الفصاحة منزلة من المنازل او يسلموا ذلك ويدعوا تخصيصها
بدليل كالنبوة مع ان كثيراً منهم يزعم ان كلام على فى النهج وغيره افصح
الكلام بعد القران • فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى
اطلع الى اله موسى الاية يحتج بها اصحاب الجهة كما سبق • فاخذناه وجنوده
فنبذناهم فى اليم الى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الى قوله المقبوحين
هذا كله يتناول بعمومه فرعون مع جنوده • وهو قاطع فى الرد على من زعم
انه مات مؤمنا ايمانا اختياريا نافعا • وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا
الى موسى الامر الى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك
هذا استدلال على صدق محمد عليه الصلوة والسلام وتقريره كما سبق
فى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اى انت لم تشهد
موسى حين اوحينا اليه ولا كتبت ولا دارست ولا اخبرت فما قصصت
خبره على وجهه الا برحمة من ربك وهو الوحى واعلم ان فى التورية ان
اسحق او يعقوب جرى له فى سقى الغنم ولقاء المرأتين ونكاح امراة ونحوه
شبيها بما تضمنته هذه السورة مما جرى لموسى مع ابنتى شعيب وليست

قصة موسى على هذا السياق فى التورية فاليهود اذا سمعوا قرا المسلمين يقراون
سورة القصص تغامزوا بينهم اى انظروا كيف اشتبهت القصة على محمد او على
من لقنه فحرفها وبدلها لانها عندهم قصة اسحق او يعقوب وانا رايتهم ينظر
بعضهم الى بعض فى بعض الاسواق وقارى ضرير يقرا هذه القصة والجواب
ان ما ذكروه غير لازم لجواز ان القصة حرفت فى التوراة عن موسى الى غيره
والتورية اولى بالتحريف لوجوه احدها تقادم عهدها الثانى احراق بخت
نصر لها حتى لم يجدوها الا عند عزير فاملاها عن ظهر قلب فزعموا انه ابن
الله لذلك على ما قيل الثالث ان احبارهم حرفوا منها كثيراً من صفات
محمد صلى الله عليه وسلم واحواله الدالة على نبوته استنزالا لعامتهم ان يؤمنوا
واستدامة للرياسة عليهم فلعلهم حرفوا هذه القصة الى اسحق لما سمعوها
فى القران مضافة الى موسى ايقاعا للريبة فى قلوب عوامهم وقد رايت
لابى الفخر الاسكندرى النصرانى وكان يهوديا فتنصر ولغيره جزأ جمع فيه
ما حرفه اليهود من التورية تحريف تبديل لا تحريف تاويل رايت هذا الجزء
عند ابى البشائر بن فرج الله النصرانى الحكيم بقوص من بلاد الصعيد
سلمنا ان القصة لم تحرف فى التورية لكن جاز انها جرت لاسحق وموسى
جميعا فذكرت عن اسحق فى التورية وعن موسى فى القران دون التورية على
حسب اختيار المتكلم او حكمته او الداعى الى ذلك ومع هذا الاحتمال لا يجوز
القطع بالتحريف على احد الموضعين كيف وان عبد الله بن سلام اعلم اليهود
بالتورية ومن تابعه منهم مع علمهم بسورة القصص لم يمتنعوا من
الاسلام ولو صح عندهم ما قلتم لامتنعوا منه بل قامت عندهم براهين
النبى صلى الله عليه وسلم من التورية وغيرها من كتب الاولين فاسلموا قوله
عز وجل • لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك الاية احتج بها بعض
اهل الذمة فى كتاب له على ان محمدا انما ارسل الى العرب لانهم هم الذين ما
اتاهم من نذير قبله اما بنوا اسرائيل فالنذر والرسل قبله فيهم كثير
وجوابه من وجهين احدهما ان المراد ما اتاهم من نذير من قبلك فى هذه
الفترة التى بينك وبين المسيح فطال العهد وحرفت الكتب ودخلت الملل
فاحتيج الى رسول يرشد الناس ارشادا خالصا من الريب واليه الاشارة
بقوله عز وجل • ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر الوجه الثانى
هب ان المراد بالقوم الذين لم ياتهم نذير قبله هم العرب لكن ليس فى الاية
ما يقتضى تخصيص رسالته اليهم الا بطريق مفهوم ضعيف لكن ذلك
المفهوم لا يعارض نصوص القران فى عموم الدعوة ثم ان من اعترف برسالته

الى العرب لزمه القول بعموم دعوته لان مطلق رسالته ولو الى قبيلة من العرب
يستلزم صدقه وقد تواتر عنه انه ادعى عموم الدعوة فيجب قبول ذلك منه
لثبوت رسالته المطلقة او مطلق رسالته • فيقولوا ربنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع الاية سبق نظيرها فى اقامة الحجة بارسال الرسل فى
اخر طه والنساء • انك لا تهدى من احببت الاية سياق ما قبلها يقتضى
انها فى اهل الكتاب لانه قسمهم قسمين احدهما معاند للقران منكر له وهو
المذكور فى قوله عز وجل • ولولا ان تصيبهم مصيبة الى ولقد وصلنا لهم
القول لعلهم يتذكرون والثانى مومن بالقران وهم مومنوا اهل الكتاب
وهو المراد بقوله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون
الى اولئك يؤتون اجرهم مرتين الى سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين وهؤلاء
كعبد الله بن سلام واصحابه ثم جاءت هذه الاية مشتركة بين القسمين
فقوله عز وجل انك لا تهدى من احببت اشارة الى القسم الاول الضال منهم
وقوله عز وجل • ولكن الله يهدى من يشاء الاية اشارة الى القسم الثانى
المهتدى منهم فهذا كلام متجه بشهادة ظاهر الكتاب غير ان الحديث الصحيح
ورد بان هذه نزلت فى ابى طالب حين احب النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه
الى الاسلام عند موته فالمشهور انه امتنع ومات على ملة عبد المطلب وحكى
ابن اسحق انه نطق بكلمة الشهادة قبل خروج روحه والعباس عنده فسمعه
فقال للنبى صلى الله عليه وسلم انه قد اسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
ما سمعت شيئا فلما اختلف النقل فى ذلك اختلفت السنة والشيعة فى
ذلك فقال الجمهور انه مات كافرا واحتجوا بوجوه احدها هذه الاية
نزلت بسببه وهى تقتضى عدم اسلامه لان النبى صلى الله عليه وسلم كان
يحب اسلامه والاية تضمنت انه لا يهدى من احب الثانى الحديث الصحيح
انه صلى الله عليه وسلم قيل له ان ابا طالب كان يحوطك فهل نفعته بشئ
قال نعم هو فى ضحضاح من النار ولولا انا لكان فى الدرك الاسفل
من النار وفى حديث اخر فى رجليه نعلان من نار يغلى منهما دماغه الثالث
ما جاء فى بعض الاثار ان ابا طالب لما مات جاء على الى النبى صلى الله
عليه وسلم فقال ان عمك الشيخ الضال قد مات قال فاذهب فواره ثم امر
عليا بعد ذلك بالغسل ولولا انه مات كافرا لما سماه ابنه على ضالا ولا
اقره النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك ولا تخلف عن شهود امره ولا امر
عليا بالاغتسال من غسله الرابع انه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
لما رفع سرير ابى طالب عارضه النبى صلى الله عليه وسلم وقال وصلتك رحم

ياعم ولم يتبعه ولو مات مسلما لكان احق وافضل من تبعه لما كان يحوطه
وينصره ويشفق عليه وقالت الشيعة انه مات مسلما واحتجوا بوجوه احدها
قوله عز وجل فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل
معه اولئك هم المفلحون قالوا ولا يقدر احد يدعى ان احدا نصر محمدا
صلى الله عليه وسلم ووقره نصرة ابى طالب له حين لا ناصر من الخلق سواه
حتى حارب قريشا باسرها فى نصرته وقد فصل فى السير المعتبرة من ذلك
ما لا نطيل بذكره ولم ينصره هذه النصرة وقطع فيه رحم قومه الا وهو مؤمن
به ولكنه اخفى ايمانه تقية لان تدبير الحرب والمكيدة فى نصرة الله ورسوله
اقتضت ذلك ولو اظهر خلافهم فى الدين لتمالوا عليه ثم لم يثبت لهم فلما
ايقن بالموت اظهر اسلامه كما رواه عنه العباس فيما رواه ابن اسحق لانه
لم ييأس من نفسه وحرب قومه الا ذلك الوقت الثانى ان ابا طالب كفل
يتيما وكل من كفل يتيما فهو فى الجنة اما الاولى فلان ابا طالب كفل محمدا
صلى الله عليه وسلم يتيما وهو افضل الايتام وغيرهم واما الثانية فلقوله
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة واشار باصبعيه فاذا
ابو طالب فى الجنة وذلك يستلزم ايمانه الثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم
اقره على نكاح زوجته فاطمة بنت اسد ام على ولولا انه مؤمن لما اقره اذ
ليس من دينه نكاح الكافر المسلمة الرابع ان الحديث الصحيح ورد بان المرء
مع من احب ولا يشك احد ان ابا طالب كان يحب النبى صلى الله عليه وسلم
حتى ان كان ليؤثره على اولاده فليكن معه صلى الله عليه وسلم عملا بموجب
الحديث وذلك مستلزم لايمانه الخامس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحب
ابا طالب لانه كافله وناصره ومربيه وعمه صنو ابيه لابويه لا يشك احد
فى ذلك وكل من احبه صلى الله عليه وسلم فهو مؤمن فى الجنة لان من احب
النبى اذا كان فى الجنة فمن احبه اولى بذلك وان شك شاك فى حب
النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب فلينظر الى قوله صلى الله عليه وسلم
جبلت القلوب على حب من احسن اليها ولا احد احسن الى النبى صلى الله
عليه وسلم احسان ابى طالب فوجب ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يحبه
السادس ان ابا طالب جاهد فى الله وكل من جاهد فى الله مؤمن اما الاولى
فلانه نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو مجاهد فى الله ومن تامل السيرة علم ان جهاد ابى طالب فى نصرة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واقامة دينه وذبه عنه وحياطته له افضل الجهاد
حين رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وقصارى من اتبعه ان يفروا

بدينهم الى الحبشة وغيرها وقريش باسرها واحابيشها واتباعها ترميه عن قوس
واحدة وابو طالب يلقى عنه بنحره هذا مما لا ينكره منصف واما الثانية فلقوله
عز وجل والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وحسبك به وعدا يقتضى
هداية من جاهد فى الله السابع ان اشعار ابى طالب فى ديوانه ينادى بايمانه
كقوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم • •

• وابيض يستسقى الغمام بوجهه • ثمال اليتامى عصمة للارامل •

ان اقتضى سياقه انه مدح فيه ولا احقق ذلك والظاهر خلافه وليس هذا
بالمقصود انما المقصود مثل قوله • •

• ولقد علمت بان دين محمد • من خير اديان البرية دينا •

وفى رواية • وعرضت دينا لا محالة انه • من خير اديان البرية دينا •
وقوله • ولقد صدقت وكنت قدم امينا • وقوله •

• فاصدع بامرك ما عليك خصاصة • وافرح وقر بذاك منك عيونا •

فهذا مدح لدينه وتصديق له وامر له باظهاره والصدع به ولا ايمان فوق
ذلك واشعاره فى هذا المعنى كثيرة لم نستحضرها فهذا ما نحفظه ونستحضره
الان من حجج الفريقين فى اسلام ابى طالب واعتراض كل طائفة على حجة الاخرى
يطول فلنقتصر وقد رايت لبعض الشيعة كتابا مستقلا فى اسلام ابى طالب
والذى ذكرته لهم جل ما فيه ان لم يكن كله فاعلم ذلك ثم ان قوله عز وجل
انك لا تهدى من احببت الاية يحتج بها الجمهور فى ان الهداية الى الله عز وجل
وكذا الضلال مقابل لها هو بقدره خلافا للمعتزلة • وما كان ربك مهلك
القرى الاية سبق نظيرها فى الانعام وهود • وربك يخلق ما يشاء ويختار
ما كان لهم الخيرة يحتج به على ان الصانع فاعل بالاختيار لا الايجاب خلافا
للفلاسفة وعلى رأى الجبرية فى ان لا اختيار للعبد فى فعله بل هو مجبر لا مخير
يدل عليه • وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة وله الحكم اى فيهما
واذا كان له الحكم فى الدنيا على العموم والاطلاق فلا حكم لاحد معه ولا اختيار
وذلك حقيقة الاجبار • فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا ان الحق لله فيه ان
المستدل اذا طولب بالدليل على دعواه فلم يذكره او لم ينهض بتقريره انه
يكون منقطعا لان هؤلاء ادعوا الشركاء فاذا طولبوا بالبرهان لم يجدوه
وقد حكم بانقطاعهم ولزوم الحجة لهم • قال انما اوتيته على علم عندى قيل
هو الكيمياء وقد سبق القول فيها غير مرة وذكر فى السير ان موسى لما امر ببناء
قبة الزمان بالذهب بنى بما مع بنى اسرائيل من الذهب الذى كانوا اخرجوا
به من مصر فلم يكف فشكى ذلك موسى الى ربه فنزل جبريل فعلمه الكيمياء

فعمل

فعمل منها ما كمل به بناء القبة ثم تركها ثم انه علمها اخته واخاه هرون فسال
قارون ان يعلمه اياها فقال لا خير لك فيها فالح عليه حتى علمه فكنز منها
الكنوز ثم كانت سبب هلاكه دنيا واخرى قيل ومن ثم كان اكثر ما يوجد
الكيميا والزغل فى ولد هرون من اليهود • ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون
اى بعد اقامة الحجة عليهم اذ لا فائدة فى سؤالهم بعد ذلك • كل شئ هالك
الا وجهه قيل ذاته وقيل صفة تسمى وجها وقيل الا ما اريد به جهة التقرب
اليه القول فى سورة العنكبوت فلبث فيهم الف سنة الا خمسين — العنكبوت
عاما يحتج به على استثناء الاقل • وتخلقون افكا يحتج به القدرية لتصريحه
باضافة خلق الافك اليهم وجوابه ان معناه وتكذبون كذبا او وتكسبون
افكا والخلق مشترك بين الاختراع والكذب وغيرهما ومنه ان هذا الا اختلاق
ان هذا الا خلق الاولين • ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا احتجاج على التوحيد ونفى الشرك بان الشريك لا يملك الرزق وقد
سبق هو ونحوه • اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده اى ثم هو
يعيده وهو احتجاج على الاعادة بالقياس على الابتداء وكذا كيف بدا الخلق
ثم الله ينشئ النشاة الاخرة • فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه الاية لانه قطعهم وافحمهم فى الجدال والاحتجاج على عادته فى حسن
النظر والتأييد بالحجة • ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل اشارة
الى حكمة تحريم اللواط وذلك من وجهين احدهما ان ذلك يضعف رجوليتهم
وهمتهم والحاجة داعية اليهم للجهاد فاذا وجد شجاع او مجاهد منجب
ممن فعل به ذلك لم تنتقض هذه العلة لانه لو لم يفعل به لكان اشجع
وانجب والزيادة فى ذلك مطلوبة والثانى قطع سبيل النسل اذ ليس
فى محل الحرث • انا مهلكوا اهل هذه القرية مع قول ابرهيم • ان فيها لوطا
وقول الملائكة • لننجينه واهله يحتج به على ان للعموم صيغة لان ابرهيم
فهم من صيغة اهل هذه القرية حتى عرض بتخصيص لوط • وزين لهم الشيطان
اعمالهم فصدهم عن السبيل اى باغوائه ووسوسته • وكانوا مستبصرين
اشارة الى غلبة القدرة والارادة وانقهار العقول تحت مجارى الاقدار
بحيث لا ينفع الاستبصار وربما حمله القدرية على انهم عاندوا الحق مع
استبصارهم تقريرا للحجة عليهم • فكلا اخذنا بذنبه الى فما كان الله
ليظلمهم يحتج به المعتزلة اذ لو كان الله عز وجل خالقا لافعالهم لكان
قد ظلمهم ولم يكن آخذا لهم بذنبهم وجوابه ما عرف على اصل الكسبية
والجبرية • وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت انكروا على الحريرى

قوله فادخلني بيتاً اضيق من التابوت واوهن من بيت العنكبوت وليس
بمنكر لان البيت الذى ذكره الحريرى مفتعل لا وجود له فى الخارج انما هو متصور
فى الذهن لا غير وبيت العنكبوت موجود فى الخارج منه الوف من البيوت وما لا
وجود له اصلا اوهن مما له وجود على كل حال وانما ذكرت هذا لان الانكار
المذكور لو لزم الحريرى لاقتضى كفره لتضمنه الرد على الله عز وجل فيما بالغ فيه
والتكفير ونحوه من مسائل اصول الدين • ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى
هى احسن فيه مشروعية جدال اهل الكتاب اذا اثاروا شبهة فتكشف لئلا
يظن ان معهم حقا ثم ان كانوا ذمة او مستامنين وجب الرفق بهم ولا يعنف
عليهم لئلا يظن انهم استبقوا الحجة لم يقدروا على اظهارها ورعاية لعهد
الذمة وان كانوا حربا فحكمهم واضح اذ قتالهم جائز ومن كان عندهم بدار
الحرب فان امن على نفسه كرسول المسلمين جاز ان يصدعهم بالحجة ويغلظ
لهم اعزازا للكلمة وان لم يامن كالاسير والمستامن اليهم من المسلمين ففيه
الخلاف فمن اكره على الكفر ايما افضل له الاجابة او الامتناع ان قلنا الاجابة
فهنالك الافضل الرفق فى الجدال وان قلنا الامتناع فهنالك الافضل الغلظة
وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
هذا احتجاج على صدقه صلى الله عليه وسلم اى انك جئت بكتاب خارق للعادة
عظيم الوقع مع انك لم تكن قبله قارئا ولا كاتبا وكل من اتى بكتاب على هذا الوجه
فهو نبى اتى بمعجز فانت نبى اتى بمعجز اما الاولى فلانه صلى الله عليه وسلم
اتى بالقران وحسبك به كتاب عجز عن معارضة ايسره فصحاء العرب واما
انه صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبا ولا قارئا فواضح وخصومه من الكفار سلموا
ذلك حتى انهم لما اتهموه انما اتهموه بانه يستملى ذلك ممن يقرا ويكتب ولو
كان قارئا كاتبا لما احتاجوا الى ذلك بل قالوا انت قارئ كاتب فلا يستكثر
لك هذا القران واليه الاشارة بقوله اذا لارتاب المبطلون واما الثانية
فلان من اتى بكتاب على هذا الوجه بهذا الوصف كان خارقا للعادة كما لو ان
راعى غنم لم يكتب قط ولا فارق الصحراء ولم يجتمع بكاتب قط فكتب خطا اعجز
فيه ابن مقلة وابن البواب واضرابهم من مبرزى الكتاب كان خارقا للعادة
قطعا وكل خارق للعادة مع التحدى وعدم المعارضة فهو نبى آت بمعجز فهذا
برهان واضح • بل هو ايات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم يحتج به من
قال ان حقيقة القران الذى هو كتاب الله عز وجل وكلامه فى الصدور
لظاهر الاية مع القول بقدمه والاخرون قالوا هذا يوجب حلول القديم
فى الحادث وهو محال بل اما ان يقولوا بخلقه ليكون حلول مخلوق فى مخلوق

بلغ مقابلة

اوبقدمه

او بقدمه قائما بذات الله عز وجل والحاصل منه فى الصدور مثال مطابق له وذكره
وحفظه كما ان الله عز وجل مذكور باللسان والقلب محفوظ فيه وليست ذاته
حالة فى شئ وقد بالغ بعضهم فى التشنيع على من قال بقدم القران وحلوله
فى الصدور حتى قال هؤلاء اكفر من النصارى اذ النصارى انما قالوا بحلول
القديم فى ذات المسيح لا غير وهؤلاء يلزمهم حلول القديم فى كل شخص حفظ
القران او بعضه ولو اية واختلف القائلون بظاهر الاية هل حقيقة القران
فى الصدر كالمظروف فى الظرف او انه كظهور الوجه فى المراة او كظهور نقش
الخاتم فى الشمع على اقوال وقال قوم للقران اربع وجودات وجود عينى وهو
تقرر حقيقته فى الخارج اما بذات الله عز وجل او غيره على الخلاف فى حدوثه
وقدمه ووجود ذهنى وهو حصول صورة فى الذهن مطابقة له وحفظه هو
ذلك مع امكان استحضاره لفظا ونظما بحسب الاختيار ووجود لسانى وهو
تلاوته وبنانى وهو كتابته بالبنان • وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه
الى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فيه ان القران معجز
تام وحجة كاملة لا يحتاج معها على النبوة الى دليل لانه انكر عليهم عدم
الاكتفاء بها فدل على انه كاف شاف وقد تبين وجه كونه معجزا • وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم يحتج به على ان عموم الرزق من
الله عز وجل حلالا وحراما وقد سبق عليه ما هو ادل من هذا • ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيى به الارض من بعد موتها الى وان الدار الاخرة
لهى الحيوان اشارة الى دليل البعث بقياس احياء الارض بالنبات وليس صريحا
فيه كغيره • ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا امر تهديد ووعيد كنظيره فى
النحل القول فى سورة الروم لله الامر من قبل ومن بعد يحتج به
القائلون بقدم القران بناء على ان الامر هو القران ومعنى من قبل ومن بعد
اى من قبل كل شئ وبعد كل شئ فانتظم الدليل هكذا القران هو الامر والامر
ثابت لله عز وجل قبل كل شئ وبعده فالقران ثابت لله قبل كل شئ وبعده
واعترض عليه بان الامر لفظ مشترك والمراد به ههنا الحكم والتصرف الذى
به غلبت الروم وغلبت نحو الامر اليك اى التصرف سلمناه لكن المراد بمن قبل
اى من قبل غلبهم وبعده وذلك لا يدل على القدم وهب ان المراد قبل كل شئ
لكن ذلك ليس هو الازل لان العالم حادث وقبل حدوثه بلحظة يصدق انه
قبل كل شئ اللهم الا ان يعتقدوا قدم العالم فيكون الامر المذكور قبله بالذات
لا بالزمان كما زعمت الفلاسفة فى قدم الصانع على العالم لكنهم لا يقولون
بذلك • الله يبدؤ الخلق ثم يعيده الاية فيها الاخبار بالبعث ودليله بعد

الروم

ببسم يذكر ان شاء الله عز وجل • ويوم تقوم الساعة ههنا وفى اخر السورة لختام
بقيامتها وذكر بعض احكامها مما ذكر وسيذكر ان شاء الله عز وجل يخرج الحى من
الميت ويخرج الميت من الحى الى وكذلك تخرجون فيه دليلان على امكان البعث
والمعاد احدهما قياس اخراج الموتى من الارض على اخراج الحى من الميت ونظمه هكذا
البعث اخراج حى من ميت وهو ممكن وكل ممكن مقدور فالبعث مقدور اما
ان البعث اخراج حى من ميت فلان الارض والرحم موات يخرج منها الناس
احياء وانما قلنا ان ذلك ممكن لانه لا يلزم منه محال لذاته وقياسا على اخراج
الحيوان الحى من حيوان ميت وهو كثير مشاهد فى بنى ادم وغيرهم واما ان
كل ممكن مقدور فواضح الثانى قياس البعث على احياء الارض بالمطر بعد موتها
وقد سبق تقريره فى الاعراف وغيرها فهذا دليل امكانه اما وقوعه فاخبار
الصادق به • ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم يحتج به
على ان اللغات توقيفية لان الالسنة هى اللغات وقد اضاف اختلافها
اليه وذلك ظاهر فى التوقيف مع احتمال انه خلق فيهم دواعى الاصطلاح
واقدرهم عليه فكيف يكون وضعها اصطلاحيا وخلقه منسوبا اليه
ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ذكره عقيب قوله عز وجل
وينزل من السماء ماء فيحيى به الارض بعد موتها فهو مما سبق من قياس الاعادة
على احياء الارض • وهو الذى يبدؤ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه اى عندكم
او هو اهون بمعنى هين وهذا الاستدلال على الاعادة بقياسها على البدء
بجامع الامكانية والمقدورية وكونها اهون ضرورى اذ اعادة الجدار
المستهدم بالآلة اهون على بانيه من ابتدائه اول مرة قطعا وكذلك قدمنا
ان الجسم ينحل الى جواهر مفردة كانقاض الجدار ثم الله عز وجل يجمع تلك
الجواهر ويؤلف منها الجسم فيعود كما كان وهذا فى اول سورة ق ابين
منه ههنا وسيأتى ان شاء الله عز وجل • ضرب لكم مثلا من انفسكم الاية
من ادلة التوحيد شبيهة باية النحل فما الذين فضلوا برادى رزقهم
الاية وتقريرها هذه ان الهتكم مملوكة لله عز وجل وكما ان عبيدكم وما
ملكت ايمانكم لا يشاركونكم فى ارزاقكم واموالكم كذلك الله عز وجل لا يشارك
الالهة المملوكة له فى عبادته وخلقه وهو قياس جلى وكذلك كما لا تخافون
عبيدكم فالله عز وجل لا يخاف الالهة المملوكة له ولو كانت آلهة حقا لكان
يخافها اذ كانت تكون مثله فتبتغى الى ذى العرش سبيلا فيخاف غايلتها
والتالى باطل فالمقدم مثله فهذان برهانان فى هذه الاية • فمن يهدى من
اضل الله صريح فى مذهب الجمهور لانه اضاف اضلالهم اليه وهو موجب

لضلالهم فيكون سهم القدرة مصيبا والا كان مخطئا وانه باطل • الله الذى خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الاية فيه اشارة الى انحتام الرزق كالخلق
والموت والبعث لاقتران الرزق بالثلاثة وسرد الجميع فى قرن وهذا مما
يقوى عزايم الفقراء ونحوهم ولعل بعض الناس من ههنا اخذ قوله الرزق
كالاجل يطلبك وانت عنه غافل • هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من
شئ دليل على التوحيد ونفى الشريك ونظمه هكذا الهتكم لا تفعل شيئا من
هذه الاربعة والاله الحق يفعل هذه الاربعة فالهتكم ليست هى الاله الحق •
الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا الى قوله عز وجل فانظر الى اثر رحمة
الله كيف يحيى الارض بعد موتها ان ذلك لمحيى الموتى الاية تضمنت الدليل
المشهور على الاعادة بقياسها على احياء الارض بالمطر وتنبه على الجامع وهو
الامكان والقدرة بقوله عز وجل وهو على كل شئ قدير والامكان من لوازم
المقدورية • كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اى يختم عليها وقد
سبق معناه فان قيل اى فائدة فى الطبع على قلب من لا يعلم وهل هو الا
تحصيل الحاصل او شبيه به والجواب ان المراد يطبع على قلب من لا يستعمل
العلم بالنظر فى ايات الحق فعبر بالعلم عن استعماله الا ترى ان هذا وقع
عقيب قوله عز وجل ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا ان انتم
الا مبطلون اى يبادرون بالانكار والعناد ولا ينظرون فى ادلة الحق
ليعرفوه القول فى سورة لقمان ومن الناس من يشترى لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله الاية يحتج بها الفقهاء على تحريم السماع وليست
نصا فيه ولاهل السماع فيه تفاصيل ثم هو معارض بقوله عز وجل
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
الاية فلو كان فى السماع قول وعظى فاتبعه السامع لدخل تحت هذه
الاية • هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه استدلال
على عدم الهيتهم بعدم كونهم خالقين وتقريره هكذا الهتكم لا تخلق
او لا شئ من الهتكم بخالق والاله الحق خالق فلا شئ من الهتكم باله
حق وهذا يقتضى ان الخلق والابداع من لوازم الاله وخواصه • ولقد
اتينا لقمان الحكمة قد سبق الخلاف فى نبوته والمشهور انه ليس نبيا بل
حكيم صالح • ان اشكر لى ولوالديك الى المصير اى اشكر لى على خلقى
ورزقى لك واشكر لهما على كسبهما لك وكونهما سبب وجودك وهذا يدل
على ان الاكتساب والاسباب ليست مطرحة الاعتبار كما هو المشهور • يا بنى
اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك يحتمل

لقمان

السجدة

ان الصبر جملة مستقلة امر بالصبر على الاطلاق ويحتمل ارتباطها بما قبلها اى
اصبر على ما اصابك من الاذى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لكن هذا
مراد على التقديرين لدخول هذا الصبر الخاص فى الصبر على الاطلاق • ان الله
عنده علم الساعة الاية تضمنت مفاتح الغيب الخمس المذكورة فى الحديث الصحيح

القول فى سورة السجدة تنزيل الكتاب لا ريب فيه الاية تضمنت
ان الكتاب حق منزل ويحتج به على انه غير مخلوق وفيه ما سبق مرارا • لتنذر
قوما ما اتاهم من نذير من قبلك سبق الكلام عليه فى القصص • وقالوا
ائذا ضللنا فى الارض ائنا لفى خلق جديد الاية تضمنت حكاية انكارهم
للبعث وقد سبق غير مرة • قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم الى ربكم
ترجعون فيه اثبات المعاد الى الله عز وجل بعد الموت خلافا للتناسخية
القائلين بانتقال الارواح فى الاجسام جسما بعد جسم فما كمل منها لحق
بعالمه العلوى وما لم يكمل بقى مترددا فى الاجسام ابدا وهو رأى خيالى
لا مستند له يعتمد ثم قد ذكر هنا يتوفاكم ملك الموت وفى الانعام توفته
رسلنا وفى موضع اخر الله يتوفى الانفس حين موتها ووجه الجمع انه
عز وجل يتوفى الانفس بقدرته بواسطة الملائكة وملك الموت بحق
التقدم على ملائكة القبض والملائكة الاعوان بالمباشرة فيقال انهم
يعالجون حتى تبلغ الفم فيقبضه ملك الموت بيده وهذا كما يقال قتل
السلطان فلانا ويكون ذلك بواسطة الوالى والنائب امره ثم بمباشرة
الجند واختلف فى البهايم ونحوها هل يقبضها ملك الموت ام لا فقيل لا لعدم
السمع فيه والخصوص يتوفاكم وقيل بلى لعموم وما من دابة فى الارض ولا
طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى
ربهم يحشرون ولانها تحشر للقصاص بينها فكان القابض لها ملك
الموت كالعقلاء ولعل الخلاف فيها مبنى على انها عاقلة مكلفة تكليفا
خفيا عن البشر ام لا وفيه خلاف مشهور • ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها
الاية يحتج بها الجمهور على ان مشيته هى المانعة لمن شاء هداه وقد سبق هو
واعتراض القدرية عليه • ولكن حق القول منى لاملان جهنم الاية اى فوجب
تصديق قوله السابق بمنع الهدى الخاص من سبق انه من اهل جهنم بحسب
المشية وخلق الدواعى والصوارف هذا كله مع اعتقاد ان الله عز وجل
فى خلقه المشية النافذة وله عليهم الحجة البالغة لا يسال عما يفعل وهم
يسئلون وقد سبق توجيه ذلك فى مقدمة الكتاب • ولنذيقنهم من
العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون زعم بعضهم ان

العذاب

الاحزاب

العذاب الادنى عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب النار وهو ضعيف بل باطل
لانه علل اذاقتهم العذاب الادنى برجوعهم عن كفرهم بقوله لعلهم يرجعون
وفى القبر استحال رجوعهم الى الدنيا وانما العذاب الادنى يشبه ان يكون السنين
التى اصابتهم على عهد النبوة المذكورة فى سورة الدخان • ويقولون متى هذا الفتح
الاية هى فى سياق اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا
الاية يشير الى دليل البعث المشهود وهو القياس على احياء الارض • فاعرض عنهم
وعيدى محكم **القول فى سورة الاحزاب** يا ايها النبى اتق الله اى
استدم ما انت عليه من التقوى لان التقوى لم تفارقه لعصمته حتى يؤمر بها
امر استيناف • النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم احتجت الشيعة بهذا مع
قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلى مولاه قالوا لانه صدر هذا
الحديث بالاشارة الى هذه الاية فقال الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا
بلى قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه فاقتضى ذلك بموجب هذا السياق انه
جعل لعلى عليهم من الطاعة بعده ما جعله لنفسه والجمهور منعوا صحة
هذا الحديث بالكلية ثم دلالته على ما قالوه والبحث فيه طويل • قل لن ينفعكم
الفرار ان فررتم من الموت او القتل هذا كقوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم
الموت • قل لو كنتم فى بيوتكم الايتين على ما مر • لقد كان لكم فى رسول الله
اسوة حسنة يحتج بها على التاسى به فى افعاله ثم اختلف فى فعله صلى الله
عليه وسلم فقيل يقتضى الوجوب وقيل الندب وقيل الاباحة والصحيح ان ما كان
عاديا كالاكل والشرب والجماع فللاباحة وهيأته للندب كالاكل مستوفزا غير
متكئ والشرب فى ثلاثة انفاس وما كان على وجه القربة فان وقع بيانا
لمجمل فحكمه حكم المبين وان لم يقع بيانا فان صرح بحكمه وجوبا او ندبا او غيره
او دل عليه قرينة فهو ذاك والا فالاباحة متيقنة والندب والوجوب
فى محل الاجمال موقوف على البيان احتج من قال بان فعله للوجوب مطلقا
بقوله عز وجل • لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر فانه جار مجرى الوعيد على
ترك التأسى به وذلك يقتضى وجوب التأسى به واعلم ان الاستدلال
بهذه على التأسى مبنى على ان الاية فى نفسها عامة ثم على ان الاعتبار فى العام
بعموم لفظه لا بخصوص سببه لان هذه الاية انما وردت على سبب خاص
وهو اعتزال المنافقين القتال فى غزاة الاحزاب مع مباشرة النبى صلى الله
عليه وسلم لها فقيل لهم هلا تأسيتم برسول الله فى لقاء العدو فلقد كان
لكم فيه اسوة الا تراه يقول يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يات الاحزاب
يودوا لو انهم بادون فى الاعراب يسالون عن انبائكم ولو كانوا فيكم ما

فاتلوا الا قليلا لقد كان لكم الاية وما قبل ذلك يدل على هذا من تقاعد المنافقين
واراجيفهم لكن الاصلان ممنوعان اما عموم الاية فلان اسوة حسنة مطلق
لا عام اذ هى نكرة فى سياق اثبات والمطلق يتادى وظيفة العمل به فى صورة ما
وقد تاسى به الناس فى الايمان والاسلام وكثير من الاحكام فلم يبق فى الاية
ما يقتضى وجوب التاسى به فى عموم الافعال واما اعتبار عموم اللفظ دون
خصوص السبب نفيه من الخلاف مع المالكية وغيرهم ما قد عرف وسبقت
اليه الاشارة • وقرن فى بيوتكن يتعلق به الشيعة اخزاهم الله على عائشة
رضى الله عنها يقولون امرت ان تقر فى بيتها فخالفت وخرجت الى
تفريق المؤمنين وقاتل على بالبصرة حتى قتل بسببها من قتل وهم نحو
عشرين الفا والجمهور اجابوا بانها خرجت مصلحة للفساد مطفية
للنايرة مجتهدة فى ذلك فهى لا تنفك من اجر اصابت اجتهادها او اخطا
قوله عز وجل • انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا احتج بها الشيعة على ان اهل البيت معصومون ثم على ان
اجماعهم حجة اما انهم معصومون فلانهم طهروا واذهب الرجس عنهم
وكل من كان كذلك فهو معصوم اما الاولى فلنص هذه الاية واما الثانية
فلان الرجس اسم جامع لكل شر ونقص والخطا وعدم العصمة بالجملة شر
ونقص فيكون ذلك مندرجا تحت عموم الرجس الذاهب عنهم فتكون الاصابة
فى القول والفعل والاعتقاد والعصمة بالجملة ثابتا لهم وايضا فلان الله
عز وجل طهرهم واكد تطهيرهم بالمصدر حيث قال ويطهركم تطهيرا اى
ويطهركم من الرجس وغيره تطهيرا وهو يقتضى عموم تطهيرهم من كل ما
ينبغى التطهير منه عرفا وعقلا وشرعا والخطا وعدم العصمة داخل
تحت ذلك فيكون مطهرين منه ويلزم من ذلك عموم اصابتهم وعصمتهم
ثم اكدوا دليل عصمتهم من الكتاب بالسنة فى على وحده وفى فاطمة وحدها
وفى جميعهم اما دليل العصمة فى على فما ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم لما ارسله
الى اليمن قاضيا قال يا رسول الله كيف تبعثنى قاضيا ولا علم لى بالقضا قال
اذهب فان الله سيهدى قلبك ويسدد لسانك ثم ضرب صدره وقال اللهم
اهد قلبه وسدد لسانه قالوا فدعا له بهداية القلب وسداد اللسان واخبره بان
سيكونان له ودعاؤه مستجاب وخبره حق وصدق ونحن لا نعنى بالعصمة الا
هداية القلب للحق ونطق اللسان بالصدق فمن كان عنده للعصمة معنى غير
هذا او ما يلازمه فليذكره واما دليل العصمة فى فاطمة رضى الله عنها فلقوله
صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما اذاها

والنبى صلى الله عليه وسلم معصوم فبضعته اى جزؤه والقطعة منه يجب ان
تكون معصومة واما دليل العصمة فى جميعهم اعنى عليا وفاطمة وولديهما
فلقوله صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتى اهل بيتى وانهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض رواه الترمذى ووجه
دلالته انه لازم بين اهل بيته والقران المعصوم وملازم المعصوم فهو معصوم
قالوا واذا ثبت عصمة اهل البيت وجب ان يكون اجماعهم حجة لامتناع الخطا
والرجس عنهم بشهادة السمع المعصوم ولازم وقوع الخطا فيه وانه محال واعترض
الجمهور بان قالوا لا نسلم ان اهل البيت فى الاية هم من ذكرتم بل هم نساء النبى
صلى الله عليه وسلم بدليل سياقها وانتظام ما استدللتم به معه فان الله عز
وجل قال يا نساء النبى لستن كاحد من النساء ان اتقيتن الاية ثم
استطردها الى ان قال واقمن الصلوة واتين الزكوة واطعن الله ورسوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا • واذكرن
ما يتلى فى بيوتكن من ايات الله والحكمة الاية فخطاب نساء النبى صلى الله
عليه وسلم مكتنف لذكر اهل البيت قبله وبعده منتظم له فاقتضى انهن المراد
به وحينئذ لا يكون لكم فى الاية متعلق اصلا ويسقط الاستدلال بها بالكلية
سلمناه لكن لا نسلم ان المراد بالرجس ما ذكرتم بل المراد به رجس الكفر
او نحوه من المستميات الخاصة واما ما اكدتم به عصمتهم من السنة فاخبار
احاد لا يقولون بها مع ان دلالتها ضعيفة واجابت الشيعة بان قالوا الدليل
على ان اهل البيت فى الاية هم من ذكرنا النص والاجماع اما النص فما ثبت عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه بقى بعد نزول هذه الاية ستة اشهر يمر وقت
صلوة الفجر على بيت فاطمة فينادى الصلوة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه الترمذى وغيره وهو تفسير
منه لاهل البيت بفاطمة ومن فى بيتها وهو نص وانص منه حديث ام سلمة
انه صلى الله عليه وسلم ارسل خلف فاطمة وعلى وولديهما فجاؤا فادخلهم تحت
الكساء ثم جعل يقول اللهم اليك لا الى النار انا واهل بيتى اللهم هؤلاء اهل
بيتى وخاصتى وفى رواية حامتى اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت ام سلمة فقلت يا رسول الله الست من اهل بيتك قال انت الى خير
رواه احمد وهو نص فى اهل البيت وظاهر فى ان نساءه لسن منهم لقوله
لام سلمة انت الى خير ولم يقل بلى انت منهم واما الاجماع فلان الامة اتفقت
على ان لفظ اهل البيت اذا اطلق انما ينصرف الى من ذكرناه دون النساء
ولو لم يكن الا شهرته فيهم كفى واذا ثبت بما ذكرنا من النص والاجماع ان

اهل البيت على وزوجته وولداه فما استدللتم به من سياق الاية ونظمه على خلافه
لا يعارضه لانه مجمل يحتمل الامرين وقصاراه انه ظاهر فيما ادعيتم لكن الظاهر
لا يعارض النص والاجماع ثم ان الكلام العربى يدخله الاستطراد والاعتراض وهو
تخلل الجمل الاجنبية بين الكلام المنتظم المناسب كقوله عز وجل ان الملوك
اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون
وانى مرسلة اليهم فقوله وكذلك يفعلون جملة معترضة من جهة الله عز
وجل بين كلام بلقيس وقوله عز وجل فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم
لو تعلمون عظيم انه لقران كريم اى فلا اقسم بمواقع النجوم انه لقران كريم
وما بينهما اعتراض على اعتراض وهو كثير فى القران وغيره من الكلام العربى
فلم لا يجوز ان يكون قوله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت جملة معترضة متخللة لخطاب نساء النبى صلى الله عليه وسلم على هذا
النهج وحينئذ يضعف اعتراضكم بمرة واما الرجس فانما يجوز حمله على
الكفر او على مسمى خاص لو كان له معهود لكن لا معهود له فوجب حمله على
عمومه اذ هو اسم جنس معرف باللام وهو من ادوات العموم واما ما ذكرناه
من اخبار الاحاد فانما اكدنا به دليل الكتاب ثم هى لازمة لكم نحن اوردناها
الزاما لا استدلالا واعلم ان الاية ليست نصا ولا قاطعا فى عصمة اهل
البيت وانما قصاراها انها ظاهرة فى ذلك بطريق الاستدلال الذى حكيناه
عنهم قوله عز وجل • ان المسلمين والمسلمات يحتج به على ان الاناث لا يدخلن
فى جمع المذكر السالم والا لكان والمسلمات تكرارا ولانه حكى عن ام سلمة انها
قالت يا رسول الله ما بال النساء لا يذكرن مع الرجال او كما قالت فنزلت
هذه الاية ففهمت ام سلمة ان صيغة المذكر لا تتناول الاناث واقرت على
ذلك ووافقها التنزيل فدل على ما قلنا وتفصيل المسئلة ان اللفظ المختص
باحد القبيلين لا يتناول غيره كالرجال والذكور وكالنساء والاناث واللفظ
الموضوع لهما يتناولهما كلفظ من واختلف فى نحو المؤمنين والمسلمين هل
يتناول الاناث ما لم يدل عليه قرينة على قولين احدهما لا لما ذكرنا وكما
لا يتناول نحو المسلمات والمومنات الذكور والثانى نعم لان اكثر خطاب
القران بهذه الصيغة والحكم فيها يتناول النساء واجيب عنه بان ذلك
ان ثبت فهو بطريق التغليب لا بالوضع والنزاع انما هو فيه لا فى دلالة
القراين واما لفظ القوم فهل يختص به الرجال او يتناول القبيلتين فيه
خلاف موضع ذكره سورة الحجرات ان شاء الله عز وجل • سنة الله فى الذين
خلوا من قبل وكان امر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله

ويخشونه

ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله قال بعضهم هذا تعريض من الله عز وجل
برسوله صلى الله عليه وسلم حيث قال له وتخفى فى نفسك ما الله مبديه و
تخشى الناس والله احق ان تخشاه كانه قال لم تفعل ذلك وهلا تكون
كهؤلاء الذين يبلغون ولا يخشون احدا الا الله وجوابه ان المعلوم من
هذا الكلام انه مدح لهؤلاء الرسل وثناء عليهم واما كونه تضمن تعريضا
بالنبى صلى الله عليه وسلم فغير معلوم وبتقدير ان الامر كذلك لا يضر اذ لا
قدح بذلك فى منصب ولا عصمة والله عز وجل له التصرف فى عباده رسلا
كانوا او غيرهم بالفعل والقول تصريحا وتعريضا واشارة وكناية وكيف شاء
ما كان محمد ابا احد من رجالكم احتج به الحجاج على ان الحسن والحسين ليسا
ابنى رسول الله ولا يرد عليه قوله صلى الله عليه وسلم للحسن ان ابنى هذا
سيد لان اثبات بنوته مجاز باعتبار انه سبطه ومن ذريته وسلب الاية
ابوته عنه بالحقيقة ولا تعارض بينهما ولا يرد على الاية ثبوت للبنى صلى بنين صح
الله عليه وسلم كابرهيم والقاسم والطيب لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال والاية
انما سلبت ابوته عن الرجال وعند التحقيق فالاية ما سيقت لهذا انما المراد
منها نفى ابوة الحقيقة عن زيد بن حارثة لانه لما تبناه ثم تزوج امراته
ارجف به المنافقون وقالوا تزوج امراة ابنه وذلك حرام فى دينه فعرفوا
انه ليس ابنه لصلبه والمحرم انما هى زوجة ابنه لصلبه كما صرح به فى سورة
النساء والدليل على ان الحسن من ذرية النبى صلى الله عليه وسلم نص القران
على ان المسيح من ذرية ابرهيم مع انه انما ينسب اليه من جهة امه مريم فى قوله
عز وجل ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى ونسبة الحسن الى
النبى صلى الله عليه وسلم نسبة المسيح الى ابرهيم فكان من ذريته • ولكن
رسول الله وخاتم النبيين تضمنت هذه الجملة اثبات رسالته صلى
الله عليه وسلم وموضع تقريره سورة الفتح ان شاء الله عز وجل وانه
خاتم النبيين اى لا نبى بعده والدليل عليه هذا النص المعصوم وقوله
صلى الله عليه وسلم انا خاتم النبيين لا نبى بعدى فان قيل هذا اثبات
الدعوى بنفسها فهل من دليل عليها غير ذلك فان اليهود والنصارى
والنصارى كل واحد من الفريقين يدعى ان نبيه خاتم النبيين لا نبى بعده
وقد ظهر كذبهم عندكم فيما تفصلون انتم عمن يلزمكم ما الزمهم وهؤلاء
الفلاسفة يدعون قدم العالم ودوامه وان النبوات لا تنقطع بل هى
متصلة مستمرة بحسب الحاجة اليها فى كل حين والجواب ان معتمدنا فى
ان محمدا خاتم النبيين لا نبى بعده انما هو السمع اذ العقل لا يمنع من ذلك

غيران السمع الذى هو معتمد نا ينتهى الى دليل العقل وتقريره ان القران دل
دليل النبوة وهو المعجز النبوى على انه كلام الله عزوجل ودل السمع والعقل
على ان كلام الله عزوجل حق وصدق لا يلحقه باطل ولا كذب وقد صرح بانه
خاتم النبيين الذى لا نبى بعده فوجب القطع بصحته بهذا الدليل الذى بدايته
السمع وغايته العقل ولم يثبت لنا مثل هذا الدليل على ما ادعته اليهود
والنصارى فى ان لا نبى بعد نبيهم بل الواقع كذبهم بظهور محمد صلى الله عليه وسلم
نبيا بعد المسيح والمسيح بعد موسى واما الفلاسفة فدعواهم مبنية على قدم
العالم وابديته فان كان صاحب هذا السؤال منهم ناظرناه فى ذلك الاصل
كما سبق وان كان من غيرهم فقد اتفقنا واياه على بطلان قولهم وزال
السؤال واندفع الاشكال فان قيل قد اعترفتم ان العقل لا يمنع من تجدد
النبوة ثم زعمتم ان دليلكم على عدم تجددها ينتهى الى العقل فلزم ان
العقل يمنع من تجددها ولا يمنع معًا وهو تناقض قلنا ليس تناقضا لان
الذى يمنعه وقوع النبوة فيما بعد والذى لا يمنعه جواز وقوعها ولا تناقض
بينهما ولا يلزم من نفى الوقوع نفى الجواز • تحيتهم يوم يلقونه سلام
يحتج به الجمهور على رؤية الله عزوجل فى الاخرة بناء على ان اللقا يقتضى
الرؤية لغة او عرفا وقد سبق • وداعيًا الى الله باذنه يحتمل امرين احدهما
تصديقه صلى الله عليه وسلم فى الرسالة وانه انما دعى الى الله عزوجل باذن
الله لا فضوليا ولا متقولا فيكون من باب اثبات الرسالة ويحتمل ان
المراد وداعيًا الى الله ثم لا يصل احد اليه الا باذنه او لا يهتدى بدعايك
احد الا باذنه كقوله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه فيحتج به على
القدرية فى ان احدًا لا يستقل بالهداية بدون اذن الله عزوجل • الى طعام
غير ناظرين اناه اى غير منتظرين نضجه وفراغه وهذا ادل للمعتزلة على
مطلوبهم من قوله فناظرة بم يرجع المرسلون على ما ذكر هنالك • ان الله وملائكته
يصلون على النبى الاية يحتج بها على استعمال اللفظ المشترك فى مفهوميه
معًا على ما سبق وجوابه فى سورة الحج عند الم تر ان الله يسجد له من فى السموات
ومن فى الارض الاية وفى المسئلة خلاف والاشبه الجواز اذ لم يورث لبسًا
او خللا فى الكلام يخل بالافهام ويحتج بها ايضا على جواز ما يفعله بعض
الناس عقب الصلوة من قوله السلام عليك يا رسول الله جهرًا او خفية
مشيرًا باصبعه او غير مشير لان الله عزوجل عطف الامر بالسلام عليه على
الامر بالصلوة عليه فكما كانت الصلوة عليه مشروعة فى الاحوال المذكورة
كذلك السلام عليه خلافا لمن منع ذلك واغلظ فيه ويحتج بها على ان الصلوة

على النبى صلى الله عليه وسلم واجبة للامر بها المقتضى للوجوب ثم هل وجوبها على
العين او الكفاية فيه نظر والاشبه انه على الاعيان لان الصلوة عليه جرت مجرى
التعظيم له والتوقير وذلك فرض العين ثم اذا وجب على العين خرج تكرارها على
ان الامر يقتضى التكرار ام لا والاشبه انه لا يقتضيه فيخرج المكلف عن عهدة وجوبها
عليه بالصلوة عليه مرة فى عمره • ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
فى الدنيا والاخرة هٰهنا كلام للشيعة يرغب عن ذكره لصعوبته • لنغرينك
بهم يحتمل ان يكون ذلك الاغراء بالامر التكليفى ويحتمل ان يكون بالامر
التكوينى وهو خلق دواعى حربهم فى قلبه فيجليهم عن المدينة • سنة الله فى
الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يحتج به على اطراد العادات
لان السنة هى الطريقة والعادة وقد نفى ان تتبدل وهو المراد من اطرادها
فاضلونا السبيل اى بالاغواء والكسب عند الجمهور وبالخلق عند المعتزلة
وحملها الانسان انه كان ظلومًا جهولا قيل كان اشارة الى ان الظلم والجهل
غريزة فى طبيعة الانسان كالشئ المتقادم فى معدنه وكذلك هى فى صفات الله
عزوجل نحو كان الله غفورًا رحيمًا اشارة الى انها معانى قديمة لم تفارق ذاته
القول فى سورة سبا وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قل بلى سبأ
وربى لتاتينكم الاية فيه انكار البعث من الكفار واثباته عليهم بقوله
عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة الاية وبيانه انه عالم بكل شئ فهو يعلم
اجزاء الموتى المنحلة اليها اجسادهم ثم اذا اراد بعثهم ضم تلك الاجزاء
بعضها الى بعض فعادوا كما كانوا اول مرة • ليجزى الذين امنوا الاية بيان
لغاية البعث وعلته الحكمية وحكمته العلية فاذا مبنى البعث على العلم لجمع
الاجزاء والقدرة لنظمها وتاليفها كما كانت • وقال الذين كفروا هل ندلكم على
رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد هذا انكار اخر منهم
استغنى عن جوابه بجواب الاول • افترى على الله كذبا ام به جنة احتج به الجاحظ
على ان بين الصدق والكذب واسطة وهى الجنة التى ادعوها اذ ليست صدقا
قطعا ولا كذبا لمقابلتها الكذب فلزم انها واسطة بينهما لا صدقا ولا كذبا
وقد اختلف فى الصدق والكذب فقيل هما الخبر المطابق واللامطابق مطلقا
فعلى هذا لا واسطة بينهما لان الخبر ان طابق فصدق والا فكذب وقيل ان
طابق فصدق وان لم يطابق فان علم المتكلم بعدم مطابقته فكذب وان
لم يعلم فخطأ لا كذب وهذا الاصطلاح وعليه الاية لانهم نسبوه الى انه اخطا
فى اخباره عن البعث عن غير عمد للكذب فصار فى خطائه كذى الجنة لا
يدرى ما يقول • يا جبال اوبى معه اى سبحى معه • والنا له الحديد

هذه خوارق معجزات ووجهها ان يخلق في الجبال حيوة تسبح بها والطير
اقرب الى ذلك لحيوانيتها والانة الحديد بان يخلق فيها لينا ابتداء او بنار
كامنة فيه او بتغليب الجزء المائي عليه ونحوه والكل ممكن وعند الاتحادية
انه سرى بذاته في الجبال والطير وسبح منها نفسه بحامر. اعملوا آل داود شكرا
يحتج به على ان الشكر بالعمل والحمد بالقول بدليل وقل الحمد لله وقيل الشكر
الاعتراف بالنعمة وضده الكفر والحمد الثنا على الحي باوصافه الجميلة وضده
الذم. ولقد صدق عليهم ابليس ظنه يعني قوله لئن اخرتني الى يوم القيمة
لاحتنكن ذريته الا قليلا ودلت هذه الاية على انه قال ذلك ظنا وحدسا
وهو شانه وشان كل مخلوق اذ لا يعلم الغيب الا الله عز وجل وما كان له عليهم
من سلطان اي من قوة وتصرف يجبرهم به على المعصية انما كان يدعوهم
ويوسوس لهم وهو موافق لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي. الا لنعلم من يؤمن بالاخرة اي لنعلم العلم التام المشترك بيننا
وبينهم الذي تلزمهم به الحجة في ظاهر العدل والا والله عز وجل لم يزل عالما
بالمؤمن من غيره قبل خلقهم لكن علما اختص به لا تلزمهم به الحجة في
ظاهر العدل وان لزمتهم به في باطن العدل كما قالت الجبرية اذ الله عز وجل
غير متهم على خلقه. ممن هو منها في شك اعلم ان المكلف اما مصدق بالاخرة
جازم او مكذب بها جازم او شاك فيها متردد وهو ملحق بالمكذب لان
الايمان هو التصديق الجازم والشك والتردد ينافي الجزم. قل لا تسألون
عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا وعيد محكم. وما ارسلناك الا كافة
للناس قيل معناه للناس كافة ففيه التصريح بعموم الدعوة وقيل كافا لهم
عن الشرك والشر والتاء للمبالغة مثلها في علامة ونسابة وداهية. ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك
انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الاية تقتضي ان الجن
ليسوا من الملائكة والا كان ذلك ضعفا في حجة الملائكة اذ ينفون
المعبودية عنهم ويضيفونها الى طائفة منهم ويتبع هذا ان ابليس من الجن
لا من الملائكة كما سبق القول في سورة الملائكة جاعل الملائكة [الملائكة]
رسلا دليل على عصمتهم اذ لا يؤمن على الوحي الا معصوم. اولي اجنحة مثنى
وثلاث ورباع هذا خرق لعادة الناس فبين ان ذلك زيادة في الخلق وانه
الى اختياره ومشيته فقال. يزيد في الخلق ما يشاء هل من خالق غير الله
يرزقكم الاية من ادلة التوحيد كما سبق. فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء يحتج به الجمهور كما سبق ودل على انه هو الذي يزين للمجرم سوء عمله

في قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا. والله الذي يرسل الرياح
الى كذلك النشور اثبات للبعث والمعاد بالقياس على احياء الارض بالمطر و
والنبات. اليه يصعد الكلم الطيب يحتج به اصحاب الجهة لان حقيقة الصعود
الى فوق وقد بينه صلى الله عليه وسلم بقوله ثلاثة لا تجاوز صلاتهم اذانهم
الحديث وينتظم الدليل هكذا الاعمال تصعد الى فوق فالله في جهة فوق
واجيب عنه بما سبق من ان الصعود والفوقية معنويان لا حسيان ولا
لزم التحيز والجسمية. وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب احتج
به المعتزلة على ان القاتل يقطع حيوة المقتول وينقص من عمره وقد
دلت هذه الاية على جوازه واليه والى نحوه الاشارة بهلاك الطبيب يسيء
تدبير مزاج المريض فيقتله ونحو ذلك وجوابه ان الاجل والعمر لا ينقص
عما في علم الله عز وجل لما مر من النصوص عليه نحو فلا يستقدمون ساعة
ولا يستأخرون ومعنى هذه الاية ما يعمر من معمر ولا ينقص غيره عن عمره بان
يعيش المعمر مائة سنة وينقص آخر من عمر ذلك المعمر فيعيش خمسين وقيل
ينقص الانسان من عمره بالنسبة الى بنيته الصالحة لتعميره اكثر من ذلك
مثل ان يعيش خمسين وبنيته وتركيبه يصلح لتعمير مائة وقيل غير ذلك
وبالجملة ليست نصا فيما قالوه فلا يعارض النصوص فيما قلناه. ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه الاية ان قيل كيف
يكون المصطفى ظالما قيل انما يمتنع ذلك في شخص واحد من وجه واحد
والمصطفى ههنا امة متعددة الافراد فاصطفاؤها من حيث جملتها
وظلمها من جهة افرادها وذلك لا يمتنع. ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله اي بارادته ويحتج به الجمهور في ان اذن الله وارادته وعلمه وقدرته
هي المؤثرة في السبق والظلم والاقتصاد والشقوة والسعادة وان الانسان
لا يستقل بشيء من ذلك. الذي احلنا دار المقامة من فضله يحتج به على
ان دخول الجنة بفضل من الله عز وجل لا عوض عن الطاعات القول
[يس] في سورة يس انك لمن المرسلين اثبات لرسالته صلى الله عليه وسلم
وبرهانها يأتي ان شاء الله عز وجل. لتنذر قوما ما انذر اباؤهم
احتج به بعض النصارى على اختصاص رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالعرب
لانهم هم الذين لم ينذر اباؤهم اما بنو اسرائيل من اليهود والنصارى
فقد انذر اباؤهم بالرسل والكتب فليس هو مرسلا اليهم والجواب
ان المراد ما انذر اباؤهم في الفترة وهي ما بين عيسى ومحمد فيعم الامم
كلها ثم هذا الاستدلال بمفهوم ضعيف فلا يعارض النصوص على عموم

دعوته وايضا من سلم انه رسول الى العرب لزمه تصديقه فى دعوى عموم الرسالة
والدعوة • لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون يعنى القول المذكور
فى قوله ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين ولما
حق القول القديم عليهم بذلك وجب تحقيقه عند وجودهم باجبارهم على
المراد منهم بخلق الدواعى والصوارف فى قلوبهم الموجبة لذلك واليها
الاشارة بالاغلال فى اعناقهم والسد من بين ايديهم ومن خلفهم
ومن اراد ان ينظر الى عظمة الله عز وجل فلينظر الى هذا حيث جبر خلقه
على ما يريد منهم حيث لا خروج لهم عنه ولا خلاص لهم منه ثم هو يحاكمهم الى
عقولهم فيقضى عقولهم عليهم وما ذاك الا لان الخلق عبيده والعقول
خلقه وجنوده فلم يجعل فى فطرها الا ما عليه فطرها وهو القضاء على ذويها
بحكم كسبها الظاهر وعدم اقامة عذرهم بالجبر الالهى الباطن فلله فيهم الارادة
الغالبة وعليهم الحجة البالغة • ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن
بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون استدلال على التوحيد وتقريره
هكذا لا شئ من الالهة بنافذ الارادة والاله الحق نافذ الارادة فلا شئ
من الالهة باله حق • وان كل لما جميع لدينا محضرون هذا اثبات للبعث
واية لهم الارض الميتة احييناها اشارة الى دليل البعث المذكور قبلها
وهو الدليل المشهور فى قياس البعث على احياء الارض وكذلك الليل نسلخ
منه النهار حجة على البعث لان الليل مظلم كثيف كالعظام البالية
مظلمة لعدم الحيوة كثيفة لتمحض طبيعة الارض فيها ثم ان النهار مشرق
لطيف كالجسم الحى مشرق بنور الحيوة لطيف بما فيه من العنصر المائى
اللطيف ثم لما كان سلخ النهار من الليل ممكنا فكذلك اخراج الاجساد
الحية من العظام البالية ثم ذكر مع هاتين الحجتين على البعث حججا اخر
على وجود الصانع لمن ينكره وهى جريان الشمس لمستقرها وتقدير القمر
منازل وحمل الناس فى الفلك المشحون وتقريره ان هذه افعال واثار
عظيمة فتستدعى مؤثرا قطعا ثم يستدل على قدمه ووحدانيته كما سبق
ما ينظرون الا صيحة واحدة الايات فيهن اثبات البعث ونفخ الصور ونحوه
من احكام الاخرة • الم اعهد اليكم يا بنى ادم ان لا تعبدوا الشيطان اى
تطيعوه وفيه اشارة الى ان العبادة هى الطاعة وهى كذلك غير انها فى العرف
العام هى الطاعة على جهة الذل والخضوع • ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
يعنى بالاغواء والوسوسة اذ لم يكن له عليهم سلطان الا ان دعاهم
فاستجابوا له فبقيت الافعال مترددة بين الله عز وجل بالخلق والعباد

بالكسب

بالكسب • وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون هذا من خوارق
العادات فى الاخرة لان العادة اطردت اليوم بظهور الكلام من فم وشفتين
ولسان ومخارج اسنان فاذا سمع العقل بصدور كلام على غير هذه الصفة
استغرب به وحقيقة الكلام انما هى صوت مفهم خارج من جسم وهو من اليد
والرجل وسائر الاعضاء ممكن قريب بان يخلق فيها الصوت المفهم وقد يمكن
ان ينقل الفم الى اليد فتنطق به وهل اختصاص الفم بالوجه الا عادة اطردت
والا فنسبته من حيث هو الى سائر الاعضاء واحدة • ولو نشاء لطمسنا على
اعينهم بتقطع مادة الروح الباصر عنها او بالتحام الجفنين او غير ذلك • ولو
نشاء لمسخناهم على مكانتهم بسلب الحيوة والرطوبة من اجسادهم فتتمحض
طبيعة الارض فيها فيعودون جمادا • وما علمناه الشعر وما ينبغى له يعنى
صيانة لمعجز القران ان ينسب الى الشعر فتتمكن الشبهة وتضعف الحجة
وهو من باب وما كنت تتلوا من قبله من كتاب وعلى هذا اختلف فيما
ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم • انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت • وفى سبيل الله ما لقيت • وقوله ان تغفر
اللهم تغفر جما • واى عبد لك لا الما • وقوله • اللهم لولا انت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا • فمن اهل العلم من قال هذا رجز وحكم بان
الرجز ليس بشعر طرد العموم وما علمناه الشعر ومنهم من سلم ان الرجز
شعر وهو مذهب الخليل والاكثرين لكن اجابوا بوجوه احدها ان
هذا كلام موزون كان يصدر عنه صلى الله عليه وسلم اتفاقا لا قصدا
لوزنه ويسمى انسجاما لجودة القريحة وكمال الفطرة وقد وقع مثله فى
القران كثير نحو نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وفى كلام الناس
قول بعض المرضى لاهله • اذهبوا بى الى الطبيب • وقولوا قد اكتوى • ويحكى
ان جماعة من الشعراء جاؤا الى منزل اوس بن حجر ليشاعروه فخرجت اليهم
بنت له صغيرة فقالت ما تريدون من ابى قالوا جئنا لنشاعره فقالت

• تجمعتم من كل اوب ووجهة • على واحد لا زلتم قرن واحد •

نعادوا مغلوبين وهذا شعر جيد متين صدر عنها انسجاما لم تقصده
فهذا سبيل ما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من الرجز على قلته وندوره
الوجه الثانى ان الشعر هو ما سمى به الانسان شاعرا وهو نظم القصيد
المتعدد الابيات اللازم للوزن والروى ويطرد ذلك من صاحبه وليس
كذلك ما صدر منه صلى الله عليه وسلم فان مجموع ما صدر منه من ذلك هذا
الذى اوردناه لا يحفظ عنه غيره وهو ابيات رجزية نادة فى اغراض

مختلفة الثالث انهم اوردوا الكلام المذكور عنه بتحريك اواخره اوسكونها فيخرج
عن حد النظم الى حد النثر فقالوا انا النبى لا كذب بفتح الباء انا ابن عبد المطلب
بكسرها وكذلك دميت ولقيت بسكون التاء فيهما وما عدا هذين البيتين
فمسموع قبله لغيره فقوله ان تغفر اللهم البيت محفوظ عن زيد بن عمرو بن
نفيل او عن امية بن ابى الصلت وقوله لولا انت ما اهتدينا محفوظ عن عامر
ابن الاكوع رجز به فى طريقهم الى خيبر وحينئذ يكون النبى صلى الله عليه وسلم
حاكيا له متمثلا به لا منشئا له كما كان يتمثل بقول طرفة ويأتيك من لم
تزود بالاخبار ويكسره هكذا تحقيقا لقوله عز وجل وما علمناه الشعر وكذا
قوله اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجره وهو نثر لا نظم
وربما قال فاغفر للمهاجرين والانصار • اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة
فاذا هو خصيم مبين الى قوله عز وجل • قل يحييها الذى انشأها اول مرة الاية
ذكر فى الاثر ان ابى بن خلف او عقبة بن ابى معيط اخذ عظما نخرا وقال يا محمد
اترى الله يبعثنى اذا صرت مثل هذا قال نعم يبعثك ثم يدخلك النار
فنزلت هذه الايات مشتملة على جملة من ادلة البعث احدها هذا وهو
قياس الاعادة على الابداء اى الذى ابتداها اولا يعيدها ثانيا بجامع الامكان
والقدرة التامة وقد سبق هذا ثم احتجت النصارى بهذه الاية على الهية
المسيح الزاما للمسلمين وتقريره ان المسيح احيى العظام وهى رميم وكل من احيى
العظام وهى رميم فهو الذى انشاها اول مرة فالمسيح هو الذى انشاها اول
مرة اما الاولى فلنصوص القران والانجيل واجماع الملتين على ان المسيح احيى
الموتى واما الثانية فلهذه الاية اذ اقتضت ان لا محيى للعظام الا منشيها
اول مرة فثبت ان المسيح منشئ العظام اول مرة ومنشئ العظام اول مرة
هو الله فالمسيح هو الله وهذه شبهة دوجوها هكذا والغلط فيها واضح فان
قولهم المسيح احيى العظام وهى رميم ان ارادوا انه احياها مستقلا باحيائها
فهو ممنوع وان ارادوا انه احياها باذن الله كما صرح به القران فان اخذوا
المقدمة الاخرى مقيدة بهذا القيد منعناها ايضا وان اخذوها بدونه
لم يتحد الاوسط فى القياس فلا تنتج اذ يصير هكذا المسيح احياها باذن الله
وكل من احياها مطلقا هو الذى انشاها فالوسط كما تراه غير متحد ثم ما
ذكروه معارض بان الله يحيى العظام مستقلا باحيائها والمسيح احياها غير
مستقل باحيائها فالله غير المسيح فالمسيح غير الله او نقول المسيح احياها باذن
الله ولا احد ممن احياها باذن الله باله فالمسيح ليس باله اما الاولى فلنص
كتابنا ونص الانجيل انه كان اذا اراد احيا ميت صلى ودعا وبكى وخضع

وذلك

وذلك دليل على عدم استقلاله بذلك بدون اذن الله واما الثانية فلان الحاجة
الى الاذن دليل على قصور فى القدرة ولا احد ممن هو قاصر القدرة باله فهذا هو
البرهان الواضح لا ما دوجوه وغالطوا فيه ثم قوله عز وجل وهو بكل خلق
عليم اشارة الى ما ذكرناه فى قوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة الاية
فى سبأ • الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا الاية تضمنت الدليل الثانى على
البعث وبيانه ان الذى احاله منكروا البعث هو اخراج الجسم الحى المشتمل على
الحرارة والرطوبة من عظم نخر قد استولت عليه طبيعة التراب الباردة
اليابسة وذلك اخراج ضد من ضد وايجاد طبع الحيوة من طبع الموت
وانه محال فيما زعموا فقيل لهم فهذا الشجر الاخضر الرطب قد اخرجنا لكم
منه نارا فى غاية اليبوسة انتم تستخرجونها بايديكم من المرخ والعفار
وغيرهما من الاشجار وهو اخراج يابس من رطب وضد من ضد فاذا جاز
اخراج يابس النار من رطب الشجر فلم لا يجوز اخراج رطب الحى من يابس
العظم النخر فاما ان تاتوا بفرق صحيح بين الصورتين ولن تجدوا او تمنعوا
الجواز فى الصورتين ولن تستطيعوا لثبوته عيانا فى اخراج النار من
الشجر او تسلموا الجواز فى الصورتين وهو المطلوب فان قال قائل ان
اخراج الجسم الرطب الحى من العظم اليابس محال لاحتياج الجسم الى الرطوبة
وهى معدومة فى العظم الترابى اليابس بخلاف اخراج النار من الشجر الاخضر
لجواز كمون النار فى الشجر لغلبة العنصر النارى عليه فيقاوم رطوبة الشجرة
ما يقابلها من النار وتبقى بقية النار لا معارض لها تخرج عند استخراجها
بالقدح ومثل هذا التوجيه لا ياتى فى اخراج الحى من العظم فظهر الفرق
فالجواب ان الاحتجاج لم يقع على توجيه اخراج الحى من العظم الميت بالتوجيه
الطبيعى الذى ذكرتموه حتى يصح هذا الفرق وانما وقع على جواز اخراج الضد
الطبيعى من ضده على طريق الالزام لكم على مقتضى شبهتكم واخراج الضد
من ضده مشترك بين الصورتين اذ اخراج اليابس من الرطب واخراج الرطب
من اليابس كلاهما يجمعه اخراج ضد من ضد اما توجيه حصول الرطوبة
للجسم فذاك ثبت بدليل اخر وهو انه ممكن وكل ممكن مقدور وبيان امكانه
انه يجوز ان يستخرج له رطوبة مائية من الارض او يمطر عليه من السماء
او يخترع له اختراعا وقد ورد ان الارض تمطر عند ارادة البعث اربعين
يوما مطرا كمنى الرجال وحينئذ لا يبعد ان يحصل فى الارض حرارة كحرارة
الرحم يتولد منها ومن ذلك الماء الغليظ اللزج ما تقوم به الاجسام حية
ثم هذا البذر يقع يابسا فى ارض يابسة فيهتز بعد ايام خضرا يعصر

فيخرج منه الماء فمن اين ذلك والجواب مشترك اما قولكم لجواز كمون النار
فى الشجر فالكمون عندنا باطل وانتم عند المحاقة لا تقدرون على اثباته
فانا لو قطعنا شجرة النار وشرحناها بابلغ ما يكون ما وجدنا للنار اثراً
لا عيانا ولا لمسا ولا غيره وانما النار يخلقها الله عز وجل عند القدح
وغاية ذلك ان يكون اختصاص هذه الشجرة باخراج النار منها لطبيعة
مناسبة للنار لكن ذلك لا يدل على كمون النار فيها على ان فى كل شجر
نارا فلا اختصاص لبعضه دون بعض بذلك وانما هو كما قلنا مخترع عند
استخراجه قوله لغلبة الجزء النارى عليه قلنا العنصر النارى الكامن فى
الشجرة اما فاسد الصورة او موجود الصورة فان كان فاسد الصورة
فليس ذلك بنار كالعنصر النارى فى الانسان لا يسمى نارا موقدة ولا
يوقد منها وان كان موجود الصورة قائمها فاما ان يكون غالبا للجزء المائى
او مغلوبا له او مكافيا مقاوما فان كان غالبا له وجب ان يحرقه ثم
يستولى على اثره فى الشجرة وهو رطوبتها فيذهبها ثم على جرم الشجرة فيحرقها
بالكلية والعيان بخلافه وان كان مغلوبا للمائى وجب ان ينطفى لغلبة
المائى عليه وحينئذ يجب ان لا يخرج النار من الشجرة بالقدح والاستخراج
والعيان بخلافه وان كان مكافيا مقاوما وجب اذا شرحنا الشجرة ان نحسه
عيانا او لمسا لان الغرض ان صورته النارية قائمة لا فاسدة والعيان
خلافه فهذه الاقسام حاصرة وكلها باطلة فبطل قولكم بكمون النار فى
الشجر لغلبة العنصر النارى عليه ثم قوله يبقى بقية النار لا معارض لها يخرج
عند استخراجها قلنا ان بقيت فاسدة الصورة فليست بنار وان بقيت
بصورتها النارية وجب ان تحرق ما تلاقيه من اجزاء الشجرة اذ الغرض انه
لا معارض لها فتبين بطلان الفرق المذكور من كل وجه ثم ان المزاج انما هو
كيفية متوسطة حاصلة عن تفاعل العناصر بعضها فى بعض واذا تفاعلت
كسر كل منها سورة الاخر وذهبت صورته بالكلية ففرض كمون احد العناصر
بصورته فى الجسم محال نارا كان ذلك او غيره وانما اطلنا الكلام ههنا
لوجهين احدهما لئلا يظن ظان ان الفرق المذكور مؤثر فلا يبقى بدليل
القران الثانى الاعلام بان براهين القران بعد كل سؤال وجواب وتشكيك
من ذى ارتياب تظهر انها قوية متينة واضحة مبينة سالمة عن المبطلات
مستولية بالابطال على الشبهات • اوليس الذى خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم الاية تضمنت الدليل الثالث على البعث وقد سبق
وتقريره ان خلق السموات والارض اعظم من اعادتهم يعنى منكرى البعث

والقادر

والقادر على الاعظم هو على الايسر اقدر او يقال اعادتهم اهون من خلق
السموات والارض فهو قادر عليها بطريق اولى ودليل ذلك النص والنظر اما
النص فقوله عز وجل لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس واما النظر
فلان الانسان عالم صغير والسموات والارض هما العالم الاكبر والاكبر اعظم
من الاصغر كما ان الاصغر ايسر من الاكبر ومن اتقن علم الهيئة والطب بحيث
يقف على عجائب اشكال الافلاك ودوائرها وبدايع عجائبها واجناس ما فى
السموات والارض وانواعها واصنافها واشخاصها علم ان فى ذلك من الحكمة
وبديع الصنعة اضعاف ما فى بدن الانسان من الحكمة التى عرفت بالتشريح
ثم انه عز وجل لما قرر ادلة البعث ذكر مستندها جملة وهو عموم القدرة
على جميع الممكنات فقال • انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
اى فلا يحتاج الى ما يحتاج اليه غيره من الالات والعلاجات وربما قال
قائل انما دل هذا الدليل على انه قادر على ان يخلق مثل الناس وهو ابتدا
خلق والنزاع فى الاعادة لا فى ابتداء الخلق فيقال لعله نبه بهذا على
انه على الاعادة اقدر اذ تقرر فى سورة الروم وغيرها ان الاعادة اهون
من الابتداء او يكون مراده بيخلق مثلهم يعيدهم مثل ما كانوا والامر
قريب والله عز وجل اعلم بالصواب القول فى سورة الصافات

الصافات

ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق احتجاج
على الوحدانية اى ان رب هذا الملك لا ينبغى ان يكون الا واحدا بدليل
التمانع السابق • وحفظا من كل شيطان مارد الايات فيها اثبات الشياطين
واستراقهم السمع ورميهم بالشهب • ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا
لمبعوثون فيه انكار البعث من الكفار • فانما هى زجرة واحدة فاذا هم
ينظرون اشارة الى نفخة البعث فى الصور • بل جاء بالحق وصدق المرسلين
اثبات لنبوته صلى الله عليه وسلم وتصديقه الرسل فى التوحيد • انكم
لذائقوا العذاب الاليم الى يهرعون متضمن لاثبات العذاب والنعيم
الحسيين خلافا للفلاسفة والنصارى • اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم
انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم وجه الفتنة
فيها انهم قالوا النار تاكل الشجر فلا يبقى شجرة الزقوم فيها فكذبوا بها وانما
فتنهم الارتباط بالمعتاد والاخرة تخرق فيها العادات • قال اتعبدون
ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون تنازع الفريقان فى هذا فالجمهور قالوا
معناه والله خلقكم وعملكم وجعلوا ما مصدرية فتدل على ان اعمالهم مخلوقة
لله عز وجل والمعتزلة قالوا خلقكم والذى تعملون فيه يعنى الاصنام لان

المعنى عليه اذ المراد ان الله خلقكم وخلق معبودكم ومعبودهم هو الوثن
المنحوت المعمول فيه النحت لا نفس العمل الذى هو النحت قالوا ولو كان المراد
خلقكم واعمالكم لقالوا لابرهيم اذا كان قد خلقنا واعمالنا فلا لوم علينا
فى اعمالنا كما لا لوم علينا فى ذواتنا المخلوقة له والجمهور قالوا اراد بذلك
الاخبار بعموم الهيته وقدرته على العامل وعمله ومحل عمله حتى لا يخرج عن
دائرة قدرته شئ كما قال خالق كل شئ وهم تمسكوا بظاهر اللفظ وعمومه والمعتزلة
تمسكوا بمعناه على ما قلناه وغايتها ان تكون من متشابه هذا الباب فيرد الى
محكمه وهو مع الجمهور كما عرف فى مواضعه. وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين
يعارض به نفاة الجهة مثبتيها اذا احتجوا بان النبى صلى الله عليه وسلم عرج به
الى ربه الى فوق فدل على انه فوق قالوا فقد اخبر ابرهيم انه ذاهب الى ربه
ثم ذهب الى الشام فيلزمكم انه فى الشام وقد يجاب بان ابرهيم يظهر من
كلامه وحاله ان ذهابه مجاز وان مراده انى ذاهب الى قدرة ربى او رضى
ربى بخلاف عروج محمد صلى الله عليه وسلم فانه الى ذات ربه قطعا. قال
يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك اى انى رايت فعبر عن الماضى بالمضارع
ثم تابعه ابنه على ذلك فقال افعل ما تومر اى ما امرت. فلما اسلما اى استسلما
لامر الله عز وجل وطاعته. وتله للجبين اضجعه للذبح. وناديناه ان يا ابرهيم
قد صدقت الرؤيا اى صدقت فى عزمك على ذبح ابنك وانما المقصود امتحان
صدقك لا ذبحه وقد حصل ذلك بصدق عزمك. وفديناه بذبح عظيم
هو كبش هابيل المذكور فى قصة ابنى ادم فى التفسير واحتج الجمهور بهذه
القصة على جواز نسخ الفعل قبل وقوعه لان ابرهيم امر بذبح ابنه ثم نسخ
عنه قبل ان يفعل ومنع ذلك المعتزلة ومأخذ الخلاف نظرا ان مثل هذا
الفعل هل له فائدة ام لا فالجمهور قالوا له فائدة وهى امتحان المكلف بصدق
العزم على الامتثال كما كان من ابرهيم والمعتزلة قالوا لا فائدة لذلك اذ حاصله
افعل لا تفعل وهو تهافت ثم اجابوا عن هذه القصة بوجوه احدها لا نسلم
انه راى انه مامور بذبحه وانما ظن انه سيرى بدليل قوله انى ارى وهو مستقبل
لا ماض ولهذا قال له ابنه افعل ما تؤمر بصيغة المستقبل اى اذا امرت
بذبحى كما خطر لك انه سيكون فافعل الثانى سلمنا انه امر بشئ لكنه لم يؤمر
بنفس الذبح بل بمقدماته كاخذ المدية والاضجاع والربط ونحوه وقد فعل
ذلك بدليل قد صدقت الرؤيا ولو كان مأمورا بنفس الذبح لما كان قد صدقها
الثالث سلمنا انه امر بذبحه لكن لا نسلم انه نسخ قبل فعله بل فعله وكان كلما قطع
جزءا من عنقه التحم فلم يفرغ من قطعها حتى التحمت جزءا فجزءا واعلم ان من تامل

القصة

بلغ مقابلة

القصة وسياقها علم بطلان هذه الوجوه بالضرورة واستغنى عن تكلف جواب
لكن لا بد من جوابها على العادة والجواب عن الاول ما سبق من استعمال المضارع
بمعنى الماضى والمضارع اريد به الحال لا المستقبل لانه لما راى رؤياه فى الليل
اصبح وهو يتذكرها ويتخيلها فى الحال وهو حال كل ذى رؤيا يذكرها فلذلك عبر
عن الماضى بلفظ الحال وكذا قول ابنه افعل ما تؤمر اى ما انت مامور به
فى الحال لانه مامور فى الحال بما كان امر به فى الماضى استصحابا للحالة اذ لم
ينسخ عنه بعد وعن الثانى بانه خلاف نص قوله انى ارى فى المنام انى اذبحك
ولم يقل انى اعزم على ذبحك ولانه لو كان مامورا بمقدمات الذبح لا غير لما كان
فيه امتحان ولا بلاء مبين والنص مصرح بانه كان بلاء مبينا وايضا لما كان فيه
مزية لابرهيم عليه السلام على غيره اذ اصغار الناس اذا علم انه مامور بمقدمات
ذبح نفسه لا غير لم يتوقف فى فعل ذلك وراى انه مامور بانه يلعب وعن الثالث
بانه لو صح لكان اولى ما ذكر فى القصة هو اذ هو اعظم واعجب واغرب واتم
نعمة على ابرهيم وابنه من الفداء بالكبش وقد ذكر وعظم اذ قال وفديناه بذبح
عظيم سلمنا انه لا يلزم ذكره لكن لو صح ما ذكرتموه لما كان للفدا بالكبش معنى لان
معنى الاية وفديناه من الذبح بذبح عظيم فلو كان قد ذبح كما زعمتم لكان هذا الاخبار
غير مطابق. وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين يحتج به من راى ان الذبيح اسمعيل
لانه لما فرغ من قصة الذبيح بشر باسحق وهو يدل على ان الذبيح غيره وليس الا
اسمعيل وليس بنص اذ العطف بين القصتين اعنى قصة الذبح والبشرى
بالواو وهى لا تفيد الترتيب واحتمل انه بشر باسحق اولا ثم امر بذبحه ثانيا وقد
اختلف الناس فى الذبيح فالمسلمون على انه اسمعيل واهل الكتاب على انه اسحق
وعن احمد فيه القولان احتج الاول بوجوه احدها ما ذكرناه من سياق القصة
وهو ان لم يكن نصا فهو ظاهر الثانى ان اسمعيل هو اكبرهما فالظاهر ان
الامتحان كان فيه لانه الانفس والافضل عند الاب عادة الثالث قوله انى
ذاهب الى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم
ثم استطرد قصته دل على ان المذبوح هو اول ما وهب له من الولد وهو
اسمعيل وهذا الوجه كالدليل والمستند للذى قبله وبينهما اشتباه وتغاير
الرابع قوله بغلام حليم والاب تظهر اخلاقه فى اولاده والعرب الذين هم
بنوا اسمعيل احلم من بنى اسرائيل الذين هم بنوا اسحق فالظاهر ان الحليم
المامور بذبحه هو اسمعيل الخامس قوله هاهنا ستجدنى ان شاء الله من
الصابرين مع قوله فى الانبياء واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من
الصابرين فوصف بالصبر هاهنا بهما وفى الانبياء مبينا والمبين يقضى على

المجمل المبهم فالظاهر ان الصابر هناك هو الصابر المذبوح هنا السادس قوله
صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين ولا فخر وهو من ولد اسمعيل لا اسحق السابع
قوله عز وجل فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب والظاهر انها بشرت
بيعقوب على صفته من انه من ولد اسحق ثم لا يخفى مثل ذلك عن ابرهيم وحينئذ
يكون اسحق معلوم الحيوة الى ان يولد له بالبشرى الالهية ومثل ذلك لا يفيد
الامتحان بالامر بذبحه لان من علم قطعا ان ابنه يعيش الى بعد البلوغ لا
يخشى عليه قبل البلوغ من امر بذبحه ولا غيره فتعين اسمعيل للقصة واحتج
الاخرون بقوله عز وجل واذكر عبادنا ابرهيم واسحق ويعقوب اولى الايدى
والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فذكر اسحق مع من اخلص
بالامتحان ثم قال واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الاخيار ولم يذكر
ما يقتضى امتحانا فدل على ان الذبيح هو اسحق وهذا ليس بشئ وجوابه من وجوه
احدها ان ذكره مع المخلصين لا يدل على ان اخلاصه بالامتحان لجواز انه وصف
له بالاخلاص فى العبادة والطاعة الثانى سلمنا لكن لا نسلم ان امتحانه
بخصوصية الذبح لجواز انه امتحن بالعمى كابنه يعقوب وقد عمى اسحق فلم يمت
الا مكفوفا او بغيره العمى الثالث ان ما ذكرتموه منقوض بيوسف وايوب وذى
النون وداود وموسى ذى الفتون وغيرهم ممن اخلص بالامتحان ولم يذكر
ههنا الرابع ان ما ذكرتموه معارض بوصف اسمعيل بالصبر فى قوله عز وجل
واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين • فالتقمه الحوت وهو مليم اى قد
اتى بما يلام عليه يحتج به من يرى وقوع المعاصى من الانبياء ولحوق اللائمة لهم على بعض
افعالهم وقد سبق القول فيه وان معاملة الله عز وجل لهم على طريق حسنات الابرار
سيئات المقربين • فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون ام خلقنا الملائكة
اناثا وهم شاهدون انكار على من زعم ان الملائكة بنات الله وقد سبق
الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون لاستحالة ذلك فى حقه
لما سبق فى سورة النحل • اصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون هو كما
سبق من قوله عز وجل ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون اى كيف
هذا الحكم الفاسد يجعلون الانقص للاكمل وبالعكس والحكم الجيد اذ لم يكن بد
من هذا الاعتقاد الردى خلاف ذلك افاصفاكم ربكم بالبنين تلك اذا
قسمة ضيزى • وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا زعموا ان الملائكة بنات
الله من الجن وانه تزوج اليهم فاولد الملائكة وهذا انما جاءهم من قبل انهم
تكلموا فى الالهيات بغير دليل شرعى ولا نظر عقلى فان النظر العقلى يفضى
الى بطلان ما قالوه كالفلاسفة لم يقولوا بالشرع وقد ابطلوا ما زعمه هؤلاء

الكفار

الكفار اذ النكاح والولادة يستلزم الجسمية وهى محال فى حق القديم الواجب
الوجود سبحانه • ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اى العذاب من كفر منهم
ولو كانوا كما زعم الكفار لكانوا اصهارا له ونسبا فلم يعذبهم والمراد ان الكفار
يكذبون على الجن بانهم اصهار الله عز وجل والجن تعلم كذبهم فى ذلك اذ يعلمون
انهم لا نسبة لهم اليه الا بالعبودية وانهم ما بين محض العذاب يوم القيمة ومرحوم
سبحان الله عما يصفون اى تنزه عن قولهم اذ لا يليق به وهو محال فى حقه عز
وجل • الا عباد الله المخلصين مستثنى من قوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
اى لمحضرون النار والعذاب الا المخلصين منهم فلا يعذبون وهذه قسمة
للجن الى مخلص وغيره كانقسام الانس اليهما فى قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين • فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال
الجحيم يحتج به الجمهور على ان لا فتنة من مخلوق اذ معنى ذلك انكم ايها الكفار
لا تفتنون احدا بعبادة معبودكم الا من سبق عليه القول بانه يصلى الجحيم
فيكون المؤثر فى فتنته ارادة الله عز وجل لا اغواؤكم وفتنتكم انتم
والمعتزلة يوجهونها على مذهبهم فيقولون معناها انكم لا تفتنون
من يعبد الهتكم بل هو يفتن نفسه ويضلها • وما منا الا له مقام معلوم هذا
حكاية قول الملائكة وهم متفاوتون فى مقاماتهم كالانس فى درجاتهم
هم درجات عند الله ولكل درجات وقياسا على حاشية الملك مقاماتهم
عنده متفاوتة • وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون هذا كالتفسير
للصافات صفا فالتاليات ذكرا فى اول السورة وانهم الملائكة يصفون
اجنحتهم او اقدامهم ويتلون تسبيح الرب عز وجل القول فى سورة
ص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم نظيره اكان للناس عجبا ان اوحينا ص
الى رجل منهم ووجه عجبهم لزوم الترجيح بلا مرجح فى زعمهم وقد سبق
وجوابه فى سورة ابرهيم وغيرها • اجعل الالهة الها واحدا لما الفت
نفوسهم الكثرة نفرت من التوحيد فهم فى ذلك على محض التقليد ولو
وفقوا لحسن النظر لعلم كل منهم ما يأتى ويذر • ءانزل عليه الذكر من
بيننا هو الزام الترجيح بلا مرجح بزعمهم وهو غير لازم وجوابه • ام عندهم
خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب اى انت خصصت من بينهم بالنبوة
برحمة ربك • ام لهم ملك السموات والارض الاية اى انت خصصت بانزال
الذكر دونهم برحمة الله وارادته وهو ذو الملك المتصرف فيه بما يختار فان
كانوا هم اهل التصرف والملك او شركاء صاحب الملك • فليرتقوا فى الاسباب
اى فى الحبال اليه لينازعوه ملكه ويحتمل ان الارتقاء فى الاسباب مثل ومعناه

كمعنى قوله فان كان لكم كيد فكيدون وحاصل الكلام ان اعتراضهم فى
تخصيصى اياك بالنبوة دونهم شان منازع لى فى ملكى لا شان من يعترف بانه
عبدى • انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له
اواب اى مسبح وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير يا جبال اوبى معه
والطير وقد سبق توجيه ذلك • وهل اتيك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب
يحتج به على ان اقل الجمع اثنان لان هذا الخصم كان اثنين وقد رد اليهم ضمير
الجمع فقال تسوروا واجيب بان يحتمل ان كان معهم غيرهم فصاروا جمعًا
ويحتمل ان جمع الضمير باعتبار لفظ الخصم فانه من المصادر يصدق على
القليل والكثير • اذ دخلوا على داود ففزع منهم لانهم دخلوا عليه فى
غير وقت التحاكم فانكرهم ففزع اما لما يخشاه الملوك من غوايل الانس
او لما تفرسه وكان يتوقعه من الزام الحجة له على لسان بعض خلق الله عز
وجل • ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة قيل حقيقة وقيل كنى عن المراة
بالشاة لما ذكر فى القصة وكقوله • يا شاة ما قنص لمن حلت له • وقوله
والشاة ممكنة لمن هو مرتمى البيتين • ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها
اى اعطينها واجعلنى اكفلها • وعزنى فى الخطاب اى غلبنى وفى المثل
من عزبز اى من غلب سلب • قال لقد ظلمك بسوال نعجتك الى قوله
وظن داود انما فتناه اى علم اننا اصبناه بالمحنة والزمناه الحجة
وتلخيص القصة ان داود فيما حكى فى السير قال يا رب نوه بذكرى كما
نوهت بذكر ابائى ابرهيم واسحق ويعقوب فقال له اولئك ابتليتهم
فصبروا قال داود فابتلينى حتى اصبر قال فاستعد لذلك يوم كذا
وقت كذا فلزم داود محرابه فى ذلك الوقت محترزا يقرا فى الزبور
فبينا هو كذلك اذ وقع بين يديه طائر صغير بديع الخلقة جدًا فاعجبه
فمد يده ليأخذه لبعض صغار ولده فتاخر الطائر يسيرًا فتقدم له
داود فتاخر يسيرًا فلم يزل كذلك يستتبع داود مطمعًا له حتى صعد
سطح المحراب طار فاتبعه داود بصره فوقعت عينه على امراة تغتسل فاعجبه
جمالها وكان زوجها اوريا بن حنان فى الجهاد فكتب داود الى امير الجيش
ان قدم اوريا بالتابوت وكان لا يتقدم به احد فيرجع الا مفتوحًا عليه
او مستشهدًا فتقدمه بالتابوت مرارًا ويفتح عليه ثم قتل بعد ذلك لما الظالم
به فتزوج داود امراته وكان له غيرها تسع وتسعون امراة ولم يكن لاوريا
الا تلك المراة فلذلك جاءه الخصمان فالزماه الحجة على لسانه بقياس جلى
واضح وقد اختلف الناس فمنهم من صحح هذه القصة وجوز على الانبيا الكبائر

بسببها

بسببها وما اشبهها ومنهم من منع صحتها لانها من اخبار القصاص وعبرات
اهل الكتاب اهل التحريف والتبديل وهم لا يرون عصمة الانبياء فلا يتحاشون
من نسبة مثل هذا واعظم منه اليهم فقد ذكر فى توراتهم على ما شاهدته
ان روبيل بن يعقوب وطئ سرية لابيه فغضب عليه يعقوب وقال نجست
فراشى وان بعض كناين يعقوب وقفت لزوجها فى الطريق من حيث لا
يعرفها فوطئها غير عالم انها زوجته واعطاها جديا من المعز وان
لوطا لما نجا بابنتيه الى مغارة فى الجبل قالت احداهما للاخرى ان ابانا
لا زرع له فهلمى نسقيه خمرًا فيواقعنا فيحصل له منا زرع فاسكرتاه فواقعهما
فاحبلهما فكان من ولد احدهما من ذلك الحمل بنوا موات يعنى المواتين
وزعموا ان داود من ذلك النسل وحينئذ فلعل هذه القصة فى حق
داود من اكاذيبهم على الانبيا فلا يترك لها ما ثبت من دليل عصمتهم وهذا
هو اللايق بحالهم وان كان الظاهر من حال داود عليه السلام وقوع
ذلك منه لان الذى حكاه ثقات المسلمين كوهب بن منبه وكعب الاحبار
وغيرهم وكانوا ائمة اثباتا نقادا فلو علموا فيها مغمزا لما حكوها عنه ولانه
لولا مثل هذه القصة من مثل داود لما بكى ذلك البكاء وناح ذلك النواح
المحكى عنه فالله اعلم بحقايق المغيبات بما كان وما هو ات وبتقدير صحة
القصة يحتج بها على اثبات القياس اذ حاصلها انك ما كان لك ان
تغلب اوريا على امراته مع ان لك تسعًا وتسعين امراة كما لم يكن لاحد
الخصمين ان يغلب صاحبه على نعجته مع ان له تسعًا وتسعين نعجة • فاحكم
بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك فيه اشارة الى ان عصمتهم من
وقوع الضلال لا من جوازه وقد سبق له نظائر • ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدًا قيل هو صخر المارد الذى اخذ خاتمه وتشكل بشكله
وجلس على سريره فسلب ملكه بسببه مدة ثم عاد اليه وقيل هو ولده الذى
حصل له من طوافه على تسعين امراة فى ليلة ثم اشفق عليه من الموت فسلمه
الى الغمام تكفله فقبض ثم القى ميتا على سريره • قال رب اغفر لى وهب لى
ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى الاية تكلم الناس فى هذا فزعم ظن قوم انه
حب للدنيا واخرون انه استيثار على ابناء الجنس واخرون غير ذلك وكله
مما لا يليق نسبته الى سليمن خصوصًا مع حكمته وتمام معرفته بالله عز وجل
والاشبه ان ذلك كان امارة على عناية الله عز وجل به وحظوته عنده
فلذلك سأله كما قيل ان سؤال ابرهيم احياء الموتى كان لكونه امارة
على خلته او لان هذا جرى من سليمن مجرى الاستكثار من فضل الله وبركته

والتخصص بمزيد فضله كما ان ايوب مع كثرة ماله لما امطر عليه جراد من
ذهب جعل يحثى فى حجره فلما قيل له الم نكثر مالك قال بلى يارب ولكن لاغنى بى
عن بركتك وان للمتقين لحسن مآب الايات فيها اثبات النعيم الحسى وفيما
بعدها من ذكر الحميم والغساق ونحوه اثبات العذاب الحسى خلافا للنصارى
والفلاسفة كما سبق ◦ ان هذا لرزقنا ماله من نفاد فيه دوام رزق الجنة
واكلها من غير انقطاع وان المعدوم اذ لا يجوز انقلابه دائما ابدا واعلم
ان المعلوم اما ازلى ابدى وهو الحق سبحانه وتعالى او لا ازلى ولا ابدى
كالاعراض تحدث وتفنى على الفور او ازلى لا ابدى كعدم العالم او ابدى لا
ازلى كنعيم الجنة وعذاب النار واهلهما والله عز وجل اعلم بالصواب ◦
القول فى سورة الزمر فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الزمر
الخالص فيه الاهتمام بالاخلاص لوصية الله عز وجل رسوله به مع انه معصوم
من الريا وغيره ◦ والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اى يقولون
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هذا رأى الوثنيين وعبدة الكواكب
من الصابئين يحتجون بذلك تنصلا من الشرك ◦ ولات حين مناص فان
الله عز وجل انما يتقرب اليه بعبادته وطاعته من غير واسطة ثبت ذلك
بتواتر الرسل والكتب ومن ذلك قوله واسجدوا واقترب قوله عز وجل
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء الاية زعم ابو محمد بن
حزم الظاهرى فى كتاب الملل والنحل له ان الله عز وجل قادر على ان يتخذ ولدا
لظاهر الاية وهو قول شنيع باطل اما شناعته فلمضارعته النصرانية فانهم
اذا حاجوا فى ذلك قالوا الولد صفة كمال فانتفاؤه فى حق الله عز وجل نقص
وامتناعه على الله عز وجل عجز واما بطلانه فلان ما زعمه انما يصح ان لو قال
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لولد او لتزوج ونسل او لاتخذ ونحو ذلك لكنه
انما قال لاصطفى مما يخلق ما يشاء ونحن قد بينا قبل ان الولدية تنافى
المخلوقية كما تنافى المملوكية فلو قدر انه اتخذ ولدا مما يخلق لم يكن ذلك
الولد ولدا وانما يكون على جهة التبنى لا على حقيقة البنوة والولدية فان
زعم هذا القايل ان معنى الاية لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق
زوجة فاولدها ولدا كما قال لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اى
زوجة نلهو بها لزمه ان يجيز عليه التزوج والنكاح والنسل ونحوه من لوازم
الاجسام وذلك محال باطل باجماع وانما يصح ذلك على رأى الاتحادية الذين
يجيزون عليه الظهور فى المظاهر الطبيعية وابن حزم لا يقول ذلك وان قال
ان الولد الذى يقدر على اتخاذه روحانى لا جسمانى كالنور مولود للشمس

والحكمة

والحكمة مولودة للعقل فلا يلزم التجسيم قلنا هذا هو عين مذهب النصارى فانهم
لما الزموا ما الزمت من التجسيم ادعوا ما ادعيت من الولادة الروحانية
فان قال النصارى ادعوا وقوع اتخاذ الولد وانا انما ادعيت القدرة عليه
وجوازه قلنا يلزمك ان مذهب النصارى جائز واجمع المسلمون بل العقلاء
على انه محال فقد كنت بدعواك هذه تخالف الشرع فالان خالفت الشرع والعقل
جميعا فان قال لو لم يقدر على اتخاذ ولد لكان عاجزا قلنا لا يلزم ذلك لان
اتخاذ الولد عليه محال والمحال لا يدخل تحت المقدورية اى لا يقبل تاثير
القدرة فيه ليكون عدم تاثيرها فيه عجزا فان تاثير القدرة فى الشئ تارة
ينتفى لقصورها عنه وتارة لعدم قبول ذلك الشئ لتاثيرها فيه لعدم امكانه
بوجوب او امتناع والعجز هو الاول لا الثانى والا لزمك ان تجيز عليه جميع
المحالات بعلة انه لو لم يقدر عليها لكان عاجزا فان قال فما معنى قوله لو اراد
الله ان يتخذ ولدا لاصطفى الاية اذا قلنا معناه لو احتاج الى ولد لاستغنى
عنه بمن يختاره من مخلوقيه كما لو قيل لرجل لو تزوجت لجاءك ولد يخدمك
فقال لو اردت ولدا يخدمنى او لو احتجت الى خدمة الولد لاشتريت بمالى
عبيدا يخدمونى وهذا التاويل قريب من ظاهرها جدا وهو خير من اقتحام
الشناعة والمحال سبحانه اى تنزه عن اتخاذ الولد وقوعا وجوازا ◦ هو الله
الواحد القهار اى ان حكمة الولد التكثر به من قلة او الاستعانة به عن
غلبة وانقهار والله عز وجل واحد لا يجوز عليه الكثرة ولا التكثر قهار
لا يلحقه الانقهار واذا انتفت حكمة الولد فى حقه وجب انتفاؤه وقوعا
وجوازا اذ ما لا حكمة فيه لا يجوز وجوده ◦ ان تكفروا فان الله غنى عنكم
ولا يرضى لعباده الكفر احتج به المعتزلة لان من لا يرضى لهم الكفر لا يخلقه
فيهم ولا يقدره عليهم ولا يتسبب اليه بوجه كما ان فى الشاهد من لا يرضى شيئا
لا يفعله واجيب بوجوه احدها ان المعنى لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر
لسابق علمه فيهم بالعصمة منه الثانى لا يرضى لهم الكفر عبادة وطاعة وقربة
وان رضيه ابتلاء ومحنة بدليل ونبلوكم بالشر والخير فتنة الثالث ان
لا يرضى معناه يكره وكراهته الشئ لا يقتضى عدم فعله بدليل ان الله عز وجل
خالق عين الكافر وهو يكرهه كذلك جاز ان يخلق الكفر وهو يكرهه ◦ ذلك
يخوف الله به عباده الكلام كما فى وما نرسل بالايات الا تخويفا وقد سبق
هناك ◦ افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه الاية شرح
الصدر هو كشف حجاب القلب بما يخلق فيه من براهين الحق ودواعى اتباعه
وهو النور المذكور وقد اخبر الله عز وجل انه الذى يشرح الصدر فكذا هو الذى

يجعل ضيقا حرجا بضد ما يشرح به من الطبع عليه وخلق ظلمات الشكوك والريب
فيه فيقسوا عن اتباع الحق • فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اولئك فى ضلال
مبين الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها اى يشبه ويصدق بعضه بعضا
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم الاية هو سبحانه وتعالى يخلق الخوف
فى قلوبهم ثم يترتب على الخوف الاقشعرار ثم لين الجلود والقلوب الى ذكر الله
كل ذلك بفعل الله عز وجل وارادته • ذلك هدى الله يهدى به من يشاء اضاف
هذا الهدى اليه لانه مرتب على اسباب مخلوقة له • ومن يضلل الله فما له من هاد
صريح فى اضلاله من يشاء بان يخلق فى قلبه ضد ما خلق فى قلب المهتدى
قرانا عربيا غير ذى عوج قيل غير مخلوق وقد سبق القول فيه • ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هو من باب ادلة
التوحيد وبيانه ان التوحيد اصلح للموحد كما ان المالك الواحد للعبد اصلح
له من تعدد الملاك لان كثرة الارباب والملاك تتنازع الواحد فيهلك
او يشقى ويتعب بخلاف الرب الواحد والمالك اذ لا تنازع مع الوحدة وهذه
المادة شبيهة بمادة لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا • والذى جاء بالصدق
وصدق به اولئك هم المتقون الايات تنازعها الفريقان السنة فزعموا
انها لابى بكر الصديق لانه الصديق والشيعة لعنهم الله فزعموا انها لعلى لانه
عندهم الصديق الاكبر واول من اسلم واعترض الجمهور عليهم بان فى سياق
هذا ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا وعلى عندكم معصوم لا سيئة له
فليست الاية له فهى لابى بكر رضى الله عنه واجاب الشيعة بانا قد اثبتنا
عصمة على فيما سبق والعصمة لا تنافى اليسير من سوء العمل بدليل ان الانبيا
عندكم يجوز عليهم الكبائر والصغائر وقوله عز وجل ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر والجواب مشترك والحق ان الاية ليست لواحد بعينه بل
هى عامة لكل من اتصف بالصدق والتصديق بدليل ما اكتنف الاية قبلها
وبعدها اما قبلها فقوله عز وجل فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين وهو ذم ووعيد عام ثم قابله بالذى جاء
بالصدق وصدق به اى صدق وصدق وهو مقابل لمن كذب وكذب فى الاية
قبلها وهو مدح ووعد عام واما بعدها فقوله اولئك هم المتقون لهم ما
يشاؤن عند ربهم الايات بصيغة الجمع المقتضى للعموم ولا مقتضى لاختصاصها
باحد الرجلين الا عصبية الفريقين نعم هم داخلان تحت الوعد فيها ومن
احق الناس بها • ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل
صريح فى مذهب الجمهور وتاوله المعتزلة على انه يهدى بفعل الالطاف ويضل

يمنعها

يمنعها وقد سبق القول فى ذلك • ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره
الاية هى شبيهة بقول ابرهيم هل ينفعونكم او يضرون وقول صاحب يس
ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون وهو استدلال
على التوحيد ونفى الهية الشركاء بعدم ملكهم التصرف بالضر والنفع اى
هؤلاء لا تصرف لهم وكل من لا تصرف له فليس باله فهؤلاء ليسوا الهة • فمن
اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها يحتج به المعتزلة لانه نسب
الهداية والضلال اليهم على وجه يقتضى تفويض افعالهم اليهم والا كان
معناه من هديته انا فلنفسه ومن اضللته فعليها وهذا محض جور لا تقوم
به حجة فى حكم العدل ويجاب بان جميع ذلك اعنى نسبة الضلال اليهم
والاحتجاج والوعيد لهم يتعلق بالكسب عند الكسبية وبالخلق على تقدير
التفويض عند المجبرة كما تقرر فى مقدمة الكتاب • الله يتوفى الانفس حين
موتها الاية اى ان الله عز وجل تارة يقبض الارواح بالكلية وهو الموت
وتارة تعرج اليه على عزم معاودة البدن وهو النوم ثم قد يقضى الموت
على النايم فيمسك روحه عنده فيموت وقد لا يقضى عليه الموت فيرسل روحه
الى جسده فيستيقظ حيا وهو ضرب من الموت والبعث يقال ان النفس
تعرج والروح يبقى يتحرك به النائم فان قضى عليه الموت نائما قبض الروح
الى النفس والا عاد النفس الى الروح وقد سبق نحو هذا فى الانعام ان فى ذلك
لايات لقوم يتفكرون هو كقوله ومن اياته منامكم بالليل والنهار
ام اتخذوا من دون الله شفعاء اى شركاء يرجون شفاعتهم قل اتتخذونهم
شركاء وان كانوا لا يملكون ضرا ولا نفعا ولا يعقلون شيئا اذ هم اصنام جماد
فان قالوا نعم فقد لزمهم غاية السفه والضلال وان قالوا لا فقل فان شركاكم
كذلك لا يعقلون ولا يملكون فلا تتخذونهم وهو دليل سبرى على التوحيد تلخيصه
ان اتخاذكم لهؤلاء الالهة اما مع علمكم بانهم لا يملكون ولا يعقلون فهو سفه
وضلال او مع عدم علمكم بذلك فقد اعلمناكم فدعوهم ولا تدعوهم الهة
ان الله يغفر الذنوب جميعا هذا عام مخصوص فى المغفور والمغفور له
فلقوله عز وجل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمن لا يشاء ان يغفر له
مخصوص من عموم العباد المغفور لهم ههنا فان قيل فما فائدة قوله
جميعا قلنا يعنى يغفر جميع ما سوى الشرك لمن شاء ان يغفر له او جميع
الذنوب حتى الشرك بالايمان • يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله زعم ابو
عبد الله بن حامد ان لله عز وجل صفة ذاتية تسمى الجنب كما قال فى اليد
والوجه وهو ضعيف جدا لغلبة المجاز على هذه الكلمة اذ يقال طمع فلان

فى جنب فلان وجانبه وخذ هذا الدرهم فى جنب الله فاثبات صفة ذاتيه
بمثل ذلك لا وجه له • بلى قد جاءتك اياتى فكذبت بها واستكبرت احتج
المعتزلة بهذا و وجهه انه عز وجل رد على الكافر قوله لو ان الله هدانى لكنت
من المتقين بقوله هذا ومعناه قد هديتك بمجئ اياتى نكذبت واستكبرت
فلو كان هو الذى اضله اومنع عنه الهدى لما اتجه هكذا التكذيب حتى قال
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اى الذين كذبوا عليه
بقولهم ما هدانا فدل على انه هداهم ولم يضلهم والجواب ان الهدى مشترك
بين الارشاد وبين العصمة من الضلال بما يخلق فى القلوب من موجبات الايمان
والكافر انما انكر الهدى بمعنى الارشاد ولا شك فى انه كذب لان الله عز وجل قطع
الحجة واوضح المحجة بالارشاد بالكتب على السنة الرسل وانما الذى فات الكافر
هو الهدى بالمعنى الثانى فالله عز وجل هداه تكليفا ولم يهده تكوينا فلا تناقض
وعدنا الى قاعدة الكسب والجبر فى قيام الحجة على الكافر • الله خالق كل شئ
عام خص بالاجماع بذات الله وصفاته ثم اختلف فيه بعد ذلك فطرده الجمهور
فيما عدا ذلك حتى افعال الناس مخلوقة له وخصها المعتزلة منه بدليلهم
العدلى فيما زعموا • لئن اشركت ليحبطن عملك يحتج بظاهره على جواز الشرك
من الانبيا وان عصموا من وقوعه وتاول بعضهم هذه على ان الخطاب
فيه له والمراد امته وهو ضعيف لان قوله عز وجل • بل الله فاعبد
عطف عليه وهو مراد منه باتفاق فكذا ما قبله يكون مراد امنه • والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه اختلف الناس
فى ايات الصفات مثل هذه فى القبضة واليمين ونحو وجه ربك بل يداه
مبسوطتان ويوم يكشف عن ساق يضع الجبار قدمه يحمل السموات
على اصبع الحديث ونحو ذلك على اقوال احدها امرارها كما جاءت من غير
تشبيه ولا تمثيل وهو مذهب اهل الحديث الثانى حملها على ظاهرها فى
التشبيه وصرحوا به وهو قول الكرامية ورد عليهم بليس كمثله شئ وباستحالة
التجسيم على القديم الثالث حملها على صفات الله عز وجل حقيقية مقولة
على صفات المخلوقين بالاشتراك اللفظى كانهم قالوا لله يد هى صفة لا يقة
به لا تشبه يدنا ولنا يد هى هذه الجارحة مستحيلة فى حقه عز وجل وهو محكى
عن الظاهرية واليه يرجع المذهب الاول الرابع تاويل ما اوهم منها التشبيه
على ما يزيل تلك الشناعة مما يحتمله اللفظ فى كلام العرب وهو مذهب الاشعرية
ومن وافقهم الخامس ان اللفظ ان ظهر منه ارادة الحقيقة حمل عليها على
المذهب الاول او ارادة المجاز حمل عليه كلفظ الجنب وقلب المومن بين اصبعين

تنبيه على اختلاف الناس فى الصفات ع

والحجر

مطلب هل يجوز التقليد فى اصول الدين ع

والحجر يمين الله فى الارض ونحوه وان لم يظهر منه احدهما اجتهد فيه المجتهد فى الاصول
وقلد فيه المقلد والاشبه الاخذ بالمذهب الثالث ولعلك تقول هل يجوز التقليد
فى اصول الدين حتى تقول وقلد فيه المقلد فنقول نعم وتحريره ذلك ان مسائل
الشريعة اما ظنى كالفقهيات او علمى قاطع كالتوحيد والنبوات او واسطة
بينهما كهذه المسائل الدائرة بين اهل الحديث والمعتزلة والجهمية ونحوهم
فهذه ارتفع دليلها عن القسم الاول وانحط عن القسم الثانى لكن تعارضت فيها
الشبه وتصادمت الحجج فجاز فيها التقليد العامى ولم يسغ فيها التكفير والله
عز وجل اعلم بالصواب • ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض
الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى هذه نفخة الصعق ونفخة البعث وقبلها
نفخة الفزع المذكورة فى سورة النمل فهى ثلاث نفخات وهذا من احكام
اليوم الاخر والا من شاء الله قيل من فى الجنة وقيل بعض الملائكة • واشرقت
الارض بنور ربها ان قيل ما يمنعها الآن ان تشرق به قيل دون انواره الخاصة
حجاب العزة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم حجابه النور لو كشف عنه لاحرقت
سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه او كما قال ويوم القيمة يكشف
هذا الحجاب فتشرق الارض بنور رب الارباب • الم ياتكم رسل منكم الى قولهم
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين احتج عليهم بالعدل واحتجوا بالجبر
فلم ينفعهم لما قررنا فى سورة يس • وترى الملائكة حافين من حول العرش
هذا يمنع من تاويل العرش على الملك على ما زعمه قوم القول فى سورة
المؤمن ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا فيه ذم الجدال بالباطل
اذ المراد يجادل فى ايات الله ليبطلها كما قال بعد • وجادلوا بالباطل
ليدحضوا به الحق وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا انهم اصحاب
النار اى وجبت ولزمهم حكمها مع تعلق العلم والارادة بكفرهم وبلزوم
الجبر واعلم ان الجبر على ضربين جبر محسوس كمن يقبض على اطواق شخص
ويجره الى الدار وجبر معقول كمن زين له دخولها بما يخيل اليه من الاسباب
المقتضية لذلك او يجذبه الى ذلك بجاذب حالى نفسانى ونحوه والضرب
الاول من الجبر مجمع على عدمه فى احكام القدر وانما النزاع فى الضرب الثانى
فالجبرية اثبتوه والمعتزلة نفوه • الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله
عز وجل ويستغفرون للذين امنوا الاية احتج بها من فضل مومنى البشر
على الملائكة لانهم لم يستغفروا لهم الا وقد علموا انهم اشق عملا وافضل منزلة
وقال بعضهم بل الملائكة اتقياء فتقواهم حملتهم على الاستغفار للمومنين
جبرا لما وقع منهم فى حقهم بقولهم فى البدء اتجعل فيها من يفسد فيها وهذه

المؤمن

كلمة استرسلت على جميع افراد بنى ادم فالكافر ونحوه وقعت منه موقعها والمومن
لم تقع منه موقعها فراوها غيبة او قذفا فاستدركوها بالاستغفار لهم
وهذا حكم من اغتاب شخصا او قذفه ان يعرفه ما قال فيه ويستوهب منه
فان لم يمكنه تعريفه استغفر له حتى يعلم انه قد تدارك امره معه فان قيل
فما يمنع الملائكة ان تستوهب ذلك من بنى ادم قيل لانهم من اركان الايمان
وهم غيب فلو ظهروا ليستوهبوا صار الايمان بهم وبسائر اركان الايمان
ضروريا وبطلت فائدة التكليف فلذلك عدلوا الى التدارك بالاستغفار
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين سبق ذكره فى اوايل البقرة
عند كيف تكفرون بالله الاية • رفيع الدرجات ذو العرش يحتج بظاهره
مثبتو الجهة حملا له على الرفعة الحسية بدليل اقترانه بذكر العرش وتاوله
الاخرون على الرفعة المعنوية • يلقى الروح من امره الاية فيها اثبات النبوات
على ما تقرر فى نظيرها فى اول النحل • لا ظلم اليوم يحتج به المعتزلة ويجيب
الجمهور بما قبله وهو اليوم تجزى كل نفس بما كسبت فلا ظلم عليهم اذ هم
يجزون على كسبهم • ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع احتج به
المعتزلة فى انكار الشفاعة للمذنبين لعموم لفظ الظالمين واجيب
بان المراد الكفار بدليل والكافرون هم الظالمون ان الشرك لظلم
عظيم وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم اى كفرهم الذين امنوا ولم
يلبسوا ايمانهم بظلم اى كفر ونحوه لا الظالمون من اهل الايمان فاذا
احتجاجهم بعام مخصوص واريد به الخصوص وهو غالب ما يعتمدون عليه
فى هذه المسئلة ونحوها من السمعيات • وقال رجل مومن من ال فرعون
يكتم ايمانه الاية احتجت بها الشيعة على جواز التقية لان هذا المومن
استعملها وقال اثنى الله عز وجل عليه ومدحه وعلى ان اباطالب كان مؤمنا
لكنه استعمل التقية مع قريش فى نصرة محمد صلى الله عليه وسلم كما استعملها
هذا المؤمن فى نصرة موسى وقد سبقت المسئلتان فى موضعهما من آل
عمران والقصص • وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم
الاية يحتج بها على ان لا واسطة بين الصدق والكذب لانه احتج عليهم
بالسبر والتقسيم ولو كان هناك واسطة لما كان تقسيمه حاصرا ولكانت
حجته فاسدة لكن القران يقتضى صحتها فيكون التقسيم حاصرا فلا يكون
بين الصدق والكذب واسطة وقد سبق تفصيل هذا فى اول سورة سبأ
والمراد هنا بالصدق والكذب مطلق المطابقة ولا مطابقة من غير تقييد
فمن ثم انتفت الواسطة • وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل

على ما لم يسم فاعله يحتج بها الجبرية • وقال الذى امن يا قوم اتبعون اهدكم
سبيل الرشاد دعاهم الى التوحيد والايمان بالله واليوم الاخر والى الاعراض
عن الدنيا والاقبال على الاخرة على ما هو ظاهر فى كلامه • وحاق بال
فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا اى فى البرزخ
ويستدل به على عذاب القبر بدليل • ويوم تقوم الساعة ادخلوا ال
فرعون اشد العذاب فانه يقتضى ان عرضهم على النار غدوا وعشيا قبل
يوم القيمة وليس ذلك فى الدنيا فتعين انه فى البرزخ وهو ما بينهما • يوم
لا ينفع الظالمين معذرتهم يحتج به المعتزلة اذ لو كانت اعمالهم مخلوقة
لله عز وجل لنفعهم معذرتهم بان يقولوا خلقت فينا ما لا خروج لنا عنه
فكنا مجبورين فعلام تعذبنا وجوابه ما سبق من ان جبره اياهم جبر
معقول يدركه ولا تنكره العقول فعقولهم تقضى عليهم باللائمة بحسب
كسبهم ولا يعذرهم بجبرهم • ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطان
اتاهم ان فى صدورهم الاية فيها وفى نظيرتها قبل بقليل دليل على ذم
الجدال بغير علم وبغير الحق وان ذلك اما عن جهل او عناد واستكبار
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس الاية مع قوله بعد ان الساعة
لاتية لا ريب فيها اشارة الى دليل البعث والمعاد وينتظم هكذا اعادة
الناس اهون من ابتداء خلقهم وابتداء خلقهم اهون من خلق السموات
والارض فاعادتهم اهون من خلق السموات والارض فهو عليها اقدر
وهكذا خلق السموات اكبر من خلقكم وخلقكم اكبر من اعادتكم فخلق
السموات اكبر من اعادتكم فالقادر عليه يكون عليها اقدر وقد سبق هذا
فى اخر سورة يس وغيرها • وقال ربكم ادعونى استجب لكم فيه كلام سبق فى
اجيب دعوة الداع • ان الذين يستكبرون عن عبادتى ظاهر فى تسمية الدعا
عبادة وان الاستكبار عنه حرام اذ فيه اظهار الاستغناء عن الله عز وجل
وفى الحديث الدعاء مخ العبادة وذلك لانه انما يكون عن محض التوحيد
ذلكم الله ربكم خالق كل شئ يحتج به الجمهور كما سبق فى اخر الزمر وغيره • هو
الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة الاية الى هو الذى يحيى
ويميت احتجاج على البعث والاعادة بقياس الابتداء كما فى اول الحج • الم تر
الى الذين يجادلون فى ايات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما
ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون الايات منطبقة على الفلاسفة صادقة
عليهم اما بخصوصهم او فى عموم مدلولها لان الفلاسفة بنوا امرهم على ان
البرهان العقلى لا يعارضه شئ ثم تسامحوا حتى عدوا ما ليس ببرهان برهانا

اما وهما منهم او هوى او عصبية او غير ذلك فاذا قرروا شبهة هي عندهم برهان
جادلوا بها الكتب المنزلة على الانبيا اما بالتكذيب المحض او بالتاويل الباطل
فاذا سمعوا الكتب تثبت الصفات لله تاولوها على ان مقاصدها ثابتة
له لذاته لئلا يلزم تعدد القدما ويتاولون الملائكة على قوى الافلاك
ونحوها والرسل على قوم حكما ذوى سياسة ونفوس قوية تنفعل لها العنصريات
يضعون قوانين حافظة لنظام العالم وانها دائمة ابدا بدوام العالم ابدا
لا تنقطع وكلما دثرت ملة ظهرت اخرى واذا سمعوا من يقول ان محمدًا
خاتم النبيين لا نبى بعده سخروا من عقله كما حكى عن بعضهم انه رأى الناس
يركضون عند اقامة الجمعة ليدركوها فوقف متعجبًا يقول سبحان الله
ما فعل هذا العربى بالناس يعنى النبى صلى الله عليه وسلم نسبة الى العرب
مصغرا وانه استخف عقول الناس حتى اجابوه الى مثل هذه الخفة زعم
ويتاولون المعاد على الروحانى دون الجسمانى ويثبتون قدم العالم وانه ازلى
ابدى وان الله عز وجل انما يفعل بالطبع والايجاب لا بالقدرة والاختيار
وغير ذلك من اصولهم كقولهم ان النعيم والعذاب فيما بعد الموت عقلى
لا حسى كل ذلك على خلاف ما جاءت به الرسل وانزلت به الكتب واذا تادبوا
مع الشرايع تاولوا نصوصها على ما يوافق اصولهم ثم لا يبالون كان
التاويل قريبا من الظاهر او بعيدا جدا شبيها بالتلاعب كقول بعضهم
فى عصى موسى اذ تلقف ما يافكون به انه كناية عن حجته غلبت حجة
فرعون وقومه وفى انفجار اثنى عشرة عينا من الحجر انه اشارة الى منافذ
الانسان كعينيه واذنيه ومنخريه وفمه وقبله ودبره وسرته وليت شعرى
هذه عشر فاين الاخران واشباه ذلك من تلاعبهم فالاية بالضرورة صادقة
عليهم مع نظرائهم من المشركين • ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الاية لما كان سنة
ثمان وسبعمائة رايت المسيح عيسى بن مريم فى النوم رجلا اشقر الى الحمرة
ما هو رشيق القامة عليه ثوب قطن غليظ دسم وهو مفرق الثنايا فى
يده عصى لطيفة كالقضيب اشبه الناس بالحسين بن علا رجل من اهل
العلث من الصالحين ورايته صلى ركعتين الى قبلة المسلمين فلما فرغ
وكان منى على خطوات يسيرة فجاء حتى وقف علىّ وقال لى كم ارسل الله
رسولا نفكرت فى امرى وقلت هذا رسول وهو عالم فان اجبته بغير علم
لم يكن مصلحة فتلوت عليه هذه الاية وقلت ان كتابنا لم يذكر عددهم
ولكن قال منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فرايته

ضحك حتى رايت اسنانه فترددت فى النوم فى ضحكه هل هو استقصارًا
لعلمى او لانى تحريت الصدق ولم اعد الحق وهذا هو اظهر الاحتمالين ثم
لما استيقظت نظرت فى تاويل هذه الرؤيا فذكر فيها بعض المعبرين انه
من رأى المسيح فى النوم فقد قدر له الاشتغال بالطب فى ذلك العام برز فيه
فشرعت من حينئذ فى قراءة القانون فى الطب فقرات فيه يومين او ثلثة
ثم لم يقدر لى الاستمراره • وما كان لرسول ان ياتى باية الا باذن الله الاية
سبق نظيرها والكلام فيه • فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم
من العلم الاية اشارة الى انه لا ينبغى لاحد ان يعارض علم الرسل بغيره فانه
حينئذ كمن يعارض طب بقراط وجالينوس بطب العجايز بل اسخف عقلا
واضعف رايا اذ الانبيا يستندون فى علمهم الى كشف عيانى مستند الى
قدرة وعلم ربانى وهذا المعارض لهم بعلمه مستند الى عقله وفهمه واين
عقل الانسان الضعيف من علم الحكيم اللطيف القول فى سورة السجدة

حم السجدة

ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الاية يحتج بها على ان الكفار مكلفون
بفروع الدين لانه ذمهم وتوعدهم على منع الزكوة وهى فرع كما توعدهم على الشرك
وترك الايمان وهو اصل فدل على انهم مكلفون بهما اذ ما لا مدخل له فى العلة
لا يعلل به وما ليس بواجب لا يتوعد على تركه احتج الخصم بانهم لو كلفوا
بالفروع لصحت منهم حال الكفر او لوجب عليهم قضاؤها بعد الاسلام
واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة انهم لو كلفوا بها لم يكن
للتكليف بها بد من فائدة ولا فائدة الا صحة ادائها او وجوب قضائها

فائدة التكليف بالفروع للكفار

بيان انتفاء اللازم الاجماع على ان الاداء لا يصح منهم والقضاء لا يجب
عليهم وجوابه انا لا نسلم انحصار فائدة التكليف بها فيما ذكرتم بل له
فوائد المشهور منها تضعيف العذاب عليهم فى الاخرة لاجلها مثلا ان
استحق ان يجلد على الكفر سوطين من نار فيجلد عليه وعلى ترك الزكوة
ثلاثة اسواط ونحو هذا مثلا وباقى فوائدها ذكرها القرافى فى شرحه
نحو ثنتى عشرة فائدة فلتطلب من هناك واما عدم صحتها منهم لانتفاء
حال الكفر فلانها عبادات لا بد فيها من النية ولا نية لكافر فانتفاء
صحتها منهم لانتفاء شرط الصحة لا لعدم وجوبها كانتفاء صحة الصلوة
من المحدث واما عدم وجوب قضائها فاما لان القضا بامر جديد ولم
يرد فى حقهم او لان الاسلام يجب ما قبله او لان الكافر كالميت فالاسلام
كابتداء وجوده وولادته ولا قضاء عليه لما قبل ولادته او لئلا ينفر
الكفار عن الاسلام لكثرة ما يلزمهم قضاؤه فى ازمنة كفرهم المتطاولة

اولغير ذلك من حكمة الشرع وفى المسئلة اقوال ثالثها ان الكفار مكلفون
بالنواهى دون الامر لصحة الترك منهم لعدم توقفه على النية دون الفعل
لتوقفه عليها وفيه كلام والطرفان قد وجهناهما • قل ائنكم لتكفرون
بالذى خلق الارض فى يومين الايات اقتضت انه خلق السموات والارض
فى ثمانية ايام هذين اليومين والاربعة بعدهما واليومين بعدها وهو مخالف
لباقى النصوص على انه خلقهما فى ستة ايام والجواب ان اليومين الاولين
داخلان فى الاربعة بعدهما وذلك مع اليومين الاخرين ستة ايام كانه قال
خلق الارض فى يومين وقدر فيها اقواتها فى تمام اربعة او فى اربعة ايام
مع اليومين السابقين وبعضهم يسمى هذا فذلكة الحساب مشتق من قولهم
مثلا اضف اثنين الى اثنين فذلك اربعة وانما قلنا ذلك لان هذه الاية
مجملة لاحتمالها ارادة ثمانية ايام واحتمالها ارادة ستة وباقى النصوص
مبينة ناصة مجمعة على الستة والقاعدة حمل المجمل على المبين ثم تضمنت
هذه الايات خلق الارض قبل السماء وفى النازعات ذكر خلق السماء ثم
قال والارض بعد ذلك دحيها وجوابه ان خلق الارض غير مدحوة
ثم بنى السماء ثم دحى الارض ودحوها غير خلقها انما كانت كحصير ملفوف
ثم فرش والارض فرشناها وقد اختلف الناس فى ايهما خلقت قبل الاخرى
على قولين اظهرهما سبقا • قالتا اتينا طايعين ظاهره انهما نطقا حقيقة
بحيوة خلقت فيهما وحمله قوم على مجاز سرعة الاجابة والانقياد للقدرة
والارادة فكانهما لذلك مصرحتان بالطاعة • قالوا لو شاء ربنا لانزل
ملائكة هذه شبهة الكفار على الرسل وهى لزوم الترجيح بلا مرجح وقد
سبق وجوابه • واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى يحتج
به المعتزلة فى ان الله عز وجل هدى خلقه ولم يضلهم وانما هم اضلوا
انفسهم وجوابه ما سبق من ان الهدى على ضربين هدى ارشاد ودلالة
وهدى عصمة ورعاية فالهدى الذى جعل لثمود هو هدى الارشاد والدلالة
لا هدى العصمة والرعاية والا استحال تخلف اثره عن مؤثره ومخالفة
مخبره لخبره واما استحبابهم العمى على الهدى فهو بحسب كسبهم واختيارهم
الذى هو معلول مشية الله عز وجل واختياره ومعلول المعلول معلول
فكسبهم واختيارهم معلول للارادة الازلية كما تقرر فى قوله عز وجل
وما تشاؤن الا ان يشاء الله • وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا
انطقنا الله الذى انطق كل شئ قد سبق فى اخر يس الاشارة الى كيفية
انطاق الجوارح وقد احاله هٰهنا على مجرد القدرة والحكمة وانطق كل شئ

عام اريد به الخاص وهو الاعيان بخلاف الاعراض فانها لا يتصور منها النطق
ولعله اشار الى كيفية انطاقها بانه خلق النطق فى الناطق وذلك يستوى
فيه جميع الاعيان من جارحة وغيرها ونظمه هكذا الجارحة عين وكل عين
يمكن ان يخلق فيها النطق فتنطق فالجارحة يمكن ان يخلق فيها النطق
فتنطق • وهو خلقكم اول مرة ان كان هذا من قول الجوارح يوم القيمة
عطفا على ان انطقنا الذى انطق كل شئ فهو توجيه ثان لانطاقها و
وتقريره ان انطاق الجوارح ايسر من خلقها اول مرة فالقدرة عليه اولى
وان كان ابتداء كلام من الله عز وجل فهو مع ما بعده دليل على الاعادة
بقياس الابتداء اى انه يبعثكم كما خلقكم اول مرة ثم ترجعون اليه واما
على رأى الاتحادية فهو الناطق منها لانه سار بذاته فيها • وقيضنا
لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق عليهم القول
يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل يضل خلقه بتقدير الاسباب فان
تقييض القرنا وهم الشياطين للتزيين كان مع ما خلق فيهم من الاكساب
الظاهرة وفى قلوبهم من الدواعى والصوارف كان علة تامة لضلالهم وكون
القول حق عليهم وكل ذلك منه لا شئ لهم فيه الا حركات اكتسابية مقارنات
لاختيارات جبرية • ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس اى تسببا فى ضلالنا
بالاغواء والوسوسة والمشورة والقدرة • نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى
الاخرة اما فى الاخرة فبالاكرام والسلام والخدمة ونحوها واما فى الدنيا فبلمة
الملك ولمة من الشيطان والمعصوم من عصمه الله وكما قال وهذا يدل على
ان استقامة من استقام فى الدنيا باعانة من الله بتولى الملائكة له ينفثون
فى روعه بالخير وتقبيح الشر • ومن احسن قولا ممن دعى الى الله هذا يدخل
فيه الملائكة يدعون الانبياء الى الله عز وجل بما يوحون اليهم والانبياء
يدعون الامم الى الله بما يبلغونهم والعلماء والاولياء يدعون الى الله هؤلاء
باقوالهم وهؤلاء باحوالهم فيكشفون عن القلوب الغيابات ويبلغون
فى البيان اقصى الغايات والدعا الى الله عز وجل هو اجتذاب القلوب
الى معرفته وطاعته بتنبيهها على اياته وعظيم ربوبيته وانما كان
هذا القول احسن الاقوال لانه وسيلة الى المعرفة التى هى احسن الاحوال
فالذين عند ربك اشارة الى الملائكة وهو من باب لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اى الملائكة مع شرفهم لا
يستكبرون عن عبادته فانتم اولى ان لا تستكبروا • ومن اياته انك
ترى الارض خاشعة الى ان الذى احياها لمحيى الموتى استدلال على البعث

باحياء الارض كما سبق فى مواضع وينتظم القياس اقترانيا واستثنائيا اما
الاقترانى فهكذا احياء الموتى كاحياء الارض واحياء الارض ممكن مقدور
اما الاولى فلان الارض تكون يابسة قد غلب عليها اليبس والغبار وهى
هامدة خاشعة اى متواطئة فينزل عليها ماء المطر فيتخلل اعماقها فتربوا
وترتفع وتنبت الحب الذى فيها فاذا هى تهتز خضراء وكذلك الموتى
غلب عليهم اليبس الذى هو طبيعة الارض فيجمعها الله عز وجل ثم يمطر عليها
ماء قدرته اما حساً كما قيل ان السماء تمطر اربعين يوماً كمنى الرجال
او عقلا كما يشاء الله عز وجل فيعود الى العظام ما كان لها حال الحيوة من
رطوبة وغيرها ثم تعاد اليها الارواح فاذا هم قيام ينظرون واما الثانية
فمشاهدة اذ الارض تكون مواتا فتحيى واما الاستثنائى فهكذا ان كان
احياء الارض بعد موتها فاحياء الموتى ممكن والمقدم حق فالتالى مثله
والتقرير ما سبق • انه على كل شئ قدير اشارة الى الجامع فى القياس وهو المقدورية
وتمام القدرة اى ان المصحح لاحياء الارض المقدورية والامكان وهو واحياء
الموتى فى ذلك سيان • لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لم
يتضمن كذبا فى اخباره بما كان ولا فى اخباره بما سيكون والمراد لا يلحقه
الباطل ولا الابطال بجهة من الجهات لا بمناقضة ولا معارضة ولا تنكيت
ولا تبكيت ولا شئ من جنس ذلك وربما احتج بهذا من منع النسخ فى القران
كابى مسلم الاصفهانى لان النسخ ابطال للنص وهو باطل منفى عن الكتاب
بالنص ويجاب بمنع ان النسخ ابطال ثم بمنع ان هذا الابطال باطل بل هو حق
من حق يمحوا الله ما يشاء ويثبت وقد سبق القول فى مسئلة النسخ • ولو
جعلناه قرانا اعجميا الاية يحتج بها على ان لا معرب فى القران لاقتضائها
نفى الاعجمية عنه واثبات العربية له ولا حجة فيها على ذلك لجواز ان
يكون فيه الفاظ يسيرة من المعرب كالمشكاة والسجيل ونحوها لا يوجب
له لقلتها العجمية ولا تسلبه العربية وبالجملة فالاحتجاج بعمومها وباب
التخصيص مفتوح وطريقه مهيع فسيح • من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ونظيرتها فى سورة الروم من كفر فعليه كفره الاية يحتج بها المعتزلة
والا لكان الوعد والوعيد فيهما على فعله وما هو مخلوق له وانه محال وجوابه
ما عرف من تعلق الوعيد بالكسب تحقيقا عند الكسبية او تقديرا عند الجبرية
وما ربك بظلام للعبيد وقد عرفت شبهتهم منها وجوابها • اليه يرد علم
الساعة الاية اى لا يعلم هذه الاشياء سواه وهى من مفاتح الغيب • وظنوا
ما لهم من محيص اى علموا وتيقنوا وقد سبقت نظائره • فلننبئن الذين

كفروا

كفروا بما عملوا الاية يحتج بها القدرية لنسبته كفرهم وعملهم اليهم و
وتعذيبهم عليه وجوابه باختيار الكسب • سنريهم اياتنا فى الافاق وفى
انفسهم الاية اى فى الافاق بفتحها وفى انفسهم بهلاكهم • حتى يتبين
لهم ان الله ودينه ورسوله هو الحق ويحتمل ان معناه سنريهم اياتنا فى
افاق السموات والارض واقطارها من بديع الصنعة ولطيف الحكمة
وفى انفسهم من عجائب خلق الانسان التى افادها علم التشريح وغيره ويشهد
لهذا التاويل قوله عز وجل وفى الارض ايات للموقنين وفى انفسكم افلا
تبصرون وهذه الاية لشدة اجمالها وكثرة احتمالها يستشهد بها
المتكلمون والفلاسفة والصوفية كل على بعض مطالب عمله فلكل منها
ورد وعنها صدر • الا انه بكل شئ محيط فيه عموم العلم احاط بكل شئ علما
القول فى سورة الشورى تكاد السموات يتفطرن من فوقهن
الشورى
اى لكثرة الملائكة ما فيها موضع قدم الا فيه ملك قائم او راكع او ساجد
اطت السماء وحق لها ان تئط وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا يدل
على جسمية الملائكة وان لهم ثقلا تئط منه السماء حتى تكاد تنفطر واذا
جاز ان يكون فى الملائكة ثقل جاز ان يكون فى السماء والافلاك لان
الجميع عالم سماوى وزعم الفلاسفة ان الفلك لا ثقيل ولا خفيف لانه
غير متحرك من الوسط كالنار ولا الى الوسط كالارض وكلما كان كذلك فلا
ثقل فيه والا لتحرك الى الوسط ولا خفة والا لتحرك عن الوسط والجواب
بمنع عموم الثانية فان قولهم كلما كان كذلك ان ارادوا بطبعه فنعم وان
ارادوا بتسخير القادر المختار فممنوع لجواز ان يوجد جسم ثقيل او خفيف
ثم يتحرك بارادة القادر المختار حركة دورية كرية لا الى الوسط ولا عنه
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض سبق القول
على نظيره فى سورة غافر ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة يحتج به الجمهور
كما سبق من نظائره • فالله هو الولى وهو يحيى الموتى الاية فيه اثبات
البعث احالة على القدرة كما سبق واثبات التوحيد ونظمه اوليا وكم لا يحيون
الموتى ولا يقدرون والاله الحق يحيى ويقدر فاوليا وكم لا شئ منهم باله
حق • وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله يحتج به الظاهرية فى نفى القياس
لانه ليس هو الله حتى ترد اليه الاحكام ويجاب عنه بان المراد فحكمه الى
دين الله او كتاب الله والقياس من دين الله وكتاب الله وهذا البحث الذى
هو اهم اركان الايمان يحتج عليه فى القران بالقياس فما الظن بفروع مستندها
الظن • ليس كمثله شئ وهو السميع البصير هذه الاية اولها تنزيه واخرها

اثبات فمن جمع بينهما بان اثبت لله ما اثبت ونزهه عما لا يليق به من مشابهة
المخلوقات واثبت غير ممثل ونزه غير معطل فقد اصاب ومن انحرف فى
التنزيه حتى عطل او فى الاثبات حتى شبه ومثل فقد اخطا وتوفيقه عند ابطا
ونظيرها فى الجمع بين طرفين قوله عز وجل قل فلله الحجة البالغة فلو شاء
لهداكم اجمعين اذ اولها اعتزال قدرى واخرها تفويض جبرى فمن توسط
بينهما فاعتقد ان لله فى خلقه المشية الغالبة وعليهم الحجة الغالبة فقد اصاب
ومن انحرف فاعتزل او ظلم ربا لم يزل فقد زل ومن اوج التوحيد نزل
ثم هنا مسئلتان احداهما فى الكاف فى ليس كمثله شئ فقيل زائدة اى
ليس مثله وقيل على اصلها فى التشبيه ومثل بمعنى هو اى ليس كهو او كذاته
شئ اما ان الكاف ومثل على اصلها فمحال اذ يبقى تقديره ليس مثل مثله
او ليس يشبه مثله شئ وهو محال لوجهين احدهما اثبات مثل له والقديم
لا مثل له والثانى ان له مثلا مع ان مثله لا مثل له فيكون مثله اكمل منه
وانه محال ويحتمل صحة ذلك على طريق الفرض والتقدير اى لو فرض له مثل
لكان ذلك المثل لا مثل له واذا لم يكن لمثله الفرضى مثل فهو اولى ان لا يكون
له مثل المسئلة الثانية وهو السميع البصير اى يدرك المسموعات والمبصرات
بصفتى سمع وبصر ليستا بجارحتين وقد سبق تحقيقه وعند بعض المعتزلة
ان معنى السميع البصير العالم بالمسموعات والمبصرات وعند بعضهم معناه
سلب الصمم والعمى عنه والاول هو الصواب وقد سبق جميع هذا واعلم
ان لنا سمعا ومحله ومسموعا وسامعا وسميعا فالسمع القوة المدركة
للمسموع وهى من الله عز وجل تسمى صفة قديمة ومحل السمع يسمى جارحة
واذنا والله عز وجل منزه عنها والمسموع هو الاصوات المدركة بقوة
السمع والسامع هو المدرك للاصوات بالفعل والله عز وجل متصف
بذلك من حين وجود الاصوات اما قبلها فمحال والا لزم قدمها او وجودها
حال عدمها وانه محال والسميع من له صفة السمع والله عز وجل متصف
بذلك فى الازل اذ لا يلزم من وجود الصفة وجود متعلقها والا للزم قدم
المعلومات والمقدورات والمرادات لقدم الصفات المتعلقة هى بها
وهى العلم والقدرة والارادة وانه محال والكلام فى البصير على هذا التفصيل
وهو تحقيق فى هذا المكان. شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية يحتج
بها على ان شرع من قبلنا شرع لنا لانها تضمنت ان شرايع اولى العزم
الخمسة واحدة ويعترض عليه بان ذلك فى اصول الدين كالتوحيد ونحوه
بدليل قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه

بلغ مقابلة

وهذا

وهذا تفسير لما شرعه لهم واخبر انه يكبر على المشركين وانما كبر على المشركين
التوحيد ونحوه من الاصول لا من الفروع فاذا شرع من قبلنا شرع لنا
فى التوحيد ونحوه واما فى الفروع فهو محل خلاف ولا دليل فى الاية عليه
الله يجتبى اليه من يشاء يحتج به الجمهور لتعليق الاجتبا بالمشية. ويهدى
اليه من ينيب يحتج به الفريقان الجمهور لاضافة الهداية اليه والمعتزلة
لترتيب الهداية على الانابة المضافة اليهم وجوابه انها اضيفت اليهم
كسبا وهى له خلق فاذا انما هدى اليه من جعله منيبا بخلق الانابة فيه
وقل امنت بما انزل الله من كتاب فيه ايجاب الايمان بجميع الكتب المنزلة
لا المبدلة لان ما امر به صلى الله عليه وسلم فنحن مامورون به الا ما
خصه دليل ولقوله عز وجل فاتبعوه ان كنتم تحبون الله فاتبعونى لقد
كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ونحوه. الله يجمع بيننا واليه المصير
فيه اثبات البعث والحشر. الا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال
بعيد فيه ان من انكر القيمة ضال كافر لانها من اركان الايمان الخمسة
وهذا اجماع حتى قال العلماء لو قال لامراته او امته انت طالق او حرة
ان قامت القيمة عالما بمقتضى حرف الشرط كفر بخلاف اذا قامت فرقا
بينهما بان اذا تقتضى وجوب وقوع ما علق عليها وان تقتضى امكانه
الامكان الخاص الذى لا يقتضى وجوب الوقوع ولا امتناعه وذلك ينافى
اعتقاد وجوب قيام القيمة فكان كفرا كما لو قال انت طالق ان كان الله
موجودا او محمد رسولا. الله لطيف بعباده يرزق من يشاء فيه اشارة
الى ان تخصيصه من يشاء بالرزق وقبضه وبسطه لطف منه بعباده
ورعاية لمصالحهم لئلا يفسد الفقر منهم قوما والغنى اخرين وقد شرح
ذلك فى قوله عز وجل. ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض
واشار اليه فى اخر العنكبوت فى قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر له ان الله بكل شئ عليم واوضحه النبى صلى الله عليه وسلم غاية الايضاح
فى الحديث الالهى ان من عبادى من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده الغنى
وبالعكس وكذلك ذكر فى العافية والبلاء ثم قال انى ادبر عبادى بعلمى فيهم
انى عليم خبير. ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله يحتج بها
الظاهرية على ابطال القياس لانه شرع لما لم ياذن به الله وجوابه بالمنع بل
الله عز وجل اذن فيه بالامر باتباع الرسول وقد فعله الرسول صلى الله عليه وسلم
فى عدة قضايا والله عز وجل استعمله فى ادلة التوحيد والمعاد كثيرا كما
قررناه فى مواضعه من هذا الكتاب وغيره وقد شدد ابو محمد بن حزم النكير

على القياسيين حتى كاد يكفرهم معتلا بانهم شرعوا ما لم يأذن به الله عز وجل
وذلك فى كتاب ابطال الرأى له ثم زعم ان الله عز وجل قادر على ان يتخذ
ولدا كما سبق فى سورة الزمر وهذا من اعجب الاشياء واشد الانحراف عن سنن
الاعتدال اذ يكفر المسلمين فى مسئلة فرعية تتعلق بالعمل والتزم الكفر فى
مسئلة اصولية تتعلق بالعلم فهو كما قيل وحيث وجب ان تسجد بلت
قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة فى القربى اختلف فى القربى فقيل هى
قربى كل مكلف اوصى بمودتها فهو كالوصية بصلة الرحم وقيل هى قربى النبى
صلى الله عليه وسلم ثم اختلف فيها فقيل هى جميع بطون قريش كما فسره ابن
عباس فيما رواه البخارى وغيره وقيل هى قرابته الادنون وهم اهل بيته
على وفاطمة وولداهما وصى بمودتهم وعند هذا استطالت الشيعة وزعموا
ان الصحابة خالفوا هذا الامر ونكثوا هذا العهد باذاهم اهل البيت بعد
النبى صلى الله عليه وسلم مع انه سأل مودتهم ونزلها منزلة الاجر على ما لا يجوز
الاجر عليه والى هذه الاية اشار الكميت بن زيد الاسدى وكان شيعيا جيدا قال
• وجدنا لكم فى ال حم اية • تاولها منا تقى ومعرب •
اى المجاهر ومن تحت التقية جميعا تاولناها على انكم المراد بها واجاب
الجمهور بمنع ان القربى فيها من ذكرتموه ثم بمنع ان احدا من الصحابة اذاهم
اونكث العهد فيهم ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض سبق القول
فيها عند نظيرها قريبا • وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم هو
كقوله عز وجل قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم • وما اصابك من
سيئة فمن نفسك وقد سبق ونحو من يعمل سوءا يجز به على ما فسره النبى
صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه اى مصائبكم جزاء بما كسبتم • ومن
يضلل الله فما له من ولى من بعده يحتج به الجمهور على مذهبهم المشهور
اى فما له من ولى يهديه دونه وهو كقوله صلى الله عليه وسلم من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وهو ايضا متكرر فى القران
وكذلك ومن يضلل الله فما له من سبيل اى الى الهدى لانه اذا خلق الضلال
فى قلبه استحال ان يدخله الهدى حينئذ لامتناع اجتماع الضدين فى
محل واحد • وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل
رسولا فيوحى باذنه ما يشاء يحتج به من يرى ان الله عز وجل يتكلم بحرف
وصوت لانه حصر تكليمه للبشر فى ثلاثة احوال احدها الوحى وهو
الالهام وخلق الكلام فى النفس كقوله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس
نفث فى روعى الحديث والثانى ان يرسل رسولا فيوحى باذنه كجبريل الى

الانبياء الثالث التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى ولم يره موسى بل سأله
الرؤية فقال لن ترانى وهذه الحال ليست وحيا ولا بواسطة رسول لانها
قسيم لهما فاستحال ان يكون احداهما فهى حال ثالثة وليس الا التكليم بحرف
وصوت واجاب الخصم بان الحرف والصوت لما دل الدليل على استحالتهما
فى حقه عز وجل وجب تأويل هذا على ان المكلم من وراء حجاب اخذ عن حسه
حتى سمع الكلام من غير صوت فى الخارج كالنائم ونحوه او على غير ذلك من
التاويل • وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا سمى الوحى والقران روحا
لانه سبب الروح والرحمة ولانه للقلوب كالروح يحيى به او تسمية له باسم
الروح الامين النازل به • ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان زعم قوم
اخذوا بظاهر هذا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان قبل ان يوحى اليه غير مؤمن
كما قال ووجدك ضالا فهدى وهذا صعب شديد ان يقال فيه صلى الله عليه
وسلم مع قوله كنت نبيا وادم بين الماء والطين وانه حين ولد خر ساجدا
مشيرا باصبعه الى السماء وانه لم يزل كارها للاصنام مبغضا لها قبل
النبوة لم يحلف بها ولا اكل مما ذبح لها واجماع الناس على ان نبيا من الانبيا
لم يكفر بالله ولا خلا من الايمان بطرفة عين فالواجب تأويل الاية على ما
يزيل عنها هذا المحذور مثل ان المراد ما كنت تدرى ما الكتاب ولا ماهية
الايمان وحقيقته ولا يلزم من كونه مؤمنا معرفة ذلك بدليل اكثر الناس
هم كذلك او ما كنت تدرى ما الكتاب ولا كيفية الدعا الى الايمان انما يعلم
بالوحى فقبل الوحى من اين يعلم ولا يلزم من كون الانسان مؤمنا فى نفسه
ان يدرى كيف يدعوا والى ما يدعو غيره لجواز ان يتعبد الله عز وجل كل
انسان بامر غير ما تعبد به الاخر كما اختص النبى صلى الله عليه وسلم بخواص تعبد
بها لم تكن لغيره • نهدى به من نشاء يحتج به الجمهور لاضافة الهدى اليه
عز وجل وتخصيصه بمن شاء وعند المعتزلة الهدى منسوب الى الخلق
يهدون انفسهم • وانك لتهدى اى ترشد وهذا الهدى غير الهدى المسلوب
فى قوله عز وجل انك لا تهدى من احببت فلا يتناقض هذا الايجاب مع ذلك
السلب **القول فى سورة الزخرف** انا جعلناه قرانا عربيا يحتج الزخرف
به من قال بخلق القران لان كل مجعول مخلوق وقد سبق وجوابه
افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين يحتج به على بطلان
فساد الوضع فى الاقيسة وهو ترتيب خلاف مقتضى العلة عليها وتقريره
انه عز وجل انكر ترتيب الاضراب والصفح عنهم على اسرافهم كانه قال
اسرافكم يناسب اخذكم وتعذيبكم لا الاضراب والصفح عنكم وكذلك قوله

عزوجل ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر
اى ان شركهم وشهادتهم على انفسهم بالكفر لا يناسب عمارتهم للمسجد لانهم
رجس وانما يناسب مجانبتهم المسجد تنزيها له عن رجسهم ونجسهم وكذلك
لما قال فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا قال له موسى وتلك نعمة تمنها على
ان عبدت بنى اسرائيل اى استعبدتهم واتخذتهم عبيدا وانما ربيتنى ولدا
حين اتخذت قومى عبيدا فامتنانك على بذلك غير مناسب وانما المناسب
ان تعتذر الى من ذلك ومثاله المشهود بين الاصوليين ان يقول الشفعوى
لفظ الهبة ينعقد به غير النكاح فلا ينعقد به النكاح كالبيع فيقول الحنفى
هذا فاسد الوضع او الاعتبار اذ انعقاد غير النكاح به يدل على قوته وتاثيره
فى العقود وتصرفه فيها فقد رتبت على العلة نقيض مقتضاها • والذى
نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون • فيه
الاستدلال على البعث بقياس احياء الارض كما عرف فى مواضع • وجعل لكم
من الفلك والانعام ما تركبون فيه استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته
ومجازه لان ركوب الفلك مجاز وركوب الانعام حقيقة لمبادرة الفهم
اليه عند الاطلاق • وجعلوا له من عباده جزأ اى ولدا حيث قالوا الملائكة
بنات الله وهو يدل على ان الولد جزء الوالد ويصحح تعليل الفقهاء فى
بعض احكامها بان بينهما جزئية وبعضية واكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم
فاطمة بضعة منى اى قطعة وجزؤ • ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم
بالبنين الايتين سبق نظيره فى النحل وسبحان • او من ينشؤ فى الحلية
وهو فى الخصام غير مبين فيه اشارة الى امور احدها ان الزينة والترف
والعى كالفطرة والغريزة للنساء اذ معنى الكلام اتجعلون لله من شانه
هذه الصفات الثانى ان البيان مقصود فى الخصام وان الغلبة فى الجدال
اعظم منها فى الجلاد لان الانسان اكثر ما يصرع بجلاده الفا وهو بجداله
وحسن بيانه قد يصرع الوفا بل امما الثالث مدح البيان والثنا على اهله
وهو افهام المعنى على الوجه التام بطريق سهل عام وماخذ ذلك من قياس
العكس لانه لما ذم غير المبين دل على مدح المبين والا لاستوى النقصان فى
الحكم ولانه محال • وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية
فيها اشارة الى امور احدها ان جعل تكون بمعنى سمى واعتقد وهم اناثا
وقد نوقض به من احتج على خلق القران بقوله انا جعلناه قرانا لان المجعول
مخلوق فقيل له يبطل بقوله وجعلوا الملائكة قرانا لكنه اناثا مع انهم لم
يخلقوهم ولا يصح هذا النقض وانما يصح ان لو صح هذا المعنى فى انا جعلناه

قرانا لكنه لا يصح ان يقال انا سميناه او اعتقدناه قرانا وانما هو بمعنى
صيرناه قرانا عربيا مع قدرتنا على ان نصيره عبرانيا او سريانيا الثانى
ان الملائكة ذكور لوجهين احدهما انه سماهم عباد الرحمن وواحد العباد
عبد وهو اسم للذكر العاقل فى لسان العرب الثانى انه نفى عنهم الانوثة
فتعينت الذكورة لهم اذ لا واسطة بين القسمين فى جنس الحى الثالث
ستكتب شهادتهم فسر الجعل بالشهادة كانه قال وشهدوا ان الملائكة
اناث ثم قوله ستكتب يقتضى انها لم تكتب بعد وانما تكتب فى المستقبل
وقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ان رسلنا يكتبون ما تمكرون
يقتضى انها كتبت حين الشهادة والاجماع على ذلك ان الحفظة يكتبون ما
يصدر عن الانسان شيئا فشيئا وان اخر كاتب الشمال شيئا فلحظة او ساعة
رجاء التدارك بالتوبة وحينئذ يلزم ان هذه الشهادة كتبت حين وقوعها
ولم تكتب معا وانه محال والجواب ان ستكتب مجاز عن انهم سيجزون
بها ويعاقبون عليها لكن لما كان حفظ العمل بالكتابة سببا للجزا عليه
عبر عن المسبب بالسبب • وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يحتج بها
المعتزلة لانهم لما اضافوا عبادتهم للاوثان الى مشية الله عز وجل
جهلهم وكذبهم ولو كانت عبادتهم لها بمشيته لما كان كذلك ويجاب
عنه بنحو ما سبق فى نظيره فى اخر الانعام وهو انه لم يكذبهم فى اضافة ذلك
الى مشيته كيف وانه يقول ولو شاء الله ما فعلوه وانما اراد ان ما قالوه
من اضافة عبادة الاصنام الى مشيته وان كان حقا فى نفس الامر لكن
هم لم يبلغوا من معرفة الله عز وجل الى حيث يعلمون دوران الاشياء مع
مشيته وجودا وعدما وانما يقولون خرصا وتخمينا او مناقضة للرسول
وجدلا فهم وان اصابوا فيما قالوه لكن عن غير علم بل رمية من غير رامى
والاصابة بغير علم خطا لقوله صلى الله عليه وسلم من قال فى القران برأيه
فقد اخطا وقال الفقهاء من اشتبهت عليه القبلة فصلى بغير اجتهاد فيها
لزمته الاعادة وان اصاب لتركه فرض الاجتهاد على خلاف فيه • بل قالوا
انا وجدنا اباءنا على امة الايات دلت على ذم التقليد والمشهور المطابق
لهذه الاية انه متابعة الغير فى قول او فعل من غير دليل بل لحسن ظن به
او غلبة عادة والف وقيل هو قبول قول القايل وانت لا تعلم ماخذه
ومستنده فعلى الاول لا يسمى قبول قول النبى صلى الله عليه وسلم تقليدا
لان قوله عين الدليل والحجة فلا يصح ان يقال تابعناه وقبلنا قوله بغير
حجة او دليل وعلى الثانى فى تسمية قبول قوله تقليدا لانا نعلم ان ماخذه

T.C.

ومستنده الوحى بدليل ان هو الا وحى يوحى واصل الوجهين انه صلى الله عليه وسلم
هل كان يجتهد فى الاحكام بالنظر ونحوه فيسمى قبول قوله تقليداً لخفا ماخذه
ام لا بل يقتصر على الوحى فلا يسمى تقليداً لعلمنا بمعزاه وماخذه ذكر هذه
النبذة الشيخ ابو محمد الجوينى فى اول كتابه المسمى بالمسلسل فى الفقه وقد
اختصرناه • ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا الاية فيه تعليل
افعاله عز وجل بالمصالح وامتناعها للمفاسد • ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا الاية يحتج بها المعتزلة لانه اضاف الاعراض عن الذكر
اليهم وصدهم عن السبيل الى الشياطين وجعل تقييض القرنا لهم عقوبة
على اعراضهم واجاب الجمهور بان ذلك كله باعتبار الكسب واما الخلق فلمن
له الخلق والامر وقد دلت النصوص والبراهين على ذلك • ولن ينفعكم اليوم
اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون فيه ان معارضة الفاسد بالفاسد فاسدة
لا تنفع لانهم لما سمعوا قوله عز وجل فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون
تأسى البعض بالبعض فبين لهم فساد ذلك التأسى وانه غير نافع اذ ألم
الغير لا يخفف الم النفس وهكذا فساد حجة احد الخصمين لا يقتضى صحة
حجة الاخر وانما تنفع الحجة وتصح لمعنى فيها يصححها لا لمعنى فى غيرها يفسدها
نعم قد يستعمل معارضة الفاسد بالفاسد فى الجدل دفعاً لشر الخصم
وتسلطه وفى الاية سؤال وهو ان اذ للزمن الماضى فكيف يصح وقوع النفع
اليوم فيه اذ يصير تقديره لن ينفعكم اليوم اشتراككم وقت ظلمكم منذ
الف سنة او لا ينفعكم اشتراككم اليوم وقت ظلمكم امس وجوابه ان
اذ هنا للتعليل وخرجت عن الظرفية فتقديره لن ينفعكم اشتراككم
اليوم لعلة ظلمكم امس • واسئل من ارسلنا قبلك من رسلنا الاية ان قيل
قد ماتوا قبله بدهور فاين هم حتى يسألهم فالجواب من وجهين احدهما
ان المراد سل كتبهم ومن بقى من اصحابهم وما حكاه القران عنهم والثانى
انهم بعثوا له ليلة الاسرى فى بيت المقدس او فى السماء فسالهم وفيها اجماع
الانبيا وادياتهم على التوحيد ويكفى فى ذلك ان النصارى مع شركهم الظاهر
يدعون التوحيد ويصرحون بثلاثة الهة كل واحد منهم اله كامل ثم يقولون
هم اله واحد ويفتتحون كتبهم بقولهم بسم الاب والابن وروح القدس
اله واحد فلو كان الشرك اصلا فى ملة من الملل لتعلقت به النصارى
احتجاجاً واستيناساً ولا نعلم ان احدا صرح بالشرك واصر عليه الا المجوس
فى اثباتهم النور والظلمة الهين وقد سبق الكلام معهم • فاستخف قومه
فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فيه ان الفاسق سريع القبول

للباطل

للباطل لان هذا تعليل لطاعتهم اياه بفسقهم كما سبق ان ان للتعليل
وسبب ذلك ان الفسق والباطل من واد واحد لخروجهما عن الاعتدال
ودخولهما فى حيز الضلال والجنس ميال الى الجنس • ما ضربوه لك الا جدلا
فيه ذم الجدل بالباطل وان من الجدل ما يقصد به غلبة الخصم لا تحقيق
الحق • ان هو الا عبد انعمنا عليه هذا رد على النصارى فى تالههم اياه
وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل رد على اليهود فى تكذيبه وبهته وامه
قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين فيه وجهان احدهما فانا اول
الجاحدين للولد والآنفين من اثباته ومنه قول الفرزدق •
واعبد ان تهجا كليب بدارم • اى انف من ذلك ولا ارضى به لعدم مكا
لنا والثانى انا اول العابدين لله على تقدير ثبوت الولد اذ مقصودى
اتباع الحق وطاعة الله عز وجل على اى حال او تقدير كان من التقادير
الحقة وهذا هو الصحيح والاول ضعيف اذ فيه جحد الولد على تقدير ثبوته
وهو تناقض وعناد اللهم الا ان يحمل على معنى ان كان له ولد عندكم وفى
اعتقادكم فانا اول الجاحدين له على اعتقادى وانما اعبد الله وحده
منزها عن ولد وغيره مما لا يليق به فهذا يصح ويستقيم • وهو الذى فى
السماء اله وفى الارض اله اختلف فى هذا فقيل هو فيهما بذاته وهو قول
القائلين انه فى كل مكان بذاته وقيل ليس فى واحد منهما بذاته والا لزم
التحيز والتجسيم وهو قول الاشعرية ومن وافقهم وقيل هو فى السماء فوق
العرش بذاته وفى الارض بعلمه وحكمه كما يقال فلان فى مصر سلطان وفى
الشام هو سلطان اى فى احدهما بنفسه وفى الاخرى بحكمه وهو قول اهل
الحديث من الحنابلة وغيرهم واما الاتحادية فربما احتجوا بهذا على رأيهم
فى سريانه فى جميع العالم • ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى
يؤفكون اى كيف اوالى اين يصرفون عن عبادة خالقهم الى عبادة غيره
وهو من ادلة التوحيد ونظمه لا شئ من الهتكم بخالق لكم والله خالق
لكم فلا شئ من الهتكم بالله وقد سبق فى مواضع • فاصفح عنهم وقل سلام
الاية وعيدى محكم او منسوخ باية السيف القول فى سورة الدخان
امرا من عندنا اى انزلناه يعنى القران امرا من عندنا يحتج به على قدم القران
المسموع لانه امر الله والامر قديم وقد سبق القول فيه • وان لم تؤمنوا لى
فاعتزلون احتج بعض المعتزلة على شرف طائفتهم بان اسمهم مشتق من
عزل والاعتزال ولم يذكر هذه المادة فى القران الا فى سياق الخير واعتزلكم
وما تدعون من دون الله فلما اعتزلهم وما يعبدون فاعتزلوا النساء

فاتهم

الدخان

في المحيض ونحوه فينتقض عليهم بهذه الاية فان فيها اعتزال الكفار عن الرسول
والهدى وهو شر وبقوله صلى الله عليه وسلم اذا سجد ابن ادم اعتزل الشيطان
يبكي وانما الاعتزال الانفراد بمعزل وهو قد يكون في الخير وقد يكون في
الشر فلا حجة فيه ولا استشهاد وان ساغ ذلك لهم ساغ للخوارج ان
يقولوا اسمنا مشتق من الخروج يخرجونهم من الظلمات الى النور وللجبرية
ان يقولوا اسمنا مشتق من الجبر ضد الكسر وللشيعة ان يقولوا اسمنا مشتق
من مشايعة الحق ومن قوله عز وجل وان من شيعته لابرهيم وللاشعرية
ان يقولوا اسمنا مشتق من الشعور وهو العلم او من الاشعريين اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم والكرامية مشتق من الكرم بل لليهود ان يقولوا
نحن من قوله انا هدنا اليك اى تبنا والنصارى من نصرة المسيح ونحوه
كثير لا يصور له الا النقض على من استند الى مثله • كم تركوا من جنات وعيون
الى كذلك واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرائيل كما صرح في الشعراء
وهو دليل على انهم ورثوا اهل مصر من ال فرعون على ما حكيناه في الاعراف
قوله عز وجل • لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى استثنا منقطع
اى لكن الموتة الاولى قد سبق ذوقهم لها وانقطع وقد اختلف في
الفرق بين الاستثناء المتصل والمنقطع فقيل المتصل ما كان من الجنس
نحو قام القوم الا زيد والمنقطع ما يقابله نحو قام القوم الا حمارا وقيل في
بطلان هذا انه لو قال في قوم ليس فيهم زيد قام القوم الا زيد كان استثنا
منقطعا مع انه من الجنس فعلى هذا المتصل هو المخرج مما قبله بالا او نحوها
والمنقطع هو المذكور بعد الا او نحوها غير داخل فيما قبلها وقال الشيخ شهاب
الدين القرافي المتصل هو الحكم على جنس ما حكمت عليه اولا بنقيض ما حكمت
به اولا والمنقطع ما اخل فيه احد هذين القيدين وهو ان تحكم على غير جنس
ما حكمت عليه اولا او بغير نقيض ما حكمت به اولا قلت مثال الاول جاء
القوم الا الفرس ومثال الثاني جاء القوم الا ان زيدا اكل او شارب او نحو ذلك

القول في سورة الجاثية

من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
وقد سبق احتجاج المعتزلة وجوابه • افرايت من اتخذ الهه هواه واضله
الله على علم يحتج به الجمهور على ان الله عز وجل هو يضل من يشاء وتاوله الخصم
على منع اللطف وقد عرف جوابه • وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره
غشاوة يحتج به الجمهور ايضا وقد سبق القول اول البقرة • فمن يهديه
من بعد الله هو نحو ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده • وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا الاية شبهتهم على انكار البعث واسندوها بقولهم

اشتوا

اشتوا بابائنا ان كنتم صادقين وجوابه • قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم
يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ولم يبرهن عليه ههنا لوجهين احدهما
انهم يلزمهم تصديق قوله في البعث لقيام دليل صدقه على ايدي الرسل
وبالنظر في ايات الوجود سواء برهن او لم يبرهن الثاني اكتفا بما قرره
من براهين البعث في مواضعه وقد يحتمل انه ترك البرهان ههنا على
البعث اشارة الى وضوحه وعناد الخصم وعدم قبوله للحق فالاعراض عنه
وترك مكالمته اولى وهو حكم الخصم المعاند المشاغب • انا كنا نستنسخ
ما كنتم تعملون يستدل به على ان النسخ حقيقة في النقل لان استنساخ
الكتاب نقله من اصل الى فرع وفيه اقوال احدها هذا والثاني انه حقيقة
في الازالة لقولهم نسخت الشمس الظل اى ازالته والثالث انه مشترك بينهما
والازالة اعم من النقل لانها قد تكون بالنقل وغيره كاعدام الجوهر مكانه
من غير نقل فهي اشبه ان يفسر بها النسخ لانها القدر المشترك • ان نظن
الا ظنا وما نحن بمستيقنين فيه الفرق بين الظن واليقين لاثبات
احدهما ونفي الاخر وقد سبق الفرق بينهما

القول في سورة الاحقاف

ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى الاية يحتج
بها على انقراض العالم عند بلوغ اجله المسمى خلافا للفلاسفة في قولهم
هو ابدي لا يزال والخلاف معهم مبني على قدمه وقد سبق • قل ارايتم ما تدعون
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات
الاية دليل على التوحيد وتقريره هكذا لا شئ من الهتكم خالق في الارض
ولا ذو ملك في السموات والاله الحق خالق في الارض ذو ملك في السموات
فلا شئ من الهتكم بالاله الحق وهما واضحتان • او اثارة من علم قيل
معناه حدثني ابي عن جدي فيحتج به المحدثون على شرف علم الحديث
والاسناد وقيل هو ضرب بالرمل فيحتج به الرمالون • وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا مع قوله في عامين يحتج به على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر
وهو نوع من انواع كيفية الاستدلال بالخطاب على الحكم مذكور في اصول
الفقه • اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي انكار منه للبعث
وجوابه قولهما له • ويلك امن ان وعد الله حق اى وقد وعد بالبعث
ولكل درجات مما عملوا يحتج به على ان للاعمال اثرا في تفاوت الدرجات
فيقال انه يقال لاهل الجنة ادخلوها برحمة الله واقتسموها باعمالكم
تدمر كل شئ بامر ربها قيل هو عام خص بالحس لمشاهدتنا السموات
والارض لم تدمر والاشبه انه عام اريد به الخاص وهو ما يختص بعاد

قوم هود من المساكن والاموال والانفس ونحوها بدليل ما تذر من شئ اتت
عليه نحصر ما دمرته بما اتت عليه وانما اتت على ارض عاد • واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران الى قولهم اجيبوا داعى الله وامنوا به يحتج
به على وجود الجن وان منهم مسلمين وقولهم انا سمعنا كتابا انزل من
بعد موسى لعلهم كانوا على دين التورية فلذلك خصوا بالذكر موسى دون
عيسى • اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن
بقادر على ان يحيى الموتى استدلال على منكر البعث وقد سبق فى هذه
السورة فى قول القايل اتعداننى ان اخرج الى قوله ما هذا الا اساطير
الاولين وقد سبق تقرير هذا الدليل فى يس وغيرها • فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل قيل هم جميع الرسل وقيل هم الخمسة المذكورون فى قوله
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى
وعيسى ابن مريم وقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا
اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى ويحتمل انهم المذكورة قصتهم
فى سورة هود وهم سبعة لقوله فى اخرها وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فؤادك والاشبه الاول لانه فى غالب القران انما يواسيه بعموم
انما يواسيه بعموم الرسل نحو ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا الى قوله
ولقد جاءك من نبا المرسلين واشباه ذلك القول فى سورة محمد محمد
عليه الصلوة والسلام • والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل
على محمد عطف خاص على عام وهو يدل على ان الايمان بالقران اخص وافضل
انواع الايمان وهو كذلك لانه يشمل جميع انواع الايمان وغيرها من
القصص والاخبار والاحكام • فاما منا بعد واما فداء يحتج به على جواز
اسر الكفار اذا ظفر بهم فى الحرب وعلى نسخها الاية الانفال ما كان لنبى
ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض او ان هذه كان حكمها الى غاية
الاثخان وقد حصلت فلا يكون نسخا بل انقضاء حكم بانقضاء مدته
كالاجارة • ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم
ببعض يحتج به المعتزلة لانه لو كان خالقا لافعالهم لعلم بما يكون منهم
قبل ابتلاء بعضهم ببعض ولم يبق للابتلاء فائدة واجيب بانه خالق
لافعالهم عالم بما سيكون منهم غير انه اراد ان يظهر ما فى علمه ليكون
امارة على حكمه وعدله فى حكمه • مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار
الاية يحتج بها على النعيم والعذاب الحسيين ومثل ذلك كثير خلافا للفلاسفة
والنصارى • اولئك الذين طبع الله على قلوبهم اى خلقها واتبعوا اهواءهم

كسبا • والذين اهتدوا زادهم هدى يستدل به على قبول الايمان والهدى الزيادة
والنقصان • فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة فقد جاء اشراطها
يستدل به على قربها لان علامات الشئ ومقدماته تدل على قربه وقد سبق
ان القرب والبعد امران اضافيان • فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
يحتج به على تقديم اصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره
لتقديمه التوحيد ههنا ولان رتبة الاصل قبل الفرع وعلى ان المعتبر فى
الاصول العلم لا غيره لقوله فاعلم انه لا اله الا الله وهذا فيه تفصيل
وهو ان ما كان من القضايا الاصولية بديهيا استوى فيه العالم وغيره
واعتبر فيه العلم وما كان نظريا فان كان قريبا من البديهى جاز ان يكلف
العامى بالنظر فيه ليعلم وان لم يكن قريبا بعد ان يكلف به العامى لافضائه
الى تعطيل معاشه خصوصا مع كثرة الشبه ودقتها وقد كان النبى صلى الله
عليه وسلم يقنع من عامة الناس بمجرد التصديق والانقياد لما جاء به ولو وجب
العلم النظرى عليهم لبينه لهم • فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض
مطلب فى لعن يزيد وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله يحتج به على جواز لعن يزيد وقد
اختلف فيها فمنهم من منعه حسما لمادة الترقى الى من فوقه ومنهم من اجازه
لفجوره وقطعه الرحم الواجب صلتها وقد حكى عن احمد انه سئل عن لعن يزيد
فقال الا يجوز لعن من لعنه الله فى كتابه ثم تلا هذه الاية فقيل له لم لا تلعنه
انت فقال ولمن لعنت انا حتى العن يزيد فمن الناس من اقتدى بفعل احمد
فى الترك ومنهم من اقتدى بفتياه فى اللعن ويحتمل ان يقال من غلبت عليه
الحمية لله ورسوله وانكار المنكر جاز ان يلعنه ومن غلبت عليه عصبية
الرافضة لم يجز له ذلك فليتفقد الانسان نيته وقصده فانما الاعمال
بالنيات • ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الاية علم الله على ضربين
خاص به وعام لشركه فيه خلقه وهو الذى تقوم به الحجة عليهم وهو المراد
ههنا اى حتى نعلم المجاهدين وغيرهم علما مشتركا تقوم به الحجة واظن
الفتح هذا قد سبق القول فى سورة الفتح ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قيل ما تقدم من ذنب ابيك ادم وما تاخر من ذنب
امتك وقيل على ظاهره فى جواز وقوع الصغاير من الانبياء ويدل على
ضعف الاول مخالفته للظاهر وانه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت
قدماه فقيل اليس قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال افلا
اكون عبدا شكورا فدل على اختصاص الاية به دون غيره • ليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم يحتج به على قبول الايمان الزيادة والنقصان قوله عز وجل

قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى باس شديد تقاتلونهم
او يسلمون الاية احتج بها الجمهور على صحة خلافة ابى بكر رضوان الله عليه
وتقريره ان المخلفين من الاعراب امروا بطاعته او بطاعة مستخلفه وكل من
كان كذلك فهو صحيح الخلافة فابو بكر صحيح الخلافة اما الاولى فلان المراد
بالمخلفين هم الذين تخلفوا عن تبوك وقد اخبر الله عز وجل انهم سيدعون
الى قتال قوم اولى باس شديد وان الداعى لهم الى ذلك واجب الطاعة لتوعدهم
على مخالفته والتولى عنه وهذا الداعى اما ابو بكر فيحصل المقصود او عمر
وهو خليفة ابى بكر وفرع عليه واذا وجبت طاعة عمر رضى الله عنه صحت
خلافته ويلزم صحة خلافة مستخلفه ابى بكر وانما قلنا ان هذا الداعى احد
الرجلين لان القوم اولى البأس الشديد اما بنو حنيفة والمجاهد لهم ابو بكر
او فارس والروم والمجاهد لهم عمر واما الثانية فلان من لا يكون صحيح
الخلافة لا تجب طاعته او نقول لانهم توعدوا على مخالفته بالعذاب الاليم
ووعدوا على طاعته بالاجر الحسن وكل من كان كذلك كان صحيح الخلافة
اذ لا نعنى بصحة الخلافة الا من وجبت طاعته وحرمت مخالفته واعترض
الشيعة لعنهم الله على هذا بان قالوا لا نسلم ان المخلفين امروا بطاعته
قوله المخلفون هم الذين تخلفوا عن تبوك قلنا لا نسلم وانما هم المخلفون
عن الحديبية وقد تخلف عنها جماعة من المنافقين كما ذكره المفسرون والذى
يدل على ان هولاء المخلفين غير اولئك اختلافهم فى علة التخلف فهؤلاء
تخلفوا الحديبية قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا واولئك تخلفوا بتبوك
قالوا لا تنفروا فى الحر ومنهم من قال ائذن لى ولا تفتنى يعنى بنساء
الروم اذا غزاهم افتتن بهن وانما وقع الاشتباه من اشتراك لفظ المخلفين
بين مخلفى الحديبية وتبوك قوله وهذا الداعى اما ابو بكر او عمر قلنا لا نسلم
وانما يصح هذا ان ثبت ان المخلفين تخلفوا بتبوك وقد منعنا ذلك قوله
القوم اولى الباس الشديد اما بنو حنيفة او فارس قلنا لا نسلم وانما هذا
بناء منكم على ان الداعى ابو بكر او عمر وهو ممنوع على ما سبق وانما اولوا
الباس الشديد هوازن والداعى الى قتالهم النبى صلى الله عليه وسلم وهو
مفترض الطاعة بلا خلاف وقد ذهب جماعة من جملة المفسرين الى انهم
هوازن وقد ثبت ان الداعى الى قتالهم هو النبى صلى الله عليه وسلم وجدير
بهوازن ان يكونوا اولى بأس شديد والله عز وجل يقول للمؤمنين ويوم
حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما
رحبت ثم وليتم مدبرين وحسبك قوم لم ينتصف منهم الا المعجز الالهى

النبوى

النبوى حيث رماهم بقبضة تراب فقال الله عز وجل وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى قالوا فثبت ان هذه الاية فى مخلفى الحديبية ورسول الله
وهوازن لا فى مخلفى تبوك وابى بكر وفارس وبنى حنيفة واعلم ان
الخلاف فى هذه المسئلة مبنى على اولى البأس الشديد من هم وقد اختلف
فيه المفسرون كما ذكره ابن عطية وغيره ومع الخلاف لا يمكن الجزم
بشئ • محمد رسول الله خلافا لليهود والنصارى لنا انه صلى الله عليه وسلم
ادعى النبوة واتى بالمعجز وكل من فعل ذلك فهو رسول الله فمحمد رسول الله
وجميع هذه المقامات قد سبق تقريرها على اليهود فى اثبات نبوة المسيح
الا كونه اتى بالمعجز والدليل عليه من وجوه احدها انه اتى بالقران وهو
غير كاتب ولا قارئ ولا مدارس بالعلوم فتحدى به العرب الفصحاء فاعجزهم
ان يعارضوه وذلك بعد كل شك وسؤال يورد يقتضى انه معجز وقد
تقرر هذا فى مواضع من هذا التعليق الثانى ان القمر انشق له معجزا
استفاض ذلك فى السنة بعد ان تواتر فى القران الثالث تسليم الحجر
عليه الرابع نبع الماء من بين اصابعه حتى سقى جيشا وتطهروا منه الخامس
انه اشبع جيشا عشرين الفا وزودهم حتى ملاؤا اوعيتهم من نحو سبعة
او ثمانية اصوع السادس تسليم الشجر عليه السابع اخباره بالغايبات فلم يخرم
شئ منها الثامن اخباره عن قصص الماضين فوافق ما عند اهل الكتاب
التاسع تظليل الغمام له وميل ظل الشجرة عليه لتظله العاشر انه رمى
هوازن وهم عشرون الفا بكف تراب فملاء اعينهم جميعهم فانكسروا وهذا
قليل من كثير من معجزاته صلى الله عليه وسلم فمن وفق علم بالضرورة
صحتها لتواترها عند المسلمين على كثرتهم تواترا لفظيا او معنويا ثم
علم بالضرورة ان من ظهر ذلك على يده نبى صادق وايضا فان محمدا صلى
الله عليه وسلم اما ان يكون صادقا او ملكا ماحقا فالثانى باطل فالاول
حق اما الحصر فلانه لا قايل بثالث لان المسلمين يقولون هو نبى صادق
والخصم ممن ينكر نبوته يقول هو ملك ماحق اعطى نصرة وسعادة حتى قهر
اعداءه ومحقهم ثم استولى على دعوى النبوة واما بطلان كونه ملكا كما
زعموا فلان العادة المطردة والاستقراء التام استمر بانقراض دول
الملوك وسياساتهم بموتهم ودولة محمد صلى الله عليه وسلم باقية مستمرة
نحو الف سنة وهى فى زيادة وقوة وذلك يدل على انه ليس بملك كما زعموا
وينتظم الدليل هكذا لا شئ من دول الملوك بباق بعدهم ودولة محمد
باقية بعده وذلك ينتج المطلوب واذا انتفى كونه ملكا ماحقا تعين انه

الاية وهذه صح

نبي صادق ضرورة انحصار الحكم في احد القسمين عند انتفائه عن الاخر وقد
سقطت هذا غيرههنا. ليغيظ بهم الكفار يحتج به الجمهور على كفر الرافضة
المبغضين للصحابة وتقريره ان من ابغضهم فقد غاظوه وكل من غاظوه
فهو كافر فمن ابغضهم فهو كافر بيضم اليها صغرى الرافضة يبغضونهم
وكل من ابغضهم فهو كافر فالرافضة كفار والمقدمات واضحة والرافضة
لما رأوا قوة هذا الدليل فزعوا الى التأويل فتارة حملوا الذين معه على
اهل البيت واتباعهم ومن احبهم دون من تحامل عليهم ونكث عهدهم
وجعلوه من باب العام المخصوص او المراد به الخاص وتارة حملوا اللام
في الكفار على العهد لا الاستغراق اى ليغيظ بهم الكفار المعهودين في
عصرهم او من ابغضهم عنادا بغير حق اما من ابغض بعضهم بتاويل او اجتهاد
مستند الى حجة او شبهة فلا نسلم دخوله تحت هذا الوعيد وربما منعوا
المقدمة القابلة كل من غاظوه فهو كافر لان القران انما دل على ان كل
كافر يغتاظ من الصحابة بالضرورة وانما تنعكس هذه الى ان بعض من يغتاظ
منهم كافر بالاطلاق لا الى كل من يغتاظ منهم كافر وحينئذ لا يكون كبرى
القياس جزئية فلا ينتج وهذا المنع اجود من تاويلهم المذكور قبل
القول في سورة الحجرات لا تقدموا بين يدى الله ورسوله اى الحجرات
لا تسبقوه بالرأى والكلام وسبب الاية يدل عليه وهو تنازع ابى بكر وعمر
كرم الله وجوههما في تولية الاقرع بن حابس والقعقاع بن عمرو. ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض الاية فيه احترام النبي صلى الله
عليه وسلم وتوقيره وحبوط العمل بالتفريط في حسن الادب معه وهذا
مستمر بعد موته كحال حيوته بل ابلغ. ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
اعلم ان الناس اما معلوم العدالة فيقبل خبره او معلوم الفسق فلا
يقبل خبره او مجهول الحال فيقبل خبره ابو حنيفة دون الشافعي وظاهر
هذه الاية مع ابى حنيفة لانه امر بالتبيين والتثبيت عند خبر الفاسق
ومفهومه ان عند غيره لا يجب ذلك بل يقبل وذلك يتناول القسمين
الاخرين كانه قال ان اخبركم فاسق فتبينوا والا فاقبلوا ولعل مأخذ
الخلاف ان شرط قبول الخبر عدالة الراوى فلا يقبل خبر المجهول لعدم
العلم بعدالته او عدم العلم بفسقه فيقبل خبر المجهول اذ ليس معلوم
الفسق وهو ظاهر الاية كما قلنا ثم يتفرع على هذا قبول المرسل وهو ما
سقط من اسناده راو تابعى عند المحدثين ومطلق عند غيرهم لان الراوى
الذى سقط ذكره مجهول والخلاف الخلاف والاحوط ان لا يقبل. ولكن الله

حبب

حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
فيه اثبات تصرف الله عز وجل في القلوب وتقليبها وانه يحبب اليها ما يشاء
فتحبه فتقبل عليه ويكره اليها ما يشاء فتكرهه فتعرض عنه ويترتب على ذلك
خلق الافعال ومذهب الجمهور في الكسب والجبر. وان طائفتان من المومنين
اقتتلوا احتج به من رأى اقل الجمع اثنين وتقريره انه رد ضمير الجميع
الى الطائفتين ولولا انهما جمع لما حسن ذلك وبوجوه اخر احدها
هذان خصمان اختصموا وثانيها وداود وسليمن اذ يحكمان في الحرث
ثم قال وكنا لحكمهم شاهدين وثالثها قول يوسف عليه السلام يا صاحبى
السجن ثم قال ما تعبدون ورابعها قوله صلى الله عليه وسلم اثنان فما فوقهما
جماعة فاخبر بالجماعة عن اثنين وخامسها ان تتوبا الى الله فقد صغت
قلوبكما وسادسها ان الجمع ضم شئ الى غيره وهو موجود في الاثنين واحتج
الاخرون بوجوه احدها قول ابن عباس لعثمان ليس الاخوان اخوة في لسان
قومك فلم ينازعه في ذلك وانما احتج بالاجماع وذلك في حجب الام باخوين
الثاني لو كان الاثنان اقل الجمع لصح ان يقال رأيت رجلين ثلاثة او ثلاثة
رجلين او رايت الرجلين كلهم او الرجال كلاهما وليس كذلك باجماع
الثالث ان اهل اللغة وضعوا لكل واحد من التثنية والجمع بابا وصيغة
غيرها وضعوا للاخر فقالوا مسلمان ومسلمون ورجلان ورجال فدل على
التغاير والجواب عن حجة الاولين اما عن الاول فان الطائفة تصدق
على الواحد والجماعة والطائفتان جماعة فرد اليهما ضمير الجمع باعتبار
افرادهما ثم عاد الى ضمير التثنية في فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما
على الاخرى الى اخره باعتبار الفريقين فحاصله ان في الطائفتين جهتى
تثنية وجمع فرد اليهما ضمير الجمع والتثنية بالاعتبارين وكذا القول
في هذان خصمان اختصموا وهل اتيك نبؤ الخصمان اذ تسوروا المحراب
على ما مر في موضعه وعن الثالث ان الضمير في لحكمهم عايد الى سليمان
وداود والمتحاكمين اليهما وهم جماعة وعن الرابع ان المراد صاحبا السجن
وقومهما وعن الخامس ان الاثنان جماعة في حكم الصلوة وحصول اصل
فضيلة الجماعة لا انهما جماعة في اللغة لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث لبيان
احكام الشرع لا اللغة وعن السادس ان قلوبكما كناية عن ارادتهما التى مبدأها
القلب او انها تثنية لفظية لئلا يجمع بين تثنيتين لو قال قلباكما وعن
السابع ان الجمع اخص مما ذكرتم وهو ضم شئ الى اكثر منه وهو غير موجود
في التثنية وقد اورد على هذه المسئلة اشكال وهو انه ان اريد ان الاثنان

اقل جمع الكثرة فاقله احد عشر على ما صرح به اهل العربية ان جمع القلة ما
بين الثلاثة الى العشرة وجمع الكثرة ما فوق ذلك وان اريد جمع القلة
فمقتضى كلامهم اعم من ذلك لانهم جعلوا من جمع القلة الجمع السالم
نحو مسلمين ومسلمات وهم فى العرفات ويمكن ان يجاب عنه بان الجمع ضم
شئ الى غيره وهو من حيث هو هو اعم من جمع القلة والكثرة لانقسامه
اليهما فجاز ان يراد به ان الاثنين اقل الجمع المطلق من حيث هو هو وما صح
ان يرد اليه ضمير الجمع واستدل بالاية على ان الفاسق لا يخرج عن وصف
الايمان لان البغى فسق والباغى فاسق وقد اطلق عليه وصف الايمان فى
قوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فسمى الجميع وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم للحسن ان ابنى هذا سيد ولعل الله سيصلح به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين يعنى اهل العراق وبغاة الشام وفى الاستدلال
بهذا الحديث نظر • لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى ان يكن خيرا منهن احتج به من يرى ان القوم خاص
بالرجال لانه قابله بالنساء فكن قسيما للقوم وقسيم الشئ يستحيل ان
يدخل تحته ويكون قسما منه **ولقول الشاعر** •

• وما ادرى وسوف اخال ادرى • اقوم آل حصن ام نساء •

والاستدلال به كما سبق ولان القوم مشتق من القيام بالامور وهو وصف
الرجال لا النساء والرجال قوامون على النساء ولان العرب تقول يا للقوم
وانما يستغاث ويستنجد بالرجال لا النساء واعترض على الاولين بانه
انما اختص القوم فيهما بالرجال لقرينة المقابلة والتقسيم فلعله لولا
ذلك لما دل وعلى الثالث بان النساء لهن حظ فى القيام بالامور كخدمة
المنازل وتربية الاولاد ونحوه وعن الرابع بانه معارض بقولهم هذه
امراة من قومى ولولا صدق القوم على النساء لما صح ذلك واحتج الاخرون
بوجوه احدها قوله عز وجل كذبت قوم نوح ونحوه وهو يتناول النساء
الثانى ما سبق من قولهم هذه امراة من قومى الثالث لو وصى لقومه دخل
النساء الرابع ان الرجال والنساء كل منهما يتقوم بالاخر فى التناسل والوجود
فمعنى القوم موجود فيهما واعترض على الاولين بدخول النساء فى القوم تبعا
لتغليب الرجال وعلى الثالث بانهن دخلن بقرينة الوصية وان مقصودها
البر وصلة الرحم وعلى الرابع بان القوم راجح فى الرجال ولذلك كان
النسب شرفا ودناءة مختصا بهم • يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا هذا اصل فى مشروعية علم

النسب

النسب وتفاصيله فى الكتب • قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا
اسلمنا يحتج به على ان الايمان غير الاسلام لانه سلب الايمان واثبت الاسلام
فاقتضى التغاير وهو كذلك لغة وشرعا ومركبا منهما اما لغة فالايمان
التصديق ومحله القلب والاسلام الانقياد ومحله القلب والبدن جميعا
فهو اعم والتغاير حاصل وهذا هو المراد بالاية اى لم تؤمنوا بقلوبكم
وانما اسلمتم اى انقدتم بظواهركم واما شرعا فلان النبى صلى الله عليه وسلم
فسر الايمان فى حديث جبريل بالتصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وفسر الاسلام بالاعمال الظاهرة وهى الشهادتان واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وصوم رمضان والحج والتغاير ايضا حاصل لان
عمل القلب غير عمل البدن وما تعلق بالباطن غير ما تعلق بالظاهر
واما مركبا منهما فالايمان لغة التصديق والاسلام شرعا ما ذكر من الاعمال
الظاهرة وهما متغايران وان كان العمل الظاهر قد يلزمه التصديق والتصديق
قد يترتب عليه العمل الظاهر والاسلام لغة الانقياد بالباطن او الظاهر
او بهما والايمان شرعا التصديق بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر وهما متغايران وان كان التصديق بهذه الاركان قد يترتب
عليه الانقياد الظاهر والانقياد بالظاهر قد يلزمه التصديق بهذه
الاركان اما التصديق بها والانقياد بالباطن فهما واحد او متلازمان •
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ان قيل هذا تعريف الشئ بنفسه
قلنا ليس كذلك بل هو تعريف الايمان الشرعى باللغوى اى انما المؤمنون
شرعا الذين امنوا لغة اى صدقوا بالله ورسوله وهو كقوله عليه الصلاة
والسلام لجبريل حين سأله عن الايمان الايمان ان تؤمن بالله الى اخره

القول فى سورة ق بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم ق
سبق القول فى اول سورة يونس وغيرها • ائذا متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد هذه شبهة منكرى البعث من الكفار وتقريره انا بالموت
نصير ترابا والتراب استحال ان يرجع بشرا سويا فنحن نستحيل ان
نرجع بعد الموت بشرا كما كنا والجواب ما اشار الله عز وجل اليه بقوله عز
وجل • قد علمنا ما تنقص الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ وتقريره ان
يقال اما قولكم انا نصير بالموت ترابا فصحيح واما قولكم التراب استحال
ان يرجع بشرا سويا فباطل ممنوع بل هو ممكن وبيان امكانه ان الانسان
يتحلل بدنه بعد ما تنقص الارض والبلى منه الى جواهر حافظة لصورها باقية
ونحن نعلم اعيان تلك الجواهر واماكنها من الارض ومن بدن الانسان فنحن

تؤلف تلك الاجزاء بعضها الى بعض بعلمنا وقدرتنا ثم ننشئ عوضاً عما
نقصت الارض منه ثم نعيده بشراً سوياً وهذا امر ممكن لاينكره العقل
ولايقصر عن ادراكه وانما ضل هؤلاء من حيث الجهل اذ نزلوا الممكن البعيد
عنهم منزلة المستحيل فى نفسه فاختلط عليهم الحق بالباطل والصواب
بالخطاء • فهم فى امر مريج اى مختلط وينتظم الدليل هكذا الجسم ينحل الى
جواهر معلومة المحال وكل ماكان كذلك امكن اعادته فالجسم امكن اعادته
والاولى ثابتة بهذه الاية والثانية واضحة على ماقررنا ولنضرب لبعث
الاجساد امثلة تقربه احدها ان الارواح كطيور فارقت ابراجها و
واقفاصها وانهدم البرج بعد مفارقتها فاذا اريد عودها اليه اعيد
عامراً ثم عادت اليه الثانى ان الناس فى حيوتهم وموتهم وبعثهم كقوم
تجردوا عن ثيابهم ثم صاح بهم صايح لامر مهتم فبادر كل منهم الى ثوبه فدخل
فيه ثم اجاب والجسد كالثوب وقد بينا امكان اعادته وانه سيعود الثالث
ان الجسم كعقد انقطع سلكه فاذا اريد اعادته منظوماً التقط حبه من
مواضعه ثم نظم فى سلكه الرابع ان شبكة العنكبوت قد يتخرق وينقطع
فيتجرد عنها ثم تعود فيعود اليها الخامس السيف يجرد من غمده ثم يرث
الغمد ويخلق ثم يجدد واليه يعاد السيف فيغمد السادس الانسان يفارق
بلده او بيته فيخرب بعده ثم يعمر فيعاوده السابع النحل يفارق بيته
الذى بناه فربما خرب ثم يعاد فيعاوده ونظائره كثيرة مابين قريب فى
التمثيل وبعيد ومتوسط واقربها التمثيل بالطير والقفص اذ الروح كطائر
فى قفص مربوط فى رجليه خيط طويل فهو يطير مابين اليوم والليلة مرة او
مراراً ثم يجذب بذلك الخيط فيعود فاذا انفلت من ذلك الخيط طار
وطالت غيبته وتكسر القفص فاذا كان وقت عوده جدد القفص كما كان
وعاد الطير اليه كما كان وهكذا حال النفس مع البدن تفارق فى حال
النوم وتعاود لارتباطها بالبدن وبالموت ينحل رباطها الى البعث ثم
يعاد الجسم بعد بلاه فتعاود سكناه وربما ضحك الفيلسوف ومنكر البعث
من هذا التقريب وهو احق ان يضحك من عقله اذ لايشك عاقل فى امكان
ماادعيناه وتسهيل تصور البعث بما قربناه • ومالها من فروج يعنى السما
لافرج فيها وهو لاينفى قبولها الخرق والالتئام كما سبق كالثوب الصحيح
يقبل الانقطاع • ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب
الحصيد الى واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج هذه حجة اخرى على
امكان البعث ووقوعه اما وقوعه فمستنده السمع المعصوم المستند الى

دليل

دليل المعجز المعقول واما امكانه فبالقياس على احياء الارض بعد موتها وقد
سبق غير مرة وتوجيهه ان اجزاء الجسم القارة فى الارض كحب الزرع فى
الارض واخراجه حياً من الارض كاخراج الحب نباتاً منها وكيفية ذلك
ماسبق والمقوم له قدرة الفاعل وقابلية القابل والحكمة اللطيفة
الرابطة بين تاثير الفاعل فى القابل فالحب فى الارض اصل واجزاء الجسم
فيها فرع والحكمة اخراجهما نباتاً وحياً والعلة الامكان وتمام القدرة
ولطيف الحكمة وربما كان ذلك بواسطة ماتمطره السماء كمنى الرجال ينبت
فيه الاجسام كما تنبت الحبة فى حميل السيل وبعد هذا البيان لاينكر البعث
الاجاهل او معاند للبرهان ثم من العجب قولهم ان التراب استحال ان
يعود بشراً سوياً مع تسليمهم او اكثرهم ان ادم خلق من تراب فكان
بشراً سوياً • افعيينا بالخلق الاول هذا دليل اخر على البعث والمعاد
بالقياس على ابتداء الخلق كما مر فى سورة الروم وتقريره لو امتنعت
الاعادة لوجب ان نعيى اى نعجز عن الابتداء واللازم باطل فالملزوم
كذلك بيان الملازمة ان الاعادة اهون من الابتداء كما تقرر وعرف
ولو امتنعت الاعادة لعجزنا عنها ولو عجزنا عنها لكنا عن الابتداء الذى
هو اصعب منها اعجز فلو امتنعت الاعادة لعجزنا عن الخلق الاول واما
بطلان اللازم فلان الخلق الاول قد وجد منا ويلزم ذلك انا لم
نعجز عنه والا لما وجد واما بطلان الملزوم فلاستحالة وجوده مع انتفا
اللازم ثم معنى الاية انا ما عيينا عن الخلق الاول حتى نعيى عن الثانى
بل هم يعنى الكفار • فى لبس من خلق جديد اى فى شك واختلاط وهل
قوله خلق مصدراً ومفعول بمعنى مخلوق جديد كلاهما محتمل فان صح
ان المراد مخلوق جديداً امكن ان يصح قول من زعم ان المعاد ليست
هذه الاجسام بعينها بل غيرها مثلها اذ الجسم ليس مقصوداً لذاته بل
هو آلة لتنعيم الروح او عذابها وان كان المراد بالخلق المصدر وهو
الظاهر لايلزم ذلك لان الانشاء الثانى وان كان غير الاول لكن المنشاء
هو الاول بعينه كجدار ينهدم ثم يعاد بالته بعينها فالبنا الثانى غير الاول
والمبنى واحد • ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه الاية
يحتج بها الاتحادية على ماسبق وجوابه ان قربه منه بالعلم والقدرة
وعلمه بوسوسة النفس لتعلق علمه بجميع المعلومات مع مباينة ذاته
لسائر الذوات لا لسريانه بذاته فى الموجودات كما زعموا • اذ يتلقى
المتلقيان الاثنين فيه اثبات الحفظة وكتابتهم مايصدر عن المكلف

يكبتون عليه ببسيط اللفظ ومركبه من كلمة وكلم وكلام اذ القول يشمل ذلك كله
ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد الايات فى احكام اليوم الاخر والوعد والوعيد
والجنة والنار ونحوه • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك
فبصرك اليوم حديد هذا كقوله عز وجل وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
ونحوه واختلف فى هذا الغطاء الذى اذا كشف صار البصر حديدا فعند
الصوفية هو تجرد النفس عن علايق الاوهام والخيالات ولهذا يستعملون
الرياضة والخلوة والمجاهدة فى ازالة الوهميات والخيالات فمن صح له
ذلك اشرف على كشوفات عظيمة قال لى بعضهم ارتضت حتى رايتنى ادور
بدوران الفلك فى مجارى النجوم والشمس والقمر اطلع اذا طلعت واغرب
اذا غربت واتوسط اذا توسطت وقال لى بعض الفضلاء منهم ببيت
المقدس ارتضت حتى رايتنى والعالم كرتين اذا استغرقت فنيت كرته
وبقيت كرتى واذا عدت الى عالم الحس كان بالعكس واذا اردت ان ترى
العجب العجاب من ذلك فانظر فى مراى الشيخ ابى ثابت محمد بن عبد الملك
الديلمى الهمذانى فى كتاب مرآة الارواح له وعند الاتحادية هو تعلق ذات
الحق بهذا الطور البشرى فبعد ادراك العقل له لشدة قربه فاذا فارق
مظهره البشرى وصدر انكشف الغطاء عنه وظهر وشبهوه بالقمر كلما
قرب من الشمس استتر وانمحق وكلما بعد عنها وقرب من مقابلتها استنار
واشرق وعند الفلاسفة هو ملابسة النفس والروح اللطيف للجسم
الكثيف فكان عليه كالغطاء مانعا له من اشراق النور العلوى عليه
والضيا فاذا تزايلا كشف الغطاء وتبين من الخير والشر جنس الغطاء
الا ترى ان الادهان اللطيفة ما دامت سارية فى محلها لا تؤثر اثارها
المستعدة هى لها كالزيت فى الزيتون والشيرج فى السمسم ودهن اللوز
فيه ونحوه فاذا استخرجت منه وفارقها كثيفها اثرت تلك الاثار
وانكشف عن وجه فعلها الغطاء فاستنار وكذلك الماء للطافته
يصف ما وراءه والهواء كذلك لا يمنع نفوذ اشعة الابصار فيرى
الحيوان على بعد من آزاه فاذا خالط الارض الكثيفة المظلمة محقت
ظلمتها تلك الانوار واحتجبت لطافتها وراء تلك الاستار واذا اردت
مشاهدة ذلك عيانا فانظر الى لطافة الماء وصفائه كيف يستهلكها
التراب اذا جمع بينهما فصارا طينا فلو فرض تخليص الماء من الطين على
صفته لعاد الى فعله بموجب لطافته وعند المتكلمين الانسان بين غطاء
التكليف وكشف الجزاء فاذا كشف هذا الغطاء ظهر ذلك الكشف ولو ظهر

قف
على الكلام فى فكشفنا
عنك غطاءك
فانه نفيس
١٣٠١
٢

بلغ مقابلة

ذلك

ذلك الكشف فى زمن التكليف لصار الايمان ضروريا وبطل التكليف لبطلان
حكمته فهذا ما استحضرناه من اقوال الناس فى الغطاء نقلا عنهم او قياسا
على مقتضى قولهم • لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد قيل هو الزيادة فى
قوله عز وجل للذين احسنوا الحسنى وزيادة فيستدل به على الرؤية كما
سبق • وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وفى طه وقبل
غروبها وفى الروم فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وفى سبحان
اقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل الايات يحتج بها على مواقيت
الصلوة وبعضها ابين من بعض ثم جاءت السنة فاتممت فى بيانها كحديث
ابن عباس وجابر وموسى وغيرهم وبقى بعض الاجمال فجاء الفقهاء فازالوه
فبلغت احكام الايات المذكورة بهذا التبيين اقصى غاية البيان وكذلك
سائر النصوص المجملة بلغت بالتبيين غايتها من البيان وظهر بهذا ان
المجمل والمبين على مراتب فى الجلاء والخفاء فاقيموا الصلوة ثم صلوا كما رايتمونى
اصلى ثم حديث المسيئ فى صلوته مترتبة فى الاجمال كل واحد منها اشد اجمالا
مما بعده وهى فى البيان على العكس كل واحد منها ابين مما قبله ثم قال بعض
الاصوليين ان البيان فى ضمن المجمل حتى ان جميع ما وردت به السنة وقاله
الفقهاء فى تفاصيل الصلوة وافعالها فى ضمن قوله عز وجل اقيموا الصلوة
ووجهه ان البيان كاشف عما فى ضمن المجمل كالبحث كاشف عما فى ضمن الارض
من المعادن وكما ان المعادن تستخرج من الارض بالبحث كذلك المعانى والاحكام
تستخرج من المجمل بالبيان • واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب
هى فى نفخ اسرافيل فى الصور وجمع الناس للحشر ونحوه من احكام الاخرة

القول فى سورة الذاريات

وفى الارض ايات للموقنين وفى انفسكم
اشارة الى النظر والاستدلال فى ايات الله عز وجل وقد سبق انه واجب
وهو يفيد العلم او الظن بحسب مواده اذا استكمل الشرائط • فاخرجنا من
كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يحتج به على ان
الايمان والاسلام واحد لان المشار اليه بالمسلمين والمومنين واحد وهم آل
لوط واجيب بان الايمان اخص من الاسلام لغة اذ كل مصدق منقاد
وليس كل منقاد مصدق وبينهما عموم وخصوص شرعا اذ بعض المصدق
بالاركان الخمسة فاعل للاركان الظاهرة وبعض الفاعل للاعمال الظاهرة
مصدق بالاركان الخمسة ولما كان الامر كذلك كان بين الايمان والاسلام
ارتباط وكانا مجتمعين فى اهل هذا البيت المذكور فذكروا فى كل واحدة من
الايتين باحد الوصفين نفيا للتكرار عن الفاصلتين وتنبيها على اجتماع

الذاريات

الوصفين فيهم لانهما شئ واحد • فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم
برد على من زعم ان فرعون مات مسلماً ولما وصف فى هذه الحالة بانه
مليم اى آت بما يلام عليه ولم يجر عادة الله عز وجل ان يذم عاصياً بعد توبته
ولا كافراً بعد اسلامه • ما تذر من شئ اتت عليه الا جعلته كالرميم هذا
مخصص لقوله عز وجل تدمر كل شئ بامر ربها اى كل شئ اتت عليه وهى لم
تأت على كل شئ على الاطلاق بل على ما كان لعاد كما سبق فى الاحقاف • فتول
عنهم فما انت بملوم وعيدى محكم او منسوخ باية السيف • وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون يحتمل وجهين احدهما ان هذه لام التكليف
والتوظيف اى ما خلقتهم الا مكلفين موظفا عليهم العبادة ولا يلزم ذلك
القيام بالوظيفة كما يقال ما اشتريت هذا العبد الا ليخدمنى اى وظيفته
ذلك وقد يعصى او يابق فلا يخدم والثانى انها لام العلة او العاقبة
والجن والانس عام اريد به الخاص وهم العابدون المطيعون منهم ثم العبادة
هل المراد بها عمومها او خصوص التوحيد فيه خلاف • ان الله هو الرزاق
عمومه والحصر فيه يقتضى ان لا رازق للحلال والحرام الا الله عز وجل خلافا
للمعتزلة فى الرزق الحرام على ما سبق اول البقرة القول فى سورة الطور
يوم تمور السماء موراً اى تموج وتضطرب وذلك مستلزم لتحركها حركة
مستقيمة خلافا للفلاسفة فى ان الافلاك لا تقبل الحركة المستقيمة اللهم
الا ان يدعوا ويثبت فى الهيئة ان السماء غير الفلك فلا يكون فى هذه
حجة عليهم لجواز ان تضطرب السماء بحركة مستقيمة دون الفلك اصلوها
فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم هذا امر بمعنى التسوية وهو من اقسام
ما وردت له صيغة افعل • ان المتقين فى جنات ونعيم الايات فيها
اثبات النعيم والعذاب المحسوسين • فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن
ولا مجنون فيه الشهادة الالهية بصدق النبى صلى الله عليه وسلم وان
النبوة نعمة وان الكهانة والجنون بلاء كأنه عز وجل يقول ما انت بنعمة
ربك مصاب فى دينك بالكهانة وفى عقلك بالجنون • ام يقولون تقوله
بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين هذا من ايات
التحدى بالقران المصحح لكونه معجزاً فلما لم يأتوا بمثله مع هذا التحدى دل
على عجزهم وانه معجز ولو ان شخصاً اتى بما يعجز عنه الجن والانس وسائر
العالم ولم يتحدهم به لم يسم ذلك معجزاً شرعياً ولا الآتى به نبياً • ام
خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون هذا من ادلة اثبات الصانع وتقريره
ان هؤلاء الكفار لا يخلوا اما انهم خلقوا من غير خالق او انهم خلقوا

الطور

انفسهم

انفسهم او خلقهم غيرهم والاول باطل اذ خلق بلا خالق تناقض ووجود
معلول بلا علة وهو محال والثانى باطل لان خلقهم انفسهم يستلزم
اجتماع وجودهم وعدمهم معاً حال الخلق وانه محال لان كونهم اثرا يقتضى
اخراجه الى الوجود يقتضى عدمهم وكونهم مؤثرا يقتضى وجودهم فتعين
الثالث وهو ان غيرهم خلقهم وهو الصانع القديم وهذه الاية التى
لما سمعها جبير بن مطعم من النبى صلى الله عليه وسلم يتلوها فى صلوة
المغرب قال كاد ينخلع لها قلبى او كما قال لانه فهم منها هذا الاستدلال
وهو بالسبر والتقسيم • ام خلقوا السموات والارض الاية دليل اخر على
ذلك وهو ان السموات والارض اثر فلا بد له من مؤثر ثم ذلك المؤثر
اما هى او هم او غيرهما والاولان باطلان فتعين الثالث وهو الصانع
القديم وهو ايضا سبرى تقسيمى ولذلك جعلنا تاثيرهما فى وجودهما
داخلا فى التقسيم ليكون تاما لا ناقصا ويقطع على انه مراد من الاية
لذلك اذ الله عز وجل لا يحتج بدليل ناقص ولا فاسد • ام عندهم خزائن
رحمة ربك هذا جواب عما تضمنه انكارهم لنبوته صلى الله عليه وسلم
من انكار اختصاصه عليهم بالنبوة وانه لو اختص بها دونهم لزم
الترجيح بلا مرجح فاجيب بان المرجح فضل الله عز وجل ورحمته وليست
خزائن الرحمة عندكم حتى تحجروا منها واسعا عن الخلق وهذا السؤال
وجوابه قد سبق فى مواضع • ام له البنات ولكم البنون هذا انكار لقول
الكفار الملائكة بنات الله عز وجل وقد تضمن الجواب بانكم استاثرتم
بالاكمل وجعلتم لربكم عز وجل ما هو انقص وهو خلاف الادب والعدل
فاذ لم يكن بد من سوء الاعتقاد فهلا تأدبتم واثرتموه بالاكمل وجعلتم
له مثل ما جعلتم لكم • ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون هذا
توحيد ودليله ان ما تشركون معه من الالهة اما ناقص لا يملك ضراً
ولا نفعاً فهو لا يصلح للالهية لنقصه او كامل مساو للاله الحق جل جلاله
من كل وجه فيلزم فساد العالم بدليل التمانع او تركيب القديم بدليل
الحكما وكلاهما باطل فاذاً لا شريك له عز وجل لا كامل ولا ناقص والاية
انما دلت على تنزهه عز وجل عن الشريك فاما خصوصية هذا الاستدلال
فشئ استحضرناه هنا فذكرناه القول فى سورة النجم
والنجم اذا هوى قيل هو قسم بالشهاب المنقض على مسترق السمع والمراد
القسم بالقدرة الالهية على ذلك وقيل هو قسم بنجوم القران النازلة
فى اوقاتها والمراد القسم بالكلام الازلى القديم وزعمت الشيعة ان النبى

النجم

صلى الله عليه وسلم قال الخليفة بعدي من يهوي النجم الليلة في داره فهوى النجم
اي انقض في دار علي ثم اقسم الله عز وجل به تعظيما له وتاكيد الحجة وهذا
لا يعرف الا من جهتهم او ممن تناوله عنهم وقد ذكره صاحب اللباب في
خصايص ابي تراب وغيره منهم باسانيد لا تثبت • ما ضل صاحبكم وما
غوى نفي للضلال والغي عن النبي صلى الله عليه وسلم يستلزم اثبات
الهداية له مراغمة للكفار • وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
يحتج به على انه كان لا يحكم بالاجتهاد بل بالوحي وان السنة الواردة عنه
كانت توحى اليه كما قال عليه الصلاة والسلام الا اني اوتيت الكتاب
ومثله معه وان جبريل ياتيني بالسنة كما ياتيني بالقران وان قوله
صلى الله عليه وسلم في الغضب والرضى والجد والمزاح حق لقوله اني لا امزح
ولا اقول الا حقا وقوله لعبد الله بن عمرو اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج
منه الا حق واشار الى لسانه • علمه شديد القوى قيل جبريل وقيل الله عز
وجل لانه ذو القوة المتين وقال عز وجل وعلمك ما لم تكن تعلم وقل رب
زدني علما ومن قال انه جبريل ربما استدل بانه افضل من الانبياء الذين
اوحي اليهم لانه معلم وهم متعلمون وعورض بانهم افضل لانه رسول وهم
مرسل اليهم وننقض ذلك بالرسل مع الامم وقد سبقت هذه المسئلة • ثم
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى يحتج به على اثبات الجهة اذ لا
يتصور هذا التقدير الا معها ولا يجوز حمله على جبريل وان قاب قوسين
كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم لان جبريل عليه السلام قرب من النبي
صلى الله عليه وسلم في الارض حتى تماست ركبهما وذلك اقرب من قاب قوسين
في السماء فتعين حمله على انه بينه وبين الله عز وجل ويلزم الجهة والخصم
انما يدفع هذا بما مر من لزوم التحيز والتجسيم • ما كذب الفؤاد ما راى
اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بقلبه والفؤاد عين
القلب كما ان البصر عين القالب • عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى
فيه اثبات الجنة موجودة قبل القيمة خلافا للمعتزلة كما سبق • ما زاغ
البصر وما طغى اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل ببصره
الظاهر وقد اختلف في ذلك فحكي عن ابن عباس وجماعة انه راه عز وجل
بعيني راسه لظاهر هذه الاية وحكي عن عائشة انها انكرت ذلك مستدلة
بقوله عز وجل لا تدركه الابصار وحملت هذه الاية على انه راى جبريل
مرتين في صورته الاصلية العظيمة الهايلة والاشبه الاول وحكي عن
احمد انه قيل له بم يرد قول عائشة في انكار الرؤية فقال بقول ابن عباس

في اثباتها او كما قال وحكي عن بعضهم انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يضع كل حديث عند اهله ويحدث الناس على قدر عقولهم وابن عباس رجل
كامل فافشى اليه هذا الحديث وعائشة اذ هي امراة ليست كالرجال في الكمال
لم يحدثها به • افرايتم اللات والعزى قيل اشتقوا اللات من اسم الله
عز وجل والعزى من العزيز وقيل ان رجلا كان يلت السويق للحاج فسمي
اللات اسم فاعل من ذلك مشدد التاء ثم سموا به الصنم وخففوه • الكم
الذكر وله الانثى سبق نظايره وههنا موضع القاء الشيطان في الوحي
كما قيل واشير اليه في سورة الحج فالقى متصلا بهذا اعني ومناة الثالثة
الاخرى تلك الغرانيق العلى ان شفاعتهم لترتجى فقالت قريش قد قاربنا
محمد واحسن القول في الهتنا فلما بلغ اخر السورة سجد وسجدوا معه مقاربة
له فلما نسخ ما القاه الشيطان عادوا الى المباعدة والعداوة وقد اختلف
الناس في هذا فمنهم من قدح في صحته ولم يثبته اذ لم يرد من طريق وثيق و
منهم من اثبته ثم اختلفوا في تاويله واقرب ما قيل فيه ان الشيطان
تكلم بتلك الكلمات والنبي صلى الله عليه وسلم يتلو فاشتبه صوته بصوته
فظنوا انه صلى الله عليه وسلم قاله فقاربوه معتقدين لذلك فلما نازعهم
وانكر انه قاله عادوا الى المباعدة وليست جراءة الشيطان باضعف من
جراءته عليه حين عرض له في الصلوة بشعلة نار ليقطع عليه صلوته والجميع
باذن الله عز وجل وارادته وقضائه وقدره ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
للذين في قلوبهم مرض كما سبق • تلك اذا قسمة ضيزى اي جايرة والعدل
اذا لم يكن بد ان توثروه بالبنين او تساووه • ان يتبعون الا الظن
احتج به من منع العمل بخبر الواحد والقياس لانهما انما يفيدان الظن واتباعه
مذموم واجيب بان ذلك في العقايد العلمية كالتوحيد ونحوه لا مطلقا
وقد سبق الدليل على اعتبار خبر الواحد والقياس • وما تهوى الانفس احتج
به من انكر الاستحسان في الشرع لانه اتباع الهوى بغير مستند والصحيح اعتباره
والقايلون به اهل العراق من اصحاب ابي حنيفة وقد قرروه احسن تقرير ولا نسلم
انه اتباع الهوى بل هو استماع القول واتباع احسنه وحاصل الاستحسان انه
العمل باقوى الدليلين اثرا ونحو ذلك على ما قرره البزدوي وغيره ولا جرم
انه لما كان كذلك استعمله منكروه فتراهم كثيرا ما يقولون يجوز استحسانا
لا قياسا والاستحسان كذا والاشبه ذلك فاذا الاستحسان كما قيل في المثل
الشعير يوكل ويذم وكذا الاستحسان يستعمل ثم ينكر • وكم من ملك في
السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الاية يقتضي ان للملائكة شفاعة باذن

تقف على الاستحسان والقول به ودليله من القرآن العظيم ه

الله عز وجل وانها لا تغنى شيئا ولا تنفع الا باذنه عز وجل وارادته ورضاه وله
نظاير نحو ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له من ذا الذى يشفع عنده
الا باذنه واشباه ذلك • ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة
تسمية الانثى تبين بهذا ان قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا معناه سموهم اناثا كما سبق • وما لهم به من علم هو لازم
لقوله عز وجل اشهدوا خلقهم اذ عدم علمهم بانوثتهم من لوازم عدم
شهادتهم خلقهم • ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا
يحتج به من منع العمل بالادلة الظنية كالقياس وخبر الواحد والاستحسان
والاستصلاح وقول الصحابى وشرع من قبلنا والبراة الاصلية ونحو ذلك
والجواب ما سبق انفا • فاعرض عمن تولى عن ذكرنا وعيدى محكم او منسوخ
باية السيف • ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم يقتضى تحقير
الدنيا وتحقير علم يؤدى الى الاقتصار على ارادتها وهو كقوله عز وجل ولكن
اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا الاية اذ جعل علمهم
بظاهر الحيوة الدنيا كلا علم • الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش
الا اللمم يحتج به على انقسام المعاصى الى كبائر وصغائر وهو مذهب
الجمهور كما سبق واقتضت الاية ان من اجتنب الكبائر والفواحش محسن
وان قارف الصغائر لانه عز وجل فسر الذين احسنوا بهؤلاء المجتنبين
للكبائر الا اللمم وهو استثناء منقطع اى يجتنبون الكبائر لكن اللمم
لا يسلمون منه • هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض يعنى عند خلق ادم
واذ انتم اجنة لا يعلم من خلق ويحتمل ان المراد هو اعلم بكم حيث خلقكم
من الارض الكثيفة الثقيلة المظلمة المقتضية المناسبة لصدور ظلمة
المعاصى منكم والمراد هو اعلم بكم قبل وجودكم علم المتقى منكم من غيره
فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى • وان ليس للانسان الا ما سعى احتج
به الشافعى ومن وافقه على ان من تطوع بقربة كقراءة او صلوة ونحوه
واهدى ثوابها الميت مسلم لا تصل ولا ينتفع بها خلافا لابى حنيفة واحمد
وعن مالك قولان وجه استدلاله ان هذا ليس من سعيه وما ليس من سعيه
لا ينفعه لظاهر الاية حجة الاخرين ان هذا من سعيه وما كان من سعيه
كان له وانتفع به لمفهوم الاية بل لمنطوقها فانها استثنا من نفى وهو
عند الشافعى واحمد اثبات اما انه من سعيه فلانه كسبه وكسبه سعيه فهذا
سعيه اما انه كسبه فلان كسبه يصدق على ما باشره او نسب اليه وهذه
الطاعة المهداة اليه مما تسبب الى حصولها ولو لم يكن الا بواسطة الاسلام

مطلب من تطوع بقربة واهدى ثوابها هل يصل ثوابها للمسلم الميت او لا

المكتسب

المكتسب له فيهدى اليه الحى لكونه مسلما فضلا عن انه قد يكون ملكا عادلا
او وزيرا حسن السياسة او عالما او حاكما انتفع بعلمه او غنيا شاكرا ذا
معروف او فقيرا صابرا ذا خلق حسن فيهدى اليه ثواب الطاعات
بهذه الوسايط المكتسبة له واما ان كسبه سعيه فواضح واما ان سعيه
يكون له وينفعه فلظاهر الاية كما بينا واحتجوا بان الثواب المهدى للميت
اما عمل له او لا فان كان عملا له فقد انقطع بموته لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وان لم يكن عملا له لم ينفعه
لقوله عز وجل وان ليس للانسان الا ما سعى والجواب انا قد ندعى انه
عمل له ولم ينقطع بموته والحديث عام خص بالمحرم لا ينقطع احرامه بموته
ولذلك يجنب ما كان يجتنبه حيا ونقيس محل النزاع على محل التخصيص
بدليلنا وقد ندعى انه ليس عملا له ويصل اليه بطريق الهدية والاية محمولة على
شرع ابرهيم لانها مضافة الى صحفه والنظر الصحيح يقتضى صحة قولنا لان من
عمل طاعة وتفضل الله عز وجل عليه بثواب بسببها صار حقا له كماله الدنيوى
وكما لا يمنع من الايثار بماله لا يمنع من الايثار بثواب اعماله ولو اهدى الحى
ذلك لحى مسلم ففى نفعه اياه وجهان فى مذهب احمد الاشبه بالصحة انه
يصل وينفع • وانه خلق الزوجين الذكر والانثى يحتج به من لا يورث الخنثى
لان الارث انما ورد فى الشرع لذكر وانثى وهذا ليس واحدا منهما لاختصاصه
باسم وخلقة دونهما والجواب انه قسم ثالث فى الظاهر اما فى نفس الامر فهو
واحد من القبيلين لا محالة • من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى
احتجاج على الاعادة بقياس الابداء • وانتم سامدون قيل مغنون بلغة
حمير فاستدل به على تحريم الغناء وفيه نظر

القول فى سورة القمر

القمر

اقتربت الساعة وانشق القمر فيه مسائل الاولى اقتراب الساعة بامارة
انشقاق القمر عليها ثم قد بينا ان القرب امر اضافى لا حد له ولا تقدير
فيه الثانى ان القمر يمكن انشقاقه لانه جسم وكل جسم يمكن انشقاقه
وما زعمه الفلاسفة من ان الفلك لا يقبل الخرق والالتئام وربما طردوا
ذلك فى جميع الاجرام العلوية ضعيف وقد سبق القول فيه الثالثة ان
القمر انشق على عهد النبى صلى الله عليه وسلم معجزا له وشاهده كفار
مكة فقالوا هذا سحر مستمر ثبت ذلك بهذا النص المتواتر وبالاخبار
الصحيحة المستفيضة من حديث ابن مسعود وابن عباس ومن عداه وافقهما
تجرى باعيننا وقوله عز وجل فانك باعيننا ونحن نراها ونراك وقد
تقرر ان الله عز وجل سميع بصير وربما تمسك بعض المشبهة بهذا على اثبات

العين جارحة لله عز وجل وهو باطل او صفة كاليد والوجه وفيه ما فى نظايره
من الكلام وقد سبق ء التى الذكر عليه من بينا الاية هى شبهتهم المعروفة
التى يلزم منها الترجيح بلا مرجح على زعمهم وقد مر جوابها غير مرة كذبوا
باياتنا كلها ظاهره انه عام اريد به الخاص وهى الايات التى جاء بها موسى
عليه السلام ويحتمل انها ايات الرسل اجمعين لاستلزام تكذيبهم بايات
موسى التكذيب بها • سيهزم الجمع ويولون الدبر هذا من اخباره عليه
الصلوة والسلام بالغيوب قاله يوم بدر عن هذا الوحى قبل التحام الحرب
والمشركون ظاهر حالهم الغلبة لكثرة عَددهم وعُددهم ثم انزل الله عز
وجل نصره تصديقا لوحيه ونبيه • ان المجرمين فى ضلال وسعر الى
انا كل شئ خلقناه بقدر نزلت فى مشركى مكة خاصموا النبى صلى الله عليه وسلم
فى القدر فنزلت هذه الايات ومعناها انا خلقنا كل شئ بقدر فيقتضى
عموم الخلق للاشياء وانها خلقت بقدر ويدخل فى ذلك افعال العباد
فهى مخلوقة لله عز وجل بقدر ويحتج بذلك الجمهور وفيه اشارة الى وعيد
القدرية وليس بقاطع لاحتمال ان الوعيد لاولئك القدرية الكفار الذين
هم سبب نزول هذه الايات ويرجع ذلك الى ان الاعتبار بعموم اللفظ او
بخصوص السبب • وكل شئ فعلوه فى الزبر الى فى علم الله عز وجل وكتابه
المبين الحفيظ الجامع لوقايع الوجود جزئيا وكليا ويحتج به الجمهور لان
افعال الخلق اذا سبق بها العلم وتضمنها الكتاب الحفيظ تعلقت بها
القدرة والارادة على وفق تعلق العلم بها لاستحالة تناقض هذه
الصفات فى متعلقها وحينئذ يلزم الجبر والا لكانت الارادة والقدرة
الحادثتان غالبتين للازليتين وانه محال القول فى سورة الرحمن
عز وجل • الرحمن علم القران خلق الانسان يحتج به من يرى القران المسموع
قديما لانه عز وجل لما خص الانسان بالخلق والقران بالتعليم دل على
ذلك والا لقال خلق القران واجاب الخصم بان هذا لا يلزم لان الاخبار
انما تعلق بتعليم القران لا بخلقه والتعليم قد يتعلق بالمخلوق بل ربما
اختص تعلقه بالمخلوق نحو وعلمك ما لم تكن تعلم كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون وبالجملة فالاستدلال ههنا بالمفهوم او نحوه وهو دليل لين
علمه البيان اعلم ان البيان قد قيل فى حده انه اخراج المعنى من حيز الخفا
الى حيز التجلى وقيل فيه غير ذلك واجود ما يقال فيه انه ايضاح المعنى فى الخطاب
او ما قام مقامه بحيث لا يلحق سامعه لبس ولا يحتاج فى فهمه الى تخمين
وحدس وربما استغنى عن هذا الاخير وهو ولا يحتاج الى اخره وقولنا ما قام

الرحمن عز وجل

مقامه

مقامه يعنى كالكتابة فانها تقوم مقام الخطاب فى البيان وكذا الاشارة
ونحوها ويحتج به النحاة والمنطقيون على شرف علمهم لان كل واحد من النحو
والمنطق بيان والبيان ممدوح فى القران فالنحو والمنطق ممدوحان فى القران
اما الاولى فلانه لا يشك من له ادنى فهم ان النحو والمنطق آلتان لايضاح
المعانى ومن ثم سمى النحو علم الاعراب لان الاعراب البيان والمنطق آلة لتبيين
صحيح الادلة من فاسدها وموضح الحق من الباطل واما الثانية فلهذه الاية
اذ دلت على الامتنان على الانسان بتعليم البيان ولا يقع الامتنان الا بنعمة
وبما هو شريف ممدوح وقد بسطت القول فى هذا فى كتاب دفع الملام عن
اهل المنطق والكلام • خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان
من مارج من نار قد سبق نظيره فى الحجر وصح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال خلق الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق ادم مما قص عليكم
اى من تراب ثم من طين لازب ثم حماء مسنون ثم صلصال كالفخار كانه
صلى الله عليه وسلم اشار بعموم قوله ما قص عليكم الى هذه الاطوار ولو قال
من تراب وطين لما استوعبها واعلم ان اكثر الفلاسفة والاطبا انكروا
وجود الجن على ما ورد به الشرع لانه ورد بانهم خلقوا من نار والنار عنصر
واحد والجسم انما يتقوم من العناصر الاربعة بتفاعل كيفياتها بعضها فى
بعض وذلك لا يمكن فى العنصر الواحد ورد عليهم بوجهين احدهما بما نبه
الله عز وجل عليه فى هذه الاية وهو انهم خلقوا من مارج من نار وهو النار
المختلطة بالدخان كانهما مرجا اى خلط احدهما بالاخر وانت ترى بين اخر
لهب النار واول الدخان شيئا يجمع بين الحمرة والسواد ولطافة النار وكثافة
الدخان كانه مركب منهما وذلك هو المارج وليس ذلك نارا صرفا بل خالطه
لطيف العناصر الاربعة لان الدخان لطيف الوقود والوقود جسم طبيعى
مؤلف من العناصر الاربعة فالدخان لطيف العناصر وذلك يمكن تاليف
الجسم منه وان كان لطيفا للطف مادته ومن ثم كان للجن قوة النفوذ فى
بعض الكثايف والطيران فى الهواء والتشكل بالاشكال المختلفة لان الدخان
كذلك الا تراه يخرج من مسام الجدران ويرتفع فى الهواء شبيها بالغمام
ويتشكل بالاشكال تارة مستديرا وتارة مستطيلا وتارة مربعا ومن
ثم كانوا اصبر على النار واقوى على علاجها وسياستها من البشر لانها والدخان
الذى هو من اثارها مادتهم الا ترى ان البشر لما غلبت عليهم الطينية
والمائية كانوا اصبر على الماء منهم على النار للمناسبة بينهما وقياس العكس
يقتضى ان الجن اصبر على النار منهم على الماء للمضادة بينهما الوجه الثانى

مطلب كتاب للمؤلف اسمه دفع الملام عن اهل المنطق والكلام ه

قف على انكار الفلاسفة والاطبا وجود الجن على ما جاء به الشرع والرد عليهم باوضح بيان وارجح برهان ه

انهم من العناصر غير ان الجزء الناری لما غلب علیهم قیل خلقوا من نار تغلیباً
له فی الذکر تبعا للواقع فی الحقیقة کما قیل للانسان خلق من تراب لغلبته
علیه وان کان مخلوقا من العناصر والشیخ علاء الدین بن النفیس من متاخری
الفلاسفة رد فی کتابه الشامل علی من انکر وجود الجن • رب المشرقین
ورب المغربین اختلف فی ای الجهتین اشرف المشرق او المغرب احتج
المشارقة بوجوه احدها ان الله عز وجل لم یذکر الجهتین فی موضع الا
قدم ذکر المشرق نحو رب المشرقین ورب المشارق والمغارب رب
المشرق والمغرب ان الله یاتی بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
وسواء قلنا الواو تقتضی الترتیب او لا بناء علی قاعدة العرب المعروفة
فی تقدیمهم الاهم والافضل وبداءتهم بالاشرف الوجه الثانی ان الفضا
یکون مظلما بوجود اللیل فلا یضیء الا بطلوع الشمس من المشرق الوجه
الثالث ان ائمة الفقه الاربعة من المشرق وائمة الحدیث الستة من
المشرق وائمة العربیة والقراآت من اهل المصرین من المشرق الوجه
الرابع ان المساجد الثلاثة التی تشد الیها الرحال والارضین الثلاث
التی بورک فیها بنص القران وهی ارض مصر والشام وارض الجزیرة کما
بیناه فی سورة قد افلح کل ذلک فی ارض المشرق لان الناس اتفقوا علی ان
ارض مصر حد ما بین المشرق والمغرب فما کان من مصر الی جهة مطلع الشمس
فهو مشرق یتناول الیمن والحجاز والشام والعراقین وما بعدها والمصر
فی اللغة الحد ولما ذکرنا سمیت مصر مصرا قال الشاعر
وجاعل الشمس مصرا لاخفاء به • بین النهار وبین اللیل قد فصلا •
ای حدا بینهما واحتج المغاربة بوجوه احدها ان الله عز وجل بدا بالمغرب
فی سیرة ذی القرنین فقال عز وجل فاتبع سببا حتی اذا بلغ مغرب الشمس
ثم ذکر بعده المشرق واجیب بان ذلک تبع للواقع وهو ان ذا القرنین
اول ما فتح وغزا جهة المغرب فوقع الخبر علی وفق ذلک ولا دلالة له علی
الشرف والفضیلة الثانی قوله صلی الله علیه وسلم لا تزال طائفة من
امتی ظاهرین علی الحق حتی یاتی امر الله وهم علی ذلک وفی روایة لا یزال اهل
الغرب ظاهرین وهو یقتضی تفضیل المغرب واجیب بان الصحیح فی
ذلک فی کتاب البخاری من روایة مالک بن یخامر السکسکی عن معاذ
ابن جبل عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال وهم بالشام وهی من
حساب المشرق واما لفظ الغرب فلا یثبت وان ثبت فهو محمول علی
العرب وهم اهل الغرب ای الدلو التی تسقی بها الابل واکثرهم بالیمن

والشام ونجد ونحوها الثالث ان المغرب اختص بظهور الاهلة منه التی
جعلت مواقیت للناس والحج وترمقها ابصار الناس دون المشرق کما قال
الفرزدق • تری الغر الجحاج من قریش • اذا ما الخطب فی الحدثان غالا •
• قیاما ینظرون الی سعید • کانهم یرون به هلالا •
واجیب بانه معارض بان القمر یبدو من المغرب محوقا لا یری الا
بالمضارة وانما یکمل بدرا بالمشرق حین یقابل الشمس وبان باب التوبة
سعتها اربعین عاما ثم انها تغلق بالمغرب الرابع ان المهدی الذی یملا
الارض عدلا یظهر من المغرب واجیب بان المشهور ظهوره من مکة
او الیمن او العراق ونسبة ظهوره الی المغرب ضعیفة جدا قالت المغاربة
نحن لا یظهر الدجال من عندنا ولا یاجوج وماجوج ولا سائر الفتن ولا
اشار النبی صلی الله علیه وسلم الی بلدنا وقال الفتنة من ههنا اجابت
المشارقة بان هذا عدول عن تقریر المناقب الی التعریض بالمثالب فان
یکن الامر کذلک فیکفیکم ان الشمس التی هی ایة النهار انها تغرب عندکم
وتظلم الاقطار وتغلق باب التوبة من جهتکم فلا ینفع بعد ذلک
توبة ولا استغفار یوم یاتی بعض ایات ربک لا ینفع نفسا ایمانها
لم تکن امنت من قبل الایة • یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قیل من الملح
منهما دون الحلو وقد بینا ان الصواب خلاف ذلک فی فاطر • ویبقی
وجه ربک قیل ذاته وقیل صفة له وقد سبق القول فیه فی اخر الزمر •
یسئله من فی السموات والارض ینبغی ان لا یغفل عن هذه الموحدون
فلا یطلبون من غیر الله عز وجل ولا یسئلون ومن یسئل الملوک کیف
یعرض عن سؤاله الصعلوک • کل یوم هو فی شان لیس هذا علی جهة البدا
بل هو علی جهة التصرف لاحق علی وفق التقدیر السابق • فاذا انشقت
السماء واذا السماء انشقت ونحوه یدل علی ان الاجرام العلویة تقبل
الخرق والالتئام خلافا للفلاسفة کما سبق • لم یطمثهن انس قبلهم
ولا جان فیه ان الجن یطمثون النساء وربما اشعر هذا بان مؤمنیهم
فی الجنة ولیست دلالته بالقویة علی ذلک والنصوص وردت بان
عصاتهم فی النار اما ان مؤمنیهم فی الجنة فاختلف فیهم فقیل نعم
بالقیاس علی مؤمنی الانس بجامع الایمان والطاعة وقیل لا لعدم النص
فیه ومثله لا یثبت بالقیاس فعلی هذا فقیل یصیرون ترابا او یفنون
بوجه من وجوه الفنا کالبهایم وهو بعید والاشبه مشارکتهم فی
الرضوان لمشارکتهم فی الایمان • فیهما فاکهة ونخل ورمان یحتج به علی

جواز عطف الخاص على العام وهو المثال المشهود فيه وقد قال بعض الفضلاء ليس
هذا من امثلة ذلك لان شرطه ان يكون المعطوف عليه عاما يتناول المعطوف
بعمومه ثم يعطف بعد ذلك تخصيصاً له بالذكر كجبريل وميكائيل عطف
على عموم ملائكته وليس هذا كذلك لان فاكهة نكرة فى سياق اثبات فهى
مطلق لا عام فلم يتناول النخل والرمان حتى يكون عطفهما عليها عطف
خاص على عام وهذا كلام صحيح وتحقيق جيد غفل عنه اكثر الناس بل كل
من راينا كلامه فيه وانما نبه عليه الشيخ الامام العالم الفاضل شهاب
الدين القرافى المالكى فى بعض كتبه • تبارك اسم ربك يحتج به من راى
ان الاسم هو المسمى لان التسبيح له لا للاسم فحيث اوقع التسبيح والتنزيه
على الاسم دل على انه المسمى وقد سبق جوابه ويحتمل انه عبر عن المسمى باسمه
مجازا للعلاقة بينهما **القول فى سورة الواقعة** وكانوا يقولون الواقعة
أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً ائنا لمبعوثون هذا انكار منهم للبعث
وقد سبقت ادلته والله عز وجل اجاب باثباته مراغمة لهم بقوله عز
وجل • قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم ثم برهن
عليه بقوله عز وجل افرايتم ما تمنون ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون
وهو احتجاج على الاعادة بالابداء اى كما خلقكم نطفا ثم ما بعدها من
الاطوار حتى سواكم بشراً كذلك يعيدكم ثانياً وفيه دليل على ان الخالق
للولد هو الله عز وجل لا ابواه خلافا لمن ظن ذلك ومما يدل عليه ان
الابوين قد يريدان الولد فلا يوجد وقد يكرهانه فيوجد وكذلك صفاته
تخالف ارادتهما ولو خلقاه لكان بحسب ارادتهما وجودا وصفة • وما نحن
بمسبوقين على ان نبدل امثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون يحتج به التناسخية
على رايهم فى تنقل ارواح الحيوان بعضها فى بعض لتتكمل ثم تلحق بعالمها
واحتجوا بوجهين احدهما ان القران ورد بان الشهداء احياء عند ربهم
يرزقون وصحت السنة المبينة للقران ان ارواح الشهداء فى حواصل
طير خضر تعلق من شجر الجنة وتأوى الى قناديل تحت العرش قالوا ولا نعنى
بالتناسخ الا هذا ولا زدنا عليه وهو انتقال روح حيوان الى حيوان اخر
الثانى ان كتب الاولين كالكتب الاثنى عشر وتواريخ المتاخرين كتاريخ ابن
عساكر تضمنت ان بخت نصر البابلى بقى منتقلا فى انواع الحيوان سبعاً
ثم فرسا ثم جارحا ثم غير ذلك سبع سنين ثم اعيد انسانا وكان يخلفه
فى الملك فى مدة نسخ روحه دانيال النبى وكان من جملة اسراه الذين
اسرهم من بيت المقدس قالوا وهذا حقيقة النسخ واجيب عن الاول بانه

نسخ

نسخ امد والذى تدعونه انتم نسخ ابد وبيانه ان الله عز وجل اراد اكرام
الشهداء فعلق ارواحهم بابدان طير يتنعمون بواسطتها الى حين البعث
ثم تعاد ارواحهم الى اجسادهم الاصلية وانتم تثبتون تناسخكم ابدا
معطلا للبعث والمعاد فاحد النسخين غير الاخر وعن الثانى ان كتب
الاولين وتاريخ المتاخرين لا يعتمد عليها فى مثل هذه المطالب المهمة
ولئن سلم فذلك فى حق بخت نصر مسخ لا نسخ مسخ فى تلك الاطوار ليحدث
له بذلك اعتبار والفرق بينهما ان المسخ قلب الصورة مع بقاء النفس
والمادة بحالهما كقلب الانسان قرداً وخنزيراً والنسخ نقل النفس عن
هيكلها الى هيكل اخر وهو فرق واضح والمسخ ثبت فى الشرع فى بنى اسرائيل
والنسخ لم يثبت الا فى ارواح الشهداء على ما زعمتم والزمتم وهو امدى
لا ابدى • ولقد علمتم النشاة الاولى احتجاج على الاعادة بالابدا كما
سبق انفا • افرايتم ما تحرثون الاية يحتمل انه احتجاج على البعث بقياس
احياء الارض بالزرع لان انكار البعث قد تقدم من الكفار انفا ويحتمل
غير ذلك كالامتنان عليهم • فلولا اذا بلغت الحلقوم الى ونحن اقرب
اليه منكم يحتج به الاتحادية كما مر وعند الجمهور معناه نحن اقرب اليه منكم
بقدرتنا ورسلنا وعلمنا ونحو ذلك **القول فى سورة الحديد** الحديد
سبح لله ما فى السموات والارض هو ونظايره كقوله عز وجل وان من شئ
الا يسبح بحمده الم تر ان الله له ملك السموات والارض والطير صافات
كل قد علم صلوته وتسبيحه • يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير اسناد
للاحياء والاماتة الى القدرة واما توجيهه عقلا فان الروح عالم
لطيف يقال ان الملائكة لا ترى الروح كما ان نحن لا نرى الملائكة فذلك
العالم اللطيف اذا شابك هذا العالم الجسمانى الكثيف حركه وصرفه فعد
حيًّا واذا فارقه عُدَّ ميتا واذا لم يحله ابتداء سمى مواتا قل الروح من امر
ربى • هو الاول والاخر اى هو الازلى الابدى فالاول هو الذى لم يسبق
وجوده عدمه والاخر من لم يلحق وجوده عدمه • والظاهر والباطن هو
عند الجمهور ظاهر باثاره الدالة عليه باطن بذاته اذ لا يصل الحس ولا
الوهم اليه وعند الاتحادية هو باطن ظاهر بحسب الاطوار والمظاهر فاذا
تطور ظهر واذا لم يتطور بطن او هو ظاهر بحسب تحريكه للعالم باطن
بحسب سريانه فى الوجود سريان الماء فى العود • وهو بكل شئ عليم استدل
به الجمهور على ان ظهوره وبطونه بحسب اثاره وعلمه والاتحادية على انهما
بحسب ذاته السارية فى العالم ولذلك علم كل شئ لتخلله الاشياء بذاته

وهكذا الخلاف فى قوله عز وجل • يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم اينما كنتم بذاته عندهم وبعلمه عند الجمهور • لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا احتج بها الجمهور على ان ابا بكر افضل من على لان ابا بكر كان موسرًا منفقا فانفق وقاتل قبل الفتح وكان على فقيرا لا مال له ينفقه قبل الفتح انما حصل له القتال فقط ففاز ابو بكر عليه بمجموع الوصفين ولم يحصل لعلى الا احدهما واعترضت الشيعة بان قالوا لا نسلم ان ابا بكر كان موسرًا والمنقول عندنا خلاف ذلك سلمناه لكن لا نسلم انه انفق شيئا لا قبل الفتح ولا بعده سلمناه لكن لا نسلم ان عليا كان فقيرا لانه نهض فى المغازى والحروب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى اوايل الناس ولم يزل يغنم ويفا عليه وينفل وقال كنت اذا سالت النبى صلى الله عليه وسلم اعطانى واذا تركت ابتدانى وقد كان له سهم من تلك الغنايم والانفال وهى كثيرة جدا وبدون ذلك يثرى المثرى كيف وقد روى عن على انه قال ان زكوة مالى اليوم اربعون الفا رواه احمد فى المسند وهذا يقتضى ان ماله بلغ الف الف وستماية الف ومن هذا ماله كيف يكون فقيرًا وكثرة ماله لا ينافى زهده فى الدنيا لان الزهد راجع الى احتقار الدنيا وعدم الاكتراث والاحتفال وتعلق الهمة بها وذلك لا ينافى حصولها ولا يشك فى زهد داود وسليمان وكانا ملكين وملك سليمان الدنيا فمن زعم والحالة هذه ان عليا كان فقيرًا فقد كابر غاية ما فى هذا الباب انه كان يوثر بماله فيمر عليه الوقت بعد الوقت ولا شئ له ثم يفتح عليه عن قرب وكانت ثروته بعد تزوجه بفاطمة فلا ينافيه ان دفعها درعه الحطمية مهرًا سلمنا انه كان فقيرًا فلم ينفق قبل الفتح لكن ما ذكرتموه يقتضى ان ما بعده فى الفضيلة عندهم كالعشرة وغيرهم ممن كان موسرًا فانفق وقاتل قبل الفتح افضل منه كطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وغيرهم كلهم كانوا موسرين وكلهم انفق وقاتل قبل الفتح فيلزمكم انهم افضل من على لما عللتم به وهو خلاف مذهبكم ثم ما ذكرتموه لو دل لكان معارضًا بقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرًا عظيمًا وهو يقتضى ان الاكثر جهادًا افضل ولا يشك منصف عالم ان عليا كان اكثر جهادًا من ابى بكر واحسن اثرا فيه واشهر اياما واكثر قتلى مشهورين وغيرهم فيكون افضل بهذا الاعتبار والكلام فى هذه المسئلة من الطرفين طويل وهذا حظ هذه

احتجاج الجمهور على ان ابا بكر افضل من على ومنازعة الشيعة لهم وهو بحث شريف ه

الاية منه • اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها لعل هذا دليل على قوله عز وجل يحيى ويميت فى اول السورة اذ لم يذكر دليله هناك وهو الدليل المشهور بالقياس على احياء الارض • اعدت للذين امنوا بالله ورسله يحتج به على ان الجنة موجودة قبل الساعة خلافا للمعتزلة وقد سبقت المسئلة فى اوايل البقرة • ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يدل على ان دخول الجنة بالفضل المحض وهو على ضربين احدهما من يتفضل الله عز وجل عليه بدخولها بمجرد السابقة من غير عمل اصلا والثانى من يتفضل عليه بالتوفيق لعمل صالح ثم يرتب له على ذلك دخول الجنة وفى ايهما افضل خلاف متجه وجه تفضيل الاول انه فقير محض وضيف للكريم محض ليس له سبب يشركه مع كرم الكريم بخلاف صاحب العمل فانه ربما عرض له عمله مع الكرم فيكون نقصا فى الرتبة ولان نسبة الاول الى الثانى نسبة الضيف المحض الى صاحب الهدية والكريم اشد عناية بضيفه المحض من غيره ووجه تفضيل الثانى انه امتثل الاوامر وقام فى خدمة الآمر فكان افضل من البطال القاعد والكسلان المتقاعد ولا نسلم ان مثل هذا يرى عمله مع الكرم لان الحق سبحانه اول ما يوفق من يتفضل عليه للمعرفة والتبصير بافات الاعمال فلا يرى غير كرم ذى الجلال واما صاحب الهدية فهو ضيف خاص فهو افضل من الضيف المجرد واوفر حظا من العناية • ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الى لكيلا تاسوا على ما فاتكم الاية هى عظيمة النفع لمن تاملها فى التعزية عن المصايب ولحوق المكاره وينبنى على ذلك مقدمات الاولى انه عز وجل ازلى العلم الثانية انه عز وجل عام العلم بما كان وبما يكون وما هو كاين من كليات العالم وجزئياته الثالثة ان ما سواه عز وجل ممكن لذاته الرابعة ان الممكن لذاته قد يكون محالا لغيره بان يتعلق العلم الازلى بوقوعه فيجب او بعدمه فيمتنع اذا ثبتت هذه المقدمات فالعارف بها يعلم ان مصايبه واجبة الوقوع وكل واجب الوقوع لا ينبغى ان يحزن لوقوعه كالممتنعات الا ترى ان العاقل لا يحزن لكون الجبل لم ينقلب له ذهبًا او ماء البحر لبنًا وعسلا او احجار الجبال كتبا نافعة ونحو ذلك لعلمه بامتناع ذلك عادة فكذلك ينبغى ان لا يحزن لمصيبة او مكروه لحقه لان عدم وقوع ذلك كان ممتنعًا واعلم ان الانسان بين خير يرجوه او شر يتوقعه وكل واحد منهما اما ان يحصل او يفوت فهى اربعة فما كان من ذلك واجب الحصول فهو ممتنع الفوات وما كان ممتنع الحصول فهو واجب الفوات والممتنع لا ينبغى ان يحزن على فواته والواجب لا يفرح بحصوله اذ لا بد

منه فالحزن او الفرح المتعلق به تحصيل الحاصل وماكان ممكن الحصول والفوات
لذاته فهو يرجع الى ان يكون واجب الحصول او ممتنعه لغيره فتلخص ان
الانسان داير بين امر واجب الحصول من خير او شر وامر ممتنع الحصول
من خير او شر وكلاهما لا يليق الحزن عليه ولا الفرح به اللهم الا ان يتعلق
بالحزن او الفرح استدعاء شرعي فيكون ذلك من باب القربة التكليفية
وعند هذا يظهر سر قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم او لا يكمل ايمانه
حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه • لقد
ارسلنا رسلنا بالبينات الى وانزلنا الحديد الاية اشارة الى ان كتاب
الشريعة وسيف السياسة رضيعا لبان وفرسا رهان لا يستغني احدهما
عن الاخر فكتاب بلا سيف كال وسيف بلا كتاب ضال ويستدل بذلك على
نفوذ احكام البغاة والخوارج والائمة الفجرة ونحوهم لان الحكم الشرعي المرشد
والسيف السياسي المنفذ اذا اجتمعا وجب نفوذ الحكم في طريقه فلا وجه
لتعويقه • وقفينا بعيسى ابن مريم واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب
الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها احتج به ابو حنيفة على
ان النفل يلزم بالشروع لانه عز وجل ذم اتباع المسيح على تركهم رعاية
ما شرعوا فيه مما لم يكتب عليهم وهو عين لزوم النفل بالشروع وهذا
استنباط حسن ولذلك ذكرناه وان لم يكن من موضوع هذا التعليق
لكن انما يتم الاستدلال به بعد ثبوت مقدمتين احداهما ان الاستثناء
في الا ابتغاء رضوان الله منقطع وهو خلاف الاصل واذا ثبت انه متصل
اقتضى انها بعد ابتداعهم اياها عقد اكتبت عليهم الا ابتغاء رضوان الله
عز وجل ثم شرعوا فيها فعلا وحينئذ يكون ذمهم على ترك رعايتها ذما
على ترك واجب شرعوا فيه ثم اهملوه لا على نفل شرعوا فيه كذلك الثانية
ان شرع من قبلنا شرع لنا لان ما ذكره تفريع على ذلك فان لم تثبت
هذه المقدمة جاز ان يكون ذلك حكم شرعهم دون شرعنا فلا يلزمنا
حكم شرعهم ولا التاسي بهم القول في سورة المجادلة المجادلة
قد سمع الله الى والله يسمع تحاوركما فيه اثبات صفة السمع ووقوعه بالفعل
من الله عز وجل وقد سبق • احصاه الله ونسوه فيه ضبط الاعمال وحفظها
والمقابلة عليها • ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم الاية معناه بعلمه
هو معهم لاكتناف ذكر العلم ما قبل ذلك وبعده وبذاته السارية في
الوجود عند الاتحادية • يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات

قد

قد يحتج به على استواء الايمان والعلم في حصول الدرجات لترتيب حصولها على
كل واحد منهما وذلك فيما اذا فرض مؤمن ضعيف العلم وعالم ضعيف الايمان
بعد اشتراكهما في اصل الايمان فيكونان متساويين وفيه نظر اما مؤمن غير
عالم وعالم غير مؤمن اصلا فلا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة والمؤمن
ناج والعالم ههنا هالك • اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم
صدقة نسخت بالتي بعدها الى غير بدل ويحتج به على ان النسخ ليس من شرطه
المنسوخ اليه وهو البدل وقد سبق تعلق الشيعة بها في انه لم يعمل بهذه
الاية الا علي وانه دليل على انه كان اشدهم طلبا للعلم واكثرهم تحصيلا منه
استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اي بوسوسته وخالق النسيان
فيهم هو الله عز وجل وهم كاسبوه • لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون من حاد الله ورسوله فيه ان مودة العصاة حرام ثم ان كانت
مودة فاسق لفسقه فهي فسق او كافر لكفره فهي كفر اما ودهما لسبب
اخر دنيوي او صفة او خلق حسن كعلم يكتسب منهما او سخاء او شجاعة
فيهما فيرجى عفو الله عز وجل عن ذلك وان لا يواخذ ويكون عموم الاية
مخصوصا بهذا • اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي اثبته ورسمه في
قلوبهم بثبوت الكتابة ورسمها في المكتوب فيه ويحتمل ان المراد اوجب
في قلوبهم خلق الايمان وكتب يكون بمعنى اوجب نحو كتب عليكم الصيام
ونحوه والمعنى ان قوة ايمانهم اوجب لهم ايثار الله عز وجل على غيره حتى
اقرب اقاربهم فابغضوا في الله عز وجل واحبوا في الله عز وجل ومن فعل
ذلك فقد استكمل الايمان • وايدهم بروح منه اي قواهم باعانة وعناية
منه وقيل الارواح اربعة روح الحيوة مشتركة بين جميع الحيوان وروح
الايمان يختص به المومن على الكافر وروح الولاية وروح النبوة كل
مختص بروحه ومؤيد به ومنه وايدناه بروح القدس فاذا زنى المومن
او سرق خرج منه روح الايمان فكان عليه كالظلة فاذا اقلع عاد اليه وهو
معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن الحديث
لان بخروج روح الايمان عنه خرج عن وصف الايمان الكامل فيرجع حاصله
الى انه لا يزني وهو كامل الايمان والا فلو قتل حال الزنا افضل المومنين
اقيد به ولو خرج بالزنا عن الايمان بالكلية لما كان كذلك القول
في سورة الحشر فاتيهم الله من حيث لم يحتسبوا اي اتاهم بأسه وامره الحشر
عند الجمهور واتاهم بذاته عند الاتحادية لانه سار فيهم بذاته فلما
غضب عليهم ظهر لهم بمظهر الباس والغضب فاهلكهم والصواب انه

حرك عليهم جنده بخلق دواعي الجهاد في قلوبهم فاهلكوهم • وقذف في
قلوبهم الرعب بما خلق فيها من الاسباب الموجبة لذلك • يخربون بيوتهم
بايديهم وايدي المومنين فاعتبروا يا اولي الابصار احتج مثبتوا القياس
بهذه الاية وتقريره ان الاعتبار مامور به والقياس اعتبار فالقياس
مامور به اما الاولى فلهذه الاية فاعتبروا واما الثانية فلان القياس
عبور بالحكم من الاصل الى الفرع كما ان الاعتبار عبور بالنظر من حال الحاضر
الى حال الغائب فصح ان القياس اعتبار وثبت ان القياس مامور به وان
شئت قلت القياس اعتبار والاعتبار مامور به والتقرير كما سبق وهذا
اجود لانه من الشكل الاول واعترض عليه بوجوه احدها لا نسلم ان
القياس اعتبار لانه اريد ذلك لغة فالقياس في اللغة انما هو التقدير
نحو قست الثوب بالذراع اى قدرته وان اريد اصطلاحا فهو في
الاصطلاح حمل معلوم على معلوم او الحاق غير المنصوص به بجامع
مشترك ولقايل ان يقول الحمل والالحاق هو معنى الاعتبار الثاني
قولكم الاعتبار مامور به ان عنيتم بعض الاعتبار صارت كبرى قياسكم
جزئية فلم تنتج وهو ظاهر وان عنيتم ان كل اعتبار مامور به لم نسلم
هذه الكلية لان قوله عز وجل فاعتبروا ليس بعام بل هو مطلق لا عموم
له فلا يقتضي عموم الامر بالاعتبار انما يقتضي الامر باعتبار ما وذلك لا
يلزم منه الامر بالقياس الثالث ان سياق الاية لا يقتضي اثبات
القياس اذ قوله عز وجل يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المومنين
لا يناسب فقيسوا السمسم على البر في منع التفاضل في البيع واذا
لم يكن الكلام منتظما لم تجز نسبته الى القران الرابع لو دلت هذه
الاية على القياس لدل قوله عز وجل ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
عليه وما في معناه وهو بعيد لتوغله في العموم فلا يدل على القياس الا
على بعد الخامس ما ذكرتموه من الدليل لو دل لكان عندنا ما يعارضه
وهو ان القياس انما يفيد الظن والظن لا يجوز اتباعه في احكام الله
عز وجل ولانا مامورون عند التنازع والاختلاف بالرجوع الى الله
عز وجل ورسوله والقياس ليس كذلك وقد سبقت هذه المعارضة
وجوابها واعلم ان القياس في الفروع دليل قوي جيد غير ان
هذه الاية لا تدل عليه الا دلالة ضعيفة من وراء وراء • وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا عام مطرد الا ما خص منه
بنسخ او غيره وهو اصل كبير وقاعدة كلية في استخراج الاحكام من

الكتاب

الكتاب بواسطة السنة وهو مقدمة كبرى في كل حكم اردنا اثباته
بان نقول هذا الحكم اتاناه الرسول وكل ما كان كذلك لزمنا الاخذ
به او هذا حكم نهانا عنه الرسول وكل ما كان كذلك لزمنا اجتنابه
ومتى ثبتت الصغرى بالسنة او نحوها فالكبرى ثابتة بهذه الاية مثاله
ان نقول افراد الاقامة وصحة الصوم مع الاكل ناسيا وجواز الخروج
من النوافل بعد الشروع فيها احكام اتاناها الرسول وكل ما اتاناه
الرسول نحن مامورون بالاخذ به فهذه الاحكام نحن مامورون
بالاخذ بها وكذلك نقول بيع الغرور وبيع الكلب والسنور نهانا
عنه الرسول وكل ما نهانا عنه الرسول لزمنا الانتها عنه فهذه البيوع
يلزمنا الانتهاء عنها ونقرر الصغرى بالاحاديث الواردة فيها وقد
اعتمد السلف على هذه القاعدة في استخراج الاحكام فلما لعن ابن مسعود
النامصة ونحوها انكرت عليه ام يعقوب امراة من الانصار وقالت
قد قرأت ما بين الدفتين فلم اجد لعنة من لعنت فقال ان كنت
قرأتيه فقد وجدتيه الم تسمعي قول الله عز وجل وما اتاكم الرسول
فخذوه ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن النامصة
والمتنمصة والواشرة والمستوشرة المغيرات لخلق الله عز وجل
او كما قال ونظم قياسه هكذا لعن هذه جاء به الرسول وكل ما جاء به
الرسول شرع الاخذ به فلعن هذه شرع الاخذ به وكذلك حكي عن الشافعي
رضي الله عنه انه جلس في المسجد يفتي وقال لا تسئلوني عن شئ الا جئتكم
به من كتاب الله عز وجل فقال له رجل اين حكم قتل المحرم الزنبور في كتاب
الله عز وجل فقال الشافعي قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه
الاية ثم روى باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خمس فواسق
يقتلن في الحل والحرم منها الحية والعقرب والزنبور مثلهما فيقتل ولا
شئ فيه وهذا دليل مركب من نص كتاب وسنة وقياس وشبيه بهذا
الدليل في كليته وعمومه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس
عليه امرنا فهو رد اذ هو مقدمة كبرى في كل حكم اردنا ابطاله بان يقال
هذا الفعل او هذا الحكم عمل ليس عليه امر الشرع وكل ما ليس عليه امر الشرع
فهو مردود فهذا الفعل مردود مثاله الوضوء غير المنوي والنكاح
بلا ولي وبيع الغايب والفضولي كل واحد منها ليس عليه حكم الشرع
فيكون مردودا ويحتاج ايضا الى تقرير الصغرى بدليلها والكبرى
ثابتة بهذا الحديث ثم الحديث راجع الى مادة الاية المذكورة اذ معنى

قوله صلى الله عليه وسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد • ما اتيتكم
فخذوه وما نهيتكم عنه فاجتنبوه صرح به فى حديث اخر • للفقراء المهاجرين
الى ربنا انك رؤف رحيم استدل به مالك على كفر الرافضة ووجهه
ان للفقراء المهاجرين متعلق بقوله عز وجل • ما افاء الله على رسوله
من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل ثم قال عز وجل للفقراء المهاجرين وعطف عليهم • الذين
تبوؤا الدار والايمان من قبلهم وهم الانصار ثم عطف • الذين جاؤا
من بعدهم بشرط ان يستغفروا لمن قبلهم من اخوانهم السابقين
لهم بالايمان والرافضة خارجون عن الاصناف الثلثة فليس القوم
مهاجرين ولا انصارا ولا مستغفرين لمن سبقهم بالايمان بل يسبون
السلف ويبغضونهم فاذا لاحظ لهم فى الفئ وكل من لاحظ له فى
الفئ كافر اذ الفئ حق المسلمين فمن لاحق له فيه ليس بمسلم واجابت
الشيعة لعنهم الله بان للفقراء لو كان متعلقا بما افاء الله لكان بدلا
منه ولو كان بدلا منه لزم صرف الفئ عن الجهات الست المنصوص عليها
فى المبدل منه الى عموم الثلاث المذكورة فى البدل وهم المهاجرون والانصار
والتابعون لهم لا غير وانه باطل اذ فيه اسقاط خصوص تلك الجهات
الست فيبقى ذكرها لغوا ولان ظاهر الايات يختص بقوم ماضين وهم
الذين اخرجوا من ديارهم والذين تبوؤا الدار والذين جاؤا من بعدهم
فلا يتناول من يتجدد ثم حاصل نظم الدليل المذكور ان الرافضة
لاحظ لهم فى الفئ وكل من لاحظ له فى الفئ كافر والاولى ممنوعة لان
الله عز وجل اضاف الفئ الى ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وهو يتناول الرافضة كغيرهم فهذه الدعوى على خلاف القران فلا تسمع
والثانية باطلة بعبيد المسلمين اذ لاحظ لهم فى الفئ وليسوا كفارا
واذا تقرر هذا الجواب وجب حمل قوله عز وجل للفقراء المهاجرين
الايات على مدح مستانف لهذه الفرق غير متعلق بما قبله نحو للفقراء
المهاجرين صفة الصدق بدليل اخر الاية او غير ذلك من التاويل • لانتم
اشد رهبة فى صدورهم من الله الاية تدل على ان من خاف غير الله عز
وجل فليس بفقيه بل هو جاهل لان الخوف انما يكون من شر او ضرر
يلحق والله عز وجل هو خالق كل شئ شر وخير ونفع وضر لا يكون شئ
من ذلك الا باذنه فمن خاف معه غيره فتوحيده مدخول وانما يطرى
ذلك على الانسان لنقص فى توحيده او غلبة من طبعه عليه • لا يستوى

بلغ مقابلة

اصحاب

اصحاب النار واصحاب الجنة ذهب قوم الى ان هذا يقتضى عموم نفى المساواة
بين الفريقين من كل وجه حتى ادرجوا تحته ان الذمى لا يكافى المسلم ليقتل
به وذهب اخرون الى انه لا يقتضى العموم وقد انتفت المساواة بينهما فى
احكام كثيرة ولا دليل على عدم التساوى بين المسلم والذمى فى القصاص
حتى يندرج تحت نفى التسوية المستفاد من الاية فيقتل المسلم بالذمى لثبوت
المكافاة بينهما بدليل منفصل وهو ما سبق فى البقرة حاصل الامر ان نفى
التسوية فى هذه الاية عام فيتناول نفى التسوية بينهما فى القصاص ومطلق
فلا يتناول والظاهر انه عام لان قولنا لا يستوى فلان وفلان معناه
لا استواء بينهما اذ الفعل يدل على المصدر وهو الاستواء فهو نكرة فى سياق
نفى فتعم والخصم يقول ان قولنا لا يستوى فلان وفلان اعم من ان يكون
من كل جهة او من جهة خاصة بدليل قبوله للاستفسار والتقسيم بان يقال
هل هما لا يستويان مطلقا او من بعض الجهات وان يقال اذا كانا لا يستويان
فلا يخلو اما ان لا يستويان من كل جهة او من بعض الجهات دون بعض ولو
اقتضى عموم نفى المساواة بينهما لما قيل ذلك وقد رجع الخلاف الى ان
صيغة لا يستويان هل تقتضى عموم نفى التسوية او نفى عموم التسوية والفرق
واضح بين عموم السلب وسلب العموم فعموم سلب الحقيقة يمنع ثبوت شئ
من افرادها وسلب عموم الحقيقة لا يمنع ثبوت بعض افرادها وقد ظهر
ذلك فى قوله • قد اصبحت ام الخيار تدعى • على ذنبا كله لم اصنع •
برفع كله على عموم السلب وبنصبه على سلب العموم وقوله صلى الله عليه وسلم
فى حديث ذى اليدين كل ذلك لم يكن برفع كل لا غير على عموم السلب لانه اراد
نفى النسيان وقصر الصلوة جميعا وقول الشاعر • وما كل من وافى منا انا عارف
على سلب العموم والفرق بينهما من جهة التركيب ان العموم والسلب ايهما تقدم
لفظه اضفته الى الاخر فان تقدم لفظ العموم على اداة السلب فهو عموم
السلب كما فى الحديث وان تقدم لفظ السلب فهو سلب العموم كالبيت الاخير
واما البيت الاول فيحتملهما بناء على ان تقديره كله لم اصنع او لم اصنع كله
فعلى الاول هو عموم سلب الصنع وعلى الثانى هو سلب عموم الصنع وعلى هذا
التقرير ربما ظن ان لا يستوى كذا وكذا من باب سلب العموم لتقدم حرف
السلب وليس كذلك والفرق بينهما ان سلب العموم شرطه ان يدخل حرف
السلب على لفظ عام تحته متعدد فاذا سلب عمومه بقى الحكم فى بعض افراده
نحو لم اضرب كل الرجال بخلاف لا يستويان فان حرف السلب دخل فى
المعنى على ماهية الاستواء فنفاها والماهية من حيث هى هى لا تعدد فيها

ولا اتحاد فلم يبق بعد سلبها شئ يثبت له الحكم فلهذا قلنا ان صيغة لا
يستوى كذا وكذا من باب عموم السلب لا سلب العموم وهذا بحث استطردناه
بديهة فلك النظر فيه • لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعاً
متصدعا من خشية الله هذا خرج مخرج المبالغة فى تعظيم القران
وغفلة الكفار عنه اى ان هذا القران عظيم تتصدع لسماعه الجبال
وانتم عنه غافلون فهو كقوله عز وجل قل هو نبؤ عظيم انتم عنه معرضون
ثم قست قلوبكم الاية الى وان من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء وان
منها لما يهبط من خشية الله هذا مع امكان خشوع الجبال وتصدعها
من خشية الله عز وجل اذا اقترنت بها ارادة ذلك ويشهد لذلك وقوعه
الممتحنة
فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا القول فى سورة الممتحنة
عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة هذا بتقليب
القلوب بما يخلق فيها من دواعى الصلح والمودة والصوارف عن البغضاء
والعداوة • فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات
يحتج به على ان الظن نوع علم لان الامتحان انما يفيد الظن وقد سمى علماً
بدليل علمتموهن وجوابه انه عز وجل اطلق العلم على الظن مجازا وقد
سبق نظيراه فى سبحان ويوسف • لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم الاية
فيه النهى عن موالاة الكفار وكل مغضوب عليه وان الكفار ييسون
من الاخرة لا حظ لهم فيها وانهم ييسون من الموتى لانكارهم البعث بخلاف
المؤمنين فانهم يرجون التلاقى فى الاخرة كما حكى عن الشيخ ابى الوفا ابن
عقيل البغدادى انه مات له ولد فوجد عليه فقال فى اثناء وجده عليه
لولا رجاء التلاقى فى الاخرة لانصدعت قلوب المحبين عند فراق احبتهم
الصف
او كما قال القول فى سورة الصف كبر مقتا عند الله ان
تقولوا ما لا تفعلون فيه ان خلف الوعد ونقض العهد والتفريط فيما
التزم من حقوق الايمان من الكبائر لان الله عز وجل جعل ذلك مقتا
كبيراً والمقت اشد البغض وقد نزل ذلك منزلة نكاح زوجة الاب
والجدال فى ايات الله عز وجل بغير سلطان اذ وصفهما بالمقت • واذ
قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين
يدى من التورية ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد فيه اثبات
رسالة المسيح وشهادته وبشراه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا
موجود فى فصل الفارقليط من انجيل يوحنا ذكر النبى صلى الله عليه وسلم
الجمعة
بصفاته على ما قررناه هناك القول فى سورة الجمعة

هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم الامى الذى لا يحسن الكتابة نسب الى
الحالة التى ولدته عليها امه وقيل الى غالب امة الناس لانهم كذلك وفيه
شهادة للنبى صلى الله عليه وسلم بانه كان امياً تحقيقا للمعجزة الفرقانى
ردا على من يتوهم انه كان كاتبا وانما اكتتم امره وقد اكد ذلك تسليم اعدائه
كونه اميا وقال صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نحسب ولا نكتب
مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها اى لم يقوموا بما فيها تكليفا
كمثل الحمار يدل على ان مقصود العلم العمل وان العلم بلا عمل بلادة
وجهل ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم سبق فى البقرة • قل ان الموت
الذى تفرون منه فانه ملاقيكم اى لا محيص لكم عنه ولات حين مناص
منه لانه اما طبيعى تضعف القوة عن اخلاف ما يتحلل من البدن او عرضى
بقتل او غرق او هدم او طاعون ونحوه من الاسباب فمن تخطاه العرضى
تلقاه الطبيعى والجميع بتقدير العزيز العليم سبحانه وتعالى القول
المنافقين
فى سورة المنافقين والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اى فى دعواهم
اعتقاد رسالتك والشهادة بها لا فى قولهم انك لرسول الله وقد سبق
تقريره ويحتج به من يرى ان الكلام معنى قايم بالنفس لان تكذيبهم رجع
الى امر قام بنفوسهم لا الى ما ظهر على السنتهم والتكذيب من لواحق
الخبر الكلامى فدل على ان ما قام بنفوسهم كلام ويجاب بانا لا نسلم ان
التكذيب رجع الى معنى قام بنفوسهم بل الى دعواهم ظاهرا واعتقاد
الرسالة باطنا فما رجع التكذيب الا الى خبر لسانى لا نفسانى • ذلك بانهم
امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم قد يظن ظان ان الايمان جزء علة
الطبع على قلوبهم وليس كذلك بل كفرهم المستعقب لايمانهم هو علة
ذلك • هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى
ينفضوا ولله خزائن السموات والارض فيه اشارة الى ترك ملاحظة
الاسباب الظاهرة وتعلق الامال بما فى الغيب من الخزائن الالهية لا
اقول قطع الاسباب بل ترك الاعتماد عليها والناس اما متعاط للاسباب
معتمد عليها محجوب بها عن المسبب وهم العامة او لا متعاط لها ولا معتمد
عليها بل محجب عنها برؤية مسببها عز وجل وهم الخاصة او متعاط لها
غير معتمد عليها وهو شبيه بمن قبله وربما سمى متوكلا او معتمد عليها
غير متعاط لها وهو الكسلان المتمنى الامانى • ولن يؤخر الله نفساً
اذا جاء اجلها فيه انختام الاجال فلا تاثير فيها الغير الكبير المتعال
التغابن
خلافا لما مر عن اهل الاعتزال القول فى سورة التغابن

هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن يحتمل ان المراد خلقكم متصفين
بالكفر والايمان فيحتج به الجمهور لان خالق الموصوف هو خالق الصفة
ويحتمل ان المراد خلقكم ثم منكم من كفر ومنكم من امن فيتنازعها
الفريقان الجمهور والمعتزلة بناء على كسب الافعال وخلقها على ما عرف
فقالوا ابشر يهدوننا هذه شبهتهم المعروفة فى انكار الرسل وقد سبقت
وكفروا اى بانكار الرسالة • واستغنى الله اى عنهم وعن معاذ فهم
وعباداتهم • والله غنى لكماله وتنزهه عما يحتاج اليه غيره وقد سبقت
المسئلة • حميد اى محمود وليس كغيره من الاغنياء يفعل مع غناه ما
يستحق به الذم بل الله عز وجل يسدى الجميل والمعروف العام والخاص فهو
الذى يستحق الحمد • زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اى ادعوا ذلك دعوى
لا تحقق لها • قل بلى وربى لتبعثن امر واثبت واقسم واكد البعث باللام
فى اوله والنون فى اخره • وذلك اى البعث • على الله يسير وقد سبق برهانه
وتوجيهه فى عدة مواضع • ذلك يوم التغابن اى يغبن فيه اهل الجنة
اهل النار بما يفوز به هؤلاء ويفوت هؤلاء ويرث اهل الجنة اهل النار
على ما سبق بيانه • ومن يؤمن بالله يهد قلبه ان قيل الايمان انما يترتب
على هدى القلب فلو ترتب هدى القلب على الايمان لزم الدور وانه محال
ويجاب عنه بان المراد من يؤمن بالله يزد قلبه هدى وبه ينقطع الدور •
الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيه ان التوكل قرين التوحيد
ونتيجته ومن اكبر مقاماته والتوكل هو التفويض الى الله عز وجل مع ترك
الاعتراض • فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله عز وجل اتقوا الله حق

الطلاق

تقاته او مخصص له **القول فى سورة الطلاق** ان الله بالغ امره
مثل والله غالب على امره اى اذا اراد امرا بلغه بقدرته ولطيف حكمته
وتصرفه فى القلوب وغيرها وبالجملة بكمال قدرته على كل شئ ويحتج به
الجمهور على انه عز وجل اذا اراد شخصا للنار تصرف فيه بطريق الاجبار
واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر
ويحتج به على ان الاقراء الحيض وهو مذهب ابى حنيفة واحمد لانها مأمورة
ان تعتد بثلاثة قروء ثم جعلت الاشهر بدلا عن الحيض ههنا فدل على ما
قلنا وينتظم القياس هكذا الاشهر بدل عن الحيض بهذه الاية والاشهر
بدل عن الاقراء بالاجماع فالحيض هى الاقراء فالاقراء هى الحيض واحتج
الشافعى ومالك على انها الاطهار بقوله عز وجل فطلقوهن لعدتهن مع
قول النبى صلى الله عليه وسلم مرة فليراجعها ثم ليدعها حتى تطهر ثم

تحيض

تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التى امر الله ان تطلق لها
النساء وتلك اشارة الى الطهر لانه الاقرب ذكرا وليس بالقوى لان
الاشارة الى الحيضة المحتوشة بالطهر • واولات الاحمال اجلهن ان
يضعن حملهن خص به عموم العدة بالاقراء وباربعة اشهر وعشرا
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا قيل الذكر هو الرسول لتفسيره به بدلا منه
وقيل الذكر القران والمعنى انزل ذكرا وارسل رسولا او على حذف المضاف
اى اذا ذكر رسولا • الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
قيل المثلية فى عظمة الخلق واثر القدرة وقيل فى الكمية اى ومن الارض
سبع مثلهن والاشبه ارادة الامرين لان الارضين عظيمة الخلق وهن
سبع لقوله صلى الله عليه وسلم من ظلم شبرا من ارض طوقه يوم
القيمة من سبع ارضين او خسف به الى سبع ارضين • لتعلموا ان الله
على كل شئ قدير هذا تعليل لخلق السموات والارض بعلم المكلفين
بكمال قدرة الله عز وجل وعلمه اى خلق ذلك لتعلموا فان يكن الامر
كذلك فتحته سر عجيب والا فاللام للعاقبة او للامر اى اعلموا ذلك
او خلقهن لتكون عاقبتكم العلم بكمال القدرة بواسطة النظر

التحريم

والاشبه الاول **القول فى سورة لم تحرم** وان تظاهرا عليه
تعلقت الرافضة لعنهم الله بذلك على عائشة وحفصة لانهما تظاهرتا
على الرسول والتظاهر على الرسول حرام وبسبب هذا التظاهر وافشاء
سره غضب وآلى من نسائه شهرا معتزلا لهن وقيل قد طلق رسول
الله نساءه • فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين قيل ابو بكر
وعمر وقيل على والصواب انه اعم من ذلك وهو كل من جمع صفتى
الايمان والصلاح ومولاه ناصره بقرينة مقابلته بتظاهرا عليه وترتيب
هذه الاية يقتضى ان الانبياء افضل من خواص الملائكة لتقدم ذكر
النبى على جبريل وخواص الملائكة كجبريل افضل من عامة البشر وعامة
البشر افضل من عامة الملائكة غير ان العطف فيها بالواو وهى لا
تقتضى ترتيبا • لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فيه
عصمة الملائكة كما مر • توبوا الى الله توبة نصوحا اى خالصة لا
رياء فيها لاحد وقيل نصوحا لا معصية بعدها وفيه ايجاب التوبة
لانها بمنزلة التدارك والجبر لما اضيع من حق الرب عز وجل • ضرب
الله مثلا للذين كفروا امرات نوح وامرات لوط كانتا تحت عبدين
من عبادنا صالحين فخانتاهما الاية زعمت الرافضة لعنهم الله انه

تعريض بعائشة وحفصة وانهما كامرأتى نوح ولوط فى النار لتظاهرهما على
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا اهماله وزعموا العنهم الله ان
عائشة كان بينها وبين عثمان شئ فنزع لها بهذه الاية معرضا بها
فحقدت عليه ثم لم تزل تولب الناس عليه حتى قتلوه ثم انها ندمت مع
كراهتها امرة على فخرجت تطلب بثاره واجاب الجمهور بان هذا
كله لم يكن منه شئ وهو كذب مختلف واجماع اهل الحق على انهما زوجتاه
فى الجنة لا يعارضه شئ مما ذكروه **القول فى سورة الملك** الملك
خلق الموت والحيوة ليبلوكم فيه تعليل الافعال • ما ترى فى
خلق الرحمن من تفاوت اى خلل واضطراب وخروج عن وجه الحكمة •
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين هذه
حكمتان لخلق النجوم زينة وحراسة والثانية الهدى يهتدى بها فى
ظلمات البر والبحر كما قال الشاعر •

• فيها معالم للهدى ومصابح • تجلو الدجى والاخريات رجوم •

ولعل الاشارة بكونها مصابيح الى اهتداء الخلق بها كما يهتدى بالمصباح
فتكون الاية قد جمعت فوائد النجوم الثلاث • كلما القى فيها فوج
سالهم خزنتها الم ياتكم نذير الاية احتج به المرجية انه لا يدخل
النار الا كافر وان لا عذاب على اهل الايمان طايع ولا عاص بناء على
ان الايمان حسنة لا تضر معها سيئة وعكسه لان الله عز وجل اخبر ان
كل فوج يلقى فيها يعترف بالكفر والجواب ان المعنى كلما القى فيها
فوج من الكفار سئلوا فاعترفوا بالكفر بدليل ما قبله • وللذين
كفروا بربهم عذاب جهنم ثم استطرد ذلك فى وصف حال الكفار
وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير الايتين احتج
به الفريقان اما الجمهور فلنفيهم عن انفسهم السمع والعقل وما ذاك
الا لما خلق فى قلوبهم من دواعى الكفر والصوارف عن الايمان
فصاروا مجبورين جبرا عقليا واما المعتزلة فلقوله عز وجل
فاعترفوا بذنبهم ولو كان خالقا لافعالهم او جابرا لهم لما كان لهم
ذنب وجوابه بل الذنب لهم باعتبار كسبهم او خلقهم على تقدير
التفويض اليهم • الا يعلم من خلق فيه تقديران احدهما ان من
فاعل الا يعلم الخالق مخلوقه والثانى انها مفعول اى الا يعلم هو
من خلق اى الا يعلم هو مخلوقه فالفاعل مضمر على هذا والمفعول
محذوف على الاول ويحتج به على امور احدها ان خلق الشئ يستلزم

العلم

العلم به اى ان العلم من لوازم الخلق لان معنى الاية ان سركم وجهركم مخلوق
لى فكيف لا اعلمه وهو يفيد ما قلنا ولان خلق الشئ يستلزم القصد اليه
والقصد اليه يستلزم العلم به وبغايته فان قيل هذا ينتقض بالنحل
والعنكبوت والنمل ونحوها يفعل افعالا محكمة ولا قصد لها فلا علم لها
فالجواب من وجهين احدهما ان الكلام فى الخلق الاختراعى وهذه
الاشياء لا خلق لها بل افعالها وغيرها مخلوقة لله عز وجل الثانى
انها تقصد الى فعلها وتعلم غايته بالهام من اعطى كل شئ خلقه ثم هدى
ونعلم قطعا ان النحل لولا علمها بمنفعة بيتها وانه يصلح لسكناها اياه
لما بنته الامر الثانى انه عز وجل عالم بكليات الاشياء كالاجناس والانواع
والاصناف بالاجماع اما علمه بالجزئيات كالاعيان الشخصية فاثبته
المتكلمون ونفاه الفلاسفة احتج المتكلمون بان الجزئيات مخلوقة له
عز وجل وكل مخلوق معلوم اما الاولى فبالاجماع على ان لا خالق غير
الله عز وجل واما الثانية فلما تقرر من ان العلم بالشئ من لوازم خلقه
ولان المخلوق عالم بالجزئيات فلو لم يكن الخالق عالما بها لكان المخلوق
اكمل منه وانه محال احتج الفلاسفة بانه عز وجل لو علم الجزئيات لزم
وقوع التغير فى ذاته واللازم باطل فالملزوم كذلك بيان الملازمة ان
العلم حصول صورة المعلوم فى ذات العالم والجزئيات تتغير وتنتقل
احوالها فلو علمها لحصل فى ذاته بحسب كل حال من احوال الجزئى صورة
غير صورته بحسب الحال الاخرى وذلك يقتضى تغاير صور الجزئيات
على ذاته واما بطلان اللازم فللاجماع والبرهان على ان ذاته عز وجل
لا يلحقها التغير ولانه اذا كان زيد فى المسجد علمه كذلك فاذا خرج زيد
فان استمر علمه انه فى المسجد لزم انقلاب العلم الازلى جهلا وانه محال
وان لم يستمر لزم التغير فى ذاته وانه محال وهذا بخلاف الكليات فانها
لا تتغير فلا يلزم من العلم بها التغير فى ذاته عز وجل والجواب
ان هذا كله مبنى على ان العلم حصول صورة المعلوم فى ذات العالم وهو
ممنوع عندنا وانما العلم اضافة نسبية تعليقية بين العالم والمعلوم
اعنى تعلق العلم بالمعلوم والاضافة امر عدمى فالتغير الحاصل من العلم
بالجزئيات واقع فى تلك الاضافة العدمية لا فى الذات الالهية بمعنى ان
تعلق العلم بكون زيد فى المسجد غير تعلقه بكونه خرج منه او نقول ان
العلم الازلى تعلق باحوال زيد المتغايرة فى اوقاتها فتعلق بكونه
فى المسجد وقت كذا وبكونه خارجا عنه وقت كذا وبكل حال يندفع المحذور

الذى ذكرتموه ولا يلزم ما الزمتموه لامر الثالث ان المخلوق كالانسان
لا يخلق شيئا لا افعاله ولا غيرها لانه قد تقرر ان العلم بالشئ من لوازم
خلقه فلو خلق الانسان فعله مثلا لعلمه جملة وتفصيلا كما وكيفا
وغاية لكن اللازم باطل اذ يرى الانسان يتكلم كلاما لا يعلم عدد
حروفه ولا كلماته ولا خواص تركيبه ومعانيه ويمشى مشيا لا يعلم عدد
خطواته ولا ما ينتهى اليه غايته وعلى هذا النمط جميع افعاله لا يعلم
تفاصيلها فدل على انه غير خالق وانما غايته ان يكون كاسبا ومن هذا
ان الابوين لا يخلقان الولد لعدم علمهما بذاته وغايته جملة وتفصيلا
وكلوا من رزقه دل على انه لا رازق سواه والخصم يمنع ذلك ويقول
بل امرهم ان ياكلوا من رزقه وهو الحلال لا من رزق غيره وهو الحرام
الذى يرزقونه انفسهم بالاسباب الباطلة والاكساب الخبيثة وقد
سبق القول فى ذلك • واليه النشور اى المرجع وهو اثبات للحشر
والمعاد • ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض الايتين يحتج
بهما من اثبت الجهة لانه انما توعدهم بفعله وقد اخبر انه فى السماء
واجاب الخصم بانه لا يلزم من توعدهم بفعله ان يكون فى السماء
لجواز ان يكون الفعل له بامره والمباشر له ملائكة السماء كما يقال
فى الشاهد لمن جنى جناية ءامنت من فى القلعة ان يعاقبك وقد يكون
الذى فى القلعة نائب السلطان او بعض جنده والسلطان لعله حينئذ
فى البر او البحر او لا يدرى اين هو واعلم ان ظاهر الاية مع مثبتى الجهة
وانما الخصم يعارضهم بالدليل القاطع عنده فيحتاج الى تاويلها • اولم
يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن الاية
اختلف فى كيفية امساك الطير فوقهم فعند المتكلمين لانه عز وجل
خلق له آلة التماسك فى الهواء والقوة عليه وعند الفلاسفة لانه
عز وجل غلب فيه الاسطقس اى العنصر الهوائى فخف بخفة الهواء
فتماسك كما غلب فى البهائم الجزء الترابى فثقلت فرسبت ولزمت الارض
وعند الاتحادية انه سرى فيها بذاته فحملها فى الهواء فحركتها تابعة
لحركته فهى فى الحركة تابعة لا مستقلة واليه الاشارة بقوله عز وجل
ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها كما صرح به ابن العربى فى الفصوص •
امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه الاية تدل على انه لا رازق
سواه عز وجل لانها تضمنت انه عز وجل ان رزق فلا ممسك وان
امسك فلا رازق وهو دليل الاستبداد بالرزق وليس لاهل الاعتزال

الا ان يتأولوه على ان امسك رزقه الحلال وهو تمحل ومحال القول
فى سورة ن والقلم وما يسطرون يعنى الملائكة الكرام الكاتبين ن
والسفرة الكرام البررة • ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله الاية
لانه الذى خلق ضلالهم وهداهم الا يعلم من خلق • انا بلوناهم كما
بلونا اصحاب الجنة الايات يحتج بهذه القصة على ما يذكره الفقهاء
من المعاقبة بنقيض القصد كالقاتل مورثه بمنع الارث والمطلق
زوجته فى مرض موته تورث منه والفار من الزكوة بحيلة لا تسقط
عنه لان اصحاب الجنة قصدوا حرمان المساكين فحرموا • كذلك
العذاب فيه ان اتلاف المال ومناقضة القصد ضرب كبير من العذاب
لان ذلك يؤلم النفس جدا وعذاب النفس اشد من عذاب البدن • يوم
يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون اختلف فى
الساق فعند المحدثين ومن تابعهم هى صفة لله عز وجل يكشف عنها
يوم القيمة فيسجد لها المؤمنون وجاء فى الحديث فيكشف عن ساقه
فيخرون سجدا وعند غيرهم ان ذلك تجسيم فتاولوه على شدة الامر
ذلك اليوم كما يقال كشفت الحرب عن ساقها وقامت الحرب بنا على
ساق • وان شمرت يوما له الحرب شمرا • قالوا وما ذهب اليه المحدثون
لا يستقيم الا على راى الاتحادية وهو ان الله عز وجل يظهر بمظاهر
الاجسام فحينئذ يصح ان يكون له ساق يكشفها واجاب المحدثون
بان هذا انما يلزمنا ان لو اثبتنا الساق جارحة جسمانية ونحن
انما نثبتها صفة لله عز وجل على ما يليق به ولا يلزمه منه نقص بوجه
وهكذا قولهم فى سائر نصوص الصفات كما سبق • فاصبر لحكم ربك ولا
تكن كصاحب الحوت الايتين يعنى ذا النون وهو يونس بن متى عليه
السلام فيقال ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية قال
لا تفضلونى على يونس من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
خشية ان يطمع طامع بهذه الاية فيغض من منصب يونس فحسم النبى
صلى الله عليه وسلم هذه المادة وقيل انه قال ذلك قبل ان يعلم انه
خير من يونس وغيره وقيل قال ذلك فى مقام التواضع والانسان له
مقامان مقام تواضع يهضم فيه حق نفسه كهذا المقام ومقام افتخار
يستوفى حق نفسه او بعضه كقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد
ادم ولا فخر وعلى هذا تاولت الشيعة لعنهم الله قول على رضى الله عنه
خير هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر ولو شئت سميت الثالث وقوله

لابن الحنفية فى نحو هذا ما ابوك لا رجل من المسلمين • لولا ان تداركه
نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم قد علم ان لولا يقتضى امتناع
الشئ لوجود غيره والذى امتنع ههنا لوجود النعمة هو نبذه بالعراء
مذموما لا مجرد نبذه بالعراء وهو الصحراء لانه قد وجد بدليل
فنبذناه بالعراء وهو سقيم فدل على انه نبذ بالعراء مجردا عن صفة
الذم بدليل • فاجتباه ربه فجعله من الصالحين ومن يكون مجتبى
صالحا لا يكون مذموما وسقط بهذا التعليق عن يونس ...

الحاقة

القول فى سورة الحاقة فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة
هذه نفخة البعث فى وقتها الخاص بدليل ينزل الملائكة وظهور عرش
الرحمن جل جلاله والا فقد سبق ان النفخات ثلاث نفخة الفزع
والصعق والبعث والملك ههنا اسم جنس والحملة يومئذ ثمانية
وقبله اربعة كما ورد ويستدل به على ان العرش السرير لا الملك
لاستغنائه عن حامل ولا تظنن ان الله عز وجل يحتاج الى من يحمله
بل الله عز وجل يحمل بقدرته العرش وحملته وانما حملهم للعرش كان
على جهة التعبد والخدمة والتعظيم على ان الاية انما تضمنت حملهم
للعرش لا للرب فيحتاج الى اثبات ان الرب عز وجل حينئذ فوق العرش
بذاته حتى يلزم انه محمول بواسطة حمل العرش لكن ذلك محل نزاع
قد سبق غير مرة • فاما من اوتى كتابه بيمينه الايات فيها اثبات
اخذ الكتب باليمين والشمال وهو علامة للفوز والهلاك وفيها
اثبات العرض والحساب على العموم وحساب الكفار على الخصوص
خلافا لاكثر الحنابلة فى انهم لا يحاسبون لنا قوله عز وجل • واما من
اوتى كتابه بشماله الى خذوه فغلوه الى انه كان لا يومن بالله العظيم
وهو قاطع فى حساب الكفار لقوله يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر
ما حسابيه وكذلك قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه
الى اقرا كتابك وكذلك ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما
فيه الايات ونحوها تدل على حساب الكافر ولان المقصود بالحساب
تحقيق العدل وهو بالكافر اولى كشفا لشبهته وازالة لتهمته
احتجوا بان فائدة الحساب المقاصة بحيث ان من فضل له اثيب
ومن فضل عليه عوقب وهذا منتف فى حق الكافر اذ مع الكفر لا شئ
له يفضل فالنار متعينة له بغير حساب ورووا عن ابن عمر حديثا
مرفوعا يشير الى ذلك والجواب لا نسلم ان فائدة الحساب ما ذكرتم

بل تحقيق العدل كما قلنا وهو يقتضى حسابه واما حديث ابن عمر فلو كان
نصا فيما ادعوه لما عارض ما ذكرناه من الدليل فكيف وليس بنص وفى
الايات المذكورة اثبات السلسلة وهو من احكام اليوم الاخر • فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون فيه اثبات عالم الغيب والشهادة كما سبق
تفصيله فى الانعام • انه لقول رسول كريم يحتج به من قال بخلق
القران لاضافته الى الرسول بانه قول وعورض بما بعده • تنزيل
من رب العالمين وانما اضيف الى الرسول باعتبار انه مبلغ له لا منشئ
مبتدى • ولو تقول علينا بعض الاقاويل الايات فيه تصديق النبى
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ونفى الكذب عنه وانه لو كان متقولا لما
اقر ولا اهمل ولا امهل

المعارج

القول فى سورة المعارج من الله ذى
المعارج يدل على علو وارتفاع ثم هل هو حسى او عقلى على الخلاف
بين مثبتى الجهة ونفاتها ويحتج مثبتوها بقوله عز وجل • تعرج
الملائكة والروح اليه • انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم اى
خلقا ننشئه نحو ان نشا نذهبكم ونات بخلق جديد والتناسخية حملوه
على نظيره فى سورة الواقعة واحتجوا به وقد سبق القول عليهم

نوح

القول فى سورة نوح والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم اخراجا هذا من ادلة البعث وهو احسن ما مر بنا اذ
فيه استواء الاصل والفرع فى النبات اى هو عز وجل انبتكم من الارض
اولا وكذلك ينبتكم منها اخرا ومعنى الانبات الانشاء هو انشاكم
من الارض مبديا كذلك ينشئكم منها معيدا • ولا تزد الظالمين الا
ضلالا هذا من نوح كقول موسى ربنا اطمس على اموالهم واشدد على
قلوبهم لعله كان بوحى واذن • اغرقوا فادخلوا نارا يحتج به على
ما مر من عرضهم على النار غدوا وعشيا وعذاب البرزخ لتعقيب اغراقهم
بادخال النار فهم الان فيها وهو لا فى الدنيا ولا فى الاخرة بعد القيمة
فهم فى الواسطة بينهما وهى البرزخ

الجن

القول فى سورة الجن
فامنا به يدل على ان فى الجن مسلمين مومنين بالقران موحدين لقولهم
ولن نشرك بربنا احدا الايتين • وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث
الله احدا يشير الى ان فى الجن من ينكر البعث كالكفار من الانس •
وانا لمسنا السماء الاية ظاهرها انهم فى استراق السمع يلمسون السماء
مباشرين لها باجسامهم لمسا ونحوه ويحتمل ان المراد كشفنا طريق
السماء فوجدناه قد سد على مسترق السمع وفيه ان الحرس غير الشهب

لان عطف احدهما على الاخر يقتضى ذلك فالحرس ملائكة والشهب نجوم
فيشبه ان الملك يرمى بالشهاب رمى الجندى بالنشاب وفيه حكاية
ما ثورة تقتضى ذلك • وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك يقتضى
انقسام الجن الى صالح واصلح او الى صالح وطالح كالانس • واما القاسطون
فكانوا لجهنم حطبا يحتج به الشيعة ابعدهم الله من رحمته على معاوية
ومن شايعه على قتال على لان النبى صلى الله عليه وسلم امره بقتال
المارقين وهم الخوارج والناكثين وهم اهل الجمل والقاسطين وهم
معاوية واصحابه فاذا هؤلاء القاسطون بالحديث والقاسطون حطب
جهنم بالاية فهؤلاء حطب جهنم واجاب الجمهود بانا لا نسلم صحة
الحديث ولا ان معاوية كان من القاسطين ولو سلمناه لم نسلم عموم
الاية فى كل قاسط بل هى لقاسطين معهودين من الجن او غيرهم •
لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه يدل على ان النعمة قد تكون سبب
الفتنة وان الله عز وجل يقصد الفتنة بالنعمة وهو الاستدراج كما
سبق • وانه لما قام عبد الله يدعوه الاية فيها فوايد منها ان
بعضهم ذهب الى ان عبد الله اسم من اسماء النبى صلى الله عليه وسلم
والصحيح انه اضافه له بالعبودية لا اسم علم ومنها انه صلى الله عليه وسلم
دعى الجن وتلا عليهم القران وانهم سمعوا ذلك وازدحموا عليه حتى
كاد يتلبد بعضهم على بعض ومنها انه صلى الله عليه وسلم وصف
بالعبودية فى اشرف مقاماته وهى مقامه هذا فى تبليغ القران
ومقامه فى اثبات نبوته بمعجز القران فى قوله عز وجل وان كنتم فى
ريب مما نزلنا على عبدنا ومقامه فى الاسراء والوحى اليه فى السماء
فى سبحان الذى اسرى بعبده فاوحى الى عبده وفى نحو هذا يقول القايل
• لا تدعنى الا بيا عبدها • فانه اشرف اسمائى •
وفى ذلك يقول على رضى الله عنه حسبى عزا ان تكون لى ربا وحسبى
فخرا ان اكون لك عبدا • ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
مع ما سبق من قول موسى افعصيت امرى ينتظم قياسا هكذا
مخالف الامر عاص والعاصى معاقب فمخالف الامر معاقب وهو يقتضى
ان الامر للوجوب • عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى
من رسول دلت هذه الاية على ان بعض الرسل يظهر على بعض الغيوب
ودل غيرها على ان غير الرسل قد يكاشف بشئ من ذلك كاهل الرياضة
والخلوة والكهان مثل سطيح وشق وكاهل ضرب الرمل والمنجمين فى بعض

الاحيان

الاحيان واصحاب الرؤيا والزجر والفال ومسترقى السمع واشباههم جميع
هؤلاء يظهرهم الله على بعض غيبه بدليل ولا يحيطون بشئ من علمه الا
بما شاء • فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد
ابلغوا رسالات ربهم ظاهره ان الرصد ملائكة بين يدى النبى
وخلفه يرفعون عنه انه قد ابلغ الرسالة وانه عز وجل لا يعلم ذلك
بدون هذا الرصد لكن هذا الظاهر متروك بالاجماع والبرهان على
انه عز وجل ليس يعزب عن علمه شئ فى الارض ولا فى السماء فيجب
تاويل هذا الظاهر على ان الرصد من الملائكة معقبات يحفظونه
من اعدائه من باب والله يعصمك من الناس ومعنى ليعلم ان قد
ابلغوا اى ليجازيهم على بلاغهم الرسالات ويجزى اممهم على
الطاعة ثوابا وعلى المعصية عقابا فيصير نظم المعنى هكذا الا من
ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يحرسونه
ليجزيهم على الابلاغ واممهم على القبول او الرد بما يستحقونه او على غير
هذا من التاويل القول فى سورة المزمل انا سنلقى عليك

المزمّل

قولا ثقيلا يحتمل ان المراد ثقيل على الكفار طاعته والايمان به او ثقيل
على المكلفين امتثاله او يخلق الله عز وجل عند نزوله ثقلا كما روى ان
سورة الفتح لما نزلت مرجع النبى صلى الله عليه وسلم من الحديبية كادت
قوائم ناقته تندق من تحته لثقل ما انزل عليه وربما احتج بظاهره
من يقول بخلق القران لان الثقيل ذات قام بها الثقل وكل ذات قام
بها الثقل جسم فالقران جسم وكل جسم مخلوق لكن هذا سفسطة
ومكابرة للحس والضرورة فلا يستحق جوابا • كما ارسلنا الى فرعون
رسولا فعصى فرعون الرسول هذا هو المثال المشهور فى لام العهد وهو
رجوع المعرف الى منكر سابق وقد حكى ابن الخشاب عن بعض اهل العلم
ان اللام ان كان هناك معهود تعينت له والا فهى للجنس والله يقدر
الليل والنهار اى بما احكمه واتقنه من دوران الفلك ومجارى النجوم
فيه وايلاج الليل فى النهار والنهار فى الليل واخذ احدهما من الاخر
واعلم ان الليل والنهار هما الزمان لقول الشاعر •
• هل الدهر الا ليلة ونهارها • والا طلوع الشمس ثم غيارها •
فينتظم قياس هكذا الليل والنهار هما الزمان والله عز وجل يقدر الليل
والنهار ينتج من الشكل الرابع الله عز وجل هو يقدر الزمان وحينئذ
يكون الزمان مخلوقا وكل مخلوق حادث فالزمان حادث خلافا للفلا

سفة

المدثر

فى قدمه وقد سبق القول عليهم فى ذلك • واستغفروا الله هذا عقب ما
قبله من الامر بالاعمال الصالحة يشير الى ما مر فى سورة النور عند
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون من مشروعية التوبة والاستغفار
من الاعمال الصالحة لما قررناه هناك وفى هذا ههنا نظر لاحتمال انه امر
مجرد بالاستغفار ليس المراد به ما ذكر **القول فى سورة المدثر**
فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير ان قيل هذا تقديره فذلك
فى يومئذ يوم فيلزم ان يكون اليوم فى يوم فيكون للزمان زمان وانه
محال فالجواب ان تقديره فذلك اى فالنقر يومئذ نقر يوم عسير
على تقدير حذف المضاف وهو سؤال وجواب فى الاعراب جيدان • ان
هذا الا قول البشر ساصليه سقر احتج به من يرى قدم القران المسموع
لانه عز وجل توعد من قال انه قول البشر باصلاء سقر وذلك يقتضى
انه ليس قول البشر فهو قول الله عز وجل فلا يكون مخلوقا فيكون قديما
لانه صفة القديم واجاب الخصم بان بين البشر والله عز وجل الملك
فلم لا يجوز ان يكون قوله بدليل انه لقول رسول كريم سلمنا انه قول
الله عز وجل فلم لا يجوز ان يكون صفة فعلية وكل صفة فعلية مخلوقة
حكاية اخبرنى الشيخ جمال الدين المعدنى الحنبلى بالقاهرة قال انشد بحضرة
الشيخ بهاء الدين بن النحاس الحلبى النحوى او هو انشد قول القايل

لو قيل كم خمس وخمس لاغتدى • يوما وليلة يعد ويحسب •
ويقول معضلة عجيب امرها • ولئن هديت لها لامرى اعجب •
حتى اذا احذرت يداه وعورت • عيناه مما قد يخط ويكتب •
اوفى على شرف وقال الا انظروا • ويكاد من فرح يجن ويسلب •
خمس وخمس ستة او سبعة • قولان قالهما الخليل وثعلب •

فجعل الحاضرون يتعجبون منها ومن غرابة وضعها فقال الشيخ
بهاء الدين مم تتعجبون فان مثل هذا فى كتاب الله عز وجل ثم تلا
انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر
ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر
قلت وهذا نظير حسن مطابق وكلاهما راجع فى المعنى الى قولهم
سكت الفا ونطق خلفا • عليها تسعة عشر قيل انما كانوا تسعة عشر
لان الليل والنهار اربع وعشرون ساعة عليها فى كل ساعة ملك الا
ساعات المكتوبات الخمس فانها تجمد وتغلق فلا تحتاج الى سادن
فلا يبقى الا تسع عشرة ساعة عليها فيهن تسعة عشر ملكا • وما جعلنا

عدتهم

القيمة

عدتهم الا فتنة للذين كفروا فيه ان الله عز وجل يقصد فتنة من
يشاء وضلاله ويفعل اسبابه • ويزداد الذين امنوا ايمانا فيه
قبول الايمان للزيادة والنقصان • ما سلككم فى سقر قالوا لم
نك من المصلين الاية يحتج بها على تكليف الكفار بفروع الاسلام
لانهم عللوا سلكهم فى سقر بتركهما الصلوة والزكوة وبالتكذيب
بيوم الدين وما بينهما ولولا تكليفهم بالصلوة لما صلح تركها جزء
علة للعقاب واعترض الخصم بان معناه لم نكن من اهل الصلوة
اى من المؤمنين واجيب بانه خلاف الظاهر بغير دليل ثم هو مع
قولهم • وكنا نكذب بيوم الدين فيه ضرب من التكرار فلا يحمل عليه
وقد سبقت المسئلة فى اول سورة المصابيح • فما تنفعهم شفاعة
الشافعين دليل خطابه انها تنفع غيرهم من عصاة المؤمنين خلافا
للمعتزلة **القول فى سورة القيمة** لا اقسم بيوم القيمة فيه
اثباتها ثم قيل لا زائدة وقيل المعنى لا اقتصر على القسم بيوم القيمة
بل اقسم باعظم منه والقولان جاريان فى نظايره نحو لا اقسم بالشفق
لا اقسم بهذا البلد • ولا اقسم بالنفس اللوامة المذكور فى القران
هذه والنفس الامارة والنفس المطمئنة فاللوامة تلوم على فعل
الشر والامارة تامر به والمطمئنة ساكنة لما وعدت متواضعة
لقبول ما به امرت خاضعة تحت مجارى الاقدار خاشعة لله الواحد
القهار ثم قيل هى ثلاث نفوس على ظاهر القران وقيل نفس واحدة
لها ثلاث قوى او ثلاثة احوال تارة تلوم وتارة تامر وتارة تطمئن
والله عز وجل اعلم بخلقه • ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه بلى
قادرين على ان نسوى بنانه هذا اثبات للبعث خلافا للمنكرين
واحال الله عز وجل ههنا على مجرد القدرة ثم برهن عليه فى اخر
السورة • بل يريد الانسان ليفجر امامه يسال ايان يوم القيمة تعلق
به الملاحدة ونحوهم على ان لا حقيقة للبعث وانما هو تخويف للناس
لئلا ييأسوا من المعاد فيفجروا ويتظالموا فيفسد النظام
والجواب ان ما ذكروه لا ينفى وقوع البعث وقد دلت عليه قواطع
السمع والعقل والتخويف بالشئ لا يمنع وقوعه • وجمع الشمس
والقمر لانهما ما داما اثنين بينهما اقتران بالذات اذ بينهما اربعة
افلاك ويوم القيمة تطوى السماء ويستغنى عنهما بما شاء الله
عز وجل من نوره فيجمعان كسمادين قلعا من بابين ويقال انهما

يكوران في النار فان قيل ايهما افضل قلنا الشمس لانها اية مبصرة والقمر
اية ممحوة والمبصرة افضل ولانها اعظم جرما ونورا واذا اردت ان
تنظر الى عظمتها فانظر الى ملكوت السماء بالليل وما فيها من الزينة
والنيرات العظيمة ثم الشمس اذا طلعت تطمس ذلك كله حتى يبقى غيبا
بعد أن كان شهادة وذكر اهل الهيئة ان جرم الشمس قدر الارض مائة
واحدى وستين مرة وكسر والقمر جزء من تسعة وثلاثين جزءا من
الارض فيكون ربع عشر تقريبا فتكون الشمس مثل القمر ستة الاف
مرة واربعمائة مرة تقريبا ولان الله عز وجل حيث ذكرهما قدم الشمس
ولانها اوسط مكانا في السماء واعلا من القمر واسعد منه واحتج من
فضل القمر بانه مذكر وهو اسرع حركة وجولانا في الفلك ومدار الحساب
على تمامه ونقصانه اكثر وهو في ذلك اعجب وهو اقل ضررا من الشمس
ونحو هذا من الوجوه ولا شئ منها يعارض ما ذكر للشمس • بل الانسان
على نفسه بصيرة اي يشهد على نفسه وتشهد عليه جوارحه كما مر فلو
اعتذر بما امكنه لم ينفعه مع شهادة نفسه عليه • فاذا قراناه فاتبع
قرانه ثم ان علينا بيانه يحتج به على جواز تاخير البيان عن وقت الخطاب
لان ثم للتراخي وقد دلت على تاخير البيان عن وقت القراءة وقد سبق
نظيره اول هود • وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة هذه عمدة
الجمهور في اثبات رؤية الله عز وجل في الاخرة لان النظر المقرون بالى
تقتضي الرؤية لغة وقد تضمنت الاية ذلك فكانت مقتضية للرؤية
واعترض المعتزلة بان قالوا النظر ههنا مضاف الى الوجوه وليست
الة للرؤيا ولا محلا لها سلمناه لكن لا نسلم ان اقتران النظر بالى
يقتضي الرؤية بدليل قوله عز وجل وتراهم ينظرون اليك وهم لا
يبصرون فاقترن النظر بالى مع نفي الابصار والرؤية سلمناه لكن لا
نسلم ان الى ههنا حرف جر وانما هو اسم وهو واحد الالاء وهي النعم نحو
معى وامعاء والتقدير وجوه يومئذ ناضرة نعمة ربها ناظرة او منتظرة
لانها تفرح بما ترى من امارات الثواب وهي تراه وتنتظره سلمناه لكن
ما ذكرتموه انما هو ظاهر في الرؤية فلا يعارض القاطع في نفيها وهو ان
الرؤية تقليب الحدقة الى جهة المرئي وايصال شعاع البصر وذلك
مستلزم للجسمية فالرؤية لا تتصور الا على راى المجسمة او على راى
الاتحادية الذين يجيزون ان يظهر الحق عز وجل في المظاهر والا طوار
فيظهر في مظهر جسماني فيرى كما ورد انه ياتيهم في صورة ينكرونها

ثم في صورة يعرفونها ويكشف لهم عن ساق فيخرون سجدا لكن التجسيم
والاتحاد باطلان عند الجمهور واجيب عن الاول بان الوجوه محل
للابصار والابصار محل للرؤية والة لها فالوجوه محل للرؤية والة لها
ودل على ذلك استعمال العرب كقول القائل •
• وجوه ناظرات يوم بدر • الى الرحمن تنتظر الفلاحا • وقول الاخر
• وفي يوم بدر قد رايت وجوههم • الى الموت من وقع السيوف نواظر •
فقد اضاف النظر الى الوجوه وعن الثاني بان وضع اللغة ان النظر
المقرون بالى يقتضي الرؤية فان لم يكن موضوع اللغة فاكثر استعمال
العرب عليه نحو قوله • نظرت الى من حسن الله وجهه • وقوله •
الى الدار من فرط الصبابة انظر • وقوله •
• نظروا اليك باعين محمرة • نظر التيوس الى شفار الجازر •
وهو كثير وهو تحصل المقصود ولان غلبة استعماله تدل على انه الحقيقة
واما وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فلم يكن عدم الابصار
لعدم اقتضاء اللفظ له بل لان المشار اليهم هم الاصنام وهم جماد ليس
لهم الة الابصار كما سبق في اخر الاعراف وعن الثالث بانه خلاف
المتبادر الى كل فهم سامع والصحابة ومن بعدهم انما فهموا ان الى حرف
جر حتى ظهر بتا ويلهم ثم ان ما ذكروه لا يصح لان الكلام وهم في
الجنة والنظر الى النعيم فيها لا يعد نعمة انما ذلك الموضع محل تناول
النعم والالتذاذ بها لا محل النظر وانتظارها هناك غير مناسب
لان الانتظار كما قيل يورث الصفار ثم ان المنعم في الجنة حاصله
فانتظارها مناف لحصولها وتحصيل الحاصل قوله ما ذكرتموه ظاهر
في الرواية قلنا بل قاطع لتبادر الفهم اليه واجماع السلف على فهم
الرؤية منه وهم اهل العصمة الاجماعية واللسان العربي سلمنا انه
ظاهر لكن لا نسلم ان عندكم قاطعا يعارضه قوله ان الرؤية تقليب
الحدقة الى جهة المرئي قلنا هذا على اختلاله لا يضر لان مثبتي الجهة
يلتزمونها ووجه اختلال هذا القول ان الرؤية ليست نفس
تقليب الحدقة بل هي نوع ادراك يلزمه تقليب الحدقة فتقليب
الحدقة من لوازم الرؤية لا انه نفسها واما من لا يثبت الجهة
كالاشعرية فانهم يفسرون الرؤية بنوع كشف نسبته الى الرب عز
وجل كنسبة الرؤية الى المرئيات قوله واتصال شعاع البصر
بالمرئي قلنا الناس لهم في كيفية رؤية المرئيات اربعة اقوال •

اليها صح

احدها اتصال الشعاع والثانى انطباع صورة المرئى فى الرطوبة الجليدية
كانطباع الوجه فى المرآة والثالث انه نار تخرج من البصر فيدرك به المرئى
وهذا شبيه بالقول بالشعاع والرابع انه علم يخلقه الله عز وجل فى
نفس الرائى مقارنا للرؤية وهو مذهب المتكلمين فنقول اولا
لم قلت ان رؤية البارى عز وجل والرؤية مطلقا باتصال الشعاع
وما انكرت ان يكون بخلق العلم فى نفسه كما هو رأى المتكلمين وثانيا
انه قد ثبت لنا رؤية لا باتصال شعاع وهو قوله صلى الله عليه وسلم
لا تختلفوا على يعنى فى الصلوة فانى اراكم من وراء ظهرى كما اراكم
من امامى وما ذاك الا لخارق الهى ومعجز نبوى ايد به النبى صلى الله
عليه وسلم كما كان يرى الثريا اثنى عشر كوكبا وغيره انما يراها ستة
او سبعة وذلك لقوة خص بها فى بصره خرقا للعادة فجاز اذ كانت
الاخرة محل خرق العادة ان يتجدد للمؤمنين خرق عادة يرون بها ربهم
من غير انطباع ولا اتصال شعاع ولا جهة اصلا على راى نفاة الجهة
كالدودة فى وسط البلورة تراها لا فى جهة وكرة العالم يراها الله عز
وجل وقد قام البرهان على انها ليست فى جهة على ما قيل وحينئذ لا
يلزم مثبتى الرؤية لا رأى المجسمة ولا رأى الاتحادية • ايحسب الانسان
ان يترك سدى اى هملا لا راعى له ولا معترض عليه ولا بعث ولا معاد
وهذا انكار لنفى البعث فيقتضى اثبات البعث وهذا شبيه بقوله
عز وجل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون • الم
يك نطفة من منى يمنى الى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى
هذا احتجاج على امكان البعث ووقوعه بالقياس على النشاة الاولى
كما سبق فى اول الحج وغيره القول فى سورة الانسان
هل اتى على الانسان حين من الدهر الاية قيل معناه قد اتى وهو
ضعيف بل معناه هل تسلمون وجودكم بعد عدمكم او نقرره عليكم
بالبرهان ثم قد برهن على ذلك بعد على تقرير منهم لما ذكر بقوله
عز وجل • انا خلقنا الانسان من نطفة وهو قاطع فى ابتداء خلقه
بعد ان لم يكن وقد سبق الكلام فى لم يكن شيئا مذكورا فى اول مريم •
انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه اشارة الى ان الحكمة فى
خلق الانسان ابتلاؤه واختباره هل هو يطيع فيثاب او يعصى فيستحق
العقاب فان قيل ما مقدار الانسان حتى يبتلى ويختبر ويخاطب
هذا الخطاب العظيم وما فائدة ابتلائه بعد علم الله عز وجل بما سيكون

الانسان

منه

منه قلنا هذا وراءه اسرار غريبة موضع ذكرها فى غير هذا العلم والمفزع
اليه ههنا لا يسال عما يفعل وهو المتصرف بحق ملكه الاكمل • انا هديناه
السبيل اما شاكرا واما كفورا اى ارشدناه الى طريق الحق والسلامة
والسؤال والجواب ههنا كما قلنا فى واما ثمود فهديناهم ثم هذه
السورة تضمنت اثبات العذاب والنعيم الحسيين • ليشرب بها عباد
الله قيل ليشرب منها على ابدال بعض الحروف ببعض فالاشبه انه من
باب التضمين اى يروى بها ضمن ليشرب معنى يروى لانه ابلغ واخص
من يشرب ثم اعتبر حرف التعدية بالفعل المضمن تنبيها عليه ومثله
قول عنترة • شربت بماء الدحرضين • وقول الاخر شربن بماء البحر
البيتين • ومنه فاسئل به خبيرا • وقوله فان تسالونى بالنساء
البيت اى ذاكر به وتذاكرونى بالنساء • وقوله يضرب بالسيف
ويرجو بالفرج • اى يتعلل بالفرج • سود المحاجر لا يقران بالسور •
اى لا يصوتن او يترنمن بها وهو كثير وهى قاعدة نافعة يعتصم بها
من لزوم الزيادة فى اكثر الكلام • يوفون بالنذر فيه استحباب
الوفا بالنذر ومدح اهله لانه من باب الوفا بالعقود اما التزام النذر
ابتداء فيحتمل تحريمه للنهى ويحتمل جوازه لانه عقد وعهد بين العبد
وربه عز وجل اشبه الاحرام بالحج ويحتمل المنع منه فى الاموال دون
العبادات لقوله صلى الله عليه وسلم النذر لا ياتى بخير وانما
يستخرج به من مال البخيل فدل على ان المنع منه فى المالى دون غيره
ان هذا كان لكم جزاء اى صورة جزاء على كسبكم وسعيكم والا فهو
فى الحقيقة فضل من الله عز وجل لولا توفيقه لما وصلوا الى شئ
منه وهم اعنى الابرار قد اعترفوا بذلك حيث قالوا الحمد لله الذى هدانا
لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله اللهم اهدنا اليك والى رضوانك
بفضلك المحض ولا تكلنا الى سواك من نفل او فرض • ولا تطع منهم
اثما او كفورا قيل معناه ولا كفورا والمعنى وان كان عليه الا انه ضعيف
من جهة ان او ينوب عن واو العطف وحرف النفى ونيابة كلمة عن
كلمتين غير معهود او هو قليل لا يقاس عليه لمخالفته القياس وتخريجه
على اصله لوجهين احدهما ان يكون هذا طبق كلام مقدر كانه قيل
له اطع فلانا الاثم او فلانا الكفور فقيل لا تطع منهم اثما او كفورا
الثانى ان يقال انما دلت هذه الاية على تخييره فى معصية احدهما
اى اعص هذا او هذا ودل على وجوب معصيتهما جميعا دليل منفصل

لايقال نحن نفهم من مجرد هذه الاية وجوب معصيتهما جميعا من غير
شعود بدليل منفصل لانا نقول اما من موضوع لفظا وبمجرده فلا نسلم
انه يفهم ذلك والا لما استغرب واحتيج فيه الى تخريج وتاويل واما فهم
ذلك من المعنى عقلا او عرفا او شرعا فذلك هو الدليل المنفصل ولكنه
ظاهر فلظهوره لاينبه له • ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
احتج بها المعتزلة لانها تقتضى ان الانسان مخير بحسب مشيته
واجاب الجمهور بالاية بعدها • وما تشاؤن الا ان يشاء الله •
فمشية الانسان تابعة للمشية الالهية واثر من اثار القدرة الازلية
وحينئذ اكثر ما يقال ان فعل الانسان اثر مشيته ومشيته اثر
القدرة الالهية واثر اثر الشئ اثر لذلك الشئ ففعل الانسان اثر
القدرة الازلية وهو المطلوب وقد سبق تقرير هذا فى مقدمة الكتاب •
يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما هذا هو سر
القدر لانه عز وجل جعل الدخول فى الرحمة منوطا بمشيته ولم يعلل
بتقوى ولا صلاح ولا غيره فدل على انه اذا اراد الرحمة وفق للصلاح
فكان الفوز والفلاح فالصلاح امارة الفلاح والعلة المؤثرة هى
المشية وهكذا فى الطرف الاخر الظلم امارة العذاب والعلة المؤثرة
هى المشية غير انه عز وجل اثر ههنا قيام حجته فقرن العذاب
بوصف الظلم من باب اقتران الحكم بالوصف المناسب اقامة للحجة
ونفيا للتهمة وانتهى تقدير الكلام الى انى ارحم هؤلاء بمشيتى وعنايتى
بهم واعذب هؤلاء لظلمهم المناسب لعقوبتهم مع ان مشيته هى
المؤثرة فى ذلك قطعا وقد تقدم لنا كلام فى سر القدر فى مقدمة هذا
الكتاب وفى الاعراف عند فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة وفى
اول سورة يس وسورة المؤمن وههنا فاجمع بينه وتلمحه يظهر
لك المقصود من هذا الباب ان شاء الله عز وجل القول
فى سورة والمرسلات فاذا النجوم طمست اى ذهب نورها
واذا السماء فرجت اى انشقت وفيه دليل على قبولها الخرق والالتئام
كما مر وان الاجرام السماوية تقبل التغير والاستحالة عن صفاتها
لان خلافا للفلاسفة واصل الخلاف القول فى قدم العالم وقد سبق
واذا الجبال نسفت اما بتسليط الريح عليها فتنسفها او بتسليط
المطر العظيم ثم الشمس العظيمة عليها فتحلها كما نشاهد فى الجبال
الان او لانه عز وجل اذا قبض الارض والسموات فى قبضة قدرته

والمرسلات

بلغ مقابلة

ضرب

ضرب بالجبال فانحلت اجزاؤها بدليل وحملت الارض والجبال فدكتا دكة
واحدة او بغير ذلك من تصرفات القدرة الازلية التى لانهاية لمقدورها
الم نخلقكم من ماء مهين الايات احتجاج على البعث الذى دل عليه قوله
عز وجل قبل ليوم الفصل • فقدرنا فنعم القادرون ان ثبت ان للانسان
قدرة يستقل بها والا فهذا على نحو فتبارك الله احسن الخالقين اى على
زعم من اعتقد ان ثم قادرا وخالقا غيره واعلم انه لاخلاف ان للانسان
قدرة خلقها الله عز وجل كما خلق ذاته لكن الخلاف فى انه مستقل بقدرته
مفوض اليه اعماله لامجبر ولا معاوق ام لا اثبت ذلك القدرية ونفاه
الجمهور وهو اصل الخلاف ومنشأ الاختلاف • هذا يوم لاينطقون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون هذا بعد ان يسألوا ويحاسبوا فمن اعترف
منهم بما قدر عليه ثبت عليه ما اعترف به ولزمته الحجة ومن انكر
ختم على فيه واستشهدت عليه اعضاؤه كما سبق فى يس وغيرها واليه
الاشارة بقوله عز وجل بل الانسان على نفسه بصيرة ولو كان عدم
الاذن لهم فى الاعتذار مطلقا البتة لتناقض مع قوله عز وجل يوم
تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وانه محال • واذا قيل لهم اركعوا لايركعون
يحتج به على ان الامر للوجوب الفورى لانه عز وجل ذمهم على ترك الركوع
وقت امرهم به لان اذا ظرف فيه وقتية فصار التقدير لايركعون وقت الامر
لهم بالركوع وهو يقتضى ما ذكرناه القول فى سورة النبأ
وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات الفافا
ان يوم الفصل كان ميقاتا هذا اثبات للبعث ودليله ما قبله من
احياء الارض بالمطر • وفتحت السماء فكانت ابوابا دل على ما سبق من
قبولها للخرق • لابثين فيها احقابا يحتج به من يرى ان عذاب اهل
النار منقطع لان الاحقاب جمع قلة واكثره عشرة والحقب ثمانون
سنة فمجموعها ثمانمائة سنة وهب انها من سنى الاخرة كل يوم منها
بالف سنة او سبعين الف سنة كما قيل فهى متناهية على كل حال
وجوابه من وجهين احدهما انه ليس المراد حصر لبثهم فى احقاب
بل يلبثون احقابا طعامهم الحميم والغساق لابرد ولا شراب ثم
ينقلون الى حالة اخرى من العذاب كذلك ابدا الثانى ان الاحقاب
بمعنى الحقب جمع كثرة ولكنه وضع جمع القلة موضع الكثرة تنبيها
على ان القليل المنقطع من عذاب النار جدير بان يكون سببا للايمان
والازدجار • انهم كانوا لايرجون حسابا اى لايخافونه وهو حجة

النبأ

على ان الكفار يحاسبون وقد سبقت المسئلة فى الحاقة • يوم يقوم الروح
والملائكة صفا قيل الروح صنف من الملائكة يخفون عن الملائكة
كما تخفى الملائكة عن البشر وقيل الروح ملك عظيم يقوم وحده صفا
والملائكة صف • فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا مثل فمن شاء اتخذ
الى ربه سبيلا وقد سبق • انا انذرناكم عذابا قريبا قد سبق ان
النازعات
القرب معنى اضافى لكنه لابد واقع القول فى سورة النازعات
ائذا كنا عظاما نخرة انكارهم للبعث ودليله فى اثناء السورة
فاراه الاية الكبرى هى العصا • ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها
الى اخرج منها ماءها ومرعاها دليلان على البعث السابق منهم
انكاره احدهما فى ضمن الاخر الاول قياس اعادتهم على خلق السموات
والارض وهى اولى لان خلق السموات والارض اعظم الثانى القياس على
احياء الارض واليه الاشارة بقوله عز وجل اخرج منها ماءها ومرعاها
عبس
ايان مرساها سبق فى الاعراف القول فى سورة عبس وتولى
اما من استغنى فانت له تصدى الايات تعلق بها من لا يعلم على النبى
صلى الله عليه وسلم ولا متعلق لهم فيها لانه صلى الله عليه وسلم
انما اعرض عن المسلم وهو ابن ام مكتوم الى خطاب الكافر حرصا على
اسلامه وسعيا فى الدعاء الى الله عز وجل على عادته والاعمال بالنيات فهو
مجتهد فى ذلك مصيب غير ان الله عز وجل اشتدت عنايته بذلك المسلم
حتى عاتب رسوله من اجله وذلك امر غيب ليس الى الرسول ولو علم ان
العناية بذلك المسلم شديدة الى هذا الحد لما اشتغل عنه بخطاب
غيره والذى تضمنه صدر هذه السورة ليس تقرير ذنب على النبى صلى الله
عليه وسلم وانما هو عتاب لطيف • من نطفة خلقه الى ثم اذا شاء انشره
تضمن المبدا والمعاد وما بينهما وهو البرزخ • كلا لما يقض ما امره
اشارة الى ان الناس يردون القيمة وليس فيهم من قام بواجب الامر
الالهى على ما ينبغى فلا بد من تقصير وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ما منا احد ياتى يوم القيمة الا وله ذنب الا يحيى بن زكريا
فاذا جاءت الصاخة اى الصيحة التى تصم الاسماع من نفخ الصور
وزلزلة الساعة وهو اثبات للبعث ودليله قبله وهو • انا صببنا
الماء صبا الى اخره وهو قياس احياء الارض كانه عز وجل يقول انظروا
الى طعامكم الذى تاكلون وانتم دائما له مباشرون فانه انما يخرج بطريق
مساو للبعث واخراج الموتى فى الامكان والمقدورية فلماذا تكذبون به

التكوير
القول فى سورة التكوير اذا الشمس كورت الى علمت نفس ما
قدمت واخرت هذه جملة من احكام اليوم الاخر تضمنها صدر هذه
السورة ولذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد
ان ينظر الى يوم القيمة رأى عين فليقرا اذا الشمس كورت • انه لقول
رسول كريم يتنازعه القايلون بخلق القران وقدمه كما مر فى سورة
الحاقة ثم الرسول ههنا هل هو جبريل او محمد عليهما الصلوة والسلام
فيه قولان الاشبه انه جبريل • لمن شاء منكم ان يستقيم يحتج بها المعتزلة
الانفطار
وجوابه بما بعده كما سبق فى اخر هل اتى القول فى سورة الانفطار
صدرها شبيه بصدر السورة قبلها • فى اى صورة ما شاء ركبك •
يحتج به التناسخية ولا حجة لهم فيه لان المراد فى اى صورة من الصور
الانسانية طويلا او قصيرا اسود او ابيض ونحو ذلك جعلك • وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فيه اثبات الحفظة وقد
المطففين
سبق القول فيه فى الانعام القول فى سورة المطففين
يوم يقوم الناس لرب العالمين فيه اثبات الموقف والمحشر • كلا
بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اى طمس نور قلوبهم ظلمة ذنوبهم
فاذا هم صم بكم عمى فهم لا يعقلون • كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون يحتج بمنطوقه على ان الكفار لا يرون الله عز وجل وهو
مقتضى حجبهم عنه وبمفهومه على ان المؤمنين يرونه وربما ارتفع
ذلك عن كونه مفهوما الى كونه قياس عكس او عكس نقيض لانه اذا ثبت
ان الكافر يعاقب بالحجاب اقتضى ان المؤمن يثاب برفع الحجاب •
الانشقاق
القول فى سورة الانشقاق صدرها شبيه بصدر سورة
الانفطار والتكوير • يا ايها الانسان انك كادح الى ان ربه كان به
بصيرا تتعلق باحكام الاخرة كالحساب واخذ الكتاب ونحوه •
القول فى سورة البروج انه هو يبدئ ويعيد اشارة
الى اثبات المعاد قياسا على المبدا • فعال لما يريد يستدل به على
عموم تعلق ارادته بالكائنات والمعتزلة قالوا انما يصح ذلك بعد
ثبوت انه مريد لكل كائن وهو فعال لما يريد والاولى ممنوعة لانه
انما يريد الخير لا الشر والمعاصى وجوابه انا نثبت انه مريد لكل كاين
لان المصحح لتعلق ارادته بالخيرات والطاعات انما هو امكانها والامكان
مشترك بين ذلك وغيره فيكون مريدا لسائر الكائنات الممكنة وهو
الطارق
المطلوب وفى المسئلة بحث القول فى سورة الطارق

ان كل نفس لما عليها حافظ يحتمل ارادة الحفظة ويحتمل ان المراد كون الله
عز وجل قائما على كل نفس بما كسبت ورقيبا عليها • انه على رجعه لقادر
اثبات للبعث ودليله سبق وهو • فلينظر الانسان مم خلق خلق من
ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب وهو قياس المعاد على
الاعلى المبدأ القول في سورة الاعلى سبح اسم ربك يحتج به من
يرى ان الاسم هو المسمى وقد سبق • الاعلى اختلف هل هو علو
محسوس او معقول ويبنى عليه الخلاف في الجهة • ثم لا يموت فيها
ولا يحيى هما نقيضان لا واسطة بينهما حقيقة وانما ثبت ههنا
مجازا نحو يأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت اى ليس بحي حياة ينتفع
بها ولا هو بميت فيستريح • ان هذا لفي الصحف الاولى يعنى قضايا هذه
السورة واحكامها او ذكر القران نحو وانه لفي زبر الاولين القول
الغاشية في سورة الغاشية اكثرها الى وزرابي مبثوثة يتضمن اثبات
العذاب والنعيم الحسيين • افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الايات
تضمنت الامر بالنظر ويستلزم ذلك انه اذا صح افاد العلم كما سبق والاية
في السماء والجبال والارض واضحة واما الابل فلكثرتها عندهم وعظم خلقها
وانتفاعهم بها وعظيم النعمة فيها • لست عليهم بمسيطر وعيدى محكم
او منسوخ باية السيف • ثم ان علينا حسابهم صريح في حساب الكفار
الفجر القول في سورة الفجر كلا اذا دكت الارض دكا دكا نحو
وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة اما ان يخسف بهما الى حيث
يشاء الله عز وجل او ينسفا بدليل واذا الجبال نسفت • وجاء ربك
والملك صفا صفا اى جاء بذاته وقيل بامره لفصل القضا ونظيره هل
ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الامر
فادخلي في عبادي قيل الارواح تدخل في الاجساد وهو اثبات البعث
والظاهر ان المراد اكرام النفس الصالحة بادخالها في الصالحين
البلد القول في سورة البلد وهديناه النجدين اى طريق الخير
والشر وهذه هداية ارشاد وهي الهداية العامة اما هداية العصمة فخاصة
لمن شاء الله عز وجل وسبقت له السعادة القول في
والشمس سورة والشمس فالهمها فجورها وتقويها يحتمل ان المراد خلق فيها
ذلك ويحتمل ان المراد طبعها وفطرها على ما شاء من فجور وتقوى
قد افلح من زكيها اى طهرها وكملها باكتساب العلم والعمل • وقد خاب
من دسيها اى ترك جهلها وفجورها كامنا فيها لم يطهرها منه

اذا انبعث اشقيها احتجت به الشيعة على ان عليا افضل الصحابة لان النبى
صلى الله عليه وسلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة واشقى الاخرين قاتلك
يا على وكما قال فثبت بهذا ان قاتل على اشقى واعظم دركا من قاتل عمر
وعثمان وما ذاك الا لان عليا افضل منهما وان قاتله فوت من الفضيلة
ومصلحة الوجود اعظم مما فوت قاتلهما واذا ثبت هذا المعنى بالنسبة الى
على مع عمر وعثمان ثبت بالنسبة اليه مع ابى بكر وان لم يقبل اذ لا قائل
من الجمهور بالفرق فثبت بهذا الدليل ان عليا افضل الصحابة وتلخيصه
ان قاتل على اشقى القاتلين فعلى افضل المقتولين واجاب الجمهور
بان هذا استدلال بمعنى خبر واحد وهم لا يقولون به ثم هو لا يعارض اجماع
الليل السلف على تفضيل الثلاثة على على القول في سورة والليل
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى يحتج به من
يرى الاعمال الصالحة امارة على السعادة محصلة للظن بذلك وكذلك
الاعمال الفاسدة على الشقاوة لان هذا وعد من الله عز وجل انه ييسر كلا
لمناسب عمله ووعد الله عز وجل واقع لا محالة والاخرون قالوا الامارة
قد تخلف والوعد قد تعلق بالمشية في نفس الامر فلا يلزم وقوعه وقوله
صلى الله عليه وسلم يعمل احدكم بعمل اهل الجنة الى قوله وانما الاعمال
بالخواتيم قاطع في الباب فلا يترك لغيره ولو صح ما قاله الاول لكان اسعد
الناس ابليس وبرصيصا وبلعام ونحوهم ممن مكر به في اخره • ان علينا
للهدى يحتج به المعتزلة لانه عز وجل التزم الهدى على نفسه فلا يضل احدا
وانما الناس يضلون انفسهم وجوابه ان الذى التزمه هدى الارشاد
والهداية لا هدى العصمة والرعاية ثم ان هدى الارشاد واجب منه لاقامة
الحجة وتحقيق العدل لا واجب عليه اذ قدمنا انه عز وجل لا يجب عليه شئ •
وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى الايات احتج بها الجمهور على ان
ابا بكر رضى الله عنه افضل الصحابة لانها نزلت في شانه وقد وصف بانه
الاتقى وينتظم الدليل هكذا ابو بكر اتقى والاتقى اكرم والاكرم افضل
اما الاولى فلهذه الاية واما الثانية فلقوله عز وجل ان اكرمكم عند الله
اتقاكم واما الثالثة فبينة واجابت الشيعة لعنهم الله بانا لا نسلم انها
نزلت في شان ابى بكر وما رويتموه في ذلك احاديث ضعيفة لا يعتمد عليها
وظاهر الاية وسياقها تعميم الاتقى في كل من اتصف بالافضلية في التقوى
لان الله عز وجل قدم على ذلك قوله سبحانه وتعالى فانذرتكم نارا تلظى
لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى فكما ان الاشقى عام في كل من كذب

وتولى لا يخص احدًا بعينه كذلك الاتقى الذى قوبل به يجب ان يكون عاما فى
كل من تزكى بماله ابتغاء وجه ربه الاعلى ثم ان العام لا دلالة له على الخاص
فلا دلالة للاية على خصوص ابى بكر ولا غيره بل معناها ان كل من اتصف
بهذه الصفة المذكورة جنب النار التى تلظى ويحتاج تفضيل ابى بكر وغيره
الى دليل غير هذا ثم قوله عز وجل فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى
الذى كذب وتولى يحتج به المرجية فى ان لا يدخل النار الا كافر كما سبق عنهم
فى سورة تبارك الملك بل هذه ادل على ذلك لانه عز وجل حصر من يدخلها
فى الاشقى المكذب بالنفى والاثبات ولا شك ان قولنا لا يدخل النار الا
كافر اقوى دلالة من قولنا كلما دخل النار داخل اعترف بالكفر ويجاب
بان النار دركات نحو جهنم ولظى وسقر والحطمة وغيرها فهذه النار التى
يعين لها الكافر الاشقى واحدة خاصة منها والاشبه انها لظى لوصفها
بانها تلظى ولا يلزم من تعين الكافر لنار معينة ان لا يدخل غيرها غيره
فعصاة المؤمنين يدخلون غير هذه ثم يخرجون ويعترض عليه بانه
يلزمكم فى سيجنبها الاتقى وانه يجنب هذه النار المعينة ولا يلزم منه
ان يجنب غيرها فلا يكون مدحة والوعد له كاملا لكن ذلك خلاف مقتضى
سياق الكلام فتعين ان الكلام فى مطلق النار يجنبها الاتقى ويتعين
لها الكافر الاشقى وهذا اعتراض قوى وطريق الانفصال عنه انه استدلال
على كل حال فلا يعارض العمومات والنصوص القاطعة من الكتاب والسنة
والاجماع على ان عصاة المؤمنين يدخلون النار بذنوبهم ثم يخرجون

الضحى

بايمانهم القول فى سورة الضحى ووجدك ضالا فهدى قيل
انه ضل عن جده عبد المطلب وهو طفل وقيل ضل فى انوار الملكوت ليلة
المعراج فهداه الله عز وجل اليه وقيل لما نشا بين قوم كفار انعقد له
سبب الضلال فلولا ان انقذه الله عز وجل من ملتهم بهداه ووحيه
لضل فسمى انعقاد سبب الضلال ضلالا على المجاز كما يقال وجدت
فلانا غريقا فانقذته او قتيلا بين اعدائه فاحييته ونحوه اذا انعقد
له سبب ذلك وفى هذه الاية نحو عشرين قولا هذا اقربها الى التحقيق واليه
يرجع قوله عز وجل ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان القول

المنشرح

فى سورة المنشرح الم نشرح لك صدرك هو شرح حتى يشق جوفه حتى اخرج
حظ الشيطان منه وعقلى بخلق دواعى الايمان فيه كما سبق فى الانعام
وغيرها • فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا لما كرر العسر معرفا
كان واحدا ولما كرر اليسر منكرا كان متعددا ومن ثم قال ابن عباس

لن يغلب عسر يسرين واعلم ان الاسم اذا تكرر مرتين فاما ان يكون
معرفا فيهما فهو واحد نحو لقيت الرجل فقلت للرجل او منكرا فيهما فيتعدد
نحو لقيت رجلا فقلت لرجل او يتنكر فى الاولى فقط فيتحد نحو لقيت
رجلا فقلت للرجل وبالعكس فيتعدد نحو لقيت الرجل فقلت لرجل

التين

والاية تضمنت الطرفين الاولين من هذه القسمة القول
فى سورة والتين لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه
اسفل سافلين الا الذين امنوا اى ثم رددناه الى خسر الكفر بدليل
استثناء المؤمنين من اهل سافلين ولا يقابل المؤمن الا الكافر وبدليل
ان الانسان لفى خسر الا الذين امنوا وبدليل فجعلناهم الاخسرين وفى
موضع فجعلناهم الاسفلين ففسر السفال بالخسر واستثنى المؤمن
من السافل فدل على ان المراد خسر الكفر فاذا الاسفل اخسر والاخسر
كافر واذا ثبت هذا فرددناه قاطع فى مذهب الجمهور لاقتضائه ان
الله عز وجل رده الى خسر الكفر وسفاله والله اركسهم بما كسبوا

العلق

القول فى سورة العلق ان الى ربك الرجعى فيه اثبات
المعاد • الم يعلم بان الله يرى فيه ان الله عز وجل بصير سندع الزبانية
فيه اثباتهم وهم ملائكة يدفعون العصاة الى النار • واسجد واقترب
فيه ان السجود سبب القرب من الرب جل جلاله قربا عقليا لا حسيا اما
عند مثبتى الجهة فظاهر واما عند غيرهم فلانه عز وجل لا فى السماء ولا
فى الارض ولا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل ولا منفصل فيستحيل

القدر

التقرب منه حسا عندهم القول فى سورة القدر
انا انزلناه يعنى القران نزل من اللوح المحفوظ الى بيت العزة • فى ليلة القدر
وهى الليلة المباركة فى سورة الدخان • تنزل الملائكة والروح فيها هو
الامر او صنف من الملائكة كما مر وهذه السورة ثلاثون كلمة سابعة
العشرين منها هى فى سلام هى فقال ابن عباس هى هى اى هى سابعة العشرين
من رمضان وقال قوم ليلة الجمعة التى بعد نصف رمضان وترامنه هى
ليلة القدر دائما وهو قول حسن وفيها اقوال كثيرة القول

لم يكن

فى سورة لم يكن رسول من الله محمد يتلوا صحفا مطهرة القرات
فيها كتب قيمة يقتضى ان القران تضمن معانى الكتب التى قبله او
بعضها والا فهم لهذا الكلام معنى الا هذا ثم على هذا قوله عز وجل • وذلك
دين القيمة اى دين الكتب القيمة السابق ذكرها وذلك اشارة الى العبادة
مخلصين حنفاء واقام الصلوة وايتاء الزكوة فدل على ان الشرايع النبوية

وردت بهذه الخصال جميعها وهو موافق لقوله عز وجل شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحًا اللهم الا ان يراد بدين القيمة دين الملة القيمة
وهي ملة الاسلام فلا يجي هذا الكلام • ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك هم خير البرية الى ذلك لمن خشى ربه يستدل به مع قوله
عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء على ان العلماء افضل من
الملائكة ونظمه هكذا الذين يخشون الله هم العلماء والذين يخشون الله
خير البرية فالعلماء خير البرية والملائكة من جملة البرية اذ المراد
منها كل ما براه الله عز وجل اى خلقه والنزاع فى هذا الاحتمال ان المراد
بالبرية البشر او العالم الارضى بدليل اولئك هم شر البرية • ان الذين
كفروا من اهل الكتاب والمشركين يقتضى ان اهل الكتاب ينتظمهم
لفظ الكفر لا الشرك لان الاية اقتضت ان اهل الكتاب قسيم للمشركين
والشئ لا يصدق عليه اسم قسيمه وانما يصدق عليه اسم الجنس المنتظم

الزلزلة

لهما القول فى سورة الزلزلة واخرجت الارض اثقالها
اسناد الاخراج اليها مجاز والمخرج فى الحقيقة هو الله عز وجل
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الى اخرها استدل بها على دخول عصاة
الامة النار ثم خروجهم وانهم لا يخلدون خلافا للمعتزلة وبيانه ان
الاية اقتضت ان من عمل خيرا او شرا رآه اى جوزى به فلا يخلو مجازاته
به اما ان يكون بادخاله الجنة ثم النار وهو باطل باجماع اذ من دخل
الجنة لا يخرج منها لقوله عز وجل وما هم منها بمخرجين او بالعكس

العاديات

وهو المطلوب ولا واسطة بينهما القول فى سورة العاديات
افلا اذا بعثر ما فى القبور فيه اثبات البعث والحشر والنشور وبعثر

يعلم

مشتق من بعث واثار • وحصل ما فى الصدور اى صدور الناس جمع
صدر وقيل مصدر صدر الناس صدورًا بدليل يصدر الناس اشتاتا
اى حصل ما يكون عن صدور الناس من قبورهم وهو محدث غريب

القارعة

لكنه مناسب القول فى سورة القارعة تضمنت البعث
والنشر ونسف الجبال ووزن الاعمال ودخول النار لبعض الناس

التكاثر

وقد سبق جميع ذلك القول فى سورة التكاثر تضمنت
اثبات الجحيم وعيان الناس لها وذلك حين يمرون على الصراط وهو
كالجسر عليها وانهم يسئلون عن نعيم الدنيا الحسى اما العقلى كنعيم
العلم والمعرفة ففيه نظر والاشبه الموافق لعموم الاية انهم يسئلون
عنه ماذا عملت فيما علمت وكيف سلكت الى من عرفت ومن علمك

وعرفك

وعرفك وكيف كان شكرك له بالطاعة والتوحيد ونحو ذلك وفى الحديث
لا تزول قدما عبد يوم القيمة حتى يسأل عن اربع عن عمره فيما افناه وعن
شبابه فيما ابلاه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وماذا عمل فيما علم

العصر

القول فى سورة العصر ان الانسان لفى خسر هو اسم جنس
عام بدليل الاستثناء منه • الا الذين امنوا الى اخره كان السلف
يسمونه ميزان النجاة فيقولون هلموا نزن انفسنا بميزان النجاة يعنى
الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق وبالصبر وذلك لان للانسان
قوتين علمية واليها الاشارة بتواصوا بالحق وعملية واليها الاشارة بامنوا
وعملوا الصالحات والصبر من نتايج الايمان فاذا كملت هاتان القوتان
حصلت النجاة والسعادة وبعد التداخل المذكور لم تتضمن السورة غيرهما

الهمزة

القول فى سورة الهمزة فيها اثبات الحطمة وهى التى تحطم
ما القى فيها وانها تخلص الى الافئدة وهى ابصار القلوب فتطلع عليها
اى تباشرها وانها موصدة على اهلها اى مغلقة من الوصيد وهو الباب

الفيل

القول فى سورة الفيل تضمنت من ايات الله عز وجل حمايته
لبيته وتصرفه فى الطير بالتسخير لقتال اعدائه وهلاكهم ولعل
ذلك من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اذ كان مولده عام

قريش

الفيل القول فى سورة قريش تضمنت عناية الله عز
وجل بهم حتى وطأ لهم البلاد لرحلة الشتاء والصيف واطعامهم
من جوع وامنهم من خوف بخلق الصوارف عن اذى حرمهم فى قلوب
المفسدين وجلب الميرة اليهم بتحريك الناس لذلك القول

اريت

فى سورة ارايت الذى يكذب بالدين فيه ذم التكذيب بالدين

الكوثر

والريا فى العبادات والتفريط فيها القول فى سورة الكوثر
وهو نهر فى الجنة خص به النبى صلى الله عليه وسلم وهو من احكام
الاخرة واشتقاقه من الكثرة لكثرة خيره • فصل لربك وانحر من
ههنا اخذ النبى صلى الله عليه وسلم ان الاضحية لا تجزى قبل الصلوة
لتقديمها فى الذكر وان لم يكن الواو للترتيب وتضمن وعده عليه
الصلوة والسلام بان شانئه هو الابتر اما من عقب او ذكر حسن

الكافرون

او منهما القول فى سورة الكافرون التكرار فيها يحتمل انه
للتاكيد نحو ويل يومئذ للمكذبين فى المرسلات وباى الاء ربكما
تكذبان فى الرحمن وان ربك لهو العزيز الرحيم فى الشعراء وكقوله
والله لا آذن ثم لا آذن ويحتمل ان يكون نفيا لموافقته اياهم وموافقتهم

اياه فى العبادة باعتبار الحال والاستقبال وذلك اربعة مضروب اثنين
فى اثنين كما تضمنته وقد اخبرنى الشيخ على بن عمر بن حمزة الحرانى النجار قيم
الحرم النبوى الشريف ان بعض زنادقة الاطبا صنف تفسيراً بمبلغ علمه
وسوء قصده فلما انتهى الى هذه السورة جعل يقول لا اعبد ما تعبدون
ولا انتم عابدون ما اعبد قال هذه شبيهة بالمنشار يعنى انها ذهاب
ومجى وصدور ورد بصورة واحدة كالمنشار يمشى فى الخشب ويجى بصورة
واحدة وهذا منه استهزاء بالله عز وجل واياته ورسوله وزندقة
اظهرها فعليه من الله ما يستحق فاما قوله عز وجل لكم دينكم ولى دين
فهو اما خبر وعيدى محكم نحو لى عملى ولكم عملكم او امر تكليفى نسخ باية
السيف ونحوها وقد سبق تقرير النسخ فى موضعه القول فى
سورة النصر فسبح بحمد ربك واستغفره قيل هو اشارة الى قرب النصر
اجل النبى صلى الله عليه وسلم واستدل بامره بالاستغفار على ان
الانبياء يجوز عليهم فعل ما يستغفرون منه القول فى
سورة تبت سيصلى نارا ذات لهب زعم بعضهم ان بعد هذا تبت
الخبر ارتفع التكليف عن ابى لهب لانه لما حكم له بالنار صار كانه
فيها ولا تكليف على من فيها والصواب خلافه وحينئذ يستدل به
على تكليف ما لا يطاق لانه مقطوع له بالنار مكلف بالايمان فقد
كلف بالايمان بانه لا يؤمن القول فى سورة الاخلاص الاخلاص
تضمنت اثبات الاحدية والصمدية وهو يقتضى نفى الانقسام والتجسيم
وتضمنت نفى الولادة والمولودية وهو يقتضى نفى المسبوقية والمادة
الجسمانية وتضمنت ان لا كفو له اى مثل مكافى ومن ثم عظم شان
هذه السورة لاختصاصها بتنزيه الحق عز وجل لم يتضمن غيره
القول فى المعوذتين من شر ما خلق يقتضى خلق المعوذتين
الشر وتجسيمه لان التعوذ عام فنظمه هكذا نعوذ من جميع الشرور
ونعوذ مما خلق فالشرور هى مما خلق وتضمنت ان للسحر حقيقة
وتاثيرا لانه صلى الله عليه وسلم امر بالتعوذ من شر النفاثات وهن
السواحر ولولا ان الامر كما قلنا لما كان كذلك وكذلك تضمنت ان
للوسواس وهو الشيطان شرا يتعوذ منه وهو الاضلال والتزيين
ووسوسته فى الصدور وقيل بدخوله فيها اذ يجرى من ابن ادم مجرى
الدم وقيل النفس يخرج من مسام البدن الى الفضاء كخروج الهباء
من الطاقة فينفث فيها الشيطان بوسوسته ثم يدخل بذلك الى

القلب

بلغ مقابله
بحسب الطاقة

القلب والاول اصح وتضمنت ان الوسوسة تكون من شياطين الجن والانس
كما سبق وليكن هذا اخر الكتاب وقد استطردنا فيه يسيراً مما
ليس من موضوعه سبقاً او سهواً او لغرض صحيح
والله عز وجل اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وافق الفراغ منه يوم الاربعاء السابع
عشر من شهر شوال المبارك
من شهور سنة تسع وستين
ومائة والف وصلى الله
على اشرف المرسلين
سيدنا محمد واله
وصحبه الطيبين
الطاهرين
وسلم
م

قال صاحب طبقات الحنابلة فى حق هذا التصنيف وللطوفى تصنيف
بديع سماه الاشارات الالهية والمباحث الاصولية فى الاعتقادات رتبه
على ما فى السور القرآنية من الايات فى ذلك المعنى وهو اخر مصنفاته
قال رحمه الله تعالى ابتدأ كتابته يوم السبت ثالث عشر ربيع الاول
وانتهت يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الاخر كلاهما فى سنة
ست عشرة وسبعمائة وهو كتاب عديم النظير والمثيل وليس احد من
العلماء حذا حذوه فى مصنف رحمه الله تعالى مات الامام ابو الربيع
سليمان نجم الدين بن عبد القوى الطوفى الصرصرى البغدادى المعروف
بابن البوقى فى بلد الخليل فى شهر رجب الفرد سنة ست عشر وسبعمائة
ومولده سنة بضع وستمائة بقرية طوفى
فعلى من اعمال صرصر وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله كلما
ذكره الذاكرون وغفل
عن ذكره الغافلون
وسلم تسليما
امين
م

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى رحمة ربه ذي المواهب
محمد عونى الصدور بابا
وقفي عبده ١١٧٥

١٨٩

١٧ ص
٢٦ 〃
١٤٧ 〃
١٤٦ 〃
١٧٥ 〃